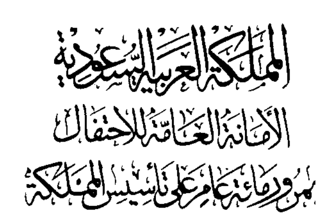






تحفة المستفيد

بتاريخ الأحساء في القديم والجديد

القسم الأول

تأليف

محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري الأحسائي

١٣١٢-١٣٩١هـ

أعيد طبع هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

ⓗ الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس

المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأنصاري ، محمد بن عبد الله آل عبد القادر

تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد .- الرياض

٤٦٩ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

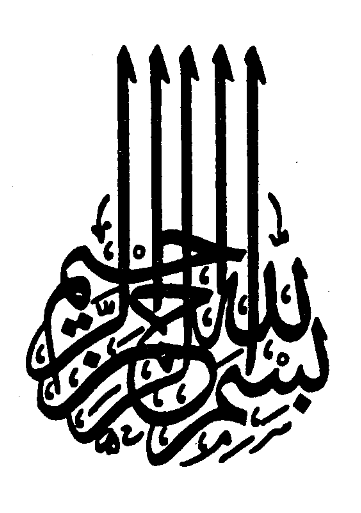
ردمك ٥-٩١-٦٦٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-٧٣-٦٦٠-٩٩٦٠ (ج ١)

١ - الأحساء (السعودية) - تاريخ　　　أ - العنوان

ديوي ٩٥٣,١٣٣　　　١٩ / ٤٥٠١

رقم الإيداع : ١٩ / ٤٥٠١
ردمك : ٧-٧٣-٦٦٠-٩٩٦٠ (ج١)


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أمرنا بشكر النِّعم، ووَعَد الشاكرين بمزيد من فضله العَمِيم ، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد :

فإن الله - جلَّ وعلا - قد أكرمنا في هذه البلاد الطيبة بجمع كلمتنا تحت راية الإسلام الخالدة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ؛ فكلمة التوحيد هي الأساس الذي قامت عليه هذه البلاد، واتخذتها شعاراً لها ، ومنهجاً لحياتها ، وأساساً لنظامها. أكَّد ذلك الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود حين دخل مدينة الرياض في الخامس من شوال سنة ١٣١٩ هـ ؛ استمراراً للمنهج الذي سار عليه آباؤه وأجداده ، المستَمدِّ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وقد جاءت فكرة الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على دخول الملك عبد العزيز مدينة الرياض، وتأسيس المملكة العربية السعودية؛ تأكيداً لاستمرار المنهج القويم الذي سارت عليه المملكة العربية السعودية، والمبادئ السَّامِيَة التي قامت عليها، ورصداً لبعض الجهود المباركة التي قام بها المؤسِّس الملك عبد العزيز - رحمه الله - في سبيل توحيد المملكة ؛ عرفاناً لفضله، ووفاءً بحقه ، وتسجيلاً لأبرز المكاسب والإنجازات الوطنية التي تحقَّقت في عهده وعهد أبنائه خلال المائة عام ، والتعريف بها للأجيال القادمة .

وما الأعمال العلمية التي تُصدرها الأمانة العامة للاحتفال بهذه المناسبة إلا شواهد صادقة على نهضة هذه البلاد الزاهرة ، في ظلّ

دوحة علمٍ أصـولها ثابتة وفـروعها نابـتة، تَوَلَّى غرسـها الملك المؤسِّس، وتعـهَّدها من بعـده بَنُوهُ ؛ فـواصلوا رعايتـهـا حتى امـتدَّ ظلُّهـا ، وزاد ثمرها، فعمَّ البلاد خيرُها ، وانتفع بها الجميع .

وهذا الكتاب يُعنى بجانب من جوانب تاريخ هذه البلاد المباركة .

ولما في نشـره من تيـسـير للبـاحثين بتوفـيـر المصـادر التاريـخيـة الموثقـة، وربط للأجـيـال بماضي الآبـاء والأجداد ، فـقـد أمـر خـادم الحرمين الشريفين المـلك فهد بن عبد العـزيز - حفظه الله - بطبع هذا الكتاب ونشره بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة.

اللَّهم إنا نشكرك ، ونـتحـدّث بعظيم نعـمتك عـلينا ، وقد وعـدت الشاكرين بالمزيد ؛ فأدمها نعمةً ، واحفظها من الزوال .

وصلَّى الله وسلَّم وبارك عـلى نبيِّنـا محـمـد ، وعلى آله وصـحبـه أجمعين .

أمير منطقة الرياض

رئيس اللجنـة العليا ورئيس اللجنة التحضيرية

للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة

سلمان بن عبد العزيز

هذا الكتاب

سبق أن طُبع القسم الأول من هذا الكتاب في سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م على نفقة سمو الشيخ عبدالله بن علي آل ثاني، وطُبع قسمه الثاني في سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، ثم طُبع مرة أخرى بقسميه في سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. وقد كتب الشيخ/ حمد الجاسر مقدمة له أوضح فيها أهميته والجهد الذي بذله المؤلف في جمع مادته العلمية وصياغته، وذكر أن المؤلف عهد إليه بالإشراف على طبع هذا الكتاب، وأجاز له أن يُضيف إليه ما يراه من تعليقات تزيد المعنى وضوحاً ، أو تكمل الفائدة ، من تعريف بموقع أو علم أو إحالة إلى مصدر أو مرجع، وقد قام الشيخ بالتعليق على بعض المواضع في الكتاب .

ولما كان هذا الكتاب ضمن الكتب التي أقرّت اللجنة التحضيرية للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة إعادة طباعتها، فقد رأت اللجنة العلمية المنبثقة عن الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة مناسبة إضافة بعض التعليقات، وكذا عزو الآيات وتخريج الأحاديث الواردة به، وميّزت ذلك بوضع نجمة (*) على كلِّ تعليق تم بتكليف منها . كما أنها أعادت فهرسة هذا الكتاب حسب حروف الهجاء ، وقد وضعت جميع الفهارس في نهاية الكتاب .

وقد كلفت اللجنة العلمية الدكتور/ عبدالله بن ناصر السبيعي -أستاذ التاريخ الحديث المشارك بجامعة الملك سعود بالرياض- بالتعليق على القسم الأول من هذا الكتاب، وهو القسم الخاص بالجوانب التاريخية، أما القسم الثاني - وهو القسم الذي تناول العلم والأدب في المنطقة - فقد أسندت اللجنة أمر التعليق عليه إلى الدكتور/ محمد بن حسن الزير -أستاذ الأدب المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض-.

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير خلقه وعلى سالكي نهجه ، وتابعي سنته.

وبعد : فقد عهد إليَّ حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد بن عبدالله آل عبدالقادر، لأُشْرِف على طبع هذا الكتاب، بل بلغ به التواضع، وعدم اعتداده بجهده العظيم الذي صرفه في تأليف هذا الكتاب، وحرصه على أن يبلغ الدرجة التي تجعل فائدة القارئ منه أعم وأشمل أن أباح لي بأن أضيف إليه ما أراه، مما يكمل فائدة أو يزيد المعنى إيضاحاً أو يكون أقرب إلى الصواب.

ولا ريب عندي في أن فضيلة المؤلِّف الجليل في مؤلَّفه هذا قد أوفى على الغاية التي يستطيع بلوغها من سار مسيره في الجمع والتأليف ، وسلك مسلكه الوعر المظلم ، للوصول إلى المعلومات التي وصل إليها ، غير أنه - حفظه الله وأدام له الخير والتوفيق - أراد أن يسلك النهج الذي لا يسلكه إلا الصفوة الممتازة من العلماء، ممن صفت نفوسهم، وتجردت من جميع المآرب والأغراض، واتخذت من التواضع وسيلة للتعاون العلمي النافع. وما أجدر العلماء - في بلادنا - بأن يسلكوا هذا النهج الحميد، وأن يسيروا على هذه الطريقة القويمة.

تاريخ الجزيرة :

إن معالم تاريخ البلاد التي تصدى المؤلف الفاضل لكتابة تاريخها - في كثير من حقب التاريخ - لا يستطيع الباحث أن يهتدي إليها

بسهولة ويسر، وليس صحيحاً ما يقال من أن العرب بعد الإسلام: «لم يتركوا خبراً من أخباره، أو رواية أو واقعة، إلا دونوها وفصلوها[1]».

إن تاريخ العرب - على اختلاف أقطارهم - تاريخ حكومات وأفراد ، لا تاريخ أمم وشعوب وأقاليم، وأوضح دليل على ذلك هذه الجزيرة العربية التي هي مهدهم، وفيها يسطع النور الذي أضاء الخافقين، ومنها سارت جحافل الهداة الفاتحين في مشارق الأرض ومغاربها، لنشر العلم والعرفان ولإرساء قواعد العدل والإخاء بين جميع الشعوب.

إن الباحث في تاريخ هذه الجزيرة - في أية حقبة من حقب تاريخها - يعييه البحث، وتهن قواه دون الوصول إلى بغيته كاملة، ولولا ما لبعض مدن هذه الجزيرة (مكة والمدينة) من مكانة دينية في نفوس المسلمين ، لعفا على تاريخها النسيان.

ولا يتسع المقام للحديث عن عدم عناية المؤرخين بتاريخ جزيرة العرب ، وهو أمر يدركه كل من حاول البحث في تاريخ قطر من أقطارها.

قطر مهمل :

وهذا القطر الذي عُرف قديماً باسم "البحرين"، ثم باسم "هجر" و"الأحساء" و"الخط"، ثم أُطلق عليه في عهدنا الحاضر اسم "المنطقة الشرقية"، هو من أحفل الأقطار العربية بالحوادث التاريخية، التي تدعو المؤرخين إلى العناية والاهتمام، فقد كان مهداً لشعوب عريقة في

(١) جرجي زيدان في كتاب «تاريخ العرب قبل الإسلام»، ص ١٧، الطبعة الثانية.

الحضارة، كما دلت على ذلك الآثار التي كُشف عنها حديثاً في سواحل هذه البلاد، وفي جزيرة "أوال" المعروفة الآن باسم "البحرين"، وكما أشارت إلى ذلك بعض المؤلفات التاريخية اليونانية القديمة.

ثم هذا القطر من حيث الخصوبة والموقع المتوسط أصبح من خير أقطار الجزيرة وأصلحها للاستيطان، حتى تنازعته شعوب كثيرة، وقبائل عربية مختلفة، من تنوخ وإياد وربيعة وغيرها من القبائل، فصار مسرحاً لكثير من حوادث البطولة في العصر الجاهلي، بل كان سداً منيعاً دون توغل جحافل دولة «الفرس» القوية التي حاولت بسط نفوذها - بطريق الاستيلاء عليه - على بلاد العرب، فصمد لجحافلها صموداً جعلها ترتد على أعقابها.

ثم لما دَوَّى صوت الدعوة إلى الإسلام ، كان أهله من أول المصيخين إلى ذلك الصوت، ثم كانوا من أول المستجيبين لتلك الدعوة عن اختيار وطواعية، وفي مقدمة الثابتين عليها المتمسكين بها حينما انتشرت الردة عنها في جميع قبائل الجزيرة، وكان خراج هذا القطر هو أعظم خراج جُبِيَ في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن هذا القطر حدثت ثورتان عنيفتان غريبتان، هما الأوليان من نوعهما في تاريخ الإسلام: ثورة "صاحب الزنج" التي تميزت بالدعوة لتحرير الموالي، وثورة "القرامطة" التي أوهت عضد الخلافة العباسية، وزعزعت أركانها، وفصلت من جسمها جزءاً كبيراً، لم تستطع إرجاعه، مع شدة حولها وطولها.

أليست هذه الحوادث وغيرها مما يجد القارئ بعضه مدوّناً في هذا التاريخ وفي غيره من المؤلفات ، أليست هذه كافية لكي يولي المعنيون بتدوين التاريخ الإسلامي هذا القطر شيئاً من العناية، فيجد الباحث لتلك الحوادث - فيما دوّنه أولئك المؤرخون - من تاريخ الحوادث ما يجعله يسير في بحثه على هدى وبصيرة ؟

لا ؛ لأن تاريخنا - مع ضخامته، بكثرة مؤلفاته التي تفوق العد، وتفوت الحصر - هو تأريخ حكومات وأفراد، لا تاريخ أمم وشعوب وأقاليم، ولأن علماء التاريخ الذين تصدوا لكتابته - كانوا ولا يزال كثير منهم - يرون في التاريخ مادة للكسب ووسيلة للرضا، وطريقة لنيل المغنم.

المحاولات الأولى لتدوين تاريخ هذا القطر :

ومؤرخنا الفاضل سار في طريق غير معبدة، ولا مسلوكة، ولقد حاول غيره السير في هذه الطريق، فخارت قواهم ،فوقفوا حائرين.

وأول من نعلمه من متأخري الكُتَّاب والباحثين حاول تدوين تاريخ لقطر الأحساء هو الأديب النجدي المعروف الأستاذ سليمان الدخيل (١٢٧٠هـ - ١٣٦٤هـ)، فقد قام عام ١٣٣١هـ ، وهي السنة التي دخلت فيها هذه البلاد في حكم الدولة السعودية الحديثة ، فألف رسالة صغيرة تقع فيما يقرب من ٦٠ صفحة (من القطع الصغير)، دعاها: "تحفة الألباء في تاريخ الأحساء"، وطبعها في بغداد.

وليس في تلك الرسالة من المعلومات التاريخية سوى نتف مقتضبة من الأخبار عن ولاة الدولة التركية في الأحساء، ونبذة موجزة

جداً من المعلومات عن آل ثاني حكام قطر ، وكلها لا تفيد الباحث ، ولا تروي غلة المتعطش إلى معرفة تاريخ هذه البلاد، بل لا تبل صداه، وفي عهدنا الحاضر حاول بعض أدباء هذا الإقليم وغيرهم التصدي لتأليف تاريخ الأحساء، ولكننا - باستثناء الكتاب الذي وضعه أحد الغربيين عن أحوال هذه المنطقة الاجتماعية العامة، وقامت شركة الزيت العربية الأمريكية بطبعه - لم نر أي أثر لجهد أولئك الأدباء الذين تصدوا لتأليف تاريخ ذلك الإقليم كالأساتذة: الشيخ عبدالله بن سليمان المزروع، والشيخ يوسف بن راشد آل مبارك، والأستاذ حمد بن علي آل مبارك، والأستاذ عبد رب الرسول الجشي، وغيرهم، ممن دأبوا على جمع المعلومات المتعلقة بتاريخ الأحساء منذ أمد بعيد.

ومن هذا ندرك قدر الجهد الذي بذله المؤلف في جمع هذا التاريخ، وندرك الصعوبات الكثيرة التي اعترضت طريقه حينما نستقرئ المؤلفات التاريخية العظيمة التي زخرت بها المكتبة العربية من مخطوطة أو مطبوعة، فلا نكاد نعثر فيها من أنباء هذا القطر الكريم على ما تتوق نفوسنا إلى معرفته، بل لا نجد فيها ما يوضِّح لنا ما استغلق علينا فهمه وإدراك الصواب فيه من حوادثه التاريخية، ولنضرب للقارئ مثلاً واحداً من الأمثلة الكثيرة في ذلك:

من أمثل الأقوال وأقربها للصواب ما يسوقه العلامة ابن خلدون -غالباً- في تاريخه، فلو بحثنا في هذا التاريخ عن زوال دولة "القرامطة" متى كان ذلك؟ وعلى يد من؟ لوجدناه يقرر أن هذه الدولة زالت في آخر القرن الرابع الهجري، وفي سنة ٣٩٨هـ على وجه التحديد (انظر

كلامه في الملحق الخامس)، ولوجدناه يقرر أن ذلك كان على يد الأصغر - أو الأصفر - بن علي من قبيلة تغلب، ولوجدناه يقول بأن حكم بلاد "الأحساء" بقيت بيد بني الأصفر هذا، حتى انتزعها منهم بنو عامر في القرن السادس الهجري، ولكننا حينما نرجع إلى شعر ابن المقرب الأحسائي، وهو قبل ابن خلدون في الزمن، ثم هو من أهل البلاد أنفسهم، لوجدناه يفخر بكون أسرته من العيونيين ، هم الذين «شظوا جماجم القرامطة»، وأزالوا حكمهم، بعد أن جل بالبحرين خطبهم ، ولوجدنا شرّاح ذلك الديوان يحددون زمن زوالهم بسنة ٤٦٩هـ على يد عبدالله بن علي بن عبدالله بن إبراهيم العيوني العبقسي ، من عبد القيس لا من تغلب . فكيف نستطيع التوفيق بين القولين؟ أو نرجح أحدهما على الآخر؟ والمصادر التي بين أيدينا لا تسعفنا بدليل مرجح.

لقد أحسن فضيلة الأستاذ المؤلف كل الإحسان ، حينما جمع لنا ما أمكنه جمعه من مصادر تاريخ هذا الإقليم، فقرَّب للباحثين جل النصوص المتعلقة بذلك التاريخ، ويسَّر لهم الاطلاع عليها، وترك لمن أراد منهم دراسة تلك النصوص، وتمحيصها واستنتاج النتائج منها، وما على هؤلاء الذين يريدون أن يكتبوا لهذا القطر تاريخاً يغاير الطريقة التي كتب المؤلف الفاضل تاريخه عليها إلا المضي في طريق أصبح معبداً، بفضل هذه المحاولة الأولى التي قام بها المؤلف الفاضل، ولعلهم - إن أرادوا العثور على مصادر أخرى غير تلك المصادر التي قرب تناولها منهم - أن يعييهم البحث، أو يطول بهم الطريق دون

بلوغ ما يريدون، وإن كان في ذلك خسارة لا تعوض في تاريخ هذا الجزء الحبيب من الوطن العربي.

وإن كنا نأمل أن يأتي اليوم الذي ينكشف فيه من معالم تاريخ بلادنا ما كان خافياً، حينما تتجه عناية الباحثين من أبناء هذه البلاد أنفسهم للتنقيب عن الآثار المطمورة المغمورة؛ لإبرازها، ودراستها، ثم استنطاق صامتها، كما فعل الغربيون بآثار الجزء الجنوبي من بلادنا (إقليم اليمن).

نهج المؤلف:

جمع المؤلف الفاضل تاريخه هذا من مصادر عزا كل نقل فيه إلى المصدر الذي استقى منه. فعوَّل في ذكر المدن والقرى والمواضع المشهورة القديمة على "معجم البلدان" لياقوت الحموي وحده، ولعل الذي حمل المؤلف على الاقتصار على ما جاء في معجم ياقوت - مع وجود معلومات أخرى تتعلق في الموضوع في المؤلفات الجغرافية القديمة الأخرى - هو أن جل المواضع التي ذكرتها المعجمات والمؤلفات القديمة قد درست، والحديث عنها لا يكمل إلا بالبحث والتنقيب عن مواضعها، وهذا ما لم تتوفر للمؤلف الفاضل الأسباب التي تمكنه منه، ومع هذا فقد حاول أن يبذل جهده في هذه الناحية، فأبدى رأيه في تحديد بعض ما ذكر ياقوت في معجمه من الأمكنة القديمة، وحاول أن يربط بين التاريخ القديم والتاريخ الحديث لبعض المواضع كالظهران، وقطر، والعقير، وغيرها من المواضع التي يجدها القارئ في هذا الكتاب.

ثم أورد فصولاً مفيدة لإيضاح ما عليه البلاد في عهدها الحاضر ، فتحدث عن المدن والقرى الموجودة في هذا الإقليم، وذكر بعض الأسر العريقة في القدم، وحاول إرجاع أنسابها إلى القبائل المعروفة.

وهذا - في الواقع - أمر شاق ، لانقطاع تدوين الأنساب منذ عهود قديمة جداً، وإذا كان المتقدمون من علماء النسب كابن حزم والقلقشندي وأضرابهما لم يتمكنوا من ربط قبائل معروفة بأصولها القديمة، مع سهولة ربطها في ذلك العهد ، فإن في هذا ما يحملنا على أن نجد العذر لمؤلفنا الفاضل، وأن نجد منه العذر حينما نقف من عمله - في هذه الناحية وفي بعض المواضع منه - موقف المتثبت، كنسب قبيلة سبيع، ونسب آل كثير، ونسب بني زيد؛ إذ تشابهُ الأسماء يوقع كثيراً في الخلط بين الأنساب، فقد تنسب قبيلة إلى جدٍّ غير جدها، وقد تتداخل قبيلتان متباعدتان في النسب، بسبب الاتفاق في الاسم، وقد وقع هذا في القبائل القديمة، قال الهمداني في كتاب "صفة جزيرة العرب" (ص٩٠): «وكذلك سبيل كل قبيلة من البادية، تضاهي باسمها اسم قبيلة أشهر منها، فإنها تكاد أن تتصل نحوها وتنتسب إليها». إهـ.

وهذا لا يمنعنا من أن نقدِّر للأستاذ المؤلف عمله ، فقد عرَّفنا بأسر كريمة المحتد، تنتمي إلى أصولها العريقة من القبائل المعروفة، والاختلاف ليس في انتسابها إلى هذه القبائل، ولكن في إرجاع أصول تلك القبائل وربطها من حيث تسلسل الأنساب إلى الأصول المدونة في كتب النسب، ولا يخالف أحد من الباحثين في صعوبة هذا - إن لم يكن في استحالته - بعد مرور أحقاب طويلة من الزمن، درست فيها الأنساب، ونسيت، وانقطع التدوين والتأليف في الأنساب في خلالها.

وسرد المؤلف الفاضل أسماء العيون الواقعة في هذا الإقليم ، وأفاض في الحديث عن الكبيرة منها. وتكلم عن الزراعة، فذكر أنواع التمر والفواكه والحبوب، وإقليم الأحساء هو أخصب إقليم في جزيرة العرب من حيث غزارة مياهه، وكثرة حاصلاته الزراعية منذ عهد قديم إلى منتصف هذا القرن، حينما عثر على الزيت فيه، فانصرف أهله عن الاشتغال بالزراعة والحرث إلى أعمال الزيت.

والمطالع لهذا التاريخ بحاجة إلى أن يعرف مقدار حاصلات هذا الإقليم الزراعية من الأرز والتمر ، حينما كان يغمر الأقاليم المجاورة له بهذين النوعين من الحاصلات ، وهو بحاجة أيضاً إلى أن يلم - ولو إلمامة موجزة - بطرق الزراعة، وأن يعرف - ولو على وجه التقريب - مساحات الأراضي الصالحة لها. وإذا كان المؤلف الفاضل فاته تفصيل ما يحتاج إليه المطالع من هذه النواحي؛ اكتفاء بالتقارير الزراعية المطبوعة كتقرير البعثة الأمريكية، وكتاب "الزراعة في المملكة"، فإننا نرجو أن يتدارك ذلك في الطبعة الثانية إن شاء الله .

استغرق الحديث عما تقدمت الإشارة إليه، قرابة خمسين صفحة من هذا التاريخ، وقد عوَّل الأستاذ المؤلف فيها - بعد استثناء ما نقل عن ياقوت في تحديد المواضع والأمكنة - عوَّل على مشاهداته، وعلى ما سمعه ممن يثق بعلمهم. وهو بهذا أسدى إلى الباحثين يداً كريمة بتدوين معلومات قيمة، قد لا يجدون كثيراً منها في غير هذا التاريخ.

ثم سرد المؤلف تاريخ البلاد السياسي ، مبتدئاً بدولتي معين وسبأ . وقد يستغرب القارئ ذكر هاتين الدولتين في تاريخ الأحساء، مع بُعْد

هذه البلاد عن موطن حكمهما، ولكنه حينما يعلم بأن الباحثين في العصر الحاضر عثروا على ما يدل على امتداد حكمهما إلى هذه البلاد يزول استغرابه، فقد عُثر على كتابات باللغة الحميرية في "الحناءة" و"ثاج" و"جاوان" و"تاروت" و"القطيف". انظر كتاب (تاريخ العرب قبل الإسلام، تأليف الدكتور جواد علي، ج١ ص ١٩٤، ١٩٥).

وأشار إلى هجرة قبائل قضاعة وإياد وعبد القيس من غرب الجزيرة إلى هذه البلاد بإيجاز ، وفصَّل نبأ وفادة عبدالقيس على رسول الله ﷺ ، ثم استرسل في ذكر الحوادث التي تعاقبت على هذه البلاد حتى ظهور القرامطة في آخر القرن الثالث الهجري.

والمؤلف في كل ما تقدم عوَّل على كتب التاريخ المعروفة ، وخاصة تاريخ ابن الأثير الذي عوَّل عليه كثيراً حينما سرد جزءاً غير قليل من أخبار القرامطة، مضيفاً إلى ما نقله عن هذا التاريخ شذرات متفرقة نقلها من كتب أخرى.

وقد أفاض المؤلف في الحديث عن دولة "العيونيين" ، التي حكمت البلاد زهاء قرن ونصف القرن (من سنة ٤٧٠هـ إلى سنة ٦٣٠هـ تقريباً). وقد كان مصدر المؤلف فيما كتبه عن هؤلاء ما جاء في شعر ابن المقرب وشرحه.

ولئن كان تاريخ القرامطة في هذه البلاد مظلماً ، بحيث أصبح تاريخ هذه البلاد التي مُنيت بحكم هؤلاء القوم قرابة قرنين من الزمن مجهولاً في هذه الحقبة من التاريخ؛ فإن تاريخ العيونيين ليس بأحسن حظاً - من حيث الوضوح والبيان - من تاريخ القرامطة .

ولولا أن الله قيَّض لهؤلاء القوم شاعراً منهم سجَّل أخبارهم، ووصف كثيراً من أحـوال حكمهم لجُهِلت أنباؤهم، وخفـيت على الباحثين في التاريخ سيرتهم.

وبعـد العيونيين تعاقب على حكم هـذه البلاد دويلات وحكومات لم يهـتد البـاحثـون عن أخـبارها إلا إلى نتـف يسيـرة قام مـؤلف هذا التاريخ بجمع مـا أمكنه جمعه منهـا، حتى كان منتصف القـرن العاشر الهجـري، حينما امـتد حكم السلطنة العـثمانية عـلى هذه البلاد، ومنذ ذلك العهد إلى عهدنا الحاضـر يوشك أن يكون التاريخ السياسي لهذه البـلاد متـصل الحلقـات، مما يجـد القـارئ الكريم الكثـير من حـوادثه مسجلاً في هذا الكتاب مما لا نطيل بعرضه.

ولكننا لكي يدرك القراء بعض ما يتصف بـه فضيلة الأستاذ المؤرخ من التواضع شأن العلماء العاملين ، ولكي يوسعوا المؤلف عذراً فيما قد يلاحظونه في هذا التـاريخ من عـدم استيـعاب، أو قـصـور في بعض المبـاحث؛ ننقل ما جـاء في مقـدمـة الكتاب، قـال الأستـاذ: «هذا تاريخ الأحساء، جمعته من مصادر موثوق بها، وعزوت كل نقل إلى مصدره؛ إلا ما كـان من صفة الأحسـاء الحاضرة، وحـوادثها المتأخـرة، فنقلت ما خفي عليّ منها من الرجال الثـقات فيما أعتقد فيـهم . وقد يجد القارئ نقـصاً في استـيـفاء أخـبار الحكومـات ... أو تفككاً في بعض حلقـات التاريخ، وفي تنسيق الحوادث؛ وذلك لعدم المصادر الوافية بهذا الغرض، ولعدم وجـود تاريخ خاص بهـذه البلاد. وتاريخنا هو الأول مـن نوعه؛ ومن الطبيعي أن يكون غير تام، والبدر يبدو هلالاً، ثم يكتمل».

جهد مشكور :

إن فضيلة الأستاذ المؤلف قد أسدى بكتابه هذا إلى المكتبة العربية يداً يقابلها بالشكران والتقدير كلٍ من عانى البحث في تاريخ هذا القطر الكريم، ونحن لا نقول بأنه سدَّ فراغاً كبيراً في هذا الموضوع، بل نقول بأنه فتح الباب، ورسم الطريق، وقرَّب ما استطاع تقريبه من معلومات تاريخية، وجمع بينها وقد كانت مشتتة مفرَّقة.

ولو أن كل أديب أو باحث قام في تدوين تاريخ القطر الذي يعيش فيه من بلادنا العريضة الواسعة، كما فعل المؤلف الشيخ محمد، وكما فعل الأديب الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي في كتاب "من تاريخ المخلاف السليماني" لاجتمع لنا من ذلك تاريخ عام شامل لأقاليم بلادنا التي لا تزال مجهولة التاريخ.

خاتمة :

وبعد ، فما كنت لأبيح لنفسي الاسترسال في كتابة هذه المقدمة ، غير أنني وجدت هذا المؤلّف الجديد جديراً بأن يطول عنه الحديث، ويتسع فيه مجال القول، ولعلي أتمكن من ذلك لأجاذب مؤلفه الفاضل الحديث في بعض المواضع، مما أرى مجال الحديث عنها الآن يجدر بأن يملأ بعبارات الثناء، وإن كنت أعلم عن المؤلف الجليل أنه من أعزف الناس عن ذلك، وأزهدهم فيه، غير أن شكر المحسن على إحسانه من أقوى وسائل الاستزادة.

وإنني لأرجو أن يجد هذا القسم من هذا الكتاب من الرواج والانتشار، وحسن الاستقبال من العلماء ما يكون حافزاً للمؤلف

الفاضل؛ لكي يسارع إلى نشر القسم الثاني منه (وهو القسم الأدبي)[*].

ولن أتحدث عما قمت به حيال الثقة التي أولاني المؤلف الكريم ؛ لأن رغبتي في سرعة إنجاز طبعه، مع كثرة أعمالي حينما وصل إليّ، واضطراري للسفر إلى القاهرة، كل هذه الأمور حالت بيني وبين أن أقف مع المؤلف الفاضل وقفات أستفيد فيها من علمه، وأستوضح منه عما خفي عني وجه صوابه، فاكتفيت بكتابة حواش يسيرة موجزة، مع إضافة بعض المعلومات العامة، أُلحقت في آخر الكتاب، مما يزيد بعض الأخبار التي أوردها المؤلف إيضاحاً، مما نقلتها من مصادر ذكرتها، وأوردتها على علاتها - مع ما في بعضها من تحريف - محافظةً على الأصل الذي نُقلت منه، وما كنت أريد أن أبين هذا، لولا أنني قصدت تبرئة المؤلف الكريم من عهدة تلك النقول.

وعلى الله قصد السبيل، وهو ولي التوفيق.

الرياض: في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٧٩هـ

حمد الجاسر

(*) كان هذا عندما طُبع القسم الأول منفرداً سنة ١٣٧٩هـ ، وقد طبع المؤلف القسم الثاني سنة ١٣٨٢هـ.

مصادر القسم الأول من الكتاب

رجع المؤلف إلى مصادر كثيرة من المؤلفات القديمة والحديثة ، والصحف، ونكتفي بذكر المؤلفات التي ورد ذكرها في الكتاب، وما كان مطبوعاً منها ألحقنا بعد ذكر اسمه حرف (ط)، وما كان مخطوطاً حرف (خ)(*)، ولم نذكر منها ما ورد ذكره في الحواشي .

- أحسن القصص (قصيدة في سيرة الملك عبدالعزيز آل سعود) ، للشيخ خالد الفرج - ط -.
- الإصابة في تعيين الصحابة، لابن حجر - ط -.
- الاكتفاء في مغازي المصطفى ، للكلاعي - خ -.
- بلاد العرب ، للأصفهاني المعروف بلغدة - خ -.
- تاريخ البحرين ، لمحمد بن خليفة النبهاني - ط -.
- تاريخ الأمم والملوك ، لابن جرير - ط -.
- تاريخ دمشق، لابن عساكر - ط -.
- تاريخ العرب قبل الإسلام ، للدكتور جواد علي - ط -.
- تاريخ نجد الحديث ، للريحاني - ط -.
- تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري - خ -.
- الجامع الصحيح ، للبخاري - ط -.

(*) كان ذلك عند نشر القسم الأول من الكتاب في سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م، وقد طُبِع بعضٌ من الكتب التي أشير إلى أنها كانت مخطوطة.

- الجبال والمياه والأمكنة ، للزمخشري - ط -.
- جمع الجواهر في الملح والنوادر ، للحصري - ط -.
- حاشية الشيخ النجار على تاريخ ابن الأثير - ط -.
- حماسة أبي تمام - ط -.
- درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة ، لعبدالقادر الجزيري الحنبلي - خ -.
- ديوان الشيخ عبدالله بن علي آل عبدالقادر - خ -.
- ديوان ابن مقرب -ط-.
- ذم الهوى ، لابن الجوزي -خ-.
- سفر نامه ، ناصر خسرو - ط- .
- سمط النحوم العوالي ، عبدالملك العصامي - خ -.
- شرح ديوان ابن مقرب - خ - .
- صبح الأعشى ، للقلقشندي - ط -.
- صفة جزيرة العرب ، للهمداني -ط .
- الضوء اللامع ، للسخاوي - ط- .
- الطبقات الكبرى ، لابن سعد - ط -.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، لابن خلدون -ط .
- عقد الدرر في حوادث نجد في القرن الثالث عشر ، لابن عيسى - ط -.
- عنوان المجد في تاريخ نجد ، لابن بشر - ط-.

- العنيزية (قصيدة) في تاريخ مدينة عنيزة في نجد ، للقاضي - ط-.
- الكامل في التاريخ ، لابن الأثير - ط-.
- كتاب في التراجم ، لمؤلف من أهل القرن العاشر مجهول - خ -.
- كشف أسرار القرامطة ، لابن حماد اليماني - ط -[1].
- المجلة الجغرافية الأمريكية ، عدد أبريل سنة ١٩٤٨م.
- مسند الإمام أحمد ، لأحمد بن حنبل - ط -.
- معجم البلدان ، لياقوت - ط -.
- وفاء الوفاء في أخبار دار المصطفى ، للسمهودي - ط -.
- وفيات الأعيان ، لابن خلكان - ط -.

---

(١) نقل منه نص كتاب القرامطة إلى الخليفة العباسي (ص ٨٦ ، ٨٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق الخلق أجمعين، ومعيدهم بعد فنائهم؛ ليجزي المحسنين، ويجازي المسيئين، وجعل في قصصهم عبرة للناظرين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين، المبعوث لهداية الخلق أجمعين، وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة إلى يوم الدين.

أما بعد ، فهذا تاريخ الأحساء جمعته من مصادر موثوق بها، وعزوت كل نقل إلى مصدره؛ إلا ما كان من صفة الأحساء الحاضرة، وحوادثها المتأخرة ، فنقلت ما خفي عليَّ منها من الرجال الثقات فيما أعتقد فيهم ، وقد يجد القارئ نقصاً في استيفاء أخبار الحكومات منذ نشأتها إلى انقضائها، أو تفككاً في بعض حلقات التاريخ، وتنسيق الحوادث؛ وذلك لعدم المصادر الوافية بهذا الغرض، ولعدم وجود تاريخ خاص بهذه البلاد. وتاريخنا هو الأول من نوعه؛ ومن الطبيعي أن يكون غير تام، والبدر يبدو هلالاً، ثم يكتمل.

ولما كانت "الأحساء" قاعدة بلاد "البحرين" وجب التعريف بها :

البحـرين

قال ياقـوت الحموي في "مـعجم البلدان": "البحـرين"، اسم جامع لبلاد واسعة على ساحل البحر، الواقع بين جزيرة العرب وبلاد فارس، تمتد من البصـرة شمالاً إلى عُمان جنوباً، ومن الدهناء غـرباً إلى البحر شـرقاً. وهكذا يتلفظ بهـا في حالـة الرفع والجر والنصب، ولم يسـمع على لفظ المرفوع، إلا أن الزمخشـري حكى أنه بلفظ التثنية[1]، فيقال: هذه البحران، وانتـهيت إلى البحرين. وهي في الإقليم الـثاني، وطولها أربع وسـبعـون درجـة، وعـرضـهـا أربع وعـشـرون درجـة". قـال الأزهري[2]: «سُمِّيت البحرين؛ لأن في ناحية قراها بحيرة قدرها ثلاثة أميـال، وماؤها مرّ زعـاق». قال في القـاموس: «زُعاق ، كـغُراب: مُـرٌّ غليظ لا يطاق شربه».

قلت : هـي البـحـيـرة المعـروفة الآن بـ"الأصـفـر" في آخـر قـرى الأحساء الشرقية، معروفة مشهورة.

مـن ينسب إلى البـحـرين من علمـاء الحديث : محـمد بن معـمر البحراني، ثقـة، حدَّث عنه البخاري والعبـاس بن يزيد البحراني، روى عن خالد بن الحـارث وابن عيينة ويزيد بن ربـيع، وروى عنه الباغندي وابن صاعـد وابن مخلد. وهو من الثقـات، مات سنة ثمان وخـمسين ومائة، ذكر ذلك ياقوت الحموي في المعجم. وسيأتي مزيد من ذلك في قسم العلم في الأحساء.

---

(١) كتاب « الجبال والمياه والأمكنة»، ص ٤ ، طبعة النجف.

(٢) أبو منصور محمد بن أحمد بن أزهر (٢٨٢ - ٣٧٠هـ) في كتاب التهذيب.

ذكر المدن والقرى والمواضع المشهورة في بلاد البحرين من زمان الجاهلية كما جاء في المعجم

حرف الألف

الأحساء : وهي قاعدة البحرين، بفتح أوله وسكون ثانيه، جمع حِسْي، وهو الماء الذي تنشفه الأرض، فإذا صار إلى صلابة أمسكته، فتَحفر عنه العرب؛ فتستخرجه، وكلما نزحت دلو جمَّت أخرى. والأحساء والحساء يطلق على المقاطعة الشرقية، يحدها غرباً عقبة الفَرُوق كصَبُور، وشمالاً القطيف وجودة، وشرقاً رمال العقير، وجنوباً رمال يبرين.

وقاعدتها في الوقت الحاضر مدينة "الهفوف"، وقد خصصنا هذا التاريخ لهذه المقاطعة فقط. وهو اسم قديم، قال الشاعر ابن المقرب:

يا حبذا بلد "الحساء" فإنه — لو ساءني — بلد إليّ محبب

قال ياقوت الحموي : "الأحساء" : مدينة بالبحرين معروفة مشهورة، كان أول من بناها وحصنها وجعلها قصبة "هجر" أبو طاهر الحسن بن أبي سعيد الجنابي القرمطي على أنقاض مدينة "هجر" سنة سبع عشرة وثلاثمائة من الهجرة.

أَسْبَذ : بفتح أوله وسكون ثانية، قرية من قرى البحرين، ينسب إليها المنذر بن ساوى صاحب هجر الذي كاتبه النبي ﷺ ، وهو من ولد عبدالله بن زيد مناة بن تميم، وقيل: إن أسبذ اسم رجل من أهل فارس، وجَّهه كسرى عاملاً على هجر، فأذل أهل هجر ، وأكثر سكانها من

عبدالقيس-، فكانت العرب تعيرهم، ويقولون لهم: أنتم عبيد أسبذ، قال طرفة بن العبد:

فأقسمت عند النصب إني لهالك ... بملتفة ليست بغيظ ولا خفض

خذوا حذركم أهل المشقر والصفا ... عبيد أسبذ والقرض يجزى من القرض

أغدرة السيدان: وهو جمع غدير، وهو الماء الذي يخلفه ويغادره السيل في مستنقع من الأرض. وأغدرة السيدان: موضع بين البحرين والبصرة وراء كاظمة، يقارب البحر.

قلت: لعله بقرب موضع الكويت في العصر الحاضر.

أوال: جزيرة في البحر المحاذي لبلاد "هجر"، وكانت تسمى في القديم "دلمون"[1]، ثم سميت "أوال" باسم صنم تعبده بنو وائل مع قوم من بني عبدالقيس، وتسمى في هذا العصر "البحرين".

ومساحتها طولاً ثمانون ميلاً، وعرضاً تسعة أميال، وهي كثيرة العيون والنخيل والفواكه، وأجود رطبها نوع الغر، وأجود تمرها المرزبان. وأشهر مدنها "المنامة"، وهي كثيرة السكان، وإليها ترد المراكب التجارية وجميع البضائع، وفيها أكثر التجار. وتليها في الدرجة مدينة "المحرّق"، ويربط بينهما في العصر الحاضر جسر يفتح في أوقات مخصوصة لمرور السفن، ويقفل في أوقات لعبور السيارات والمشاة. وسميت المحرّق؛ لأن سكان هذه الجزيرة في الزمان الجاهلي

---

(١) انظر مقالاً في عدد أبريل سنة ١٩٤٨م من المجلة الجغرافية الأمريكية، للدكتور «بيتر بروس كورنوال».

يحرقـون فيها موتاهـم. وهي سكنى آل خليفة حكام البلاد في الـعصر الحاضـر. ومن أشهر قـراها قرية «الرفـاع» ، وهي جيدة الهـواء، عذبة الماء، وهي مصيف حاكم البحرين، وفيـها له قصور فخمة. ومن قراها: «سترة، جد حفص، البديع، الحد، حالة أبي ماهر، البسيتين، الدير، ريا، سماهيج، قلالي، حالة نعـيم، عراد، أم الشجر، أم العزل، الزلاق، جو، حدد، المالكية، أزركان».

ومعاش أهلها من الغوص في البـحر وإخراج اللؤلؤ، وقد أجمع الجوهريون علـى أن لؤلؤ البحرين يفـوق جمـيع اللآلئ بهجـة وحسناً وصفاء.

تاريخ أوال (البحرين) السياسي :

فتحها المسلمون حينما فـتحوا "الأحساء"، وظلت تابعة للأحساء يملكها ملوك الأحساء، قال النبهاني في "تاريخ البحرين":

وفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة استولى عليها أبو بكر بن سعيد ابن أتابك أحد ملوك فارس، وكان من أهل السنة والجماعة . وفي سنة ثلاثين وسبعـمائة استولى عليـها جنكيز خان المغـولي، وانقرضت هذه الدولة في سنة خـمس وتسعين وسبـعمائة، ثم اسـتولت عليـها الدولة الكورانيـة إلى سنة اثنتين وعشـرين وتسعـمائة، وفيـها اسـتولى عليـها البـرتغال إلـى سنة اثنتين وأربعين وتسـعمـائة، فـقد حـاربتـهم الدولة العثمانية، وأخرجت البرتغال من الهند والبحرين وغيرها.

وفي سنة اثنتين وتسعين وألف جهز الشاه عبـاس الصفوي جيشاً لغزو البـحرين، وأخذها عنوة، ولم تزل في حوزة الدولة الصـفوية إلى

سنة ثلاث وعشرين بعد مائة وألف. وكـانت الأحساء حينئذ في حوزة سعدون بن محمد بـن برّاك بن غرير الخالدي، وفي تلك السنة استولى الشـيخ محـمـد الجبـري - من بني عـامر بن عـقـيل بن عامـر - على «البحرين»، ثم عـادت إليها الدولة الصفـوية، ثم استولى عليهـا جبارة الهولي - وهو من أعراب بلاد فارس-. وفي سنة ألف ومائة وخمسين جهـز نادر شاه - ملك فـارس - جيشـاً لغزو البـحرين، وكـان الشيخ جبارة حاجاً، فعجز نائبه عن صـد المهاجمين، فهرب، ودخلت عساكر نادر شاه البلاد، واسـتولت عليها، وولى نادر شـاه عليها غيـثاً وناصراً ابني مذكور، وبعدهما أخاهما نصراً.

وفي سنة سبع وتسعين ومائة وألف غزا نصر بلد "الزبارة" المجاورة لقطر ، وكان فيها الشيخ محمد بن خليفة والشيخ أحمد بن رزق المثري المحسن المشـهور[1] ، وكانت مـزدهرة بالثروة وتجارة اللؤلؤ، وقـصدها العلماء ، وفتحت فيها المدارس ، وقصدها طلاب العلم وطلاب الرفد من أهلها الأسـخياء ، فـهب سكانها للدفـاع عنها ، وجرت المعـركة ، وكانت الهـزيمة على نصـر ، وفر هارباً إلى أبي شهـر ، فتجهـز الشيخ أحمد بن محمد بن خليفة لغـزو البحرين، وأَخَذَها عنوة، وجَمَع محارم الشيخ نصر وأولاده وأرسلهم إلى أبي شهـر، وتم فتح "البحرين" وملكها لآل خليفة، وانتقلوا إليها، وتركوا "الزبارة".

وفي سنة تسع ومـائتين وألف توفـي الشيخ أحـمـد، وخلفـه ابنه الشيخ سلمان. وفي سنة خمس وعـشرة ومائتين وألف غزا سلطان بن

---

(١) الخالدي النجدي، توفي سنة ١٢٢٤هـ. وفيه ألف ابن سند كتاب "سبائك العسجد".

أحمد - حاكم مسقط - جزيرة البحرين في مراكب كثيرة، ولم يقدر الشيخ سلمان على مقاومته، وأخذ البلاد عنوة، وظلت تابعة لحكومة مسقط إلى سنة أربع وعشرين ومائتين وألف.

وكان الإمام سعود بن عبدالعزيز -رحمه الله- قد فتح الأحساء، فاستنجد الشيخ سلمان بالإمام سعود رحمه الله ، وطلب منه أن يمده بجيش يسترد به البحرين، ويطرد العمانيين منها، فأمدَّه بجيش كثير يقوده إبراهيم بن عفيصان، فقاتلوا حاكم مسقط، وأخرجوه وجنده من جزيرة البحرين.

وتوفي الشيخ سلمان سنة ست وثلاثين ومائتين وألف، وخلفه الشيخ عبدالله بن أحمد، وتوفي -رحمه الله- سنة خمس وستين ومائتين وألف ، ثم الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان بن أحمد الفاتح .

وفي سنة أربع وثمانين ومائتين وألف وقعت اتفاقية بين الشيخ محمد بن خليفة وبين قنصل الإنكليز المقيم في أبي شهر على أن يكفَّ حاكم البحرين عن التدخل في أي محاربة، وتتكفل الإنكليز بحماية البحرين.

وبعد مضي مدة وجيزة هاجم القطريون مدينة البحرين، فخرج الشيخ محمد لقتالهم، وردَّهم، فعدَّ القنصل هذا العمل نقضاً للمعاهدة ،وجاء القنصل لمحاكمته. ولما شعر الشيخ محمد بذلك أناب أخاه الشيخ علياً، وخرج من البحرين. فاغتنم القنصل الفرصة، وأسند الحكم إلى الشيخ علي بن خليفة، وعلى أثر ذلك وقع الخلف والنزاع

بين الأخوين، فجهز الشيخ محمد جيشاً، وعسكر في "دارين"، ثم توجه إلى البحرين، فتجهز الشيخ علي لمحاربته، ودارت بينهم معركة قتل فيها الشيخ علي بن خليفة وجماعة من مشاهير قومه، وتفرق جيشه، وخرج ابنه الشيخ عيسى من البحرين إلى قطر، واستولى الشيخ محمد بن خليفة على البحرين، وذلك في الحادي والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ست وثمانين ومائتين وألف.

ثم إن الشيخ محمد بن عبدالله بن خليفة قبض على الشيخ محمد بن خليفة، وسجنه في قلعة أبي ماهر، وجاء القنصل، وقبض على الاثنين، وأخرجهما من البحرين، وجاء بالشيخ عيسى بن علي، وعمره حينئذ إحدى وعشرون سنة، وولاه البحرين بدلاً من أبيه، وذلك سنة ست وثمانين ومائتين وألف في شعبان.

لطيفة :

كان خالد بن عبدالعزيز بن عبدالله العبدالقادر من ندماء الشيخ عيسى وأخيه الشيخ أحمد، فكتب لابن عمه الشيخ عبدالله ابن الشيخ علي العبدالقادر كتاباً ، فأجابه بكتاب ضمَّنه هذه القصيدة:

ورد الكتاب فيا له من وارد ... بلّ الصدى من قلبي الحران!
قد قمت إجلالاً له لما أتى ... وجعلته يا صاح نصب عياني
ودرسته يومي وسائر ليلتي ... شوقاً إليك كدارس القرآن
فكأنه زهر النجوم نظمتَها ... في كل سطر أو فريد جمان
أو عقد غانية حلى في جيدها ... ما بين ياقوت إلى مرجان
أو مثل أنفاس النسيم إذا سرى ... يهدي أحاديث النقا والبان
يا من ترحل في طلاب معاشه ... ناء عن الأهلين والجيران

عش ما تشاء منعماً في ظل من ضربوا القباب على أبي زيدان
مشتاهم بطن الصخير من الحمى ومصيفهم في قلعة الديوان
قوم لهم في كل حي نعمة كالغيث يسقي سائر البلدان
مسح الإله على النواصي منهم فهم الملوك بمسحة الرحمن
وإذا مدحت وليدهم في مهده أعطى التمائم ضاحك الأسنان
والله لولا أن يقولوا شاعر والشعر يزري بالفتى الرباني
سرَّحت طرفي في رياض مديحهم وتركته يجري بغير عنان
ثم انثنيت مترجماً عنها ولي فيها لسان بارع التبيان
هذا وإني ما بلغتُ عشير ما حازوه من حسن ومن إحسان
لكن سأشكرهم على طول المدى حتى يُغيَّب في الثرى جثماني
فعليهم مني السلام تحية تغشاهم بالروح والريحانِ

ولما قرئت القصيدة بحضرة الشيخ عيسى -رحمه الله- استحسنها، وأشار إلى رجل كان ينتحل حرفة الأدب بالإجابة على القصيدة، ولم يكن من المجيدين، فأنشأ قصيدة ركيكة المباني، قليلة المعاني.

ولما وقف عليها الشيخ عبدالله أنشأ هذه القصيدة رداً عليها، فقال:

يا ليت شعري والهوى أبلاني كيف السبيل إلى غريب البان؟
أن يبعدوا عني ففي قلبي لهم يا صاحبي مراتع ومغانَي
يا عارضاً ضحكتْ إليَّ بروقُه هيَّجْتَ لي شجناً من الأشجان
إني أنا الظامي إليك فأسقني إن كنت لا تسقي سوى الظمآن
ما ناحت الورقاءُ إلا أنني نازعتُها شجْواً على الأفنان
كذا النسيمَ مريضة أنفاسه مما رثى لي من جوى الأحزان
يا صاحبي إن كنت مني أو معي شنِّفْ بذكر حديثهم آذاني

واخدع فؤادي بالأماني واسقني   مما انتقاه التاجر الصنعاني

كأسًا أرق من النسيم إذا سرى   في قلب كل متيم حرّان

حمراء تصبغ كأسها من لونها   صبغ الشموس أعالي الحيطان

يبقى لها فوق الشفاه بقية   كالزعفران على جباه غواني

هات اسقنيها بالكبير وغنني   بلطائف النغمات والألحان

روِّح بها روحي وعلِّلني بها   علِّي أفوز براحة السلوان

أو أستعين على الغرام بنشأة   لما تجافى النوم عن أجفاني

يا لائمي في الحب قد آلمتني   أَمْسِكْ عليك فليس شأنك شاني

أصبحت تهذي بالملام كما هذى   بالشَعر أيضاً شاعر جاراني!

أهدى لنا مما يقول قصيدة   قد هالها هيلاً بلا ميزان

لا في الأصيل من القريض نعدُّها   في جودة التركيب والأوزان

كلا ولا النبط الذي يعتاده   أمثاله في هذه الأزمان

يا للعجائب كيف تهدي لي حصى   والدرُّ عندك في "أوال" مجاني؟!

لو أن غيرك فارساً سابقته   خلَّفته خلفي سكيت رهان

يا راكباً إن كنت طوع أوامري   فقف المطي بجانب"الدخان"

وانشرْ بهاتيك العراص تحيتي   واطوِ الضلوع على هوى السكان

واستسقِ وسْميَّ الغمام ووليه   سحًا عليها ما جرى الملوان

لا تعد عنَها -يا غمام- فإنها   تسليك عن "دهنا" وعن "صمان"

لا تعد عنها -يا غمام- فإنها   تسقي صنوف البر والإحسان

ما زال واديها يسيل على الورى   من فضة بيضا، ومن عقيان

دار بها البحران: عيسى المرتجى   يوم العطاء لمرمل ولعَاني

وأبو المعالي أحمد أسد الشرى   بحران بالخيراتً يلتقيان

منِّي السلام عليهما ما رجَّعتْ   ورقُ الحمائم في ذرى الأغصانِ

وتوفي الشيخ عيسى -رحمه الله- سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف، وخلفه نجله الأكبر الشيخ حمد بن عيسى، ثم توفي سنة إحدى وستين وثلاثمائة، وخلفه ابنه الشيخ سلمان بن حمد، وهو حاكم البحرين حين التاريخ .

حرف الباء

باب : جبل قرب هجر يعرف الآن بـ "أبواب".

برقان : موضع قريب من بلد الكويت، قُتِل فيه مسعود بن أبي زينب الخارجي، وكان قد غلب على بلاد البحرين وناحية اليمامة بضع عشرة سنة، حتى قتله سفيان بن عمرو العقيلي ، وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله ، وفي ذلك يقول الفرزدق:

ولولا سيوف من حنيفة جردت   ببرقان أضحى كاهل الدين أزورا

تركن لمسعود وزينب أخته   رداءً وجلباباً من الموت أحمرا

وهو الآن حقل من حقول الزيت الهامة، قرر الخبراء أنه يحتوي على خمسة عشر ألف مليون برميل.

البيضاء : تعرف بـ "بيضاء الخط"، قرب بلد الجبيل.

بينونة : في الصحاري الواقعة بين عُمان والأحساء، بينها وبين الأحساء ستون فرسخاً[1]، وهواؤها شديد الحرارة، وفيه يقول الشاعر:

يا ريحَ بينونة لا تذمينا   جئت بأرواح المصفرينا

يقال: ذمَّتْه الريحُ ، إذا قتلتْه.

(١) سُمِّيت بينونة؛ لأنها وسط بين البحرين وعُمان، فصارت بينهما. «معجم ما استعجم». وما تزال معروفة بهذا الاسم.

حرف الثاء

ثاج : قرية بالبحرين، معروفة باسمها. وهي عامرة حتى الآن.

حكاية :

روي أن تميم بن مقبل العجلاني مرّ على امرأتين بقرية "ثاج"، فاستسقاهما، فلما رأتاه أعور أبتا أن تسقياه، فقال:

يا جارتيّ على "ثاج" سبيلكما   سيرا سريعاً لكيما تعلما خبري

أني أقيِّد بالمأثور راحلتي   ولا أبالي ولو كنا على سفر

فلما سمع أبوهما قوله قال: ارجع معي، فرجع معه، فأخرجهما، وقال: خُذ أيتهما شئت. فاختار واحدة منهما ، فزوّجه إياها، وقال له : أقم عندي إلى العشي ، فلما وردت إبله قسمها نصفين ، وقال : خذ أيَّهما شئت. فأخذ ابن مقبل ما أحب، وذهب بالمال والأهل.

حرف الجيم

جريب : قرية من قرى هجر، بينها وبين "عين محلم" الشهيرة الكثيب الأحمر.

قلت : إذا قلنا إن "عين محلم" هي "عين أم سبعة"، فالجريب هي قرية "الشقيق" الموجودة الآن في الأحساء أو قريب منها، وتوجد رسوم قرية كبيرة مجاورة للشقيق.

جفير : قرية بالبحرين . وفي جزيرة "أوال" قرية الآن بهذا الاسم ، وفي الأحساء موضع يُعرَف بذلك .

جُواثى : بضم الجيم وبين الألفين ثاء مثلثة، يمد ويقصر، مدينة لعبدالقيس بهجر، كثيرة الزروع والنخيل، قال أبو تمام:

زالت بعينيك الحمول كأنها نخل مواقر من نخيل جواثى

ولما أسلم بنو عبدالقيس بنوا فيها مسجداً، وصلوا فيه الجمعة، وهو أول مسجد صُلِّيت فيه الجمعة بعد مسجد رسول الله ﷺ ، قال الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه (باب حكم الجمعة في القرى والمدن): «حدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا إبراهيم ابن طهمان عن أبي جمرة الضبعي عن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: أول جمعة جُمِعَت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبدالقيس بجَواثى»(*). وبذلك يفتخر بنو عبدالقيس، فيقول شاعرهم :

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا والمنبران وفصل القول في الخطب
أيام لا مسجد للناس نعرفه إلا بطيبة والمحجوج ذو الحجب

قلت : لم يزل موضع هذه المدينة موجوداً والمسجد كذلك، وهي شرقي "الكلابية"[1].

الجوف : أرض لبني سعد، وفيه يقول الأحيمر السعدي :

كفى حزناً أن الحمار بن جندل عليَّ بأكناف الستار أميرُ
وأن ابن موسى بائع البقل بالنوى له بين باب والستار خطير
خلا "الجوف" من قطّاع سعد فما بها لمستصرخ يرجو الثبور نصير

(*) صحيح البخاري ، ١/ ٣٠٤ ، رقم الحديث : ٨٥٢ . وهو - أيضاً - في باب وفد عبدالقيس، ٤/ ١٥٨٩، رقم الحديث : ٤١١٣.

(١) بمسافة مسيرة ساعة ونصف على القدم تقريباً، ولم يبق من آثار "جواثى" سوى أطلال المسجد، وفوهة العين، وقد تراكمت في الموضع الرمال، حتى أخفت معالم القرية. ويقع المسجد في وسط مكان القرية، ولم يبق من آثاره سوى شرذمة من جداره القبلي، وخمس أساطين من رواقيه الثاني والثالث في الجهة الجنوبية، وقد غطت الرمال كثيراً من الباقي من آثاره. وبناؤه بالحجارة والطين واللبن، ومبلط بالنورة تبليطاً أحدث من =

قلت : الجوف معروف في الجهة الشمالية من الأحساء، وهي أرض واسعة، وفيها مراعٍ طيبة.

جودة: ماء معروف في حدود الأحساء الشمالية[1].

حرف الحاء

حران: حران الكبرى وحران الصغرى: قريتان بالبحرين لبني عامر ابن الحارث بن أنمار بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس.

الحناءة: قرية مشهورة باسمها حتى الآن، ذكرها زياد بن منقذ في قصيدته[2]، ومنها:

لا حبذا أنت يا صنعاء من بلد ولا شعوبُ هَوًى مني ولا نُقُمُ

قلت : شعوب ونقم : جبلان حول صنعاء باليمن معروفان .

= البناء ، وفي الشمالي الغربي من المسجد بمسافة سبعين خطوة تقريباً، يوجد آثار قبة مدورة الشكل، طول محيطها ٣٤ خطوة، يزورها بعض أهل القرى المجاورة، يعتقدون أنها قبر.

أما العين ففي الجهة الشرقية من المسجد، وتبعد عنه بمقدار (٢٢٠) خطوة، وقد بقيت فوهتها مملوءة بالماء، يردها الصادر والوارد لتلك الجهات، وقد شربت منها ماء عذباً، ويظهر لي أن مجراها يتجه مغرباً، ويسقي الأرض الواقعة في الجهة الغربية من تلك القرى؛ إذ في تلك الجهة توجد آثار تدل على أنها قد زرعت، وقد غرس فيها نخل

ومياه ذلك المكان قريبة من وجه الأرض، بحيث أنني حفرت بيدي فيما بين العين والمسجد، فوصلت ماء عذباً، شربت منه أنا وأحد رفاقي. وقد بني - قديماً - على عين جواثى قبة بقي منها الآن ما يشبه نصف دائرة.

وفي الجنوب الغربي مكان القرية بمسافة تقدر بمسيرة ربع ساعة، توجد آثار قبور كثيرة - هي بلا شك - مقبرة تلك القرية.

ومن الغريب أنه يوجد في الجهة الواقعة غرب القرية حينما تنعدم الرمال آثار متحجرة لحيوانات لا تعيش إلا في الماء كالحلزون، مما يدل على وجود مستنقعات للمياه قديماً في تلك المواضع.

(١) وقد جرت فيها الوقعة المشهورة بين محمد وسعود ابني فيصل في ٢٧ رمضان سنة ١٢٨٧هـ.

(٢) أورد أبو تمام في «الحماسة» القصيدة كاملة.

وحــبَّـذا حين تمسـي الريح باردة   وادي أُشَيٍّ وأقـــوامٌ به هـضمُ

قلت: "وادي أُشَيّ" معروف في إقليم "سدير" ببلاد نجد.

مـخـدَّمون ثـقال في مـجـالسـهم   وفي الرحال إذا صاحـبتهم خدمُ

الحـاملـون إذا مـا جـر غــيـرهـم   من العشيرة والكافـون ما جرموا

ليست علـيـهم إذا يغـدون أردية   إلا جـيـاد قـسيّ النبـع واللجم

لم ألق بعـدهم قـومـاً فأخْبـرهـم   إلا وزادهم حـــبّــاً إلـيَّ هم

يا ليت شـعري عن جنبي "مكشـحة"   بحـيث تبنـى من "الحناءة" الأطم

عن "الإشاءة" هل زالت مخـارمها   وهل تغــيــر من آرامـهــا أرم؟

قلت: الآرام هنا : الأعلام.

يا ليت شعري مـتى أغدو تعارضني   جـرداء سـابحـة أو سـابح قـدم

نحو "الأمـيلح" أو "سمنان" مـبتكراً   في فـتـيـة فـيــهم المرار والحكم

من غـيـر عـدم ولكن من تبـذلهم   للصيد حين يصـيح الصائدَ اللحمُ

فـيـفـزعـون إلى جـرد مطهـمـة   أفنـى دوابرهـن الركـض والأكمُ

حنيذ : قال أبو منصور الأزهري: «قد رأيت في وادي الستار عين ماء عذب ، عليها نخل عامر، وقصور من قصور مياه العرب، يقال لذلك: حنيذ، وماء العين حار، فإذا ضربته الريح في السقاء برد».

قلت : لم تزل هذه القرية موجودة ومعـروفة باسمها في ضواحي الأحساء الشمالية .

حوار: بلدة بالبحـرين فتحهـا زياد بن عمر بن المنذر بن عـصر ، أخو

خلاس بن عمر ، وكان فقيهاً من أصحاب علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه . قال عمارة بن عقيل:

واسأل "حوار" غداة قتل محلم فليخبرنك إن سألت "حوار"

قلت: هي مجهولة المحل، ولعلها من قرى "الخط" المجاورة لسيف البحر، وذكر بعض الثقات أن "حوار" جزيرة معروفة الآن بين "أوال" و"قطر".

الحوجر والحوسى: قريتان بالبحرين مجهولتان في عصرنا الحاضر.

حرف الخاء

الخط : يطلق اسم "الخط" على جميع القرى المجاورة لسيف البحر كالقطيف وما جاورها[1].

خدد : كصُرَد، عين بهجر، تعرف الآن بـ "الخدود"، وهي عين جارية غزيرة الماء، سيأتي الكلام عليها عند الكلام على عيون الأحساء.

حرف الدال

داراء : بالمد، وربما قيل: دار، وإياها عنى الشاعر بقوله:

لعمرك ما ميعاد عينيك بالبكا بـ"داراء" إلا أن تهبَّ جنوبُ

أعاشر في "داراء" من لا أحبه وفي الرمل مهجور إليَّ حبيبُ

إذا هبَّ علويُّ الرياح وجدتني كأني لعلويِّ الرياح نسيبُ

قلت: هو الموضع المعروف الآن بعين دار، وهو من حقول الزيت الغزيرة.

دارين : بلدة من أعمال القطيف، بينها وبين "الفرضة" خليج إذا مد

(١) قال البكري: هو ساحل ما بين عمان إلى البصرة ومن كاظمة إلى الشحر.

البحر غمره الماء، فلا يُعْبر إلا بالسفن ، وإذا جزر البحر يسلكه الركبان على الدواب، وهو الذي عبر منه العلاء بن الحضرمي إلى "دارين"، ففتحها ، وهي مدينة تجارية في الزمن القديم، ترد إليها المراكب من الهند بأنواع البضائع، قال الشاعر:

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم   ويرجعن من "دارين" بجر الحقائب

وإليها ينسب المسك الداريني، قال الشاعر:

كأن تريكة من ماء مزن   وداريّ الذكيّ من المدامِ

حرف الراء

الرافقة : قرية من قرى البحرين، ينسب إليها جماعة من أهل العلم، منهم محمد بن خالد الرافقي، روى عنه عبدالله بن موسى.

قلت: يرى بعض الناس أن "الرافقة" هي الناحية المتصلة بمدينة "الهفوف" في جنوبيها المعروفة بـ"الرُّقَيقة" تصغير رقيقة ، ويقولون : إن بها رسوم مدينة كبيرة، والله أعلم.

الرجراجة : برائين مهملتين وجيمين معجمتين، قرية بالبحرين لعبدالقيس.

قلت: ذكر بعض الناس أنها قريبة من مدينة الهفوف، وكانت عامرة إلى القرن العاشر من الهجرة، ولما جاءت عساكر الدولة العثمانية كان من جملتهم جماعة من بني خالد جاؤوا بهم من بادية الشام، فأنزلوهم الرجراجة تعزيزاً لعسكر الدولة، وهذا أول قدوم بني خالد إلى الأحساء، وذلك في منتصف القرن العاشر من الهجرة[١] .

---

(١) ليس من المستبعد أن يكون بنو خالد استوطنوا هذه النواحي قبل هذا الوقت؛ إذ هم كما قال ابن مشرف الأحسائي: «قبائل شتى من عقيل بن عامر». وبنو عقيل هؤلاء انتزعوا الحكم من العيونيين في القرن السابع الهجري وحكموا الأحساء في فترات متقطعة، وكان من آخرهم دولة آل أجود بن زامل العقيلية التي خلفتها دولة آل مغامس.

الرمانتان : لعبد القيس، قال عرقل بن الحطيم :

لعمرك للرُّمَّان إلى بَثاء فحزْم الأشيمين إلى صُباحِ
وأودية بها سلم وسدر وحمض هيدب ضافي النواحي
أسافلهن يرسف في سهوبٍ وأعلاهن في لجف وراح
أحب إليَّ من آطام جوٍّ ومن أطوابها ذات المناحي
نحل بها وننزل حيث شئنا بما بين الطويق إلى رُماح

قلت: الرمانتان: جبلان صغيران في بطن الأحساء، معروفتان في وقتنا، وبثاء: عين ماء في السودة غير معروفة بهذا الاسم، وجوّ: هي اليمامة في أرض نجد، وطويق: جبل مشهور بنجد، ورماح: مورد عذب بين نجد والأحساء طويل الرشاء.

حرف الزاي

الزارة : قرية كبيرة بالبحرين، فتحت في خلافة أبي بكر -رضي الله عنه-، وهي بلد ساحلية قريبة من القطيف[1].

قال أبو منصور الأزهري: «مدينة كبيرة على سيف هجر. حاصرها العلاء بن الحضرمي بعد فتح هجر، وقد لجأ إليها المنهزمون من جند كسرى الذي أرسله لفتح الأحساء، ولما شدد العلاء الحصار عليهم خرج المرزبان بجنده خارج المدينة، وطلب المبارزة، فبرز له البراء بن مالك الأنصاري النجاري ، أخو أنس بن مالك رضي الله عنه ، فقتله البراء رضي الله عنه ، فوقعت الهزيمة في جنده، ومنح الله المسلمين أكتافهم، وفتحوا المدينة، ودخلها المسلمون».

---

(١) تقع الزارة بقرب قرية "العوامية" من قرى القطيف الشمالية.

حرف السين

سابور : بلد بالبحرين ، فتحه العلاء بن الحضرمي -رضي الله عنه- في خلافة أبي بكر -رضي الله عنه- سنة اثنتي عشرة.

قلت : هو من بلاد الساحل، غير معروف المحل في وقتنا الحاضر.

الستار: ناحية بالبحرين ذات قرى تزيد على مائة قرية لبني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، وفيه عيون فوارة ونخيل.

قلت: لعله المعروف الآن بالوادي[1] . ويوم الستار يوم بين بني بكر وبني تميم، وفيه قَتَل قيسُ بن عاصم قتادةَ بن سلمة الحنفي، وفيه يقول الشاعر:

قتلنا قتادة يوم الستار ... وزيداً أسرنا لدى معنق[2]

وقال جرير :

إن كان طبُّكم الدلالَ فإنه ... حسن دلالك -يا أميم- جميلُ
أما الفؤاد فليس ينسى حبكم ... ما دام يهتف في الأراك هديل
أيقيم أهلك بالستار وأصعدت ... بين الوريعة والمقاد حمول؟

قلت: الوريعة ماء معروف إلى يومنا، وكان في القديم قرية لبني جرير بن دارم.

السرى والصفا : نهران يتفرعان من عين محلم.

السهلة : قرية لبني محارب.

قلت: يوجد الآن غربي قرية "الطرف" موضع قرية تسمى "السهلة"، كانت عامرة في الزمن القديم، والنسبة إليها: سهلاوي.

---

(١) هو المعروف الآن بـ "وادي المياه"، كما يدل على ذلك كلام الأصفهاني في "بلاد العرب".

(٢) معنق -بالنون-: قصر من أشهر قصور بني حنيفة باليمامة.

السليت : قرية لبني محارب.

قلت: في ساقية الحارة عند العقار المسمى "السويرحية" موضع يسمى "السليت"، وحوله آثار قرية واسعة بأسواقها ومدافنها.

حرف الشين

شفار : جزيرة بين أوال وقطر، فيها قرى كثيرة وهي من أعمال هجر، يسكنها بنو الحارث من عبدالقيس.

قلت : قد اختفت هذه الجزيرة ، وطغى عليها البحر، فلا يوجد لها أثر.

الشواجن : اسم لوادي اللصافة واللهابة، وهي مياه لبني عمرو بن تميم.

الشبعان : بفتح أوله وسكون ثانية، جبل بالبحرين يتبرد بكهوفه، قال عدي بن زيد:

تزود من الشَّبْعان خلفك نظرة   فإن مقر الجوع حيث تميم

وقال ابن حمراء :

أيا الشَّبْعان بعدك حر نجد   وأبطح بطن مكة حيث غارا

قلت: هو الجبل المعروف الآن في الأحساء بـ "جبل القارة"، وسمي الشَّبْعان لكونه في وسط النخيل، قد طوقته النخيل والأنهار من جميع جوانبه، فهو الشَّبْعان والريان أيضاً، وفيه مغارات واسعة مرتفعة باردة في أيام الصيف.

الشَّيِّطان : الشَّيِّطان واديان في ديار بني تميم، ويوم الشَّيِّطين يوم بين

بني بكر بن وائل وبين بني تميم، انهزمت فيه بنو تميم، وفيه يقول رشيد ابن رميض العنزي:

وما كان بين "الشَّيِّطين" و"لعلع" لنسوتنا إلا مناقل أربع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله يكاد له ظهر "الوريعة" يصلع
بأرعن دهم تنشد البلق وسطه له عارض فيه المنية تسطع
صَبَحنا به سعدا وعمراً ومالكاً فظل لهم يوم من الشر أشنع
وذا حسب من آل منية غادروا يجر كما جر الفصيل المقرع
تقصع يربوع بسرة أرضنا وليس ليربوع بها متقصع

قلت: في هذا الموضع أوقع الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد في أوائل القرن الثالث عشر ببني خالد ملوك الأحساء، فأبادهم، وملَكَ البلاد بعدهم، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

حرف الصاد

الصادرة: قرية كبيرة في البحرين لبني عامر بن عبدالقيس. لعلها في الموضع المعروف الآن بـ"صُويدرة" بالتصغير، وهي شرقي مدينة الهفوف.

الصفا: نهر يتفرع من عين محلم، قال لبيد:

سحق بمنسعة الصفا وسريه عم نواعم بينهن كروم

وقال امرؤ القيس:

فشبَّهتهم في الآل لما تحملوا حدائق دوم أو سفينا مقيراً
أو المكرعات من نخيل ابن يامن قبيل"الصفا" اللائي يلين "المشقرا"

والسحوق: النخلة الطويلة، والصفا: حصن بهجر، ولعله قريب من هذا النهر فسمِّي به.

قلت: لا يعرف في الأحساء نهر بهذا الاسم، ولا حصن أيضاً، وإنما توجد قطعة من الأرض بين مدينة الهفوف ومدينة المبرز تسمى "الصفيا"، وفيها الآن محطة توليد الكهرباء.

صُلَاصِل : قرية في البحرين لبني عامر بن عبدالقيس، وذكر نصر أن رهطاً من عبدالقيس قدموا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فتحاكموا إليه فيها، فأنشده بعض القوم قول تليد العبشمي:

أتتنا بنو قيس بجمع عرمرم   وشِنٌّ وأبناءُ العمورِ الأكابرُ
فباتوا مناخ الضيف حتى إذا زقا   مع الصبح في الروض المنير العصافر
نشأنا إليهم وانتضينا سلاحنا   يمان ومأثور من الهند باتر
شفينا الغليل من "سُمَيْر" و"جَعْوَنَ"   وأفلتَنا رب "الصلاصل" عامر
ينادي بصحراء "الفروقً" وقد بدتً   ذرى "ضَبُعٍ" أن افتح الباب عامر

فقضى به عمر –رضي الله عنه– لأولاد عامر. واسم "العمور" يطلق على ثلاثة بطون من عبدالقيس ، وهم : بنو الديل ، وعجل ، ومحارب ، أبناء عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس .

قلت : "صلاصل" لم تزل قرية عامرة معروفة باسمها في أرض الجوف بالأحساء، وفيها قرية لبني هاجر.

الصلبان : وادٍ لبني عامر.

قلت: لم يزل معروفاً بهذا الاسم، وفيه "عين منصور" في طريق الذاهب إلى "عين أم سبعة".

الصلب : موضع معروف بأرض الصمان المتاخمة للدهناء، ذات قيعان

واسعة ورياض معشبة. قال أبو منصور الأزهري: « الدهناء: الحد الفاصل بين أرض اليمامة والبحرين، وهي سبعة أحبل من الرمال، وهي تمتد من الينسوعة شمالاً إلى يبرين جنوباً، وهي كثيرة العشب والكلأ، من سكنها لا يعرف الحمى لطيب هوائها ونزاهة أرضها ».

وفيها تقول العيوف بنت مسعود:

خليلي قوما فارفعا الطرف وانظرا   لصاحب شوق منظرا متراخيا
عسى أن نرى والله ما شاء فاعل   بأكثبة "الدهنا" من الحي باديا
وإن حال عرض الرمل والبعد دونهم   فقد يطلب الإنسان ما ليس رائيا
يرى الله أن القلب أضحى ضميره   لما قابل "الروحاء" و"العرج" قاليا

والعرج والروحاء : من نواحي المدينة المنورة، وكانت العيوف قد تزوجت برجل، فنقلها من الدهناء إلى تلك النواحي.

حرف الطاء

طريبيل : قرية من قرى هجر.

قلت: لم تزل عامرة ومعروفة باسمها.

الطريف : موضع بالبحرين.

قلت: يوجد في ضواحي المبرز في الجهة الشمالية موضع واسع معروف بهذا الاسم، معمور بالنخيل ومزارع الأرز.

حرف الظاء

ظلامة : قرية من قرى البحرين. غير معروفة في جهتنا.

الظهران : قرية بالبحرين لبني عامر من بني عبدالقيس.

قلت: كان جبل "الظهـران" في وقتنا هذا حقلاً غـزيراً من حقول الزيت المتعـددة في جهـة الأحساء، ومـصدر ثروة هائلة قلبت مـجرى تاريخ طبيعة البلاد، ورفعت مستواها، ومنبع حضارة لم يسبق لها مثيل في جزيرة العرب.

ففي عام اثنين وخـمسين وثلاثمائة وألف هجرية تم عقد اتـفاقية بين الحكومـة العـربيـة السـعـودية وشـركة (إسـتـاندرد أويل كـومـبني كليفـورنيا) للتنقـيب عن الزيت في الجهـة الشرقـية من المملكة العـربية السـعودية. وفي عـام خمس وخـمسين، تم حـفر سـتة آبار، وفي العـام الثامن والخمـسين قرر علماء طبقـات الأرض في الشركة اختـراق طبقة الإنتاج، فحـفروا البئر رقم سبـعة، فانكشف الغطاء عن بحر متـفجر من الزيت، وثبت لدى الشركة أن هذه البئر تقع في حـقل يمتاز بكمية وافرة من الزيت النقي، وأنهـا قد بدأت حيـاة جديدة، وأصبح أمـامها مـجال واسع للعمل، إذ لا بد من مد أنابيب وخزانات، وتشييد معمل للتكرير، وتأسيس مكاتب وإدارات ومساكن للموظفين، وقد تم جميع ذلك.

وفي عـام التـاسع والخـمسين شـرف صـاحب الجـلالة الملك عبدالعزيز منطقة الظهران للاحتفال بتصدير أول كمية من الزيت.

وفي عام السـتين اكتشـفوا حقلين للزيـت في: "أبي حدرية"، ويقع شمالاً عن الظهـران، والثاني في "بقيق"، ويقع جنوباً عنه. واكتشـفوا بعد ذلك حقولاً كثيرة في عين دار والفـاضلي وبقة والغوار وحرض، وكلها حقول غـزيرة زاخرة بالزيت الممتاز، وتتصل بالأنابيب المـتدة إلى ميناء "رأس تنورة" المرفأ الخاص بناقلات الزيت إلى جهات العالم.

وفي عام الستين -أيضاً- تم إنشاء معمل للتكرير في "رأس تنورة" لفصل الكيروسين، والجازولين، والبنزين، وزيت التشحيم، وزيت الوقود.

ويبدأ تاريخ الامتياز ومنحه للشركة من التاسع والعشرين من شهر مايو عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة وألف ميلادية الموافق لعام ثلاثة وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية، ومدته ست وستون سنة.

وفي عام سبعين تم مد خط الأنابيب من "الظهران" إلى "صيدا" بساحل البحر الأبيض المتوسط، وفيه تتدفق هذه الزيوت، وهو أطول خط في العالم. وقد صرح الكاتب الأمريكي بيتر بروس كورنوال بقوله: «ليس بين أقاليم المملكة العربية السعودية إقليم يضارع مقاطعة الأحساء، أو يدانيها في شهرتها العالمية؛ فقد اكتشف الخبراء أن تحت سطح أرضها مستودعات زاخرة بالنفط».

وفي الستين تمت توسعة مدينة " الدمام" الواقعة على ساحل البحر الشرقي، وأنشئ فيها ميناء عالمي لرسو مراكب التجارة من جميع أنحاء العالم ، وبنيت فيها قصور فخمة حكومية، ودور جميلة لسكنى التجار، وفنادق واسعة، ومعامل كبيرة. وكلها على الطراز الجديد مبنية بالأسمنت المسلح بالحديد ، مفروشة بالقاشاني ، متسعة الشوارع. وهي مقر أمير أمراء (المنطقة الشرقية وخطّ الأنابيب) المنصف الحازم والسيف الصارم سعود بن عبدالله بن جلوي بن تركي بن عبدالله ، أيدهم الله بعونه وعنايته ، وحاطهم بحفظه ورعايته.

وأول من سكن مدينة "الدمام" في هذا العصر الحاضر أحمد بن عبدالله الدوسري مع جماعة من الدواسر الساكنين بـ"البديع" إحدى قرى البحرين(*)، على أثر عزل الإنجليز عيسى بن علي بن خليفة عن حكم البحرين، وإقامة ابنه حمد مقامه؛ فغضب سكان "البديع" لهذا الحادث، فخرجوا منها، وطلبوا من جلالة الملك عبدالعزيز بن

(*) كان بداية نزوح الدواسر من البحرين إلى الخبر والدمام في ٢٧/ ١١/ ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م. وقد فضّل قسم منهم بزعامة أحمد بن عبدالله الدوسري الاستقرار في الدمام في ١٢/ ٣/ ١٣٤٣هـ. وقد رحب بهم المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود وآواهم. وكان سبب نزوحهم من البحرين معارضتهم لقيام الميجر ديلي- المستشار السياسي البريطاني في البحرين - بالتدخل في شؤون البحرين الداخلية، وقبضته على السلطات كافة بيد من حديد، وإطاحته بالشيخ عيسى بن علي أمير البحرين، وتنصيب ابنه حمد مكانه، وكبته للحريات، وأسره لزعماء البلاد والزج بهم في السجون. يضاف إلى ذلك كله إصرار الميجر ديلي على فرض برنامج أسماه "البرنامج الإصلاحي" في البحرين في عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٣م، عارضه الدواسر خشية من آثار تطبيقه وعواقبها على حياتهم الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم، فقاموا بعدة احتجاجات، نتج عنها معاقبتهم بفرض غرامة مالية قدرها ١٥ ألف روبية هندية على شيخ الدواسر.

وقد صوّر عبدالعزيز بن عبداللطيف آل مبارك نزوح الدواسر من البحرين إلى الخبر والدمام في قصيدة وطنية رائعة ندّد فيها بسياسة الإنجليز وغدرهم، وأشاد بحماية الملك عبدالعزيز آل سعود لهم وترحيبه بهم. ومما جاء في القصيدة قوله:

فتذمرت عرب "البديع" غيرة ... عربية مع سائر الأتباع
وترحلوا عنه ولم يتَلَفَّتُوا ... كرماً لطيب مساكن وضياع
لم يقبلوا هذا الهوان لأنهم ... من عرب نجد الفتية الأوراع
نزلوا بساحة ماجد رحب الفنا ... صعب المرام من الأذى مناع
فأووا إلى كهف عظيم شامخ ... صعب المراقي ممرع الأجراع
ملك به عرش الإمامة قد سما ... ورسا وكان عراه قبل تداع

انظر: د. فتوح عبدالمحسن الخترش، هجرة الدواسر من البحرين، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م. ص ص ٣٠١ - ٣٣٤.
عبدالفتاح الحلو، شعراء هجر، ط٢، دار القلم، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ص ١٧٧ - ١٨٥.

عبدالرحمن الفيصل أن يسكنوا "الدمام" و"الخبر"، فأذن لهم في ذلك، فبنوا مساكنهم من الطين والحصى والعشش. ولم يزالوا فيها حتى توسعت عمارتهما بعد اكتشاف الزيت.

وكانت مدينة الخبر مورداً لجميع واردات الشركة، فخططت شوارع المدينة، وبنيت مساكنها على أحسن طراز وأجمله، فكانت تلك المدينة عروس تلك المقاطعة، مزدهرة بالمباني الشاهقة، والشوارع الواسعة، والتجارة الرائجة، والبضاعة المتنوعة.

حرف العين

عريعرة: ماء لبني ربيعة. وفيه تقول امرأة منهم:

أيا جبلي وادي "عريعرة" التي نأت عن ثوى قومي وحم قدومها
ألا خليا مجرى الجنوب لعلها يداوي فؤادي من جواه نسيمها
وقولوا لركبان تميمية غدت إلى البيت ترجو أن تحط جرومها

قلت: هي معروفة باسمها، وفيها هجرة منصور بن جمعة العجمي، من العجمان من يام من قحطان.

عقير: قال في المعجم: «هي قرية على شاطئ البحر بحذاء هجر».

قلت : هي معروفة باسمها حتى الآن ، وكانت إلى عام خمس وستين وثلاثمائة وألف هي ميناء الأحساء ترد إليها السفن التجارية ، ثم استُغني عنها بميناء الدمام. وفيها يقول الشيخ عبدالله الكردي :

نزلنا "عقير" السوء يا شر منزل طعامي فيها كنعد وصبور
أأهجر ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة؟ إني إذاً لصبور

عَيْنَيْن : وهي تثنية عين. قال في المعجم: «قرية بالبحرين، ينسب إليها خليد عينين الشاعر المشهور ، وفيها كانت معركة بين بني منقر من بني تميم وبين بني عبدالقيس، خرج بنو منقر ممتارين، فعرض لهم بنو عبدالقيس، فاستعان بنو منقر بأبناء عمهم بني مجاشع، فحموهم، حتى أنقذوهم. وفي ذلك يقول البعيث:

ونحن منعنا يوم "عينين "منقراً ولم نَنْبُ في يومي جدود من الأسل

عُنَك : قال في المعجم: «بلفظ زُفَر، وآخره كاف، عن نصر: علم مرتجل لاسم قرية بالبحرين».

قلت: لا تزال معروفة، معدودة في قرى القطيف، تقع جنوبها.

عين مُحَلِّم : قال في المعجم:«هي بضم أوله وفتح ثانيه وكسر اللام المشددة ثم ميم . وهو اسم رجل نسبت العين إليه ، قال الكلبي : هو مُحَلِّم بن عبدالله زوج هجر بنت المكفف من الجرامقة». قال أبو منصور الأزهري: «هي عين فوارة بالبحرين لم تر عيني أكثر ماء منها، وماؤها حار في منبعه، فإذا فارقه برد، وهو ماء عذب. ولهذه العين إذا جرت في نهرها خلج كثيرة تتخلج منها، تسقي نخيل جواثى، وعسلج، وقريات من قرى هجر». انتهى.

قلت: هذه الصفة تنطبق على عدة عيون من العيون الموجودة الآن بالأحساء، إلا أنها بعيدة من جواثى وعسلج.

العيون : قال ياقوت في المعجم: «بالبحرين موضع يقال له: العيون، ينسب إليه الشاعر علي بن المقرب بن الحسن بن غرير بن ضَبَّار[1] بن

---

(١) ضبطه ابن نقطة: بفتح الضاد المعجمة، وتشديد الباء المعجمة بواحدة، وآخره راء.

عبدالله بن محمد بن إبراهيم العيوني البحراني، لقيته بالموصل في سنة ٦١٧هـ».

قلت : لم يزل معروفاً بهذا الاسم حتى الآن . وهو يشتمل على قرى سيأتي الكلام عليها عند الكلام على ذكر القرى العامرة، كما سيأتي الكلام على الشاعر علي بن المقرب عند الكلام على العلم والأدب في الأحساء.

حرف الفاء

الفَرُوق : بفتح الفاء، عقبة بين هجر ومهب الشمال في الجهة الغربية. وكان فيه يوم من أيام العرب، وذلك لما وقعت الحرب بين عبس وذبيان ارتحلت عبس، ونزلوا ببني سعد بن زيد مناة، فمكثوا زماناً.

ثم إن بني سعد أتوا ملك هجر، فقالوا له: هل لك في مهرة شوهاء، وناقة حمراء، وفتاة عذراء؟ قال: نعم. قالوا: دونك بني عبس غارين، تغير عليهم ونحن جندك، وتسهم لنا في السبي والمغنم، فأجابهم. وفي بني عبس امرأة من بني سعد، فأتاها أهلها؛ ليضموها إليهم، وأخبروها الخبر، فأخبرت به زوجها. فأتى عبساً فأخبرهم، فأجمعوا على أن يُرحلوا الظعائن، وما قوي من المال من أول الليل، ويوقدوا النار في رث المتاع حتى لا يستنكر ظعنهم عن منزلهم، وتقدم الفرسان إلى "الفَرُوق"، فوقفوا دون الظعن، وبين "الفروق" وسوق هجر نصف يوم، وفعلوا ذلك. فجاءت جنود الملك وبنو سعد في وجه الصبح، فوجدوا المنزل خلاء، فاتبعوا القوم حتى انتهوا إلى الخيل بالفروق، فقاتلوهم حتى منعوا نساءهم وأموالهم.

وفي ذلك يقول عنترة العبسي وهو أول يوم ظهرت فيه شجاعته :

ونحن منعنا بـ "الفَرُوق" نساءنا نطرف عنهـا مبسـلات غواشـيا
حلفت لها والخيل تدمي نحورها نفـارقكـم حـتى نهـز العـواليـا
ألم تعلمـوا أن الأسنة أحـرزت بقـيـتـنا لو أن للدهـر باقـيـا
ونحـفظ عورات النـساء ونتـقي عليـهن أن يلقين يومـاً مـخـازيا

فطيمة : موضع بالبحرين، كانت به وقـعة بين بني شيبان وبني تغلب ظفر فيها بنو تغلب. وفيه يقول الأعشى:

ونحن غداة العـين يوم "فطـيمة" منـعنا بني شيبان شرب "مُحَلِّم"

قلت: محلم اسم نهر يتفرع مـن "عين محلم" المشهورة في هجر في الزمان الأول.

حـرف القاف

القارة : قرية بهجر.

قلت: لم تزل عامرة. وسيأتي الكلام عليها.

وقال الحموي: «القارة جبل بالبحرين». وقال أيضاً: «قال أبو المنذر: القارة جُبَيل بنته العجم بالقفر والقير بين الشطيط والشبعاء في فلاة من الأرض».

قلت: الشطيط والشبعاء: موضعان معروفان الآن بالأحساء.

القاعة : من بلاد سعد بن زيد مناة بن تميم، قبل يَبْرِين.

قـراح : يطلق على سيف هجر.

القرحاء : قرية من قرى بني محارب.

قلت: جاء في مقال نشره بيتر بروس كورنوال الأمريكي ما نصه: « في مقربة من "العقير" توجد خرائب أثرية، يعتقد علماء الآثار أنها بقايا مدينة "قرحاء" إحدى مدن جزيرة العرب، وكانت هذه المدينة في العهد اليوناني والروماني من أشهر الأسواق والمراكز التجارية في الشرق الأوسط، وقَدْرُ مساحتها خمسة أميال، ويسميها بعض مؤرخي العرب "الجرعاء".

القَطَّار: قال ياقوت: «بفتح أوله وتشديد ثانيه وآخره راء، هو ماء للعرب معروف، أحسبه بنجد».

قلت: هو معروف عندنا في الأحساء في شمال العيون، فيه نخل قليل ومزارع.

قَطَر : قال في المعجم: قال أبو منصور الأزهري: هي بلد في أعراض البحرين على سيف الخط بين عُمان والعقير، وإليها تنسب "الثياب القطرية" ، وهي حمر لها أعلام، وكانت تنسج فيها، وإليها تنسب "النجائب القطريات"، وكانت لها بها سوق[1] ، قال جرير :

وكَائِنْ ترى في الحيِّ من ذي صداقة	وغَيْرَانَ يدعو ويْلَه من حذَاريا
إذا ذُكِرَت هند أتيح لِيَ الهوى	على ما ترى من هجْرتي واجْتنابيا
خليلَيَّ لولا أن تظنا بيَ الهوى	لقلت: سمعنا منَ سُكينةَ داعيا
قفا واسمعا صوت المنادي فإنه	قريب وما دانيت بالود دانيا

---

(١) وفي معجم البكري: «وقَطَر هذه أكثر بلاد البحرين خمراً، وقال عَبْدة بن الطبيب:

تذكَّر ساداتنا أهلُهم — وخافوا "عمان" وخافوا "قَطَرْ"

وقال المثقب :

كل يوم كان عنا جللا — غير يوم الحنو في جنبي قطرْ

ضربت دوسر فينا ضربة — أثبتت أوتاد ملك فاستقر».

ألا طرقتْ أسمـاء لا حين مَطْرَق   أحمَّ عُـمـانيّـاً وأشـعـثَ مـاضـيـا
لدى "قطريـات" إذا مـا تغـوَّلتْ   بها الـبيد غـاولن الحزوم الفـيافـيا

قلت: موضـعها كما ذكـر أبو منصور، وتشتمل عـلى مدن وقرى ، وهي شبـه جزيرة تقع على السـاحل الشرقي من شبـه جـزيرة العرب ، يحدها شمـالاً الخليج العربي، وجنوباً السبخات المتاخـمة للربع الخالي ، وشرقاً الخليج وأبو ظبي، وغرباً بر الأحساء.

وعاصمتها الدوحة، ويليـها الوكرة، ومن ملحقاتها الزبارة، ودخان، وهي منطقة حقـول الزيت، وميناء دخان: زكريت ومسيـعيد. ومن قراها: الحويلة، والخور، والمرونة، والريان. وفيـه نخل ومزارع تسقى من آبار، فيه قصور للشيخ عبدالله بن قاسم بن ثاني وحاشيته.

تاريخ بلاد قطر :

كـانت مدن السـيف الواقـعة على ضـفة الخليـج العربي كـالقطيف والزارة وقطر -وكذا جـزيرة أوال- يحكمها حكام الأحسـاء منذ عهد الفتح الإسلامي.

وفي عام تسـعمائة واثنين وعـشرين من الهجرة استولى البرتغـاليون على البحـرين والقطيف وقطر، وفي عام ثلاثة وأربعين وتسـعمائة جـهز السلطان سليمان ابن السلطان سليم القانوني أسطولاً بقيادة سليمان باشا -وزير مصر- لمحاربة البـرتغال، فسار في سبعين سفـينة مسلحة بالمدافع الضـخمـة، ومعـه من الجنود عـشرون ألفـاً، فطرد البـرتغاليين من عـدن ومسقط ومن بلاد الهـند، ثم وصلت قطعة من هذا الأسطول إلى الخليج العـربي، وطردت البرتغـاليين من البحـرين والقطيف وقطر. وسيـأتي أن السلطان سليمـان جهز جيشـاً لفتح الأحساء بقـيادة محمـد باشا فرّوخ،

ففتحها، واستولى عليها في سنة ثلاث وستين وتسعمائة هجرية(*١)، فتم للدولة العثمانية الاستيلاء على جميع جزيرة العرب(*٢).

وفي سنة ثمانين وألف استولى بنو خالد على الأحساء والقطيف وما جاورها(*٣)، وكانت الرئاسة فيها لآل مسلم، وهم ينتمون إلى الجبور البطن المشهور في بني خالد.

وفي سنة اثنتين ومائتين وألف جهز الإمام عبدُالعزيز بن محمد بن سعود سليمانَ بن عفيصان لغزو قطر، فقتل منهم خلقاً كثيراً، أكثرهم من آل أبي رميح. وفي سنة ثمان ومائتين وألف غزا إبراهيم بن عفيصان "الحويلة" من قرى قطر، واستولى عليها.

وبعد سقوط "الدرعية" وانحلال الدولة السعودية كانت قطر تحت نفوذ آل خليفة.

(*١) تضطرب الرواية التاريخية في تحديد بدء استيلاء العثمانيين على الأحساء. فبينما يرى جون مندافيل أن احتلال العثمانيين ربما تم في الفترة الواقعة بين ١٩ ربيع الأول ٩٥٩هـ (مارس ١٥٥٢م)، حتى وقت لا يتجاوز ذي القعدة ٩٦٠هـ الموافق أكتوبر ١٥٥٣م. انظر: "منطقة الحسا العثمانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر"، مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية، ١٩٧٠: ٩٠/ ٤٨٨.

أما ابن بشر فقد شطح كثيراً في تحديد بدء استيلاء العثمانيين على الأحساء، إذ قال: إنه وقع سنة ألف من الهجرة تقريباً. انظر عنوان المجد: ٢/ ١٩٥.

بينما يجزم د.عبدالكريم الوهبي أن استيلاء العثمانيين تم في عام ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م. انظر: الحكم العثماني في الحسا، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ.

إلا أننا نميل إلى ترجيح عام ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م، بناء على وثيقة عثمانية رسمية تشير إلى مغادرة بعض أهالي الأحساء بلادهم أثناء عملية الاستيلاء وتركهم لممتلكاتهم. «مهمة دفتري رقم ٢ ص ٣٧٩ حكم ١١٢٢ بتاريخ ٢٢ شعبان ٩٦٧هـ».

(*٢) لم تستول الدولة العثمانية في أي وقت على كامل الجزيرة العربية.

(*٣) هناك من يَحدد استيلاء بني خالد على حكم الأحساء والقطيف من العثمانيين بعام ١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م. انظر: الوهبي، المصدر السابق.

وفي سنة سبع وستين ومائتين وألف توجه الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله - رحمه الله تعالى - إلى قطر ، ونزل "القارة" الماء المعروف على سيف البحر ، ثم رحل ونزل الماء المعروف بـ"عريق سلوى" ، وكان "قصر البدع"(*) قد نزله علي بن خليفة -حاكم البحرين- برجال معه، وفيه كثير من الطعام والذخيرة والمدافع الضخمة، فأمر الإمامُ فيصل -رحمه الله تعالى - ابنَه الإمامَ عبدالله بمحاصرة القصر، فحاصره. ولما اشتد الحصار تمكن علي بن خليفة ورجاله من الهرب، فهربوا وكانت سفنهم قريبة منهم؛ فركبوا السفن، وتوجهوا إلى البحرين، واستولى الإمام عبدالله على القصر بما فيه. ولما علم أهل قطر بذلك طلبوا الأمان من الإمام فيصل رحمه الله ، فأمنهم ، وبايعوه على السمع والطاعة ، وكان رئيس قطر حينئذ محمد بن ثاني رحمه الله ، وتوفي الإمام فيصل عام اثنين وثمانين ومائتين وألف ، وخلفه ابنه الإمام عبدالله، وكانت له في قطر حامية بقيادة مساعد الظفيري.

ولما استولت الدولة العثمانية على الأحساء في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف أرسلت قوة من الجند، استولت على قطر، فصارت قطر من ذلك الحين قائمقامية عثمانية، تابعة لمتصرفية الأحساء، وكان يقيم في قطر عدد من الجنود النظامية تقيم في ثكنتها الموجودة في "الدوحة"، ويرسل إليها كل سنتين ونصف حاكم شرعي، وقد استمر استيلاء الدولة العثمانية على قطر على هذا المنوال إلى سنة

(*) البدع: هو الاسم القديم للدوحة، وكانت مقر الحكم والإدارة في قطر.

عشر بعد الثلاثمائة وألف(*١) . وفي سنة خمس وتسعين ومائتين وألف توفي الشيخ محمد بن ثاني رحمه الله ، وخلفه في الرئاسة ابنه الشيخ قاسم بن محمد(*٢)، وكان يدين بالطاعة للدولة العثمانية، وجعلته الدولة قائمقام، وهو من خيار العرب الكرام، مواظب على طاعاته، مداوم على عبادته وصلواته، وله فضل وعلم ومعرفة بالدين، وله مبرات كثيرة على المسلمين، وله مرتب من الدولة سنوياً، وله تجارة عظيمة في اللؤلؤ، وهو مسموع الكلمة بين قبائله وعشائره، وهم ألوف مؤلفة. وكان حنبلي المذهب، متصلباً في دينه، يصرف أكثر وارادته على الجوامع والخطباء والأئمة والمدرسين، فكان هو أمير البلاد وخطيبها وقاضيها ومفتيها، والمحسن الأكبر فيها.

وفي الأخير أرادت الدولة أن تتخلص من الشيخ قاسم، فأرسلت إلى قطر مأموراً اسمه محمد حافظ(*٣)، فأخذ يدبر من قطر، ويتحين الفرص لأخذ الشيخ قاسم أسيراً، وعلم الشيخ قاسم بما يضمره الباشا؛ فأخذ يحتاط لنفسه.

فرأت الدولة أخذه بالقوة ، فأرسلت سفناً حربية ، تحمل جنوداً شاهانية نظامية ، وكتبت إلى الشيخ محمد الصباح حاكم الكويت ،

(*١) كانت نهاية الحكم العثماني في قطر ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م.

(*٢) تثبت الوثائق العثمانية تنازل محمد بن ثاني لابنه قاسم لإدارة البلاد منذ عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م.

(*٣) محمد حافظ باشا هو والي البصرة، وقد قاد حملة عسكرية عثمانية توجه بها من الأحساء إلى قطر في عام ١٣١٠هـ عندما رفض قاسم آل ثاني الخطة العثمانية الهادفة إلى إحكام قبضتها على قطر، لاسيما إنشاء دائرة للعوائد الجمركية في ميناء قطر. انظر: د. عبدالله بن ناصر السبيعي، تاريخ الأحساء والقطيف وقطر، دراسة وثائقية، الجزء الثالث : الأمن الداخلي، ص ص ١٤٩ - ١٥١.

والسيد خلف النقيب، بإرسال قوة تساعد جنودها، فأرسل الشيخ محمد الصباح جيشاً بقيادة أخيه مبارك، وذلك سنة عشر وثلاثمائة وألف، ومعهم جمع من العجمان وغيرهم، وكان الجيش الكويتي لا يريد الاشتباك مع الشيخ قاسم، وإنما يريد إظهار الطاعة للأوامر السلطانية؛ فكان يتريث في سيره.

أما الشيخ قاسم فكان يقيم في قصر "صبحا" بالموضع المسمى بـ"الوجبة" في الشمالي الغربي عن "الدوحة"، ويبعد عنها خمسة عشر كيلاً. وفي اليوم السادس من رمضان سنة عشر وثلاثمائة وألف زحف محمد باشا بمن معه من الجنود النظامية ، وعددها ألف وخمسمائة ، أما الجيش الكويتي ومن معه من العجمان وأهالي الأحساء فكانوا في سلوى[*١]، وتبعد عن محل الواقعة أربع ساعات بسير السيارة ، فدارت المعركة من الصباح الباكر إلى أن غربت الشمس. وأسفرت تلك المعركة عن انتصار الشيخ قاسم، فقتل من الجنود الشاهانية خمسمائة، وأسر خمسمائة[*٢]، واستسلم محمد باشا وبقية الجنود للشيخ قاسم، فعفا عنهم[*٣].

وبعد مدة أرسل السلطان عبدالحميد للشيخ قاسم برقية يأمره فيها

(*١) لم يكن عدد أفراد حملة محمد حافظ باشا ١٥٠٠ فرد، كما لم يصل الجيش الكويتي وأهالي الأحساء إلى سلوى. انظر: السبيعي، المصدر السابق.

(*٢) وقع المؤلف - رحمه الله - في خطأ قاده إلى تحديد رقم متساو للقتلى والأسرى. والوثائق العثمانية الرسمية توضح أن عدد الأسرى كان قليلاً جداً، كما أنها لا تذكر وجود أسرى عثمانيين لدى قاسم آل ثاني على الإطلاق، انظر: السبيعي، المصدر السابق.

(*٣) لم يستسلم محمد حافظ باشا، بل أخذه رجاله إلى السفينة العثمانية التي ابتعدت به إلى عرض البحر حماية له عن مدى نيران القطريين. انظر: السبيعي، المصدر السابق.

بالإخلاد إلى السكون، وعزل محمد باشا عن قطر(*). أما الجيش الكويتي فحينما بلغته الهزيمة رجع أدراجه إلى الكويت.

وكانت ولادة الشيخ قاسم -رحمه الله- سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف . وفي سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف هجرية وقعت حرب بين حاكم قطر الشيخ قاسم والشيخ محمد الخليفة حاكم البحرين، وكانت الحرب بينهما سجالاً، ثم انتصر القطريون على أهل البحرين في "وقعة الجبل"، وقتلوا منهم ستمائة رجل، وأُسِر الشيخ إبراهيم بن علي الخليفة والشيخ حمود بن سلمان. وكانت وفَاة الشيخ قاسم سنة ١٣٣١هـ رحمه الله.

وفي عام سبعين وثلاثمائة اكتشفت شركة إنجليزية في قطر حقلاً من الزيت زاد في نموها وازدهارها وثروتها، وكان أهلها قبل ذلك يعيشون من استخراج اللؤلؤ من البحار. وقد توفي الشيخ عبدالله بن قاسم في ٢٥ رمضان سنة ١٣٧٦هـ، وخلفه في حكم قطر ابنه صاحب السمو الكريم، والإحسان العميم، الشيخ علي بن عبدالله بن قاسم بن محمد ابن ثاني، وينتهي نسبهم إلى تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وممن ينسب إلى قطر من مشاهير الرجال : قطريّ بن الفجاءة،

(*) لم يكن محمد حافظ باشا مأموراً بقطر، بل كان والياً على ولاية البصرة، وقد تم عزله عن منصبه بعد تلك الهزيمة. كما أن قاسم آل ثاني قد سارع بتقديم استقالته من منصبه بوصفه قائمقام لقضاء قطر، وقد تم قبول استقالته وتعيين أخيه أحمد آل ثاني وكيلاً لقائمقام قطر، وإن ظل قاسم آل ثاني هو المدبِّر لأمور قطر. انظر: السبيعي، المصدر السابق.

اشتهر بنسبته إلى "قطر"، قال ابـن خلكان في كتابه "وفيات الأعيان" ما نصه: «أبو نعـامة قطريّ بن الفجـاءة، واسمه جعـونة بن مازن بن يزيد ابن زياد بن حبتر بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر المازنـي الخارجي. و"قطريّ" ليس باسم له، ولكنه نسـبة إلى بلد بين عُمان والبحرين. وسُمِّي أبوه بالفـجاءة؛ لأنه كان باليمن، فقدم على أهله فـجاءة؛ فـسمي بذلك. وكـان رجلاً شجـاعاً مـقداماً كثـير الحـروب والوقـائع، قـوي النفس، لا يـهـاب الموت، وفي ذلك يقـول مخاطباً نفسه:

أقـول لها وقـد طارت شـعاعـاً: مـن الأبطـال ويحـك لـن تراعـي
فــإنـك لو سـألت بقــاء يوم علـى الأجل المقـــدر لم تطـاعي
فـصبـراً في مجـال الموت صبـراً فـــمـــا نيـل الخلود بمســتـطاع
ســبـيل الموت غـايـة كل حي وداعـــيــــه لأهـل الأرض داعي
ومن لا يعـتـبـط يسـأم فـيـهـرم وتسـلمــــه المـنون إلـى انقـطاع
ومـا لـلمـرء خـيـر في حـيـاة إذا مـا عُـدَّ من سـقط المتـاع».

ونقل ابن خلكان عن أبي العباس المبرد أنه في سنة ثمان وسبعين من الهجرة توجـه سفيان بن الأبرد الكلبي لقتال قطري بن الفـجاءة، فظهر عليه، وقُتلَ قطري. وكان المباشـر لقتله سودة بن أبجر الدارمي، وقيل: عـثر به فَـرسـه؛ فاندقت فـخـذه، فمـات، فـأُخذ رأسـه، وجيء به إلى الحجاج. وكان قتله في "طبرستان" سنة ثمان وسَبعين، وقيل: سنة تسع وسبعين.

القَطِيف: قـال ياقوت الحـموي في المعـجم: «بفتح أوله وكـسر ثانيـه

فَعِيل من القَطْف، وهو اسم لكورة بالبحرين. قال عمرو بن أسوى العَبدي:

وتركن عنتر لا يقاتل بعدها   أهل "القطيف" قتال خيل تنفع».

قلت: هي التي يطلق عليها اسم "الخط" على سيف البحر. وتقع في آخر الزاوية الشمالية الشرقية عن الأحساء، بينهما -بسير الدواب- ثلاثة أيام، وقاعدتها "الفُرْضة". قال في "معجم البلدان": « بضم الفاء وسكون الراء وضاد معجمة ، لبني عامر بن الحارث بن عبدالقيس ، يكثر بها التَّعْضوض نوع من التمر ، وينسب إليها أحمد بن هبة الله ابن مسلم الفُرْضي ».

أشهر مدنها : دارين، وتاروت ، سميت باسم صنم كان يُعبد بها في زمن الجاهلية ، والزور ، وسنابس ، وصفوى، وسيهات ، والجش ، والجارودية، وأم الحمام، والخويلدية، والعوامية، والقديح، وأم الساهك، وعنك ، وذكر في حرف العين .

وفي هذه الكورة عيون جارية ونخيل وأشجار الفاكهة، وأكثر سكانها شيعة، وفيهم شعراء مجيدون وكتاب بارزون قديماً وحديثاً.

حرف الميم

مُتَالِع : بضم أوله وكسر اللام ، جبل بناحية البحرين بين السودة والأحساء . وفي سفح هذا الجبل عين يسيل ماؤها يقال لها : "عين مُتالع" ولذلك يقول ذو الرمة:

نحاها لـ"ثاج" نحية ثم إنه   توخى بها العينين عيني "متالع"

وهو ماء لبني مالك بن سعد.

المُشَقَّر: بضم أوله وشين معجمة وقاف مشددة، هو حصن عظيم لعبدالقيس. وقال الحموي: «هو يلي حصناً آخر يقال له: "الصفا" قبل مدينة هجر والمسجد الجامع بالمشقر ، وبين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له : "العين"، وهو يجري إلى جانب مدينة محمد بن الغمر».

قلت: قوله: «والمسجد الجامع بالمشقر» نرى أن الجامع بني فيه بعد استتباب الإسلام في تلك الناحية، والمشقر موجود قبل مجيء عبدالقيس إلى البحرين، يدل على ذلك قول عمرو بن أسوى العبقسي:

ألا بلِّغا عمــــرو بن قيس رسالة فلا تجزعن من نائب الدهر واصبر
شَحَطنا إيادا عن وقــاع وقلَّصت وبكرا نفينا عن حياض "المشقَّـــر"

وذكر الحموي أنه يقال: إنه من بناء طسم، وهو على تل عال، وفيه حَبَسَ كسرى بني تميم. وسيجيء خبر ذلك في ذكر يوم "الصَّفْقَة". ولا يُعرف محله بالضبط في عصرنا الحاضر[١]، وذكره امرؤ القيس بقوله:

أو المكرعات من نخيل ابن يامن دوين "الصفا" اللائي يلين "المشقرا"

مُلْج : قال الحموي: «بالضم ثم السكون، ناحية من نواحي الأحساء، وهو وادٍ لبني مالك بن سعد»[٢].

---

(١) ومن أدق ماورد في تحديده من الأقوال ما نقله البكري عن ابن الأعرابي: أن "المشقر" مدينة عظيمة قديمة، في وسطها قلعة على قارة "عطلة"، وفي أعلاها بئر تثقب القارة حتى تنتهي إلى الأرض، وتذهب في الأرض، وماء هجر يتحلب إلى هذه البئر.

(٢) لا يزال معروفاً في وادي المياه (وادي الستار قديماً) بقرب "نطاع"، وينطق الآن بكسر الميم.

مَلَح : قال الحموي: بالتحريك، موضع، وإياه عنى أبو الغنائم بن الطيب:

حننت وأين من "مَلَح" الحنين ... لقد كذبتك -يا ناق- الظنونُ
وشاقك بالغوير وميض برق ... يلوح كما جلا السيف القيون
فأنت تلفتين له شمالاً ... ودون هواك من "ملح" يمين
فهلا كان وجدك مثل وجدي ... وما منا به إلا ضنين
وعندي ما علائقه غرام ... له في كل جارحة دفين
فسقَّى الدار من "مَلَح" مُلِثٌّ ... تحصحص في أسرته الحصون
إلى أن تكتسي زهراً قشيَبا ... معالمها وتعتم الحصون
فكم أهدت لنا خلسات عيش ... وكم قُضِيت لنا فيها دُيُونُ!

قلت: هذا الموضع معروف، قريب من بلد الكويت. وفيه أوقع الإمام عبدالله بن فيصل -رحمه الله- بقبيلة العجمان ومن انضم إليها، فقتلهم، وخضد شوكتهم، وذلك في ١٧ رمضان سنة ست وسبعين ومائتين وألف من الهجرة. وهو الآن قرية عامرة بالقصور والسكان.

حرف النون

نَبْطَاء : قال ياقوت: «قرية بالبحرين لبني محارب بن عبدالقيس».

نجبية(*) : قال ياقوت: «قرية بالبحرين لبني عامر بن عبدالقيس».

قلت: هي الآن ماء مورود، لا بناء فيه ولا سكن.

نَطَاعِ : قال ياقوت: بالفتح والبناء على الكسر على وزن "قَطَامِ"، واد ونخيل لبني مالك بن سعد بين البحرين والبصرة. وفيه يقول ربيعة بنُ مقروم:

(*) في معجم البلدان : نَجْبة بدون الياء .

وأقـربُ منهل مـن حـيث راحـا أُثـال أو غُـمـازة أو نَطـاعُ
فـأوردهـا ولون الـلـيـل داج ومـا لغَـبا، وفي الـفـجـر انصـداعُ
فـصَـبَّحَ من بني جـلان صـلاً عطيـفـتـه وأسـهـمـه المتـاعُ
إذا لم تَجْـتَـزِرْ لبنيـك لحـمـا غريضاً من هوادي الوحش جاعوا

وفيـه أخذ بنو تميم لطائم كسـرى التي أرسلها له عـامله على اليمن وهرز، فسبب ذلك قتل بني تميم في حصن المشقر. وسيجيء خبر ذلك إن شاء الله تعالى، ولا يزال هذا الوادي معروفاً.

نَقِير ونَقِيرة: ماءان بين ثاج وكاظمة.

قلت: وهما مـعروفان بهذا الاسم إلى يومنا هذا. وفي "نقـير" يوم من أيام العرب، في منتـصف القرن الرابع عشر سنة سـبع وأربعين وثلاثمائة أغار الـعجـمان ، ورئيـسهم نايف أبا الكلاب ابن حـثلين ، وفيـصل بن سلطان الدويش بمن مـعه من مطـير، وابن مـشهـور ومن تبعـه من عنزة، والدهينة بمن معه من عـتيبة، أغاروا على قبيلة الـعوازم في "نقير"، ووقع بينهم قتال شديد، فهزمهم العوازم، وأكثروا فيهم القتل.

حرف الهاء

هَجَـر : قال ياقوت الحموي: بفـتح أوله وثانيه، قال ابن موسى: هجر قصبة البحرين، وفي اشتقاقه وجوه: فيجوز أن يكون من هجرت البعير إذا ربطته، فـشبِّه الداخل فيـها بالبعـير المهجور، لا يقـدر على الخروج منها[1].

---

(١) لعل الصواب ما قـال الهمداني: «الهجـر القرية بلغة حمـير والعرب العاربة، فـمنها هجر البحرين، وهجر جازان». أما البكري فيقول: «هو اسم فارسي معرب، أصله هكر».

قلت: وهذا شيء ظاهر محسوس في أهلها، فهم أقل الناس ضرباً في الأرض، وأقصرهم غربة، وأسرعهم إليها أوبة، ومن أمثالهم السائرة: «هجر ونصف القوت»[1] ، يعني أريد الإقامة في هجر ولو لم يحصل إلا نصف القوت.

وقيل: سميت باسم هجر بنت المكفف الجرمقية، والنسبة إليها هجريّ [*].

وقال شاعرها في القرن الرابع عشر الشيخ عبدالله ابن الشيخ علي آل عبدالقادر الأنصاري، يتشوق إليها وقد سافر عنها لأداء فريضة الحج:

تذكِّرني نجوم الليل أهلي ... لأني في منازلهم أراها
تسامرني حديثهم فأصغي ... بسمعي مثلما كلمت فاها
يقول فتى: سآتي دار أهلي ... وما نشب الفتى حتى أتاها
فسالت عبرتي وجرت دموعي ... لفقد أحبتي والقلب تاها
فقلت له: تعال فإن ربي ... تعالى لم يزل براً إلاها
يُقَرِّب من يشاء فكم بعيد ... يرجِّي خطوة قصوى خطاها
خليلي قد أضر بي التنائي ... فهل لي رجعة أرجو شفاها؟
شفاءً لا يغادر لي سقاما ... إذا ناجيت أحبابي شفاها
لقد غادرت في "هجر" فؤادي ... وإن أمسيت في بلد سواها
بها أهلي وجيراني وصحبي ... سقاها الله من بلد، سقاها

---

(١) ومن أمثالهم أيضاً: «سطي مجر؛ ترطب هجر»؛ يقصدون: إذا توسطت المجرة في السماء فإن رطب هجر قد طاب.

(*) في معجم البلدان: «والنسبة إليها هاجريّ على غير قياس».

حـرف الياء

يَبْرِين :قال ياقوت: «بالفتح ثم السكون وكسر الراء وياء بعدها نون، قال نصر: يَبْرِين من أصقاع البحرين ، به منبران».

قلت: هو صقع معروف، يقع جنوباً عن الأحساء، وفيه عيون ونخيل، يسكنه قليل من البادية في أيام الإرطاب، وفيه كثبان ناعمة يتغنى بها الشعراء.

قال أبو زياد الكلابي:

أراك إلى كُثبان "يبرين" صبّةً وهذا لعمري لو قنعت كثيبُ
وإن الكثيب الفرد من أيمن الحِمى إليَّ -وإن لم آتِه- لحَبيبُ

وقال الرئيس ابن صُرَّدر في قصيدته المشهورة:

فوق الركاب ولا أطيل مشبِّها بل ثمَّ شهوة أنفس وعيون
هزت قدودهم وقالت للصبا هُزْأً: أعند البان مثل غصوني؟!
وكأنما نقلت مآزرهم إلى جدد الحمى الأنقاء من "يبْرِينِ"

لطيفة :

خرج جماعة من الأدباء بالأحساء للتنزه في كثبان "ناظرة" الواقعة بين قرية "الكلابية" وقرية "القارة"، وكتبوا للشيخ عبدالله بن علي آل عبدالقادر يشوِّقونه ويدعونه للاشتراك معهم؛ فكتب إليهم:

يا نازلين على أنقاء "ناظرة" إنا نزلنا على كثبان "يبرينا"
لسنا سواء نظرتم والهوى قذف وقد جنينا ثمار الوصل دانينا
فإن شربتم على نار يمانية فقد شربنا على نور أمانينا
وإن تناولتم بالكأس لذتها فقد كرعنا، فيهنيكم ويهنينا

قرى الأحساء في العصر الحاضر

الهفوف أو الهفهوف[1]:

سميت بذلك؛ لتهافف الناس إليها؛ يعني: تهافتهم عليها ورغبتهم في سكناها. ولم تزل على ذلك ؛ فإن المهاجرين إلى الأحساء من جميع الجهات لا يرغبون إلا في سكناها؛ لكونها عاصمة الأحساء، ومدينة التجارة والبيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، ومقر الإمارة ، وعسكر الدفاع والدوائر الرسمية.

وتقع في الزاوية الجنوبية الغربية من رقعة الأحساء، يفصلها عن جميع قرى الأحساء سياج من النخيل والحدائق.

ويشتمل الهفوف على خمس حلال . قال في "القاموس": «المحلة : جماعة بيوت الناس، والجمع حلال». وتسمى باللغة العامية الفريق ، وهي: الكوت، والنعاثل، والرفعة، والصالحية، والرقيقة.

الكوت : كلمة الكوت غير عربية، وهي بمعنى الحصن، وسُمِّي الكوت بذلك؛ لأنه مدار بسور وخندق، يفصله عن بقية المدينة. وفيه قصور الإمارة وقصر كبير يسمى "قصر إبراهيم"، ولعله منسوب إلى إبراهيم ابن عفيصان ؛ لكونه المشرف على بنائه ، بناه حين استولى الإمام سعود بن عبدالعزيز على الأحساء[*] في أول القرن الثالث عشر

---

(١) وكذا كانت تسمى في القرن الحادي عشر، قال الشيخ علي بن حبيب الخطي:

مهلا مهفهفة "الهفهوف" من "هجر" أنغمة العود ذي أم رنة الوتر؟

(*) قصر إبراهيم في الهفوف بناه العثمانيون في عام ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م إثر استيلائهم على الأحساء في عام ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م، وسمي بقصر إبراهيم نسبة إلى أمير الأحساء إبراهيم بن سليمان بن عفيصان من قبل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وابنه سعود،؛ لأنه سكن فيه فقط. ويخطئ كل من نسبه إلى إبراهيم باشا؛ وذلك لأن إبراهيم باشا لم يصل إلى الأحساء أثناء حملته على نجد عام ١٢٣٣هـ، وإنما كان حدوده هي مدينة الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى.

انظر: د. عبدالله بن ناصر السبيعي، تاريخ الأحساء والقطيف وقطر، الجزء الخامس: القضاء والأوقاف، ص ٦٦.

وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله ، وهو مقر عسكر الدفاع والذخيرة والسلاح وعتاد الحرب. وحين التاريخ أمر جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز -حفظه الله- بهدم سور الكوت لعدم الحاجة إليه في الوقت الحاضر.

دورها ومساجدها :

فيها ألف وثمانمائة دار وعشرون مسجداً، تقام الجمعة في ثلاثة مساجد، وثمان مدارس للوعظ والإرشاد ، ومدرستان ابتدائيتان.

من فيها من الأسر العريقة(*) :

آل السيد : أحمد بن هاشم آل خليفة وآل السيد عبدالله آل خليفة، ينتهي نسبهم إلى السيد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب ابن هاشم بن عبد مناف.

الجعافرة : ينتهي نسبهم إلى جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب. ومنهم آل خطيب العدساني، ومنهم آل قاضي ، بقيتهم الشيخ عبدالرحمن وابنه الشيخ محمد الكاتب بديوان الإمارة بالأحساء .

وآل درويش: وينتهي نسبهم إلى محمد بن عقيل بن أبي طالب بن عبدالمطلب.

وآل عبد اللطيف : ومنهم الشيخ محمد بن أحمد آل عبداللطيف

(*) يجب أن ينظر إلى موضوع أنساب الأسر بنوع من التثبت. فرغم جهد المؤلف المشكور إلا أنه لم يكن مختصاً بذلك العلم الشائك، إضافة إلى طبيعة المنطقة الاقتصادية، وقدم الاستيطان بها، وكثرة النزوح إليها على طول فترات تاريخها وكثرة التزاوج بين أسرها. كما أن المؤلف - رحمه الله - لم يحط بنسب أغلبية سكانها. ولعل ما يشفع له استدراكه لذلك في نهاية القسم الثاني ص ٦٨٨ ، ولذا نحيل القارئ الكريم إلى ذلك.

قاضي المستعجلة بالأحساء ، ينتمون إلى بني هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

وآل عصفور : من بني عقيل بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن، وهم أول من خلف دولة العيونيين على ملك الأحساء في منتصف القرن السابع، كما يأتي في موضعه إن شاء الله.

وآل جغيمان : ينتمون إلى بني تميم.

وآل عرفج : ينتمون إلى عنزة بن أسد بن ربيعة.

آل دوغان : ينتمون إلى المهاشير البطن المعروف في بني خالد ، ومنهم آل زبير ، فزبير هو ابن سالم بن علي بن دوغان ، وآل فلاح، وآل عمير ابني عمير ، وهو أخو عمر وعامر ، ينتهي نسبهم إلى سَبيع[1] بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن همدان .

النعاثل : محلة "النعاثل" منسوبة إلى بطن من بني عقيل يسمون "النعاثل"، وهي في الزاوية الجنوبية الغربية من مدينة "الهفوف".

وتشتمل هذه المحلة مع محلة "الرقيقة" على ما يزيد على خمسة آلاف دار، والعدد يزيد كل يوم لامتداد العمارة ووفرة السكان، وفيها سبعة وأربعون مسجداً تقام الجمعة في مسجدين؛ أحدهما المسجد الكبير الذي أسسه الإمام فيصل بن تركي آل سعود سنة اثنتين وسبعين ومائتين وألف ، رحمه الله تعالى ، وقد جُدِّد بناؤه عام أربعة وخمسين وثلاثمائة وألف.

---

(١) الراجح أن "سُبيع" - بضم السين - تنتسب إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن، و"سبيع بن صعب" هذا بفتح السين.

وفي هذه المحلة أُسِّست أول مدرسة ابتدائية، وتم بناؤها سنة ١٣٦٠هـ، وقلت يوم فتحها:

لسانُ الشعب يصدح بالتهاني ... ونور الأنس أشرق في المغاني
وأعلنت البشائر في سرور ... على ما تم من نيل الأماني
ألا أهلا بيوم الفتح أهلا ... فليس له شبيه في الزمان
جدير أن يكون له احتفال ... وتتلى فيه أشعار التهاني
بمدرسة زهت في أرض "هجر" ... تفوق بحسنها كل المباني
لعلم الدين والآداب شيدت ... وآداب وأخلاق حسان
فلبوا دعوة الداعي إليها ... وحلوا عنكم قيد التواني
فإن العلم أفضل كل شيء ... ويهديكم إلى سبل الجنان
فذو العرفان لو يفنى فحي ... ورب الجهل لو يحيا ففان
به تتلاعب الأعداء جهراً ... وتثقله بأغلال الهوان
فصوغوا بالعلوم لكم سلاحاً ... فسيف العلم يقطع كاليماني
وهبوا بالدعا سراً وجهراً ... بإخلاص الجوارح والجنان
بعزِّ مليكنا عبدالعزيز الـ ... سعود المرتضى في كل آن
حمى الإسلام من كيد الأعادي ... ومد لأهله ظل الأماني
وقد فتح المدارس للرعايا ... لها ثمر لباغي الخير داني
فأبقاه المهيمن في هناء ... وأعلى شأنه عن كل شاني
وإن أميرنا السامي سعودا ... جليل القدر مرهوب السنان
له الإحسان في الأحساء طرا ... يربِّيها بعاطفة الحنان

فلا برحت بهم تزهو وتسمو بعزٍّ ما أضاء النيِّران
وإن لساننا يهدي ثناء يفوق جماله عقد الجمان
لمن أولى مدارسنا نوالا وساعدها بما تحوي اليدان
وأختم بالصلاة على نبي أتى بالذكر والسبع المثاني

وفيها سبع مدارس للوعظ والإرشاد. وسكان محلة "الكوت" شافعية وحنفية، وأكثر سكان "النعاثل" و"الرفعة" مالكية وحنابلة، وفيهما عدد كثير من الجعفرية الشيعة.

وفيها مدرسة ثانوية، ودار لتعليم الأيتام وتربيتهم، ومستشفى كبير، فتح جميع ذلك عهد جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز. وكذلك المعهد العلمي المقابل لمحلة "الكوت" انتقل إلى هذا المكان عام سبعة وسبعين وثلاثمائة وألف.

المنتمون للقبائل العربية من سكانها :

آل غنيم : ينتمون إلى الجبور -بالجيم المعجمة- البطن المشهور في بني خالد، نزحوا إليها من بلد الرياض في القرن الثالث عشر، وعميدهم الآن سليمان بن محمد الغنيم.

العجاجي: ينتمون إلى آل كثير[1] ابن مالك بن جشم بن حاشد بن همدان، نزحوا إلى الأحساء من بلد الرياض في آخر القرن الثالث عشر وعميدهم محمد بن عبدالعزيز العجاجي.

آل نعيم: قال في "سبائك الذهب" للسويدي: «النعايم: بطن من بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور من قيس عيلان -بالعين المهملة- بن مضر بن نزار، نزح جدهم محمد بن

---

(١) آل كثير من الفضول من طيئ.

عبدالله من قبيلته الساكنة في "البريمي" إلى "الأحساء"، في عام أربعين ومائة وألف.

آل ملحم : ينتمون إلى البرهان -البطن المشهور في قبيلة مطير- جماعة أبي شويربات ، نزحوا إلى الأحساء من بلد "الجزعة" المشهورة في بلاد نجد بقرب الرياض.

وآل نعيم وآل ملحم هم أكثر سكان "النعائل" عدداً.

آل ماجد: ينتمون إلى بني هزان ، بطن من عنزة بن أسد بن ربيعة(*).

أولاد عبدالعزيز بن سلطان: من بني وداعة بن عمرو بن عامر. وبنو وداعة يعرفون بالوداعين، بطن من قبيلة الدواسر.

آل عزاز وآل بسام وآل مزروع وآل مهنا وآل مانع: ينتمون إلى بني تميم ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر.

وعميد آل مانع في عصرنا الحاضر الشيخ محمد بن عبدالعزيز آل مانع.

ترجمة الشيخ محمد بن مانع :

ولد المذكور سنة ١٣٠٠هـ في بلد "عنيزة" المشهورة في القصيم من بلاد نجد ، ثم رحل إلى بغداد، وقرأ على العلامة الشهير الشيخ محمود شكري الألوسي وغيره من علماء بغداد، ورحل إلى مصر، وأخذ عن الشيخ محمد عبده (أي: حضر دروسه في التفسير) وغيره من علماء مصر.

وله مؤلفات مفيدة، منها: الكواكب الدرية شرح عقيدة السفاريني ،

(*) يقصد المؤلف الهزازنة.

وإرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والعمل والآداب، وإقامة الدليل والبرهان على تحريم أخذ الأجرة على تلاوة القرآن ، والأجوبة الحميدة عن الأسئلة المفيدة، والقول السديد فيما يجب لله على العبيد، وتحديق النظر في أخبار الإمام المنتظر، وسبل الهدى في شرح شواهد شرح قطر الندى. وقد قرَّضه بعض علماء بغداد بقوله:

درر قد نثرتَها أم دراري نيرات لها بديع نثارِ؟
لو رأى بعض ما حوى ابنُ هشام قال: مهلاً هشمت أنف فخاري
أو بعضَ ما نثرت ابنُ معطي قال: جاد ابن مانع بنضار

وبعد إلقائه عصا التسيار عن تلك الأسفار دعاه الشيخ عبدالله بن قاسم بن محمد بن ثاني -حاكم قطر- لتولي الإشراف على سير القضاء ونشر العلم في تلك الربوع.

وقدم الأحساء في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وكان لنا -حفظه الله- من الأخلاء المتقين، والأصدقاء الصادقين، ثم توجه إلى الرياض بدعوة من جلالة الملك الراحل عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود. فقلت في ذلك:

هبُوا لي صبراً قبل يوم التفرق يخفِّف ما بي من عظيم التشوّقِ
فلستُ بسال عن هواهم وإن سلا الـ مُغَرِّبُ يوماً عن حبيب مُشَرِّقِ
وكيف سُلُوِّي عن لطيف شمائل أرق وأصفى من شمولٍ مُعَتَّقِ
شمائل تهدي الزائرين بعرفها لصاحبها الشهم التقيِّ الموفَّقِ

محمد المعطي المنى وابن مانع | لأهل الردى عن غيهم والمعوِّق
محقق فقه الحنبلي بوقته | فأكْرِمْ به من حافظٍ ومحقِّقِ!

إلى آخر القصيدة.

وفي المحرم سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف صدر مرسوم ملكي بتعيينه مديراً عاماً للمعارف ورئيساً لمجلس المعارف، ولهيئة تأديب الموظفين، ورئيساً لهيئة تمييز القضاء الشرعي. وقد أدخل إصلاحات جمة على سير التعليم ومناهجه، وقد نال من عطف الحكومة -وعلى رأسها جلالة الملك - ما مهَّد له كثيراً من العقبات في أداء مهمته.

وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة وألف أجرى بأمر جلالة الملك جولة تفقدية لجميع المدارس، فقلت هذه القصيدة ترحيباً به وحثاً له على فتح معهد علمي في الأحساء:

بمرآك ترتاح القلوب وتطرب | «وكلُّ امرئٍ يولي الجميل مُحبَّبُ»
تحيِّيك أبناء البلاد بأسرها | وتنشد أشعاراً المديح وتخطب
نهضتَ بأعباء المعارف والعلى | ونلتَ من التوفيق ما كنت ترغب
وأوليتَ هذا القطر منك رعاية | تحقِّق آمالاً له وتقرِّبُ
فتحتَ بأفضال المليك مدارساً | تُزيل ظلام الجهل عنا وتُذْهبُ
فأصبح ناشينا فقيهاً مثقفاً | يُعبِّرُ عما في الفؤاد ويعربُ
فيا أيها الحَبْر الذي نال رتبة | يقصِّر عن إدراكها المتطلِّبُ
لقد علم الأقوامُ أن حِمى الحسا | قديماً بأنواع المعارف مخصبُ
وبالعلم والآداب تزهو ربوعه | يسرُّ قلوب الوافدين ويعجبُ

فغارت نجوم العلم منه وغُوِّرتْ ينابيع فضل طاب منهن مشربُ
فجدِّد لنا تلك العهود بمعهد يعود به ذاك الزمان المذهبُ
فلا زلت مفتاحاً لكل فضيلة خيراً به الأمثال للناس تضربُ

وقد حقق -حفظه الله- الآمال، وبذل المجهود، حتى حصل المقصود، وفُتحَ معهد بالأحساء سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف، وبنيت له بنايةَ جميلة في بلد "الهفوف"، وابتدأ التدريس فيها سنة سبع وسبعين.

وفي هذه السنة طلب حاكم قطر الشيخ علي بن عبدالله بن قاسم ابن ثاني من جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز نقل الشيخ محمد - المترجم له - إلى قطر للإشراف على سير التعليم، وإصلاح مناهجه، فأمره جلالة الملك سعود بالتوجه إلى قطر، فكتبت له في ذلك:

سَقَى قطَراً قطر السماء وعلَّها فقد جاءها الحبْر الكريم وحلَّها
تبدَّى بها الشيخ الإمام ابن مانع حوى من صفات الأكرمين أجلَّها
أضاءت به أرجاؤها وتزخرفت فهل لبلاد أن تسامي محلها؟!
هو العالم النحرير في فقه أحمد إذا ما تصدى للمشاكل حلها
رَوَى سنةَ الهادي النبي محمد وروَّى قلوبَ الطالبين وبلَّها
يؤازره في الحق حاكم صقعها علي بن عبدالله دام حمى لها
أهني علياً والبلاد بأسرها على تحفة جاءتهم ما أجلَّها!
عليكم سلامي ما زها روض فضلكم وروَّى العما زهر الرُّبى وأظلها

ومن مزاياه تقديره للعلم والعلماء، وحفاوته بأهل الفضل، ولا يعرف الفضل إلا ذووه. وهو يسعى بكل ما أوتي لإنعاش المعارف،

ويعتبر من كُتَّاب العلماء الذين تجول أقلامهم في مختلف حقول الإصلاح الديني والثقافي والاجتماعي.

وله من الأبناء الذكور الشيخ عبدالعزيز، وهو من طلبة العلم، له إلمام طيب بالفقه والحديث والفرائض، ويحفظ أخصر المختصرات في فقه الإمام أحمد، وكتاب التوحيد. وأوسطهم الشيخ عبدالرحمن، فقيه متورِّع، كثير الصمت، حسن السمت. وأصغر منه الشيخ أحمد، فقيه محقق، متخصص بمعرفة الكتب ومؤلفيها، واسع الاطلاع، يحفظ "بلوغ المرام في أدلة الأحكام" للإمام ابن حجر العسقلاني، كثير التواضع والإحسان والحفاوة بالمنتسبين للعلم. حفظهم الله جميعاً ووفقهم.

وآل نهابة وآل شكر وآل الأشقر: ينتمون إلى بني عبدالقيس.

وآل جبر: ينتمون إلى عرينة(*).

وآل يمني: ينتمون إلى عبيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وآل شعيبي: من المشاعبة، بطن من بطون سبيع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن حاشد بن همدان، نزحوا إلى الأحساء من "رنية".

وآل سويلم: ينتمون إلى "العرينات" البطن المشهور في سبيع، وهم أبناء عرينة بن ثور بن كلب بن وبرة بن قضاعة، نزحوا إلى الأحساء من بلد "الرياض".

(*) يقصد المؤلف العرينات من قبيلة سبيع.

وفيـها الفـاضل الكريم **إبراهيم بن زامل السليم وأخـوه سـليم** من السليم رؤسـاء بلـد عنيـزة ، وينتـمون إلى ثـور بن كلب بن وبـرة بن قضاعة. ومن بني ثور التابعي الجليل سفيان الثوري، الإمام المشهور.

وآل جميح والهدلق : من بني زيـد[1] منـاة بن تميم بن أد ، نزحوا إلى الأحساء من بلد شقراء المعروفة في الوشم.

وآل عمران : ينتمون إلى عنزة بن أسد. وبعـضهم يقول: إنهم من بني حنيفة بن لجيم بن صعب بن بكر بن وائل.

وآل عيدان وآل منقور : ينتمون إلى بني تميم.

وآل مديرس وآل زرعة : ينتمون إلى عنزة بن أسد.

وآل شعوان : ينتمون إلى الحبلان -بالحـاء المهملة- البطن المشهور في قبيلة مطير.

وآل عيسى وآل داعج : ينتمون إلى عائذ من قحطان.

وفيـها كـثيـر من العرب المنتـمين إلى القبـائل العربـية لم تحضـرني أسماؤهم.

الرفعة : هي المحلة الثالثة في بلد الهفهوف، وهي في الجهة الشرقية مما يلي سوق المدينة.

وفيها من العرب المشهورين :

آل حملي : من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، من هوازن من قيس عيلان -بالعين المهملة- بن مضر.

---

(١) المعروف أنهم من قضاعة من قحطان لا من تميم العدنانيين.

وآل عيسى: ينتمون إلى عائذ.
وآل ودي: ينتمون إلى الجبور، والجبور بطن من عقيل بن عامر، دخلوا في عداد بني خالد بالمصاهرة. وقد خرج آل ودي من بلد "الدرعية" بعد حادثة سقوطها في يد إبراهيم باشا، واستوطنوا الأحساء.
والمهازعة والفوزان : ينتمون إلى سبيع بن صعب بن معاوية بن حاشد ابن همدان.

وفيها كثير من العرب الذين لم تحضرني أسماؤهم.

الصالحية : محلة جديدة، أول من عمرها الشيخ إبراهيم والشيخ راشد ابنا الشيخ عبداللطيف ابن الشيخ مبارك، من بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم. وقد اشتهر من أولاد الشيخ مبارك جماعة من العلماء الفضلاء، والأدباء النبلاء. سيأتي ذكرهم في قسم العلم والعلماء من هذا الكتاب.

وكانت أول عمارتها سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف، وهي شرقي محلة "الرفعة".

وتشتمل "النعاثل" و"الرفعة" على سبعة وأربعين مسجداً، وسبع مدارس للوعظ والإرشاد. وفي "الصالحية" ستة مساجد، تقام الجمعة في واحد منها، ومدرسة للوعظ والإرشاد، وبني فيها مدرسة ابتدائية.

الرقيقة : تقع في الجهة الجنوبية من بلد "الهفوف" محاذية لمحلة "النعاثل". ويقال: إنها "الرافقة" التي تقدم الكلام عليها. وكانت إلى زمن قريب منزلاً للمتحضرين من الأعراب والجمالين ،ومنذ أمد قريب تحوَّل إليها كثير من سكان الهفوف، وبنوا فيها البيوت الجميلة، وبنيت فيها عدة مساجد، ومدرسة ابتدائية، وهواؤها صحيح جيد، وماؤها عذب فرات.

القرى التابعة لقضاء الهفوف :

قـرية بني مـعن : نسبت إلى بطن من حـميـر سكنوها في القـديم ؛ فسُمِّيت بهم ، واقعة في وسط النخـيل، يمر بجانبها "نهر الخدود"، وفي وسطهـا عين جـارية عـذبة، تسـمى "عين الزعـابلة"، سكانهـا شيـعـة فلاحون.

قـرية الشـهـارين : لم أعرف لِمَ سُمِّيت بذلك . يمر بهـا نهر من "عين برابر" المشهـورة بالعذوبة والبرودة. وسكانها شـيعة فلاحـون. ولمحمد ابن عبدالعزيز العجاجي فيها بيت جميل.

قـرية الجبيل : يمر بها "نهر مغيصيب". وأهلها شيعة فلاحون.

قـرية الطـريبيل : ذكرها في المعجم. والطريبـيل: تصغير طربال، وهو ما يوضع على طرف ميدان سباق الخيل.

قـرية الدالوه : لا نعلم لِمَ سـميت بذلك. يمر بهـا "نهر أبي الشـيران". وسكانها شيعة فلاحون.

قـرية التيـمية : لعلها منسوبـة إلى بني تيم اللات بن ثعلبة بن بكر بن وائل يمر بها "نهر الشيباني". وسكانها شيعة فلاحون.

قـرية القارة : من القرى القديمة في سفح جبل "الشبعان" المتقدم ذكره، ويعرف الآن بجبل القارة. تقوم فيها سوق عامة لأهل الأحساء في يوم الأحد من كل أسبوع. وأهلها شيعة فلاحون.

قـرية التويثير : ولا نعرف لِمَ سُمِّيت بذلك. يمر بهـا "نهر الشيباني". وسكانها شيعة فلاحون.

العمران: وهي خمس قرى متقاربة، لا يوجد في أرضها ماء.

قرية الرميلة: تصغير رملة. قال ياقوت: «هي قرية لبني محارب بن وديعة العبقسي». وسكانها الآن شيعة فلاحون.

قرية السيايرة: ولا نعلم لمن نسبت إليه. وسكانها شيعة فلاحون.

قرية المزاوي: ولا نعلم سبب هذه التسمية. وأهلها شيعة فلاحون.

قرية العقار: وأهلها شيعة فلاحون .

قرية غمسى: ولا نعلم لِمَ سُمِّيت بذلك . وأهلها شيعة فلاحون .

قرية المنيزلة: تصغير منزلة، وهي جيدة الهواء. وأهلها مزيج من أهل السنة والجماعة ومن الشيعة، وتقام فيها جمعة.

قرية الفضول: والفضول أبناء فضل بن ربيعة[1]. وفيها مسجد لأهل السنة والجماعة، وأكثر أهلها شيعة فلاحون.

قرية الجَفْر: بفتح الجيم المعجمة وسكون الفاء. جيدة الهواء، غزيرة الماء، ويمتاز ماؤها بالعذوبة والبرودة. وأكثر أهلها من أهل السنة والجماعة، وفيها مدرسة ابتدائية، ومسجدان تقام الجمعة في الكبير منهما، وتقوم فيها سوق يوم الإثنين من كل أسبوع.

قرية الطرف: جيدة الهواء، قليلة الماء، يشرب أهلها من "عين برابر" المشهورة. وقد حُفرت فيها ثلاثة آبار إرتوازية. وأكثر أهلها من أهل السنة والجماعة. ويرأس أهلها آل حبيل من عقيل بن عامر. وفيها ستة مساجد، تقام الجمعة في الكبير منها، وفيها مدرسة ابتدائية.

---

(١) فضل بن ربيعة هو جد آل فضل الطائيِّين. ولعل هذه القرية منسوبة إلى أحد الأمراء العيونيين، الذي مدحه ابن مقرب.

قرية الجشة : نسبة إلى فيروز بن جشـيش - مرزبان البحرين في عهد الأكاسرة - أكثر أهلها من أهل السنة والجماعة . يشرب أهلها من آبار إرتوازية . وفيها مـدرسة ابتدائية وأربعة مساجـد . ومـن أهلها الدعيج وآل مـسلم ، ينتمـون إلى الجبـور المعـروفين في بني خالد . وهي آخـر القرى الشرقية .

المدينة الثانية : المبرَّز :

المُبَرَّز بالميم المضمومة بعدها باء وراء مهملة مشددة ثم زاي معجمة. سُمِّيت بذلك لبروز حاج الأحساء إليها واجتماعهم فيها في الزمان الأول، وتقع شمالاً عن بلد "الهـفوف" بينهما ثلاثة أكيال تفصـل بينهما واحة من النخيل، وفيها ست حلل، ويعبرون عن الحلة بالفريق:

الأولى : السياسب : وتقع في الجهة الغربيـة من البلاد، وسميت باسم بطـن من بني عقيـل بن عـامر. سـكنوهـا في الزمـان الأول ، ومنهـم **آل سعدون ، وآل هديب.**

وفيها مساكن **آل عبدالقادر** ومنهم مؤلف هذا الكتاب ، وعبدالقادر هو ابن مـحـمـد بن أحـمد بن عـلي بني النجـار، من أولاد أبي أيوب الأنصاري الصحابي الجليل المشهور ، واسمه خالد بن زيد بن كليب ، من ولد غنم بن مـالك بن النـجار . واسم الـنجار تـيم الله بن ثعلبـة ، ولُقِّب بالنجار ؛ لأنه ضرب رجلاً يسمى العنز بقدوم فنجره . وهو ابن ثعلبة بن عـمرو بن الخزرج بن حارثـة بن عمرو بن عامـر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مـازن بن الأزد بن لغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

نزح الشيخ علي بن محمد جـد آل عبدالقادر من المدينة المنورة إلى الأحساء في صدر القرن العاشر مع جماعة من بني عمه بني النجار.

ما جاء في فضل الأنصار عامة وفي بني النجار خاصة :

روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: قـال رسـول الله ﷺ : «آية الإيمان حبُّ الأنصـار، وآيـة النفـاق بغض الأنصـار. لا يحب الأنصار إلا مـؤمن، ولا يبغـضهم إلا منافق، فـمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»[*1].

وروى البخـاري ومسلم عن زيد بن أرقم -رضي اللـه عنه- قال: قال رسـول الله ﷺ «اللهم اغـفر للأنصار، ولأبناء الأنـصار ، ولأبناء أبناء الأنصار»[*2]. زاد التـرمذي في روايتـه: «ولنساء الأنصـار»[*3]، وروى مسلم عن أنس -رضي الله عنه- «ولموالي الأنصار»[*4].

وروى البـخاري عن ابن عـباس -رضي الـله عنهمـا- قال: قـال رسول الله ﷺ في مرضـه الذي مات فيـه: «أما بعد، أيهـا الناس، فإن الناس يكثـرون، وتقل الأنصار، حتى يـكونوا كالملح في الطعـام. فمن ولي منكم أمـراً يضر فـيه وينفع فـليقـبل من محـسنهم، ويتجـاوز عن مسيئهم»[*5].

(*١) رواه البخاري في صحيحه، ٣/ ١٣٧٩، رقم الحديث: ٣٥٧٢، ٣٥٧٣. وروى نحوه مسلم في صحيحه، ١/ ٨٥، رقم الحديث : ٧٥.

(*٢) رواه البـخاري في صـحيحـه، ٤/ ١٨٦٢، رقم الحديث: ٤٦٢٣. ورواه مـسلم في صحيحه، ٤/ ١٩٤٨، رقم الحديث: ٢٥٠٦.

(*٣) سنن الترمذي، ٥/ ٧١٥، رقم الحديث ٣٩٠٩.

(*٤) صحيح مسلم، ٤/ ١٩٤٨، رقم الحديث : ٢٥٠٧.

(*٥) صحيح البخاري، ٣/ ١٣٨٣، رقم الحديث: ٣٥٨٩. بلفظ: «يضر فيه أحداً أو ينفعه».

وللبخاري عن رسول الله ﷺ: «أوصيكم بالأنصار؛ فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم؛ فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم»(*١).

وروى البخاري عن أبي أسيد قال: قال رسول الله ﷺ: «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبدالأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة. وفي كل دور الأنصار خير»(*٢).

وقد اشتهر من آل عبدالقادر رجال بالعلم والأدب، سنأتي على ذكرهم -إن شاء الله- عند الكلام على العلم والعلماء في الأحساء.

وفي محلة السياسب ممن ينتمي إلى العرب:

آل براك: ينتمون إلى الجذعة، البطن المعروف في بني عامر بن سبيع بن الصعب بن معاوية بن حاشد بن همدان.

وآل شباط: وشباط هو ابن غرير بن محمد بن عثمان بن مسعود، من بني خالد.

وآل خطيب: ينتمون إلى المهاشير، البطن المشهور في بني خالد.

وآل جمال: ينتمون إلى البطن المذكور.

وآل غردقة: ينتمون إلى بني حجاف، البطن المعروف في العيونيين، والعيونيون من تغلب بن وائل بن ربيعة.

وآل عياش: ينتمون إلى القريشات، البطن المعروف في بني خالد.

(*١) صحيح البخاري، ٣/ ١٣٨٣، رقم الحديث: ٣٥٨٨.

(*٢) صحيح البخاري، ٣/ ١٣٨٠، رقم الحديث: ٣٥٧٨. ورواه بلفظه مسلم في صحيحه، ٤/ ١٩٤٩، رقم الحديث: ٢٥١١.

وآل فارس: إلى الجبور.

المحلة الثانية : العتبان : وهي تلي "محلة السياسب" في الجهة الشمالية من البلاد.

المنتمون إلى القبائل العربية من سكانها :

آل شهيل بالشين المعجمة : ينتمون إلى بني نهد بن زيد من قضاعة.

وآل نفجان وآل عيا: إلى زعب، بطن من سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان.

وآل شديد ، وآل مثيني .

المحلة الثالثة : محلة آل عيوني : نسبة إلى العيونيين الذين حكموا الأحساء بعد زوال القرامطة، كما سيأتي في موضعه. وتقع هذه المحلة في وسط البلاد على طول خط البلدة.

المنتمون إلى القبائل العربية من سكانها :

آل عفالق: ينتمون إلى عياف[1] بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان. وكان من هذا البيت علماء سيأتي ذكرهم ، وهم مالكية المذهب.

آل موسى: ينتمون إلى آل مغيرة ، بطن من بني لام من طي، منهم علماء -سيأتي ذكرهم- مالكية المذهب.

---

(١) يوجد في نجد أسرة تعرف بـ "آل عفالق"، وهم أول من عمر بلدة "الخبراء" في القصيم سنة ١١٤٠هـ، انتقلوا إليها من البويطن في عنيزة، وعمروها، وسكنوها، وهم من قحطان.

آل عمران : ينتمـون إلى عنزة بن أسد بن ربيـعة، وهم من آل عـمران سكنة "الرياض"، حنابلة المذهب.

آل جبر: من آل جبر سكنة "النعاثل" من عرينة.

وآل مطلق : من عرينة.

وآل كثيـر[1] : ينتمـون إلى كـثيـر بن مالك بن جـشـم بن حاشـد بـن همـدان.

وآل كرود : ينتمون إلى البدور، البطن المعروف في الدواسر.

الحذيفي : ينتـمون إلى بني حسـين القبيلة المشهورة، وهي تنتـمي إلى الحسين بن علي رضي الله عنه .

وآل بدين : ينتمون إلى آل سحبان، أحد بطون بني خالد.

الرواجح : بطن كـبيـر من قبـيلة البقـوم السـاكنة في بلد "تربة"، وهذه القبيلة تنتمي إلى الأزد.

آل رشود : إلى سبيع.

آل شمس : من عرينة.

الرابعة : **القديمات** : داخلة في محلة العيوني.

الخامسة : **محلة المقابل** : وفيها : آل حويدان، يعرفون بآل إبراهيم،

---

(١) انظر ص ٧٣ .

نزحوا إلى الأحساء من بلد الدرعية بعد خرابها في حرب إبراهيم باشا، وينتمون إلى عنزة بن أسد بن ربيعة. وآل عكلي: ينتمون إلى عنزة أيضاً.

المحلة السادسة : الشعبة : وأكثر سكانها شيعة.

وتشتمل "المبرِّز" على أربعة آلاف دار، وخمسين مسجداً، وعشر مدارس للوعظ والإرشاد، وثلاث مدارس ابتدائية، وفيها يقول الشيخ عبدالله بن علي العبدالقادر:

وجدنا كل "هجر" مستقرا ولكن لم نجد مثل "المبرَّز"
كأن مكانها من أرض "هجر" طراز لاح من ثوب مطرَّز
جرت من تحته الأنهار حتى حسبناه من الجنات مفرز

القرى التابعة لقضاء المبرز :

المطيرفي : فيها كثير من الينابيع الحارة والنخيل والزروع، وأهلها شيعة فلاحون.

الثانية : الشقيق : في وسط النخيل يسكنها الأمير أحمد بن عبدالرحمن السديرى، وله فيها بساتين وقصر فخم. والسدارى من البدور البطن المشهور في قبيلة الدواسر .

وفيها الآن من العرب **آل نويران** ، ينتمون إلى المهاشير البطن المعروف في بني خالد . وأكثر سكانها من أهل السنة والجماعة ، وفيها مسجدان ومدرسة ابتدائية .

الثالثة : جليجلة : بضم الجيم المعجمة . وفيها مسجدان ومدرسة ابتدائية.

وفيها **آل شيبان** من قبيلة العجمان المعروفة.

الرابعة : قرية القرن : بفتح القاف المعجمة وسكون الراء. وفيها تصنع الحصر من الأسل الدقيق الأصفر. وجميع أهلها شيعة.

الخامسة : قرية الشعبة : سكانها مزيج من أهل السنة والجماعة ومن الشيعة. وفيها مسجدان لأهل السنة والجماعة، تقام في أحدهما الجمعة.

السادسة : قرية المقدام : وسكانها من أهل السنة والجماعة، وفيها مسجد واحد.

وفيها من العرب **آل صقيه ، وآل فياض** . وقد فني آل فياض لم يبق منهم أحد . وآل دايل : ينتمون إلى آل سحبان ، بطن من بني خالد.

السابعة : قرية الكلابية : نسبة إلى بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وجميع سكانها من أهل السنة والجماعة، منهم **آل زريق،** ينتمون إلى بني نهد بن زيد بن قضاعة. وفيها مدرسة ابتدائية.

الثامنة : قرية الحليلة : بضم الحاء، تصغير حلة. في وسط النخيل. وجميع سكانها شيعة فلاحون.

التاسعة : قرية البطالية : نسبة إلى ابن بطال[1]، أحد رجال العيونيين الذين ملكوا الأحساء في آخر القرن الخامس. وهي قريبة من مدينة هجر - الموجودة في عهد الفتح الإسلامي - ومن مدينة الأحساء التي اختطها أبو سعيد القرمطي سنة سبع عشرة وثلاثمائة . وجميع أهلها شيعة فلاحون.

العاشرة : قرية القُرَيْن : تصغير قرن، بضم القاف وفتح الراء. في وسط النخيل. وأهلها شيعة فلاحون.

الحادية عشرة : العيون الشمالية : وجميع أهلها من أهل السنة والجماعة.

منهم **آل مهنا**، وينتمون إلى زعب من بني سليم. ولم يبق منهم إلا رجل واحد، عثمان بن محمد، وله ولدان.

ومنهم أولاد سعد بن سليم منهم محمد بن عبدالله عمدة القرية ، وهم ينتمون إلى الشكرة البطن المعروف في الدواسر . وفيها مسجدان تقام الجمعة في واحد منهما ، وفيها مدرسة ابتدائية .

الثانية عشرة : قرية الحصيمة : اختطت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وألف. وجميع أهلها من سكان قرية العيون.

الثالثة عشرة : قرية المراح : وهي قرية آل بويت، ينتمون إلى الفضل. وفيها مسجدان، تقام الجمعة في واحد منهما، وفيها مدرسة ابتدائية.

الرابعة عشرة : العوضية : قرية جديدة قريبة من قرية المراح، أنشئت سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف.

---

(١) راجع ديوان ابن مقرب.

الخامسة عشرة : قرية الوزية : أنشئت سنة خمس وستين. وفيها مسجدان، تقام الجمعة في واحد منهما.

وجميع أهل هذه القرى من أهل السنة والجماعة. وبها تنتهي قرى الأحساء الشمالية حين كتابة هذا التاريخ، والعمران في ازدياد، ولله الحمد والمنة.

ذكر عيون الأحساء

وإليك العيون الواقعة في الجهة الجنوبية، وجميعها باردة عذبة :

عين الخدود : قديمة العهد، قال في "القاموس": «خُدَد على وزن صُرَد عين بهجر». وسميت خدود لخدها الأرض، يزيد عرض مجراها على عشرين متراً. وقدَّر بعض الخبراء أنها تُخرج في الدقيقة الواحدة ثلاثين ألف جالون.

ويتفرع منها خمسة أنهار:

١- النُّقبة بضم النون.

٢- جر النهرين، وينقسم إلى قسمين: جـر ظويغط ، وجر بني نحو ، وبنو نحو بطن من أياد .

٣- جر حديد.

٤- جر العباسية.

٥- نهر الجازي.

الثانية في الدرجة : عين الحقل : - بالحاء المهملة - منبعـها كأنه لجة عريضة المجرى، وفيه فوهات كثيرة، يطلقون عليها اسم العقاقير.

ويتفرع منها ستة أنهار:

١- المازني. ٢- السقوفي. ٣- البدن. ٤- الحريثي.

٥- الدباغي. ٦- الخـزيمة. كلـهـا تسـقي حـدائق النخـيل وأشـجـار الفاكهة ومزارع الأرز.

الثالثة : عين غصيبة : يجري ماؤها في نهر واحد.

الرابعة : عين التعا ضيد : يجري ماؤها في نهرين : البدع والنيلية.

السادسة : عين برابر: المشهورة بالعذوبة والبـرودة وخفة الماء، تخرج

من طرف "الزبدا"، وتمر في طريق واحد إلى قرية "الطرف". وفيها يقول الشاعر[1]:

فما للعذارى في "عذارى" وفي "الرحا" غرام إذا لاحت لهن "برابر"

وعذارى والرحا من عيون جزيرة البحرين.

وحول هذه العيون عيون كثيرة صغيرة جارية، وإليك أسماءها:

١ - الأولى عين النصيرية	٢- عين شافع	٣- عين أم الليف
٤- عين الجزيرة	٥- عين بهجة	٦- عين قطوة
٧- عين أم الثعالب	٨- عين أم جمل	٩- عين الحويرة
١٠- عين فريحة -بالحاء المهملة-	١١- عين البدع	١٢- عين أم سيف
١٣- عين سواقط	١٤- عين السباخ	١٥- عين المنسفية
١٦- عين العمارة	١٧- عين أبطيني	١٨- عين شبيب
١٩- عين الجنوبية	٢٠- عين الظليمي	٢١- عين الهملة
٢٢- عين القويعيات	٢٣-عين أم إسريويل	٢٤- عين الطباحية
٢٥- عين البستان	٢٦-عين المخولية	٢٧- عين أبو لوزة
٢٨- عين الخثعمية	٢٩- عين المشيطيبة	٣٠- عين الجابرية
٣١- عين أم خنور	٣٢- عين أم الخيس	٣٣- عين الزعابلة
٣٤- عين أبا العيون.		

وفضلات هذه العيون تنضم مع فضلات "عين الخود" وقسم من فضلات "عين الحقل". وتجري في نهرواحد يُسَمَّى سليسلا ، ثم يتفرق في موضع يسمى "غزالة" ، فينقسم إلى نهرين :

الأول: يبقى عليه اسم "سليسل"، ويأخذ ثلثي الماء.

الثاني: يسمي "الدوغاني"، ويأخذ ثلث الماء، فيمر نهر "الدوغاني"

---

(١) انظر البيت في قصيدة كاملة في ديوان السيد عبدالجليل، وهو مطبوع معروف.

بقرية "بني معن" وقـريه "الشهـارين" ، وهنا وضعت طواحين على نهر الدوغاني في أول عـهد الأتراك الأخيـر ، ويمـر بقرية "المنيـزلة" ، حتى يصل إلى موضـع يسمى "الجسـيم" ، فينقسـم إلى نهرين : أحـدهما : يسمى "الحيادي"، والثاني: يبقى عليه اسم "الدوغـاني"، فيسقيان نخيل قرية "الجفر" و"الجشة".

أما "سليسل" فيمـر في طريق واحد حتى يصل إلى موضع يسمى "التغامة" بمثناة بعدها غين ، فينقسم إلى ثمانية أنهار:

الأول : الجرواني ، ويسقي نخيل قرية الجبيل .

الثاني النعيلي ، ويسقي نخيل قرية "الحليلة".

الثالث: الحد - بالحاء المهملة -، ويسقي قسما من نخيل قرية "الجبيل".

الرابع: أبو الثيران ، ويسقي نخيل قرية "الدالوه"، وقرية "التيمية".

الخامس: نهر ابن راضي، ويسقي قسما من نخيل قرية "الجبيل".

السادس: نهر سياح، يسقي قسـماً من نخيل قرية "الطريبيل". ويتفرع منه نهر يسمى "المويلح"، يسقي قسماً من نخيل قرية "الجشة".

السابع: نهـر محمـد، ويسقي نخيل قـرية "السيايرة"، ويتـفرع منه نهران: نهر "الخويس"، ونهر "الأسود"، ويسقيان نخيل قرية "الرميلة".

أما أصل "سليـسل" الذي تفرعت منه هذه الأنهـار فيسـقي نخيل قرية "القارة" و"التويثير"، وقسماً من نخيل قرية "الجبيل".

وتجتمع الفضلات في نهرين :

نهر الشيباني، ويفترق فرقتين: فرقة تسقي نخيل قرية "التويثير"، والثانية تسقي نخيل قرية "المقدام". وتنقسم إلى ثلاثة أنهار: الأول النجوي ، الثاني المصدر ، ويسقيان نخيل قرية "العمران" ، وقسماً من نخيل قرية "التويثير"، الثالث نهر التويثير. ويتفرع منه نهران: الأول يسمى "حواش"، يسقي نخيل "الكتيب" و"المركز". والثاني نهر ابن عبيد الله، يسقي قسماً من نخيل قرية "الجبيل". ويتفرع من ذلك نهر يسمى "الخديد" يسقي قسماً من نخيل قرية "المنيزلة".

ويتفرع من فضلات نهر "الدوغاني" نهر يسمى "دريك"، يسقي قسماً من نخيل قرية "المنيزلة"، وقسماً من نخيل قرية "الجفر".

وتنتهي فضلات هذه الأنهار إلى البحيرة المشهورة المسماة بـ"الأصفر"، الواقعة في آخر قرى الأحساء الشرقية، وقدرها ثلاثة أميال، وماؤها مرٌّ زعاق. قال الأزهري: «وبها سميت البحرين بحرين». والله أعلم.

ذكر العيون الواقعة في القسم الشمالي من الأحساء :

يتجه من "عين الحقل" المار ذكرها إلى جهة الشمال أربعة أنهار:

نهر البدن ، والحريثي ويسقيان نخيل طرف الحقل ، ونهر الخزيمة ويسقي نخيل طرف العمار ، ونهر الدباغي ويسقي نخيل طرف الشهيبي.

وتنصرف فضلات نهر البدن والحريثي -وهي ما تأخذه المصاريف

بعد سقي الزروع، ويسمى في عرف الأحساء: الأطباع - إلى نهرين: نهر الخسيف، ونهر غزوى. ويسقيان نخيل طرف الشهيبي.

وتنتهي فضلات نهر الدباغي وما قبله إلى نهر مسيكين ثم الدويدي ونعيسان، وتسقي نخيل طرف الشهيبي.

وفي طرف الشهيبي "عين باهلة"، وهي عذبة الماء تسقي كثيراً من النخيل والزروع.

وإليك العيون الشهيرة في القسم الشمالي :

الأولى : عين الحارة : وتبعد عن بلد "المبرز" بضع دقائق. ماؤها حار عذب، يجري ماؤها في طريق واحد حتى ينتهي إلى موضع يسمى المفترَق -بفتح الراء المهملة-، فيفترق النهر إلى فرقتين: الأولى تسمى الشمالي، وتأخذ ثلاثة أخماس الماء. والثانية تسمى مُغَيْصِيب - على وزن مُعَيْقِيب-، وتأخذ خمسي الماء.

ويفترق نهر "الشمالي" إلى خمسة أنهار:

١- نهر الصليب ٢- نهر أبا العباس ٣- نهر الحصان

٤- نهر قُرَيْبة تصغير قربة . ٥- نهر العمار.

وفضلاتها -وهو ما يخرج من المصاريف، وهي المسماة في عرف الأحساء: المناجي- تجتمع في نهرين: أحدهما يسمى المعبر، والثاني قُرَيبة.

أما "مُغَيْصِيب" فينقسم إلى سبعة أنهار:

١- القريشي ٢- نهر الكليبي ٣- نهر الدلامي ٤- نهر القبلية

٥- نهر الشرقية ٦- نهر البدن ٧- نهر العماري.

وتجري فضلات هذه الأنهار في خمسة أنهار:

١- البريكي ٢- الثبير الجنوبي ٣- الثبير الشمالي ٤- القنطرة ٥- العسافي. ويتفرع من "القنطرة" نهر يسمى "الدباع".

وجميع أنهار الحارة تسقي نخيل طرف شراع المقابل وشراع الشعبة وشراع العيوني، وقسماً من نخيل الشهيبي.

وتجتمع فضلات هذه الأنهار في نهرين : الأول الدغيمي، والثاني أبو جمل. ويسقيان نخيل قرية "الحليلة"، وتنتهي فضلاتها إلى بحيرة "الأصفر".

العين الثانية : الجوهرية : منسوبة إلى رجل يسمى جوهر، وهي قديمة التاريخ، وماؤها في غاية الصفاء والعذوبة، قريبة من قرية "البطالية" في وسط النخيل، وذكرها ابن المقرب في شعره حيث يقول:

ألا يا لقومي الأكرمين متى أرى ... بنا الخيل تهوي مطلقات صروعها
عليهن منا فتية عبدلية ... جرى مرجاها جواد منوعها
مقدمة أسلافها في ظعائن ... حسان المجالي طيبات دروعها
وقد جعلت "نخلين" خلفاً ويممت ... قرى الشام أو أرض العراق نسوعها
فخير لعمري من بساتين "مرغم" ... على ذي المجاري طلح نجد وشوعها
ومن ماء نهر "الجوهرية" لو صفا ... ذبابة حسي لا يرجى نبوعها

ويجري ماؤها في أربعة أنهار:

١- نهر الشمالية ٢- نهر الجنيبية ٣- نهر المقاصب ٤- نهر المعمورة. وكلها تسقي نخيل قرية "البطالية".

وتنصرف فضلاتها في ثلاثة أنهار:

١ - الحسي ٢- نهر الرقطانية ٣- نهر أبي غـصيبة. وتسقي هذه الثلاثة نخيل قرية "الكلابية".

ثم تنتهي فضلاتها إلى نهر "قريمط" ، فـتسقي قسماً من نخيل قرية "الشعـبة" ، وينتـهي إلى قرية "جليـجلة" ، فينقسـم إلى نهرين : الأول الفويرغي ، والثاني الأسود . ثم إلى نهـر المسيّح ، بالميم ثم السين المهملة والياء المثناة المشددة .

الثالثة : عيـن أم سبعة : وسميت أم سبعة؛ لأن ماءها يجري في سبعة أنهار من منبـعها، وقـد دفنت الرمال واحـداً، وبقي ستة. ومـاؤها حار شـديد الحرارة لا سـيمـا في أيام الشتـاء، في غاية الصـفاء والعـذوبة، غزيرة المـاء، قوية الجريـة، تحف بها كثبان الرمل الأحـمر الناعـم غرباً وشمالاً، والنخيل شرقاً وجنوباً، في واد أفيح، يفد إليها الناس في أيام الشتاء للاغتسال والنزهة، وفيها يقول المؤلف:

رعى الله يومـاً قـد طوينا نهـاره	بكثـبـان رمل زيّنتـهـا الجـداول
تجـود عليـها دائمـاً "أم سـبعـة"	بماء كـبلّور جـلتـه الصـيـاقل
يزيد علـى برد الشـتـاء توقـداً	كـأن بـذاك الماء تغـلو المـراجل
كأن جموع النخـل في عرصاتها	صفـوف عذارى جملتهـا الغلائل
إذا روّحت ريح الشمال رؤوسها	تميل كـمـا مـال المحب المواصل
فـيـا حـبـذا برد النسـيم بظلهـا	ويا حـبـذا ذاك النقـا والمنازل
أدرنا كؤوس الشـاي فيها كـأنها	نجـوم تـلألا للسـرور وسـائل
وعـززها السـاقي ببِنٍّ حكى لنا	لمى شـفّـة الحـسنا فنعـم المناهل
بأجمـعهـا نجلي الهَمـوم ونجتني	ثمار الهنا والأنـس والكل حاصل
بإخوان صدق زينـوا كل محفل	فـمـا منهمـو إلا سـخي وفـاضل

وأنهارها الجارية من منبعها ستة :

١- نهر الحار ٢- نهر مروان ٣- نهر مروان

٤-نهر مروان، وكلها في جهتها الجنوبية

٥- نهر الغدير، ويجري في جهتها الشمالية

٦- نهر نهيضة، ويجري في جهتها الشرقية.

وتنصرف فضلات هذه الأنهار في عشرة أنهار:

١- نهر خياط ٢- نهر المرزوقي ٣- نهر أم شيبان

٤- نهر أبي القرب ٥- نهر الخولاني ٦- نهر أبي الأجمال

٧- نهر أبي العواوي ٨- نهر أبي الشكالي ٩- نهر العمار

١٠- نهر البارد.

وكلها تسقي نخيل "السحيمية" ونخيل قرية "القرين".

الرابعة : عين منصور : يمر بها الذاهب إلى "عين أم سبعة" على يمين المار. وماؤها حار عذب يجري في ثلاثة أنهار:

١- المذيرع ٢- نهر البارد ٣- نهر أبي شعلان.

وفضلاتها تجري في نهرين: الأول أبو الربايح، والثاني البارد.

وفي ضواحي قرية "المطيرفي" خمس عشرة عيناً جارية، وإليك أسماءها:

١- عين لشا ٢- عين عبدو ٣- عين غرير

٤- عين عكاس ٥- عين غريب ٦- عين الساحرة

٧- عين أم عظم ٨- عين الحقيقة ٩- عين أبي ناصر

١٠- عين الحمل ١١- عين الحويرات - وهي أعظمها -

١٢- عين أم الدجاج ١٣- عين أم زنبور ١٤- عين فضالا

١٥- عين أم خدجة.

وكلها تسقي نخيل "المطيرفي" وقـرية "الشقيق". وتنصب فضلاتها في نهـر أبي الرمل، فيـسقي بقـية نـخيل قـرية "الشقـيق" ونخيل قـرية "جليجـلة".

ثم تلتقي مع فضلات "عين أم سبعـة" في نهر الوسيود ، ثم يفترق هذا النهـر إلى فرقتين : الأولى الوسـيود، والثـانية تسـمى نهر خليـفة. ويتفـرع مـن نـهـر خليفة نهـر يسـمى أبو جنيب؛ لكون نخيل العـيون على جانـب منـه . ومنه نهر يسـمى البويرد. وكلهـا تسقي نخـيل قرية العيـون.

ثم تجتمع فضلاتها في نهـر يسمى وجاج، يسقي الأجام، ثم ينتهي إلى بحـيرة يطلق عليـها "الصـراة"، وتسـمى "المسفلة"، وتمتـد إلى أبي الحمام الواقع في طريق القطيف .

وفي ضواحي "العيون" ثلاثون عيناً جـارية، إلا أنها صغار، تسقي الواحدة ألف نخلة، وبعضها أغزر من بعض. وإليك أسماءها :

١- عين جنيدة في وسط القرية　　٢- عين البستان

٣- عين اللقيط　　٤- عين مرشد　　٥- عين المطوع

٦- عين مغيض　　٧- عين الدويني　　٨- عين حسين

٩- عين ابن عودة　　١٠- عين ابن ربيع　　١١- عين الشرى

١٢- عين الجزيرة　　١٣- عين منيفة　　١٤- عين الرفيعة

١٥- عين القصاب　　١٦- عين أم صخين　　١٧- عين سميط

١٨- عين الريس　　١٩- عين القليب　　٢٠- عين حمد

٢١- عين مفتاح.　　و٢٢- و٢٣- و٢٤- عيون الجفر

٢٥- عين الناصر　　٢٦- عين ابن ربيع　　٢٧- عين الجديدة

٢٨- عين سعد　　٢٩- عين عثمان المهنا　　٣٠- عين أم أثلة

٣١- عين الوزية.

وفي "القطار" ثلاث عيون.

وفي "الكلابية" ثلاث عيون جارية:

١- عين بنت قنيص　　٢- عين صويدرة　　٣- عين الكويكب.

وبالقرب من مدينة "الهفوف" عيون جارية منخفضة عن سطح الأرض، يؤخذ ماؤها بواسطة الغرف والسانية، وهي هذه:

١- عين البحيرية ٢- عين البحيري ٣- عين ابن نسيم ٤- عين أم خريسان.

وبالقرب من مدينة "المبرز": عين الزواوي، وعين مرجان.

وفي الصحراء الواقعة شمالاً عن مدينة الهفوف وغرباً عن مدينة المبرز تقع "عين نجم"، المشهورة بمائها المعدني الحار المجرب لتليين الأعصاب اليابسة في الجسد، وتضميد الرياح الباردة.

مناخ الأحساء وجوها

مرتفع عن سطح البحر، واقع في أرض منبسطة، ليس فيها جبال ولا آكام صخرية تمنع تموج الهواء، وقد تحس في النهار بشيء من الحرارة، وسرعان ما يزول ذلك إذا هبت نسمات الأصيل، فحينئذ يكون الهواء رقراقاً، والجو صافياً، والنسيم عليلاً، ويبقى هكذا حتى يتعالى النهار، ويقوى سلطان الشمس. وإذا تجولت في حقولها فهناك تجد الأنهار الجارية بين البساتين، المكتسية حللاً سندسية من الأشجار والنبات، الذي امتد عليها ظل النخيل الوارف، فيصدق عليها قول الشاعر:

وقانا لفحة الرمضاء واد ... وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم
يصد الشمس أنَّى واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم

وفيها من أنواع النخيل الخلاص، وهو أبيض اللون إذا كان رطباً، وأصفر اللون إذا كان تمراً، وهو لذيذ الطعم، وفيه يقول العلامة الشيخ عبدالله ابن الشيخ علي العبدالقادر:

وغانية عصيت اللوم فيها ... فما لي من هواها من مناصِ
فكم أجني لذيذاً من جناها ... أحب إليّ من رطب الخلاص
تقول: جنيت بالتقبيل فاغرم ... فقلت لها: هلم إلى القصاص
جزاء الحق مِثْليٌّ بمثل ... فقالت: قد عفوت على الخلاص
لعمري أنت يعقوب القضايا ... وأنك في الدّها عمرو بن عاص

ومن أنواع النخل مـا يأتي مبكراً في برج السرطـان ، وهو الطيار ، ويأتي في أول هذا البرج ، والكاسـبي، والمجناز، والحليلي، والبريكي ، والغر - وهـو مـن النوع اللذيذ الطيب -. وكلهـا تؤكل رطباً في برج السرطان.

ومن أنواع التمور:

الرزيز، وهو أكـثرها، ويكون تمره أسـود إذا حرقت أرضـه، أو سمـد بالرماد، وإلا يأتي أحمر اللون، والأحمر من تموره غير مرغوب فيه.

والشيـشي، وتمره من التمـور اللذيذة، وهو أحمـر اللون في أعلاه طوق أبيض.

والشبيبي، وهو سمين يغيب فيه الضرس، لذيذ الطعم.

والحاتمي، وهو أصفر اللون، لذيذ الطعم. فـهذه الأنواع الطيبة من التمور.

أما الوصيلي، والزرعي، والكبكاب، والخصـاب، فهي من التمور التي تعلف بها الدواب غالباً.

ومن أنواع النخـيل مـا يؤكـل غـالبـاً رطبـاً وتمراً، وهو الخنيـزي، والمحمي، والمرزبان، والحريزي.

ومن الأنواع ما يأتي متأخراً، وأوله في برج الـسنبلة، ويتأخر غالباً إلى برج القوس . وهو : أم رحيم ، والشـهل ، والتناجيب ، والبرحي ، وهو نوع قليل في الأحـساء وفد إلـيها من البـصرة منذ سنين قـريبـة ، والحلاوي، والهـلالي، ونوع من الخصـاب الأحمـر...، وأنواع كثـيرة تركناها اختصاراً.

الفواكه

فيها العنب والتين والرمان والخوخ والأترج بكثرة، والليمون بكثرة، والبرتقال والتفاح والمشمش بقلة،وفيها التوت والنبق.

ومن الخضروات البطيخ والجح ، وهو الحبحب بلغة الحجاز، والياقطين والدبا، والقرع الشامي ، ويعرف بالبوبر، والباذنجان والباميا والطماطم واللوبيا والسمسم والسلجم.

الحبوب

يزرع فيها الأرز والحنطة والبصل والثوم، وقد جربت تربتها فوجدت أنها صالحة لكثير من المزروعات غير ما ذكرنا كالبطاطس وغيرها من سائر الفواكه والخضروات والحبوب.

ذكر ملوك الأحساء وولاتها

ذكر القلشقندي في كتابه "صبح الأعشى" نقلا عن ابن خلدون أن البحرين جزء من مملكة عاد، وقد ملكوا جميع جزيرة العرب، وهي الأرض التي أحاط بها بحر الهند من جنوبها، وبحر الحجاز من غربيها، والبحر الأخضر من شرقيها، وامتد ملكهم إلى الشام ومصر، وهم بنو عاد بن أرم بن سام بن نوح -عليه السلام-. وكانت منازلهم وكرسي مملكتهم بالأحقاف - بين عمان وحضرموت-.

قلت: تعرف الآن بالربع الخالي، وهي من المملكة العربيةالسعودية في الوقت الحاضر، لا يفصلها عن بلاد الأحساء شيء.

ولما عظم ملك عاد عظم طغيانهم، وانتحلوا عبادة الأصنام، فبعث الله إليهم أخاهم هود بن عبدالله بن رباح بن الخلود بن عاد، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(*).

(*) سورة الأعراف، الآيات: ٦٥-٧٠.

فظهر من هذه الآية أن قوم عاد هم أول من عمر الأرض بعد الطوفان الذي أهلك الله به قوم نوح عليه السلام . وقد آمن بهود بعض قومه ، وكفر به أكثرهم ، فاعتزل هود ومن آمن به ، ومنهم لقمان ابن عاد ومن تبعه من قومه ، وحبس الله عنهم المطر ثلاث سنين ، ثم أرسل الله عليهم الريح العقيم، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما، فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، وهم عاد الأولى.

وقد وصفهم الله -سبحانه وتعالى- بالقوة والبطش والجبروت، وعمارة الأرض وأن بعض بلادهم يسقى بماء الأمطار، فاتخذوا لها المصانع (وهي السدود والخزانات التي تجتمع فيها السيول)، وهذه صفة الأحقاف وبلاد اليمن إلى يومنا هذا. ومن بلادهم ما يشرب أهلها وزروعهم من ماء العيون النابعة من بطن الأرض، كالأحساء والقطيف، وما شابهها في ذلك. قال الله -تعالى- في آية سورة الشعراء : ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾[*١] يعني يبنون على الطرق مراكز يجعلون فيها من يمنع المارة؛ حتى يعطوهم العشور. ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[*٢] .

ثم بعد هلاكهم ورث المُلك لقمانُ بن عاد ومن آمن بهود ، عليه الصلاة والسلام.

(*١) سورة الشعراء، الآية: ١٢٨.

(*٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٢٩-١٣٤.

وتسمى "الأحساء" في ذلك العهد "مجان"، وما بين الأحساء وعمان وحضرموت يسمى "ملوخا". وفيها معادن الذهب الجيد الكثير. وبعد فناء عاد حل محلها المعينيون.

ذكر دولة معين

قال الدكتور جواد علي في كتابه "العرب قبل الإسلام": تعد الدولة المعينية من أقدم الدول العربية التي وصل إلينا خبرها، وقد عاشت في اليمن، وازدهرت من سنة ألف وثلاثمائة قبل الميلاد إلى سنة ثلاثين وستمائة قبل الميلاد. وامتد ملكهم إلى "معان" و"العلا" وشواطئ خليج العجم ، وجميع جزيرة العرب.

وقد ظهرت هذه الدولة في "الجوف" ، والجوف منطقة سهلة بين نجران وحضرموت ، أرضها خصبة منبسطة ، وقد زارها السائح "نيبور" ، ومن مدنها : معين ، ونشق ، وبراقش ، وكمينا ، وقرن وهي العاصمة . وقد حصل "هاليفي" على عدد كبير من الكتابات المعينية ، اكتشفها أثناء سياحته .

وفي القسم الجنوبي من "الجوف" تقع خرائب مدينة "معين" ، وعلى مقربة منها تقع آثار معابد ، وقد حصل المستشرقون من قراءتهم الكتابات المعينية على عدد من أسماء ملوكهم ، غير أنها لم ترد مؤرخة ؛ ولذلك صعب تنظيم هذه الأسماء وترتيبها . ويقول شاعرهم :

ونحمي "الجوف" ما دامت "معين" بأسفله مقابلة "عرادا"

وفي آخر أيامها كانت خاضعة لنفوذ دولة "سبأ" السياسي، ثم تلاشت، وحلت محلها دولة سبأ.

وكان يسكن البحرين في هذه العصور قوم من طسم يقال لهم: بنو هف، وبنو زريق، وبنو مطر. ذكر ذلك ابن جرير في كتابه "القرون الخالية".

ذكر حكومة سبأ

قال ابن خلدون في كتابه "العبر": كان يعرب بن قحطان من أعاظم ملوك العرب، وهو الذي ملك بلاد اليمن، وغلب على الحجاز، وولَّى إخوته على جميع أعماله، فولَّى جرهما على الحجاز، وحضرموت بن قحطان على جبال الشحر، وعمان بن قحطان على عمان. وملَك بعد يعرب ابنه يشجب، وبعده ابنه عبد شمس، وسُمِّي سبأ؛ لأنه أول من سنّ السبي. وبنى مدينة "مأرب"، وكان له عدة أولاد أشهرهم حمير وكهلان.

ولما هلك سبأ ملك ابنه حمير، وكان له من الولد ستة، وهم: وائل ومالك وزيد وعامر وعوف وسعد، فملك بعده ابنه وائل، وتغلب مالك بن حمير على عمان، ولما مات مالك بن حمير ملك عمان ابنه قضاعة، واستبد ماران بن عوف بن حمير -ويعرف بذي رياش- بملك البحرين -يعني الأحساء- وما جاورها، ثم غزاه النعمان بن يعفر بن السكسك، فأسر ذا رياش، وضم البحرين إلى ملكه. وملك بعده ابنه أسمح بن النعمان، ويلقب النعمان بالمعاقر لقوله :

إذا أنت عاقرت الأمور بهمة   بلغت مقام الأكرمين المقاول

وقد تحدث "إسترابون" عن مدينة حول الساحل الشرقي من جزيرة العرب، أسسها مهاجرون كلدانيون من أهل "بابل" في أرض سبخة. وبناؤها من حجارة الملح، وتبعد عن سيف البحر مائتا إسطاديون، كل إسطاديون أربعمائة ذراع، فتكون المسافة بينها وبين البحر ثمانين ألف ذراع.

قلت: هذه المدينة التي أشار إليها "إسترابون" هي مدينة "هجر"؛ لأن الأزهري قدر المساحة بين بحيرة هجر وبين البحر الأخضر عشرة أميال، والميل ستة آلاف، فيكون ما بين البحيرة والبحر ستون ألف ذراع، والبحيرة تقع شرقي هجر؛ فيكون بين هجر والبحر ثمانون ألف ذراع. ويعني بحجارة الملح: الجص الأبيض الناصع، وهو موجود في الأحساء بكثرة، وتبنى به البيوت حتى الآن.

وذكر "إسترابون" أن هذه المدينة كانت من المراكز التجارية الهامة، وسوقاً من الأسواق الكبيرة في بلاد العرب، وملتقى طرق القوافل الواردة من جنوب الجزيرة العربية والواردة من الحجاز، ومن الشام والعراق، وما يرد من تجارة الهند، ثم تعيد تصديرها إلى مختلف الأسواق بطريق القوافل البرية، فهي تستورد وتصدر، وبذلك كثرت ثروتها.

وقول إسترابون : « أسسها كلدانيون مهاجرون من بابل » يشير إلى أن أول من سكنها قوم من الجرامقة من سكنة الموصل ، منهم هجر بنت المكفف التي سميت هجر باسمها . وكانت تسمى قبل ذلك

"مجان"، وما بينها وبين عمان يسمى "ملوخا"، وقد اشتهرت "ملوخا" بالذهب الجيد والخشب الثمين، قال في كتاب "العرب قبل الإسلام": كان الهجريون من كبار الرأسماليين في العرب الشرقية نافسوا السبئيين، وكانوا هم وأهل "سبأ" من أغنى شعوب الجزيرة، وعماد ثروتهم الذهب والفضة، وهذه الثروة العظيمة هي التي حركت الطمع في نفس الملك "أنطوفس" الثالث؛ فجعلته يقود أسطوله في عام خمسين ومائتين قبل الميلاد، فيقطع به نهر دجلة، ثم الشط؛ ليستولي على هذه المدينة الغنية الكانزة للذهب والفضة واللؤلؤ والحجر الكريم.

وتقول الرواية : إن هذه المدينة المسالمة أرسلت رسولاً إلى الملك يحمل رجاءها إليه ألاَّ يحرمها من نعمتين عظيمتين ، أنعم الله بهما عليها : نعمة السلام، ونعمة الحرية ، وهما من أعظم نعم الله على الإنسان ، ودفعوا له هدية كبيرة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، فقبل رجاءهم ، وأبحر إلى "سلوقية".

قلت: هي أرض بقرب "أنطاكية".

هجرة قضاعة وإياد إلى البحرين

قال ابن الأثير في "الكامل" عن ابن الكلبي: لما كثرت الفتن والحروب بين أولاد معدّ في تهامة، خرج مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم ابن أسد بن وبرة بن قضاعة، ومالك بن زهير بن عمرو بن فهم ، والحيقاد بن الحنق بن عمير بن قنص بن معد بن عدنان. ولحق بهم

غطفـان بن عمرو بن الـطمثان بن عـوف، أو عوذ بن مناة بن يـقدم بن أفـصى بن دعـمى بن إياد بن نزار بـن معـد بن عـدنان. واجـتـمـعـوا بالبـحرين، وتعـاقـدوا على التناصـر، وصاروا يداً واحـدة. ولحق بهم بطون من نمارة بن لخم، ثم تطلعت نفوسهم إلى ريف العراق، وطمعوا في أن يغلبـوا الأعـاجم علـى مـا يلي بلاد العـرب من أرض العـراق، فأجـمعـوا على المسيـر إلى أرض العراق، فكان أول من سـار الحيـقاد ومالك وعـمرو ابنا فـهم في جماعـة من قومهـم، وأخلاط من الناس، فوجـدوا الأرمن قد مـلكوا أرض "بابل"، فغلبـوهم عليهـا، وملكوها. وأول من ملك منهم مالك بن فـهم، ثم مات مالك، فملك بـعده أخوه عمرو بن فهم، ثم مات، فملك بعده جذيمة الأبرش. ولما غلب أزدشير ابن بابك عـلى العـراق وفـارس؛ توجـه من أرض "جـور" إلى بلاد "البحـرين"، فحاصر ملكهـا ليلاً، حتى اضطره إلى أن رمى بنفـسه من سور الحـصن؛ فهلك، واستولى على مـدينته، وبنى في البحـرين مدينة "الخط".

قلت: هي مدينة "القطيف". وهذا أول استـيلاء العجم على أرض البحرين.

ذكر مسير عبد القيس إلى الأحساء

قال في شـرح ميميـة ابن المقرب الكبيـر: أن عمرو بن الجعـيد بن الدؤل بن شن بن أفصى بن عبدالقيس سار من تهامة، يقود عبدالقيس، قـاصـداً "هجـر". فاجـتـمـع مـن كـان بهـجـر مــن قضـاعـة وإيـاد

لصدهم، فتعبأت إياد لشن ، وكان رئيسهم سعد السعود الشني، ومعه الأدرم بن نهاد الشني، وتعبأت قضاعة لبقية قبائل عبدالقيس ، فظهرت إياد على شن ، حتى كادت تفنيها، وظهرت بقية عبدالقيس على قضاعة، فانهزموا. فمالت بعد هزمها قضاعة على إياد ، فقتلوهم قتلاً ذريعاً ، وانهزمت إياد ليلاً، ولحقوا بالعراق ، وقُتل في ذلك اليوم سعد السعود الشني، والأدرم بن نهار الشني، وفيهما يَقول الشاعر:

لأي القتيلين النوائح والبكا   لسعد السعود أو لمقتل أدرما

واستوطنت عبدالقيس "الأحساء"، ولما ربطوا خيولهم بكرانيف النخل قال قائل: «عرف النخل أهله»، فذهبت مثلاً.

ومن هذه الحادثة يتبين أن ليس للأكاسرة في بلاد الأحساء حامية قوية ، ترد غارات المعتدين على أهلها، وكان حالهم كحال الأتراك في الأحساء قبل استيلاء جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود ، فقد كانت الأحساء في عهدهم مسرحاً للنهب والقتل والسلب والقلاقل والفتن.

ولما هلك أزدشير بن بابك، قام بالملك بعده ابنه سابور، وكان ملك سابور ثلاثين سنة، ثم ملك بعده ابنه هرمز بن سابور، وكانت مدة ملكه سنة واحدة. ثم ملك بعده ابنه بهرام ، وكانت مدة ملكه ثلاث سنين. ثم ملك بعده ابنه بهرام بن بهرام ، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة. ثم ملك بعده ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام ، وكانت مدة ملكه أربع سنين. ثم ملك بعده نرسى بن بهرام ، وكانت مدة ملكه تسع سنين. ثم ملك بعده هرمز بن نرسى، وكانت مدة ملكه ست سنين. ثم ملك بعده ابنه سابور ابن نرسى المسمى "ذو الأكتاف".

ذكر غزو عبدالقيس بلاد فارس

قال ابن الأثير في تاريخه[1]: مات نرسى وابنه سابور حمل في بطن أمه، ولما وُلد استبشر به أهل فـارس، وبثوا خبره في الآفاق، وسمع الناس أن ملك الفَرس صـغير في المهـد. وكانت العرب أقـرب إلى بلاد فارس؛ فطمعت في مملكتـهم، فسار جمع عظيم من عـبدالقيس وقبائـل البحرين إلى بلاد فـارس، وسواحل أردشيـر خره، وغلبـوا أهلها عـلى مواشيـهم ومعايشـهم، وأكثروا الفساد في أرضهـم، وغلبت إياد على سواد العراق، فمكثوا حيناً لا يغزوهم أحد من الفرس؛ لصغر ملكهم.

ولما بلغ سابـور ست عشرة سنة، وقـوي على حمل السـلاح جمع رؤساء أصحابه، فذكـر لهم ما اختل من أمرهم، وأنه يريد الذود عنهم، فـدعـا له الناس، وسـألوه أن يقـيم في عاصـمـة ملكه، ويوجـه القـواد والجنود؛ ليكفـوه ما يريد، فأبـى، واختار من جنده ألـف رجل، وسألوه الازدياد فلم يفـعل، ثم قطع البحـر إلى "القطيف"، وقتل من وجـد بها من العـرب، ثم توجـه إلى "هجـر"، وبهـا ناس من تمـيم وبكر بن وائل وعبدالقيس، فقتل منهم ناسـاً كثيراً، حتى سالت دماؤهم على الأرض. وأكثر القـتل في عبدالقيس، وقصـد "اليمامة"، وأكثـر في أهلها القتل، وغوَّر مـياه العـرب التي في الطرق، ثم سار إلى بـكر وتغلب فـيما بين مناظر الشام والعـراق، فقتل وسبى وغـوّر مياههم، وكان ينتـزع أكتاف الرجال وهم أحياء، فسُمِّيَ "ذو الأكتاف".

---

(١) ج١ ص ٢٢٨ وما بعدها، الطبعة المنيرية، باختصار وتصرف.

ثم إن ملك الروم سمع بفعله؛ فجمع جموعه، وسار نحو سابور، واجتمعت العرب للانتقام من سابور، ووقعت الحرب بينهم، فانهزم عسكر سابور، وقُتِل منهم مقتلة عظيمة. وبقي في الملك ثلاثين سنة ، ثم مات.

وملك بعده أخوه أردشير بن هرمز، فلما ملك واستقر له الملك عطف على العظماء وذوي الرياسة، فقتل منهم خلقاً كثيراً؛ فخلعه الناس بعد أربع سنين.

وملك بعده سابور بن سابور، ومدة ملكه خمس سنين. ثم ملك بعده أخوه بهرام بن سابور، وثار به ناس من الفتاك، فقتلوه، ومدة ملكه إحدى عشرة سنة. ثم ملك بعده يزدجرد الأثيم، وكانت مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة. وملك بعده ابنه بهرام بن يزدجرد، وكانت ولادته في أيام المنذر بن النعمان، وكانت مدة ملكه ثلاثاً وعشرين سنة. ثم ملك بعده ابنه يزدجرد بن بهرام ثماني عشرة سنة. ثم ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام، وكانت مدة ملكه ستاً وعشرين سنة. ثم ملك بعده ابنه بلاش بن فيروز، وكانت مدة ملكه أربع سنين، ثم ملك بعده قباذ ابن فيروز، ثم ابنه كسرى أنوشروان بن قباذ، الذي وُلِد رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ في عهده، وكان عامله على عمان والبحرين واليمامة والحجاز والطائف المنذر بن النعمان، ويُسمَّى "ملك العرب"، ويولِّي في هذه البلاد عمالاً من قبله.

ذكر قتل تميم بالمشقر في هجر ، ويعرف بيوم الصفقة

قال ابن الأثير: أرسل وهرز -عامل كسرى على اليمن- بأموال وطرف إلى كسرى، فلما كانت بنطاع -من أرض تميم- دعا صعصعة ابن ناجية المجاشعي- جد الفرزدق- بني تميم إلى الوثوب عليها، فأبوا، فقال: كأني ببني بكر بن وائل قد انتهبوها؛ فاستعانوا بها على حربكم. فلما سمعوا ذلك وثبوا عليها، وأخذوها، والتجأ أصحابها إلى هوذة ابن علي الحنفي -وكان عاملاً لكسرى على اليمامة-، فكساهم، وحملهم، وخرج معهم، حتى قدم على كسرى، فأُعْجِب به كسرى، ودعا بعقد من جوهر ودر ، فعُقِدَ على رأسه ؛ ولذلكَ سُمّي هوذة "ذا التاج".

وسأل كسرى هوذة: هل بين قومك وبين تميم سلم؟ قال: ليس بيننا وبينهم إلا الموت . قال : قد أدركتَ ثأرك . وأراد كسرى أن يوجه الجنود إلى هوذة ؛ ليحارب تميماً ؛ فقال له هوذة : إن بلاد العرب قليلة المياه ؛ لا تقوى عليها العجم . وأشار عليه أن يرسل إلى عامله بهجر- وهو إزاد فيروز بن جشيش، الذي سمته العرب "المكعبر". وإنما سُمِّي بذلك ؛ لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل- أن يحتال في قتل بني تميم.

فوجه كسرى رسوله إلى إزاد فيروز بذلك، ودعا هوذة، وجدّد له كرامةً وصلةً، وأمره بالمسير مع رسوله، فأقبل متوجهاً إلى المكعبر. ووصل "هجر" في وقت جذاذ التمر ، وكانت تميم تمتار التمر من

هجـر، فأمر المكعبر منادياً ينادي: «ليَـحْضُرْ مَنْ كان من تميم؛ فإن الملك أمر لهم بميـرة وطعام». فحضـروا، ودخلوا "المشقَّر"، وجـعل يدعوهم عشرة عشـرة ، فيضـرب رقابهم . فلما أحسوا بذلك شـدّ رجـل منهم يقال له : عبيد بن وهب ، فضرب سلسلة الباب ، وخرجوا . وفي ذلك يقول عبيد :

تذكــرت هنداً لات حين تذكــر   تذكـرتهـا ودونـهـا سـيـر أشـهـر
حــجــازيـة علوية حل أهـلهــا   مـصـاب الخـريف بين ذود ومنور
ألا هل أتى قومي على النأي أنني   حميت ذمـاري يوم باب "المشقَّر"
ضربت رتاج الباب بـالسيف ضربة   تفــرج منهــا كل باب مــضـبَّــر

المضبَّر : الموثَّق. وقُتِلَ في ذلك اليـوم قعنب الرياحي - فارس بني يربوع-. واستـوهب هوذة من المكعبر مـائة أسير من تميم؛ فـوهبهم له. وفي ذلك يقول الأعشى يمدح هوذة:

سـائل تميـمـاً به أيام صـفـقـتـهـم   لما أتوه أســـارى كلهم ضـــرعــا
وسط "المشقر"في غـبراء مظلمة   لا يسـتطيعـون بعـد الضر منتـفعـا
فـقال لـلملك: أطلق منهم مـائة   رسلاً من القول محفوظاً وما ارتفعا
فـفك عن مـئـة مـنهم إسـارهم   وأصـبـحوا كلهم مـن قيـده خلعـا
بهم تقرب يوم الـفصح ضاحـية   يرجـو الإله بما أسـدى ومـا صنعـا
فـلا يرون بذاك نعـمـة سـبـقت   إن قـال قـائلها حـقـاً بهـا سمـعـا

ذكر إسلام بني عبدالقيس

هم بنو أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

أهل جواثى في الأحساء

قال شيخ الإسلام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني في "الإصابة" في ترجمة صحار العبدي: روى ابن شاهين من طريق حسين بن محمد قال: حدثني أبي قال: حدثنا جيفر بن الحكم العبدي عن صحار بن العباس، ومرثدة بن مالك في نفر من عبدالقيس، قالوا: كان الأشج -واسمه المنذر بن عايذ- صديقاً لراهب ينزل بدارين، فكان يلقاه في كل عام فلقيه عاماً بالزارة، فقال له: إن نبياً يخرج بمكة، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه علامة، يظهر على الأديان. ثم مات الراهب.

فلما سمع الأشج بمبعث رسول الله ﷺ قبيل هجرته إلى المدينة ، بعث الأشجُّ ابنَ أخت له من بني عصر يقال له : عمرو بن عبدالقيس ، وهو زوج ابنته أمامة ، وبعث معه تمراً ؛ ليبيعه ، وملاحف ، وضم إليه دليلاً يقال له : الأريقط . فأتى مكة عام الهجرة ، فلقي النبي ﷺ ، ورأى العلامات ، فأسلم ، وعلَّمه رسول الله ﷺ سورة الفاتحة ، وسورة اقرأ باسم ربك ، وقال له رسول الله ﷺ: « ادع خالك ». فرجع ، وكتم إسلامه . وجعل يصلي الصلوات مختفياً في بيته ، فقالت بنت الأشج لأبيها : يا أبت ، إني أنكر فعلاً يفعله زوجي منذ قدم من يثرب ؛ إنه ليغسل أطرافه بالماء ، ويستقبل

الكعبة، ويحني ظهره مرة، ويضع جبهته على الأرض مرة أخرى . فانتهرها أبوها، وجاء الأشج إلى عمرو فأخبره، فأسلم الأشج، وكتم إسلامه حيناً.

وفي سنة ست من الهجرة وجَّه رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي ومعه كتاب إلى المنذر بن ساوي حاكم هجر وهذا نص الكتاب(*):

«بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى . فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن من صلى صلاتنا ونسك نسكنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذاك المسلم له ما لنا وعليه ما علينا، له ذمة الله ورسوله. من أحب ذلك من المجوس فهو آمن، ومن أبى فعليه الجزية».

فلما قدم العلاء على المنذر دفع إليه الكتاب، فلما قرأه قال: يا منذر، إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا يصغرن بك عن الآخرة، إن المجوسية شر دين، ليس فيها تكرُّم العرب، ولا علم أهل الكتاب ينكحون من يُسْتحيى من نكاحه، ويأكلون ما يتكرَّه من أكله، يعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة. ولست بعديم رأي، فانظر لمن لا يكذب ألا تصدقه . ولمن لا يخون ألا تأتمنه ، ولمن لا يُخلف ألا تثق

(*) كان إرسال النبي - صلى الله عليه وسلم- العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى حاكم هجر- في السنة الثامنة للهجرة الموافق ٦٢٩م.
انظر: أبو محمد عبدالملك بن هشام، السيرة النبوية، القاهرة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، ج٤، ص ٢٤٣.
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣ ، ص ١٠٢.
أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري ، فتوح البلدان ، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، ص ص ١٠٦ - ١٠٧.

به، فإن كان أحد هكذا فهو هذا النبي الأمي، الذي لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ليت ما نهى عنه أمر به، أو زاد في عفوه، أو نقص من عقوبته، إن كان ذلك منه إلا على أمنية أهل العقل، وفكر أهل البصيرة. فقال المنذر: قد نظرت في هذا الذي بيدي من الملك، فوجدته للدنيا، ونظرت في دينكم، فوجدته للدنيا والآخرة، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت!. فأسلم وحسن إسلامه، وكتب إلى رسول الله ﷺ : «أما بعد : يا رسول الله ، فإني قرأت كتابك على أهل هجر، فمنهم من أحب الإسلام، ودخل فيه، ومنهم من كرهه. وبأرضي مجوس ويهود، فأَحْدِثْ لي- يا رسول الله- في ذلك أمرك».

فكتب إليه رسول الله ﷺ : «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى ، سلام عليك ، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإني أذكرك الله الذي لا إله إلا هو، وأنه من ينصح فلنفسه ، ومن يطع رسلي فقد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح لي . وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً ، وإني قد شفّعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه . وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية ».

وولى العلاء بن الحضرمي على استيفاء الجزية، فاستوفاها من اليهود والمجوس.

ذكر الوفادة الأولى ممن أسلم من بني عبدالقيس على النبي ﷺ

في سنة سبع من الهجرة خرج المنذر بن عايذ -أشج عبدالقيس- في ستة عشر[1] رجلاً من بني عبدالقيس، وهم:

١- عمرو بن المرجوم ٢- وشهاب بن عبد الله من بني عصر ٣- وحارثة بن جابر ٤- وهمام بن ربيعة ٥- وخزيمة بن عبد عمرو.

وهؤلاء من بني عصر بن عوف بن عمرو بن عوف بن جذيمة بن عمرو بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز.

---

(١) ذكر ابن سعد في الطبقات (ج ص ٥٥٧) أن الوفد عشرون رجلاً، رأسهم عبدالله بن عوف الأشج، ثم أورد أسماءهم، فبلغت (٢٥)، وها هي كما أوردها بعد تجريد ما ساقه من أخبارهم.

١- عبدالله بن عوف الأشج
٢- الجارود بشر بن عمرو بن حنش بن المعلي من بني أنمار وأمه من شيبان
٣- صحار بن عباس من بني مرة بن ظفر
٤- سفيان بن خولي من وديعة
٥- محارب بن مزيدة بن مالك بن معاوية
٦- الزارع بن الوازع
٧- أبان العبدي
٨- جابر بن عبدالله العبدي
٩- منقذ بن حيان العبدي ابن أخت الأشج
١٠- عمرو بن المرجوم، واسم المرجوم عبد قيس، من بني عصر
١١- شهاب بن المتروك، واسم المتروك عباد بن عبيد، من بني عصر
١٢- عمرو بن عبد قيس، من بني عامر بن عصر، وهو ابن أخت الأشج
١٣- طريف بن أبان من جديلة ابن أسد بن ربيعة
١٤- عمرو بن شعيث من بني عصر
١٥- جابر بن جابر من بني عصر
١٦- همام بن ربيعة من بني عصر
١٧- خزيمة بن عبد عمرو من بني عصر
١٨- عامر بن عبد قيس أخو عمرو بن عبد قيس، من بني عامر بن عصر، وهو الذي بعثه الأشج؛ ليعلم علم رسول الله ﷺ
١٩- عقبة بن جروة من بني صباح ابن لكيز
٢٠- مطر أخو عقبة من أمه، وهو من عنزة
٢١- سفيان بن همام من بني ظفر ابن محارب من لكيز
٢٢- عمرو بن سفيان بن همام المتقدم ذكره
٢٣- الحارث بن جندب من بني عائش بن عوف بن الديل
٢٤- همام بن معاوية بن شبابة بن عامر ابن حطمة من عبدالقيس.

ومن بني صباح بن لكيز: ٦- عقبة بن جروة ٧- وأخوه لأمه مطر العنبري ٨- ومنقذ بن حبان، وقد مسح النبي ﷺ وجهه.

ومن بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز: ٩- مرثد بن مالك ١٠- وعبيدة بن همام.

ومن بني عابس بن عوف: ١١- الحارث بن جندب.

ومن بني مرة: ١٢- صحار بن العباس العبدي ١٣- وعامر بن الحارث. رضي الله عنهم أجمعين.

وفي صباح الليلة التي قدموا فيها على رسول الله ﷺ كان جالساً في أصحابه، فقال لأصحابه: «ليأتين ركب من قبل المشرق، لم يكرهوا على الإسلام»[*١]، وأخرجه[*٢] البيهقي وأبو يعلى والطبراني بسند جيد عن مزيدة بن مالك قال: بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه قال: «سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق». فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقصد نحوهم، فقال: مَن القوم؟ قالوا: من عبدالقيس. قال: فما أقدمكم هذه البلاد؛ ألتجارة؟ قالوا: لا. أما إن رسول الله ﷺ قد ذكركم آنفاً، فقال خيراً، ومشى معهم حتى أتى النبي ﷺ، فقال للقوم: هذا صاحبكم الذي تريدون، فرموا بأنفسهم عن ركائبهم، فمنهم من مشى إليه، ومنهم من سعى حتى أتوا النبي ﷺ، فابتدروه، وأخذوا يده فقبّلوها. وتخلّف الأشج في الركاب حتى أناخها،

(*١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، القسم الأول: ٣/ ٤١٠.

(*٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ٢٠/ ٣٤٥، رقم الحديث: ٨١٢. وأخرج نحوه أبو يعلى في مسنده، ١٢/ ٢٤٧، رقم الحديث: ٦٨٥٠. والحديث بتمامه وبتخريجه في البيان والتعريف لابن حمزة الحسيني، ٢/ ٢٤١.

وجمع متاع القوم، ثم أخرج ثوبين أبيضين، فلبسهما، ثم أقبل يمشي حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبّلها. وكان رجلاً قصيراً دميماً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ، وكرر النظر فيه ، ففطن لذلك، فقال: يا رسول الله، إنه لا يستقى في مسوك الرجال، إنما يحتاج من الرجل إلى قلبه ولسانه، فقال رسول الله ﷺ: «إن فيك خلتين -يعني خلقين- يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة. قال: يا رسول الله، أتخلّق بهما أم جبلني الله عليهما ؟ قال: بل جبلك الله عليهما. قال: الحمدلله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله».

وفي صحيح البخاري(*) عن حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : « قدم وفد عبدالقيس على رسول الله ﷺ ، فقال: ممن القوم؟ قالوا : من ربيعة . قال : مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى . فقالوا : يا رسول الله، إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في الأشهر الحرم ، فمُرْنا بأمر فصل ؛ نأخذ به ، ونأمر به مَنْ وراءنا. فقال : آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : الإيمان بالله وحده ، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟! شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم. وأنهاكم عن الانتباذ في الدُّبَّاء والحنتم والمزفَّت والنقير».

قلت: كان من عادة العرب شرب النبيذ ، وهو جعل التمر في الماء حتى تمتزج به حلاوة التمر فيشربونه، ويبقى ذلك في إنائه حتى ينفد، فلما حرّم الله على المسلمين شرب الخمر نهاهم الرسول ﷺ عن

(*) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: وفد عبدالقيس، ٤/ ١٥٨٨، رقم الحديث: ٤١١٠.

الانتباذ في الدباء ، وهو قشر القرع ، وفي الحنتم وهو الجرار المطلية بالدهان الأخضر ، وفي الإناء المزفَّت المطلي بالزفت ، وفي المقيَّر المطلي بالقار ، وفي النقير وهو إناء يتخذ من جذع النخلة . لأن هذه الأواني شديدة الحرارة؛ فيسرع تخمر التمر فيها، فنهاهم عن الانتباذ فيها.

وقال لهم: «احفظوها، وادعوا إليهن من وراءكم».

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل [*١] -رحمه الله- أن رسول الله ﷺ دعا لعبدالقيس، فقال: «اللهم اغفر لعبد القيس»، وقال: «يا معشر الأنصار، أكرموا إخوانكم؛ فإنهم أشبه الناس بكم في الإسلام؛ أسلموا طائعين، غير مكرهين، ولا موتورين».

وفي مسند الإمام أحمد[*٢] -أيضاً- أن رسول الله ﷺ قال: «هل عندكم شيء من التمر؟ فقالوا: نعم، يا رسول الله. فأقبل كل واحد منهم بصبرة، فوضعت على نطع، فأومأ بجريدة كانت في يده كان يختصر بها، فقال: أتسمون هذا التعضوض؟ قالوا: نعم. ثم أومأ إلى صبرة، فقال: أتسمون هذا الشهر؟ قالوا: نعم. ثم أومأ إلى صبرة، فقال: أتسمون هذا البرني؟ قالوا: نعم. قال: إنه خير تمركم وأنفعه». وفي رواية[*٣]: «يُذهب الداء ولا داء معه». قال: «فرجعنا من وفادتنا، فأكثرنا من غرسه».

(*١) مسند أحمد، ٤/ ٢٠٦، رقم الحديث: ١٧٨٦٣ .

(*٢) مسند أحمد، ٣/ ٤٣٢، رقم الحديث: ١٥٥٩٧، وفي: ٤/ ٢٠٦، رقم الحديث: ١٧٨٦٥.

(*٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٤/ ٢٢٦، رقم الحديث: ٧٤٥٠. والطبراني في المعجم الأوسط، ٦/ ١٦٦، رقم الحديث : ٦٠٩٢، وفي: ٧/ ٢٤٧، رقم الحديث: ٧٤٠٦. والبيهقي في شعب الإيمان، ٥/ ٨٦، رقم الحديث: ٥٨٧٦. وكلها بلفظ: «ولا داء فيه».

وزاد بعضهم في عداد الوفد : عمرو بن شعيب ، ومزيدة بن مالك. وقيس بن النعمان، والجهم بن قثم، ورستم العبدي، والزراع بن مالك. رضي الله عنهم أجمعين.

ذكر وفادة الجارود العبدي على رسول الله ﷺ

وهي الوفادة الثانية لعبدالقيس في سنة تسع بتقديم التاء .

قال ابن إسحق: قدم الجارود - واسمه المعلى[1] بن عمرو بن حنش العبدي- على رسول الله ﷺ ، وكان نصرانياً، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ورغَّبه فيه، فقال: يا محمد، إني على دين، وإني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله ﷺ : «نعم، أنا ضامن لك أن قد هداك الله إلى دين هو خير منه». فأسلم، وحسن إسلامه، وأسلم أصحابه الذين معه. ثم سأل رسول الله ﷺ الحملانَ، فقال:«والله، ما عندي ما أحملكم عليه» قال: يا رسول الله، فإن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس، أفنتبلغ عليها إلى بلادنا؟ قال: لا، إياك وإياها؛ فإنها حرق النار».

وذكر ابن عبدالبر في "الاستيعاب" أن الجارود أغار في الجاهلية على بني بكر بن وائل، فأصابهم، وجرَّدهم؛ فسُمِّي "الجارود". وقد ذكر ذلك المفضل العبدي بقوله:

جردناهم بالسيف من كل جانب   كما جرَّد الجارود بكر بن وائل

---

(١) سماه ابن سعد: بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى، وهو الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس.

ومن قوله في الإسلام:

شهدت بأن الله حق وأسلمت   بنات فؤادي بالشهادة والنهض

فَأَبْلِغْ رسول الله مني رسالة   بأني حنيف حيث كنت من الأرض

وقُتِل -رضي الله عنه- بأرض فارس سنة إحدى وعشرين، وقبره في عقبة تسمى "عقبة الطير" رضي الله عنه ، وكان سيداً من سادات عبدالقيس. وسيأتي في خبر الردة المقامُ الذي قامَه في عبدالقيس بعد موت الرسول ﷺ ، وتثبيت قومه على الإسلام.

ذكر جباية الخراج من هجر ودفعه إلى رسول الله ﷺ

أقام العلاء بن الحضرمي -رضي الله عنه- في هجر لاستيفاء خراجها، وجعل ديناراً على كل رجل من اليهود والنصارى والمجوس الذين بهجر، فبلغ ما جمع من ذلك مائة وخمسين ألف دينار، فبعث به أبا عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - إلى النبي ﷺ ، ولم ير النبي ﷺ مالاً أكثر منه، لا قبله ولا بعده.

ويستدل من ذلك على كثرة سكان هجر، حيث إن الجزية لا تؤخذ إلا من الرجل البالغ، لا صبي ولا امرأة، فبلغ سكانها من رجال اليهود والنصارى والمجوس فقط دون غيرهم من العرب مائة ألف وخمسين ألفاً.

وفي آخر سنة تسع من الهجرة عزل رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ، وجعل مكانه أبان بن سعيد بن العاص

رضي الله عنه ، وفي مرض رسول الله ﷺ توفي المنذر بن ساوي ، رحمه الله تعالى.

ذكر ما حدث في هجر بعد موت رسول الله ﷺ

لما بلغ أهل البحرين موت رسول الله ﷺ وارتداد العرب ارتدت بنو بكر بن وائل، وكانوا عرب "الضاحية" ببلد البحرين. وأما عبدالقيس فقد جمعهم الجارود، فلما اجتمعوا إليه قام فيهم خطيباً، فقال: أتعلمون لله أنبياء قبل محمد؟ قالوا: نعم. قال: ما فعلوا؟ قال: ماتوا. قال فإن محمداً ﷺ عاش كما عاشوا، ومات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وفي رواية عن الحسن بن أبي الحسن أن الجارود قام في قومه لما بلغه موت رسول الله ﷺ ، فقال : يا قوم ، ألستم تعلمون ما أنا عليه من النصرانية ، وإني لم آتكم قط إلا بخير ، وأن الله بعث نبيه محمداً ﷺ ، ونعى إليه نفسه ، فقال : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(*1)، وقال : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾(*2).

ما شهادتكم -أيها الناس- على موسى؟ قالوا: نشهد أنه رسول الله. قال: فما شهادتكم على عيسى؟ قالوا: نشهد أنه رسول الله. قال:

(*1) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(*2) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

وأنا أشهد أن محمداً رسول الله، عاش كما عاشوا، ومات كما ماتوا(*)، وأتحمل شهادة من لم يشهد. فلم يرتد من عبدالقيس أحد.

وهذا دليل على أن عند عبدالقيس علمًا بالنبوات فلذلك خاطبهم الجارود وحجهم بما عندهم من العلم، فكان العلم أصيلاً في الأحساء من أقدم العصور، وكانت مدينة عبدالقيس "جواثى" لا يسكنها غيرهم من أخلاط الناس، وقد سبق الكلام عليها وعلى مسجدهم الذي بنوه وأقاموا فيه الجمعة، ولم تصل الجمعة في مسجد قبله إلا مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة.

ذكر حصار المرتدين للمسلمين من عبدالقيس بجواثى وإرسال أبي بكر العلاء لنجدتهم

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تاريخه[1]: حدثنا عبيد الله ابن سعيد، قال: أخبرني عمي قال: أخبرنا سيف عن إسماعيل بن مسلم عن عمير بن فلان العبدي قال: لما مات رسول الله ﷺ خرج الحطم بن ضبيعة -أخو بني قيس بن ثعلبة- فيمن تبعه من بكر بن وائل، ومن انضم إليه من كفار البوادي، واستغوى أهل الخط والقطيف ومن فيها من الزط والسيابجة، وأرسل إلى الغرور بن سويد بن المنذر -ابن أخي النعمان بن المنذر، ملك العرب- أن يأتيه بمن معه، وقال له: إن ظفرت ملَّكتُك البحرين، حتى تكون كالنعمان بالحيرة، فجاء حتى نزل بين هجر والقطيف، وبعث إلى مدينة جواثى، فحصروا أهلها، وألحوا عليهم،

(*) ما أشار إليه في قوله : "مات كما ماتوا" لا يدخل فيه عيسى عليه السلام إلا إن كان ذلك ظنه حين كان الجارود نصرانياً .

(١) ج٢ ص ٥٢١ ، مطبعة الاستقامة بمصر، بتصرف واختصار.

وطال الحصار؛ فكتب المسلمون إلى أبي بكر -رضي الله عنه- رسالة يستنجدونه بها، وضمنوها أبياتاً لعبدالله بن حذف(*) أحد بني بكر بن كلاب، وكان من صالحي المسلمين ، وهي هذه:

ألا أبلغ أبا بكر رسولا ... وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام ... قعود في جواثى محصرينا
كأن دماءهم في كل فج ... شعاع الشمس يعشي الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا ... وجدنا النصر للمتوكلينا

قال ابن جرير: وكتب إلى السرى، عن شعيب عن سيف عن الصعب بن عطية بن بلال عن سهم بن منجاب عن منجاب بن راشد، قال: بعث أبو بكر -رضي الله عنه- العلاء بن الحضرمي لقتال المرتدين بالبحرين بجيش من أهل المدينة ، فيهم أبو هريرة رضي الله عنه ، فلما كان العلاء بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال في المسلمين من بني حنيفة، وذلك بعد قتل مسيلمة الكذاب ، ورجوع بني حنيفة إلى الإسلام، ولحق به -أيضاً- قيس بن عاصم المنقري التميمي في من أطاعه من بني تميم، وانضم إليهم بنو عمرو وبنو سعد من تيم والرباب، وكان ذلك في اشتداد القيظ، فسلكوا الدهناء، فلما كانوا في بحبوحتها نزلوا ذات ليلة، فنفرت جميع رواحلهم وعليها أزوادهم وماؤهم، ولم يبق منها بعير واحد، فلحقهم من الهم والغم أمر عظيم، وأيقنوا بالهلكة، ووصى بعضهم بعضاً، فجمعهم العلاء، وقال: ما هذا الذي غلب عليكم من الغم؟ فقالوا: كيف نلام ونحن على غير ماء؟ وإن حميت الشمس علينا غداً هلكنا. قال: لن تراعوا؛

(*) في المعجم الكبير للطبراني: عبدالله بن حدق.

أنتم المسلمون ، وفي سبيل الله وأنصار الله ؛ فأبشروا ، فوالله ، لن تخذلوا. فلما صلى الصبح دعا العلاء، وأمّنوا، فلمع لهم الماء، فشربوا، واغتسلوا. فما تعالى النهار، حتى أقبلت الإبل تجمع من كل ناحية ، وأناخت إليهم ، وسقوها ، فلما ساروا عن ذلك المكان قال أبو هريرة -رضي الله عنه - لمنجاب بن راشد : إني ملأت أدواتي فنسيتها، فهل لك علم بالموضع الذي وجدنا فيه الماء؟ قال: نعم ، فقال له: كن معي حتى تقيمني عليه، قال أبو هريرة - رضي الله عنه -: فرجعنا إلى ذلك المكان، فلم نجد إلا أثر الغدير. قال أبو هريرة لمنجاب: إني ملأت أدواتي ، وتركتها عمداً ؛ لأرجع إليها لأعلم هل كان هذا الغدير غوثاً ومَنًّا من الله علينا، فإذا هو غوث ومنٌّ من الله، فالحمدلله.

فساروا حتى وصلوا جواثى، وأرسل العلاء إلى الجارود أن يخرج بعبدالقيس، فيكونوا تجاه الحطم بن ضبيعة، وسار العلاء بمن معه، فكانوا تجاه الحطم في الجهة الغربية مما يلي هجر، وخندق المسلمون على عسكرهم خشية البيات، وفعل المشركون مثل ذلك، وكانوا يتراوحون القتال، ويرجعون إلى خنادقهم، وبقوا على ذلك شهراً. فبينما هم كذلك سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء، فقال العلاء: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال عبدالله بن حذف الكلابي: أنا. فخرج حتى دنا من خندقهم، فأخذه الحرس، وكانت أمه من بني عجل، فجعل ينادي باسم أبجر بن بجير العجلي أحد أخواله ، وكان في عسكر المشركين ، فجاء أبجر بن بجير ، فخلَّصه ، فقال له : والله ، إني لأظنك بئس ابن أخت القوم الليلة ، فقال : دعني من هذا ،

وأطعـمني؛ فقـد هلكت جوعـاً. فقـرب له طعامـاً، فأكل، ثم قـال له: زوِّدني، واحـملني، فـحمله على بـعيـر، وزوَّده، وأخرجـه من عـسكر المشركـين، فدخل عسكر المـسلمين، فأخبـرهم أن قد نزلت بالمـشركين قافلة تحمل خمراً، فشربوا، وسكروا، فـحمل عليهم المسلمون ، ووضعوا فيـهم السيـوف حيث شـاؤوا ، وانهزم المشركـون ، ووثب الحطم وهو سكران ، فوضع رجله في ركاب فرسه ، وجعل يقول : من يحملني ؟ فسمعه عبدالله بن حذف ، فعرفه ، فقال له: أبا ضبيعة ؟ قال : نعم . قال: أنا أحملك. فلما دنا منه ضربه حـتى قتله. وقُطِعَتْ رجل أبجر العجلي؛ فمات منها ، وكان يقـول : قاتلك الله، يا بن حذف . وقُتل تلك الليلة مسمع بن سنان أبو المسامعة ، وطفقت بكر بن وائل تنادي: أتاكم مفروق ابن عمرو في جماعة بكر بن وائل، فقال ابن حذف:

لا توعـدونا بمفـروق وأسـرته ... من يأتـنا يلق فـينا سنـة الحطم
النخل بـاطنهـا خـيـل وظاهرها ... خيـل تكدس في البنيان كـالنعم
وإن ذا الحي من بكر وإن كـثروا ... لأمـــة داخلـون النـار في أمم

واستولى المسلمون على عسكرهم ومعداتهم.

ولـما أصبح العـلاء قسّم الفـيء ، ونفل أهل البـلاء ، ثم سار إلى مدينة هجـر ، وتقع في الشمال الغـربي عن محل الوقعـة ، وموضعـها قريـب مـن قـرية "البطالية" مـجاورة لعين "الجـوهـرية" ، فحصـرها ، وضيـق عليها الحصـار ، فلما طال عليهم الحصار طلبوا مـن العلاء أن يصالحهم ، وتم الصلح على أن يكون للمسلمين ثلث الأموال التي في

المدينة ، وما كان خارج المدينة فهو للمسلمين. وعزل العلاء الخمس، وأرسله إلى أبي بكر رضي الله عنه ، وقسم الأربعة الأخماس على المسلمين، فكان سهم الفارس ستة آلاف، وسهم الراجل ألفين. وكان عدد من في الجيش من المهاجرين والأنصار ثلاثمائة وستين رجلاً، وكان ذلك في آخر سنة اثنتي عشرة من الهجرة.

ذكر فتح دارين

تقدم الكلام على مدينة "دارين". ولما فرغ العلاء -رضي الله عنه- من فتح "هجر" توجه إلى "دارين" وهي مدينة تجارية بينها وبين البر خليج يمتلئ إذا مد البحر، حتى تجري فيه السفن، وإذا جزر البحر تمشي فيه الركبان ، فوافى العلاء -رضي الله عنه- الخليج في وقت المد لا يمكن تجاوزه إلا بالسفن ، فأراد عبوره فلم يجد سفناً ، وخشي أن يفر أهل دارين في السفن إذا شعروا به، فدعا بهذا الدعاء:

«يا أرحم الراحمين، يا كريم يا حليم، يا صمد يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت، يا ربنا».

فجزر البحر، وانسحب الماء، حتى جازه العلاء بجيشه، فالتقوا هم والمشركون، واقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم المشركون، وأكْثَرَ فيهم المسلمون القتلَ، فما تركوا بها مخبراً، وغنموا البلاد وما فيها. قال ابن جرير -رحمه الله- : بلغ سهم الفارس ستة آلاف والراجل ألفين.

وكان مع المسلمين راهب من أهل "هجر"، فأسلم، فقيل له : ما حملك على الإسلام؟ قال : ثلاثة أشياء خشيت أن يمسخني الله بعدها : فيض في الرمال ، وتمهيد أثباج البحر ، ودعاء سمعته في

عسكرهم في الهواء سحراً: «اللهم، أنت الملك الرحمن الرحيم، لا إله غيرك، والبديع فليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، الحي الذي لا يموت، خالق ما يرى وما لا يُرى، وكل يوم وأنت في شأن، علمت كل شيء بغير تعلُّم». فعلمت أنهم لم يُعانوا بالملائكة إلا وهم على حق.

وقال عفيف بن المنذر:

ألم تر أن الله ذلل بحره   وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعونا الذي شق البحار فجاءنا   بأعجب من فلق البحار الأوائل

ذكر فتح مدينة الزارة

مدينة "الزارة"إحدى مدن الخط الساحلية، ولا يعرف مكانها بالضبط[1]. وفيها عين غزيرة مشهورة، تسمى "عين الزارة"، ولما فتح المسلمون "هجر" فرّ عامل كسرى في "هجر" المسمى المكعبر، وتحصن في "الزارة"، وانضم إليه من كره الإقامة بهجر من مجوس هجر والقطيف، وامتنعوا من أداء الجزية، فحاصر العلاء مدينة "الزارة" مدة طويلة.

وتوفي أبو بكر -رضي الله عنه- لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، والعلاء محاصر "الزارة". روي أن المكعبر طلب من يبارزه، فبرز له البراء بن مالك -أخو أنس بن مالك الأنصاري النجاري، رضي الله عنه- وكان من الشجعان الأشداء، روى ابن عبدالبر في "الاستيعاب" أنه قتل مائة رجل من

---

(١) تقع بقرب قرية "العوامية"، ومحلها الآن يعرف بـ "الرمادة".

الكفار مبارزة، سوى ما قتل في غير المبارزة، ونهى النبي ﷺ أن يؤمّر على جيش؛ لأنه يقتحم بهم المهالك. ولما برز البراء للمكعبر تجاولا ساعة، وقتل البراءُ المكعبرَ، وفتح المسلمون المدينة.

وكان العلاء - رضي الله عنه - أميراً على تلك المنطقة، حتى عزله عمر - رضي الله عنه - لما غزا بأهل البحرين بلاد فارس بغير إذنه . وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله .

وروى ابن كثير في "النهاية" أن أبا بكر -رضي الله عنه- بعث المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- إلى البحرين. ولم يبين الغرض الذي بُعِثَ لأجله، ولعله لجمع الخراج.

ذكر عزل العلاء بأمر عمر بن الخطاب وسبب ذلك

تولى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه ، والعلاء -رضي الله عنه- أمير على البحرين، وذكر الكلاعي في كتابه "الاكتفاء" أن العلاء -رضي اللـه عنه- ندب عبدالقيس إلى غزو فارس، فاجتمعوا على ثلاثة أمراء: الجارود بن عمرو، وهمام بن سوار، وخليد بن المنذر. وعبروا البحر إلى "إصطخْر" ، فنذر بهم أهل فارس ، واجتمعوا من كل ناحية وقائدهم الهربذ ، وكان ذلك بغير مشورة عمر رضي الله عنه ، وحالَ الكفار بين المسلمين وبين سفنهم، وأخذوا عليهم مجامع الطرق ومسالكها، فقام خليد بن المنذر، فقال: إن الله إذا قضى لأحد أمراً جرت به بين المقادير حتى يصيبه، فاستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على

الخاشعين. فأجابوه، ثم صلوا الظهر، ثم تنادوا للقتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً في محل يسمى "عقبة الطاووس"، وجعل همام بن سوار يحض الناس على القتال، حتى قُتل رحمه الله تعالى، فقام مقامه ابنه عبدالله، وقُتلَ الجارود، فقام مقامه ابنه المنذر، وجعل خليد يقول: انزلوا، قاتلوا القوم. فأجابوه، وقتلوا أهل فارس مقتلة عظيمة لم يُقْتَلوا قبلها مثلها. وفي ذلك يقول خليد بن المنذر:

بـ"طاووس" ناهبنا الملوك وخيلنا عشية "شهراك" علون الرواسيا
أطاحت جموع الفرس من رأس حالق تراهم لموار السحاب مناغيا
فلا يبعدن الله قوما تتابعوا فقد خضبوا يوم اللقاء العواليا

وغرَّق العدو سفن المسلمين، فتوجه المسلمون يريدون البصرة من طريق البر، فوجدوا "شهرك" قد سد عليهم طريق البر، فعسكروا، وامتنعوا بسيوفهم، وكتبوا إلى عمر -رضي الله عنه- يستمدونه، فكتب عمر إلى عتبة بن غزوان -رضي الله عنه وهو أمير البصرة- أن يمدهم، فندب الناس، وأخبرهم بكتاب عمر رضي الله عنه، فانتدب عاصم بن هرثمة، وحذيفة بن محصن، ومجزأة بن ثور، والأحنف بن قيس، وصعصعة بن معاوية، وآخرون من رؤساء المسلمين وفرسانهم، وبلغ عددهم اثني عشر ألفاً، وأميرهم أبو رهم أحد بني مالك بن الحليس، من بني عامر بن لؤي، فسار أبو رهم بالناس، وساحل حتى لا يلقاه أحد، حتى التقى بخليد بن المنذر وأصحابه، وكان أهل "إصطخر" قد استصرخوا عليهم أهل فارس، فأتوهم من كل ناحية وكورة. فالتحم القتال بين المسلمين وأهل

فارس، ففتح الله على المسلمين، وقتلوا المشركين، وأصاب المسلمون منهم ما شاؤوا، ولما فرغ أبو رهم رجع بأصحابه إلى البصرة، ورجع عبدالقيس إلى بلادهم، فوجد عمر -رضي الله عنه- على العلاء؛ حيث غزا بغير إذنه، فعزله عن البحرين، وأمره بالتوجه إلى البصرة، فتوجه إليها، ومرض في الطريق، ومات بموضع يُسمى "العدان"، ودُفن هناك رضي الله عنه ، وذلك سنة أربع عشرة من الهجرة، بعد خلافة عمر -رضي الله عنه- بسنة واحدة.

وولَّى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي، ثم عزله، وولَّى قدامة ابن مظعون، وولَّى أبا هريرة -رضي الله عنه- الصلاة والخراج، وذكر ابن كثير -رحمه الله- في "البداية" قال: حدثنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين أن عمر -رضي الله عنه- استعمل أبا هريرة -رضي الله عنه- على البحرين، فقدم بعشرة آلاف، فقال عمر: أستأثرت بها، فمن أين هي لك ؟ قال: خيل نتجت ، وغلة ورقيق لي، وأعطية تتابعت. فنظروا ، فوجدوه كما قال رضي الله عنهم أجمعين ، فلما ظهر صدقه طلبه عمر؛ ليستعمله، فأبى أن يعمل له، فقال: تكره العمل وقد طلبه من هو خير منك. قال: من هو؟ قال: يوسف بن يعقوب. فقال: إن يوسف نبي الله ابن يعقوب نبي الله ، وأنا أبو هريرة بن أميمة ، فأخشى ثلاثاً واثنتين. فقال عمر: أفلا قلت خمساً! فما هن؟ قال: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حلم ، وأن يضرب ظهري، ويشتم عرضي، وينزع مالي.

ثم عزل عمر -رضي الله عنه - قدامة بن مظعون، وولى عثمان

ابن أبي العاص مـرة ثانيـة ، وأضاف إليه عُمـان ، وتوجـه عـثمـان بن أبي العاص لغزو فارس، وأقام أخاه المغيرة مكانه، وقيل: أخاه الحكم.

وذكر البلاذري أن عثمان بن أبي العاص أرسـل جيشاً من عبدالقيس إلى "نانه" بنونين بينهـما ألف ، وهي بلدة قـريبة من "بومـباي" في بلاد الهند ، فلما رجع الجيش كتب بذلك إلى عـمر رضي الله عنه ، فعتب عليـه ؛ لأنه لا يريد أن يكلف جيـشه الغـزو في محل لا تصل إليـه منه أخبارهم .

وتتـابعت غارات عـبدالقـيس على شـواطئ بحر الهند، وفـتحـوا جزيرة "سيلان"، وتسمى "بلاد الياقوت" لحسن نسائها.

وذكـر ابن عـبـد ربـه في "العـقـد الفـريد": «قـال الـربيع بن زياد الحـارثي: كنت عامـلاً لأبي موسى الأشـعـري -رضي الله عنه- على البحـرين، فكتب إليه عمـر - رضي الله عنه - يأمره بالقـدوم عليه هو وعماله ، وأن يـستخلفوا من هو من ثقـاتهم حتى يرجعوا، فلمـا قدمنا أتيتُ يرفأ حـاجـب عمـر ، فـقلت : يـا يرفأ ، ابن سـبيل مسـترشـد ، أخبرني أي الهيئات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى عماله فيها ؟ فأومأ إلى الخشونة ؛ فـأخذت خفين مطارقين ، ولبست جـبة صوف ، ولثت رأسـي بعمامة دكنـاء ، ثم دخلنـا عـلى عمـر رضي الله عنـه ، فصفَّنا بين يديـه ، وصعّد فـينا نظره ، وصوّبه ، فلم تأخذ عينـه أحـداً غيري ، فدعـاني ، فـقال: من أنت؟ قلت : الربيع بن زياد الحـارثي . قـال: وما تتـولى من عملنا؟ قلت: الـبحـرين. قال: فكم ترزق؟ قلت: خـمسـة دراهم في كل يوم. قـال: كثـيـر، فمـا تصنع بها؟ قلت: أتقـوت منـها شـيئاً، وأعود بباقيهـا على أقارب لي، وما فضل فعلى فقراء المسلمين.

فقال : لا بأس ، ارجع إلى موضعك . فرجعت إلى موضعي من الصف . ثم صعَّد فينا نظره ، وصوّب ، فلم تقع عينه إلا عليَّ فدعاني ، فقال : كم سنوك ؟ فقلت : ثلاث وأربعون سنة ، قال : الآن حين استحكمت ؟ ثم دعا بالطعام ، وأصحابي حديثو عهد بلين العيش، وقد تجوعت، فأتى بخبز يابس، وقطع من لحم بعير، فجعل أصحابي يعافون ذلك، وجعلت آكل، وأجيد الأكل، فنظرت فإذا هو يلحظني من بينهم. ثم سبقت مني كلمة تمنيت أن سِخْت في الأرض ولم ألفظ بها، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الناس مَحتاجون إلى صلاحك، فلو عمدت إلى طعام ألين من هذا. فزجرني، وقال: كيف قلت؟ قلت: أقول لو نظرتَ - يا أمير المؤمنين - إلى قوتك من الطحين، فيخبز لك قبل إرادتك إياه بقليل، ويطبخ اللحم كذلك، فتأتي بالخبز ليناً، وباللحم غريضاً. فسكن ذلك من غربه، وقال: هذا قصدت؟ قلت. نعم. قال: يا ربيع، إنا لو شئنا لملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب، ولكني رأيت الله -تعالى- نعى على قوم شهواتهم ، فقال : ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾(*) . ثم أمر أبا موسى أن يقرني، ويستبدل بأصحابي». قوله: صلائق: هي تعمل من اللحم، منها ما يطبخ، ومنها ما يشوى. والسبائك: الخبز الرقاق. والصناب: طعام يصنع من الزبيب والخردل.

وتوفي عمر -رضي الله عنه- لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وعامله على البحرين وما والاها عثمان ابن أبي العاص الثقفي، رضي الله عنهم أجمعين.

(*) سورة الأحقاف، الآية: ٢٠.

ذكر عُمَّال الخليفة الثالث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - على البحرين

بويع عثمان -رضي الله عنه- في غرة محرم سنة أربع وعشرين، وعثمان بن أبي العاص الثقفي أمير على البحرين وعمان، فأقره على عمله.

وكان عثمان بن أبي العاص قد فتح "إصطخر" في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولما مات عمر واستخلف عثمان - رضي الله عنه - خرج شهرك ملك إصطخر عن الطاعة ، وشجع أهل فارس على نقض الصلح والخروج، فبعث عثمان -رضي الله عنه- عثمان بن أبي العاص لقتالهم، وأتته الأمداد من البصرة، وأميرهم عبيدالله بن معمر، وشبل بن معبد، فالتقوا بأرض فارس، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل شهرك وابنه، وخلق عظيم من الفرس، والذي قتل شهركَ الحكمُ بن أبي العاص أخو عثمان بن أبي العاص ، وقيل : قتله سوار بن همام العبدي.

وحصر المسلمون مدينة "نيسابور"، فصالح عليها ملكها أرزنبان، ثم بلغ عبيد الله بن معمر أن أرزنبان يريد الغدر به واغتياله، فدعاه عبيد الله، وقال: له أحب أن تتخذ لي ولأصحابي طعاماً، وتذبح بقرة تجعل عظامها معها في الجفنة التي تليني؛ فإني أحب أن أتمشش العظام. ففعل أرزنبان ما أمره به، وجعل عبيدالله يأخذ العظم الذي لا يكسر إلا بالفؤوس، فيكسره بيده، ويأخذ مخه، وكان من أشد الناس، ففطن أرزنبان أن عبيد الله قد علم بنيته، ويحب أن يريه من قوته

وبأسه، فأخذ برجله، وقال: هذا مقام العائذ بك. وأعطاه عهداً على الوفاء، ومات عبيد الله في تلك الغزوة، أصابته منجنيق، فمات منها .

لطيفة:

ذكر الإمام جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي -رحمه الله- في كتابه "ذم الهوى" عن الرياشي، أن بعض أهل البصرة اشترى صبية، فأحسن تأديبها وتعليمها، وأحبها حباً شديداً، وأنفق جميع ما معه من المال في الاستمتاع معها، حتى أملق، ومسهما الضر، واشتدت بهما الفاقة، فقالت له: إنني ليحزنني ما أصابك، وليس عندك من الدنيا ما تبيعه وتتبلغ به، فلو بعتني واستعنت بثمني، فلعل الله ينقذك به من هذه الضائقة. فلم ير بداً من ذلك، فحملها إلى السوق، فعرضت على عبيد الله بن معمر - وهو أمير البصرة يومئذ- فأعجبته؛ فاشتراها بمائة ألف درهم، فلما قبض سيدها المال، وأراد الانصراف عنها أخذ كل منهما بيد الآخر، وجعلا يبكيان، ثم أنشأت الجارية تقول :

هنيئاً لك المال الذي قد حويته ... ولم يبق في كفيّ غير التفكرِ
أروح بهمٍّ من فراقك موجع ... أناجي به قلباً قليل التصبرِ

فأجابها الفتى بقوله :

أقول لنفسي وهي في كرب غشيته ... أقلي فقد بان الحبيب أو اكثري
إذا لم يكن للأمر عندك حيلة ... ولم تجدي بداً من الصبر فاصبري
ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن ... يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري
عليك سلام لا زيارة بيننا ... ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر: قد شئت، فخذها ولك المال، وانصرِفا راشدَين، فوالله لا أفرق بين حبيبين.

وفتح عثمان بن أبي العاص "الكازرون" و"شيراز"، ثم قصد مدينة "جنابة"، ففتحها، ولقيه جمع من الفرس، فهزمهم.

وقتُل عثمان -رضي الله- عنه يوم الجمعة، لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وبويع علي رضي الله عنه. وقيل: قُتِلَ عثمان سنة ست وثلاثين.

ذكر عُمَّال علي - رضي الله عنه - على البحرين

ذكر ابن الأثير في تاريخه أن عليا -رضي الله عنه- ولَّى عمرو ابن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ، على البحرين، ثم عزله، وولى بعده النعمان بن العجلان الزرقي الأنصاري.

وفي سنة تسع وثلاثين استأذن الحارثُ بن مرة العبدي عليّاً بن أبي طالب -رضي الله عنه- في غزو الهند متطوعاً، فأذن له، فظفر، وأصاب مغنماً وسبيا.

وقُتِلَ علي -رضي الله عنه- لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربعين.

ذكر عُمَّال معاوية بن أبي سفيان

لما تم الأمر لمعاوية -رضي الله عنه- واجتمع عليه الناس، وأمَّر الأمراء في البلاد، جعل على البحرين الأحوص بن عبد بن أمية.

وفي ذلك العهد غزا عبدالله بن سوار العبدي الهجري ثغر الهند، وغزا "القيقان"، فأصاب مغنماً، ووفد على معاوية، وأهدى له فيَلة قيقانية، وكان عبدالله هذا سخياً شريفاً، لا توقد مع ناره نار في جميع العسكر.

وتوفي معاوية -رضي الله عنه- غرة رجب سنة تسع وخمسين، وكان معاوية قد أخذ البيعة لابنه يزيد قبل موته، ولم يرض المسلمون بها لوجود من هو أفضل من يزيد، فكثر الخارجون عليه، واضطرب أمر المسلمين، وانحل نظام الخلافة، وجرت حوادث في عهد يزيد سوّدت وجه تاريخه، وأوهنت عضد الإسلام، أفظعها قتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، ووقعة الحرة ، واستباحة مدينة رسول الله ﷺ.
وتوفي لمضي أربعة عشر من ربيع الأول سنة أربع وستين.

ذكر خروج نجدة بن عامر الحنفي(١)

هو نجدة بن عامر بن عبدالله بن سيار بن المطرح الحنفي، كان من أصحاب نافع بن الأزرق، ففارقه لإحداثه في مذهبه، وسار إلى "اليمامة"، فمضى إلى "الخضارم"(٢)، فنهبها، وكان فيها جماعة من مماليك معاوية -رضي الله عنه -، يبلغ عددهم هم وأولادهم أربعة آلاف؛ فغنم ذلك، وقسّمه في أصحابه، وذلك سنة خمس وستين، فكثر جمعه.

ثم إن عيراً خرجت من "البحرين"، وقيل: من البصرة، تحمل مالاً وغيره، يراد بها ابن الزبير، فاعترضها نجدة، فأخذها.

ثم سار في جمع إلى بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فلقيهم بـ"ذي المجاز"(٣)، فهزمهم ، وقتلهم قتلاً ذريعاً.

---

(١) عن تاريخ ابن الأثير، ج٣، ص ٣٥٢، بتصرف.

(٢) الخضارم: هي - كما يفهم من كلام الهمداني في "صفة جزيرة العرب" - أسفل وادي الخرج، وتشمل قرية اليمامة وما شرقها حتى روضة البجادية، وهي غير الخضرمة البئر المعروفة الآن بقرب قرية "منفوحة"، والخضارم من منازل بني عدي بن حنيفة.

(٣) لعل الصواب: بالمجازة؛ إذ هي من منازلهم، وهي في أسفل حوطة بني تميم، "وأما ذو المجاز" فهو الوادي الواقع في شمال عرفة، وسيله يفضي إليها، وهو بعيد عن بلاد بني كعب بن ربيعة.

ورجع نجدة إلى "اليمامة"، ثم سار إلى "البحرين" سنة سبع وستين، وفيها عبدالقيس وقوم من الأزد، فقالت الأزد: نجدة أحب إلينا من ولاتنا؛ لأنه ينكر الجور. وانخدعوا بظاهر أمره، فعزموا على مسالمته، واجتمعت عبدالقيس ومن بالبحرين غير الأزد على محاربته، فقال بعض الأزد: نجدة أقرب إليكم منا؛ لأنه من ربيعة، فأنتم من ربيعة فلا تحاربوه. فقال بنو عبدالقيس: لا ندع نجدة يتولى أمرنا وهو حروري مارق. فالتقوا بـ"القطيف"، فانهزمت عبدالقيس، وقُتل منهم جمع كثير، وسبى نجدة ما قدر عليه من أهل القطيف، فقال الشاعر:

نصحت لعبدالقيس يوم قطيفها وما نَفْعُ نصح قيل لا يُتقَبَّلُ!

وأقام نجدة بالقطيف، وأرسل ابنه المطرّح في آثار المنهزمين من عبد القيس، فقاتلوه بـ"الثوير"، فقُتلَ المطرح بن نجدة وجماعة من أصحابه. ثم توجه نجدة إلى "البحرين"، وأقام بها.

فلما استولى مصعب بن الزبير على البصرة سنة تسع وستين، بعث عبد الله بن عمير الليثي الأعور في أربعة عشر ألفاً لقتال نجدة، فقدم ونجدة بالقطيف، فأتى ابنُ عمير ونجدة غافل لم يعلم بخبره، فقاتلهم طويلاً، وافترقوا. وأصبح ابن عمير فهاله ما رأى في عسكره من القتلى والجرحى. ثم حمل عليهم نجدة فلم يلبثوا أن انهزموا، فلم يبق عليهم نجدة، وغنم ما في عسكرهم، وأصاب جواريَ، منهن جارية لابن عمير، فعرض عليها أن يرسلها إلى مولاها، فقالت: لا حاجة لي إلى من فرَّ عني، وتركني.

وبعث نجدة بعد هزيمة ابن عمير جيشاً إلى "عُمان"، واستعمل عليهم

عطية بن الأسود الحنفي، وعمان حينذاك في يد عباد بن عبدالله وهو شيخ كبير، وابناه سعيد وسليمان يعشران السفن، ويجبيان البلاد، فلما أتاهما عطية قاتلوه، فقتل عباداً، وأقام بها أشهراً، ثم خرج منها، واستخلف رجلاً يكنى أبا القاسم، فثار عليه سعيد وسليمان وأهل عمان، فقتلوه.

ثم سار نجدة إلى البوادي لأخذ الصدقة منهم، فقاتله بنو تميم بـ"كاظمة"، ثم سار إلى "صنعاء" فيمن خف من الجيش، وظن أهل "صنعاء" أن وراءه جيشاً كثيفاً، فبايعوه، فلما عرفوا أمره ندموا، وجبى الصدقة من مخاليفها، وبعث أبا فديك إلى "حضرموت"، فجبى صدقات أهلها.

وحج سنة تسع وستين وهو في ثمانمائة وستين رجلاً، وقيل: في ألفي رجل، وصالَحَ ابن الزبير على أن يصلي كلٌّ بأصحابه، ويقف بهم، ويكفَّ بعضهم عن بعض.

فلما صدر نجدة من الحج توجه إلى "المدينة"، فتأهب أهلها لقتاله، وتقلد عبدالله بن عمر سيفاً، فلما علم نجدة أن عبدالله بن عمر لبس السلاح رجع إلى "الطائف"، فأتاه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي، فصالحه على قومه، ولم يدخل "الطائف"، واستعمل نجدة الحاروق على "الطائف" و"تبالة" و"السراة"، واستعمل سعد الطلائع على "نجران".

ورجع نجدة إلى " البحرين" فقطع الميرة عن أهل الحرمين من البحرين واليمامة ، فكتب إليه ابن عباس -رضي الله عنهما- أن ثمامة بن أثال -رضي الله عنه - قطع الميرة عن أهل مكة وهم مشركون، فكتب إليه رسول الله ﷺ : «إن أهل مكة أهل الله وأهل حرمه؛ فلا تمنعهم الميرة» فجعلها لهم، وأنت قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون، فجعلها نجدة لهم، ولم يزل عمال نجدة على النواحي حتى اختلف عليه أصحابه.

ذكر الاختلاف على نجدة وقتله وولاية أبي فديك[1]

ثم إن أصحاب نجدة اختلفوا عليه لأشياء نقموها عليه، فمنها أن أبا سنان بن حيان بن وائل أشار على نجدة بقتل من أجابه تقية، فشتمه نجدة؛ فهم بالفتك به، فقال له نجدة: هل كلف الله أحداً علم الغيب؟ قال: لا.قال: إنما علينا أن نحكم بالظاهر. فرجع أبو سنان إلى "نجد". ومنها أن عطية بن الأسود نقم عليه أشياء ؛ ففارقه ، ورحل إلى "عمان"، وخالف عليه عامة من معه ، فانحازوا عنه ، وولوا أمرهم أبا فديك عبدالله بن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة ، واستخفى نجدة ، فأرسل أبو فديك في طلبه جماعة من أصحابه ، وقال: إن ظفرتم به فجيئوني به. وقيل لأبي فديك: إن لم تقتل نجدة تفرق عنك أصحابك. فألح في طلبه، وكان نجدة قد اختفى في قرية من قرى هجر، وكان عند القوم الذين اختفى عندهم جارية يخالف إليها راعٍ لهم، فأخذت الجارية من طيب كان عند نجدة، فسألها الراعي عن أمر الطيب، فأخبرته، فأخبر الراعي أصحاب أبي فديك، فطلبوه، فنذر بهم، فأتى أخواله بني تميم، فاستخفى عندهم، ثم أراد المسير إلى عبدالملك بن مروان، فأتى بيته؛ ليعهد إلى زوجته، فعلم به أصحاب أبي فديك، وقصدوه، فسبق إليه رجل منهم، فأخبره، فخرج عليهم وبيده السيف، فنزل الذي أخبره من أصحاب أبي فديك عن فرسه، وقال: اركب فرسي؛ فإنه لا يدرك، فلعلك تنجو. فقال: والله ما أحب البقاء، ولقد تعرضت للشهادة في مواطن كثيرة، وهذا أحسنها. وغشيه أصحاب أبي فديك، فقتلوه، وذلك في سنة اثنتين وسبعين من الهجرة.

---

(١) عن تاريخ ابن جرير، ج٣، ص ٣٥٣، بتصرف.

وكان نجدة شجاعاً كريماً، وهو القائل:

إذا جرّ مولانا علينا جريرة صبرنا لها إن الكرام الدعائم

ولما قُتِلَ نجدة سَخِطَ قَتْلَه قومٌ من أصحاب أبي فديك؛ ففارقوه، وثار به مسلم بن جبير، فضربه اثنتي عشرة ضربة بسكين؛ فقُتِل مسلم، وحمل أبو فديك إلى بيته، فشفي منها.

ذِكْر بعْث عبدالملك بن مروان الجيش لقتال أبي فديك

قال ابن الأثير[1] -رحمه الله-: في سنة ثلاث وسبعين أمر عبدالُملك بن مروان عمرَ بن عبيد الله بن معمر، أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة إلى قتال أبي فديك، فندبهم، فانتدب معه عشرة آلاف، فأخرج لهم أرزاقهم، ثم سار بهم، وجعل أهل الكوفة أهل الميمنة، وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، وأهل البصرة أهل الميسرة، وعليهم عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر، وجعل خيله في القلب، وساروا حتى انتهوا إلى البحرين، فالتقوا، واصطفوا للقتال، فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد، فكشفوا ميسرة عمر، حتى أبعدوا، إلا المغيرة بن المهلب ومجَّاعة بن عبدالرحمن وفرسان الناس، فإنهم مالوا إلى صف أهل الكوفة بالميمنة، وجُرِح عمر بن موسى. فلما رأى أهل الميسرة أهل الميمنة لم ينهزموا رجعوا، وقاتلوا وما عليهم أمير؛ لأن أميرهم كان جريحاً، فحملوه معهم، واشتد قتالهم، حتى دخلوا عسكر الخوارج، وحمل أهل الميمنة ومن معهم من أهل المسيرة حتى استباحوا عسكرهم،

---

(١) ابن الأثير، ج٤، ص ٢٨.

وقتلوا أبا فديك بالمعركة، وانهزم أصحابه، وتحصنوا بـ"المشقَّر"، فحصروهم فيه ، حتى نزلوا على الحكم ، فقُتل منهم نحو ستة آلاف، وأسروا ثمانمائة ، ووجدوا جارية عبد الله بن أمية حبلى من أبي فديك .

واستعمل عبدالملك على البحرين الأشعث بن عبدالله بن الجارود العبدي[١].

وفي شهر شوال سنة ست وثمانين مات عبدالملك بن مروان، رحمه الله تعالى.

ذكر خروج مسعود بن أبي زينب العبدي في البحرين

قال ابن الأثير -رحمه الله- في حوادث سنة خمس ومائة: قد كان خرج بالبحرين مسعود بن أبي زينب العبدي، فهرب منه عاملها الأشعث بن عبدالله العبدي، وغلب عليها مسعود، ثم سار مسعود إلى اليمامة، وعليها سفيان بن عمرو العقيلي، ولاه عليها عمر بن هبيرة حين كان والياً على البصرة، فخرج سفيان لقتال مسعود، فالتقوا بالخضرمة[٢]، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتِلَ مسعود بن أبي زينب في

---

(١) ومن ولاتها في هذا العهد الحجاج بن يوسف والي العراق ، وأناب عنه حسان بن سعيد. الشعر والشعراء لابن قتيبة، ص ١٥٠ .

(٢) الخضرمة كانت من أشهر قرى اليمامة، وكانت مشهورة بجودة البصل، وفيها ولد الأديب اللغوي أحمد بن أبي رياش اليمامي المتوفى سنة ٣٥٠هـ، وتقع شمال بلدة "منفوحة" فيما بينها وبين "حجر"، ويطلق اسمها الآن على بئر هناك، أما القرية فقد زالت، وليست الخضارم تلك قرى أسفل الخرج.

المعركة ، وقام بأمر الخوارج بعـده هلال بن مدلج ، فقاتلهم يومه كله ، فقُتلَ كثير من الخوارج، وقُتلَت زينب أخت مسعود . فلما أمسى هلال تفرَق عنه أصحابه ، وبقي في نفر يسيـر ، فدخل قصراً ، وتحصن فيه ، فنصبوا عليه السـلالم ، وصعدوا إليه ، فقتلوه ، واستأمن بقـية أصحابه فأمنهم . وفي ذلك اليوم يقول الفرزذق[1]:

لعـمري لقـد سلَّتْ حنيفـة سلةً سـيوفـاً أبت يوم الوغى أن تُعَيَّـرا
تركن لمســعـود وزينب أخــتـه رداءً وسـربالاً من الموت أحـمـرا
ولولا سيوف من حنيـفة جُرِّدت ببرقانَ أضـحى كاهل الدين أزورا

فكانت مـدة استيـلاء مسـعود بن أبي زينب عـلى البحـرين تسع عـشرة سنة، تبـتدئ بسنة ست وثمـانين، وتنتـهي بسنة خمس ومـائة. واستولى سفيان بن عمرو والعقيلي على اليمامة والبحرين، ولاه عليها عمر بن هبيرة، والخليفة يزيد بن عبدالملك.

وقـد توفي يزيـد لخـمس بقين من شـعـبـان سنـة خـمس ومـائة. واستـخلف هشام بن عبدالملك، وتوفـي هشام بن عبدالملك بالرصـافة لست خلون من شهر ربيع الآخر، سنة خمس وعشرين ومائة، وكانت مدة خـلافته تسع عـشرة سنة وتسعـة أشهر. وبويع الـوليد بن يزيد بن عبدالملك.

وعَـزَلَ يوسفُ بن عـمر الثـقـفي -حين كان واليـاً على العـراق- سفيانَ بن عمرو العقيلي عن اليـمامة والبحرين، وولَّى عليهما علي بن

(١) ديوان الفرزدق ، ص ٣٩.

المهاجر ، وقُتِلَ الوليد بن يزيد في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة.

ذكر خروج المهير بن سلمى - أحد بني حنيفة - على علي بن المهاجر وهربه منه

قال ابن الأثير ، رحمه الله[1]: لما قُتِلَ الوليد بن يزيد كان على اليمامة علي بن المهاجر، استعمله عليها يوسف بن عمر الثقفي، وكان علي بن المهاجر يسكن في قصر له بهجر، بموضع يسمى "القاع"، فقال له المهير بن سلمى: اترك لنا بلادنا. فأبى، فجمع له المهير، وسار إليه في هجر، فخرج علي لقتاله، فاقتتلوا، فانهزم أصحاب علي، فدخل حصنه، ثم هرب إلى المدينة، وقتل المهير ناساً من أصحابه.

وكان يحيى بن أبي حفصة نهى ابن المهاجر عن القتال، فعصاه، فقال:

بذلْتُ نصيحتي لبني كلاب   فلم تقبل مشاورتي ونصحي
فِدىً لبني حنيفة من سواهم   فإنهم فوارس كل فتح

وتأمر المهير على اليمامة ، ثم مات ، واستعمل على اليمامة عبدالله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدؤل ، ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري والياً على اليمامة في عهد مروان الحمار.

---

(١) ج٤، ص ٢٧٢.

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة بويع أبو العباس عبدالله بن محمد ابن علي بن عبدالله بن عباس حبر الأمة ، وابن عم النبي ﷺ . وكانت بيعته في شهر ربيع الأول من هذه السنة ، وقُتل مروان بن محمد - آخر خلفاء بني أمية - لثلاث بقين من ذي الحَجة من هذه السنة ، وانتهت دولة بني أمية . والله خير الوارثين .

الخلافة العباسية

لما تم الأمر لأبي العباس السفاح -وهو أول خلفاء بني العباس- ولّى عمه داود بن علي مكة والمدينة واليمن واليمامة والبحرين، ثم خاله زياد عبدالله بن المدان، ثم ولى عمه سليمان البصرة والبحرين وعمان، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة.

ومات أبو العباس السفاح في ثالث عشر ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة.

خلافة أبي جعفر المنصور

بويع لأبي جعفر عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بعد موت أخيه السفاح، فولّى على اليمامة والبحرين السري بن عبدالله الهاشمي. وفي سنة تسع وثلاثين ومائة ولى عليها سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، ثم ولى على البحرين خاصة قثم بن العباس بن عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس، وأضاف إليه عمل اليمامة سنة أربع وأربعين ومائة.

خروج سليمان بن حكيم العبدي

في سنة إحدى وخمسين ومائة خرج على المنصور في البحرين سليمان بن حكيم العبدي، فوجه إليه المنصور عقبة بن مسلم من البصرة(*)، واستخلف عليها نافع بن عقبة، فقَتَل سليمان بن حكيم،

(*) ذكر عز الدين بن الأثير (الكامل في التاريخ ، بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م جـ٥ ، ص ٦٠٤) أن الاسم هو عطية بن سلم.

وسبى أهل البحرين، وأنفذ بعض السبي والأسارى إلى المنصور، فقتل بعضهم، ووهب الباقين للمهدي، فأطلقهم، وكساهم.

ثم ولى عليها تميم بن سعيد بن دعلج في سنة ١٥٧، ثم ولى عليها حمزة الكاتب.

وتوفي المنصور لست خلون من ذي الحجة ثمان وخمسين ومائة.

خلافة المهدي

هو محمد بن عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما . بويع له بعد موت المنصور ، وقد عُهِدَ له بذلك ، فعزل حمزة عن البحرين، وولى عليها عبدالله بن مصعبٍ وسويد القائد الخراساني، ثم عزله، وولى عليها صالح بن داود بن محمد سنة أربع وستين ومائة، ثم عزله ، وولى عليها مولاه المعلى من سنة ١٦٥ إلى ١٦٩ .

ومات المهدي لست بقين من محرم سنة تسع وستين ومائة.

خلافة موسى الهادي

هو ابن محمد المهدي، بويع له بعد موت أبيه، ولى على البحرين محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله.

ومات الهادي ليلة الجمعة للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة، فكانت خلافته سنةً وثلاثة أشهر.

خلافة هارون الرشيد

هو هارون بن محمد المهدي أخو موسى الهادي ، بويع له بعد موت أخيه موسى الهادي.

وفي عهد الرشيد سنة تسعين ومائة خرج في هجر سيف بن بكير -أحد بني عبدالقيس- فوجه إليه الرشيد محمد بن يزيد بن مزيد، فقتله بعين النورة.

ولم نقف على ذكر من ولي البحرين في أيام الرشيد وابنيه الأمين والمأمون سوى محمد بن سليمان بن علي، فقد وليها سنة ١٧٠هـ مع اليمامة، وتوفي سنة ١٧٣هـ.

وتوفي المأمون لثنتي عشرة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين.

خلافة المعتصم

هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه المأمون. وكان عامله على البحرين إسحاق بن أبي حميصة[1] رجل من قرية أضاخ المعروفة بحمى ضرية .

وتوفي المعتصم لثمان عشرة مضت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين، وبويع لابنه هارون الواثق. ولم نقف على ذكر عامله بالبحرين.

ومات الواثق بالله في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وبويع لأخيه المتوكل على الله جعفر بن المعتصم، وولَّى على البحرين محمد بن إسحاق بن إبراهيم.

---

(١) في كثير من الكتب خميصة بالخاء المعجمة والصاد المهملة ضبط قلم ، وفي نسخة قديمة متقنة الخط من" نوادر الهجري" في دار الكتب المصرية (حميضة)، وكان عاملاً أيام المأمون، قال البلاذري (فتوح البلدان، ص ١٠٣): وقد بنى إسحاق بن أبي خميضة - مولى قيس -فيها- يعني الحديقة التي قتل فيها مسيلمة في عقرباء- بنى فيها أيام المأمون مسجداً جامعاً.

وقُتِلَ المتوكل في شوال سنة ست وأربعين ومائتين، وبويع لابنه المنتَصِر، واسمه محمد بن جعفر. ولم نقف على ذكر عامله بالبحرين.

وتوفي المنتصر في ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين، وبويع لأحمد بن محمد المعتصم، ولُقِّبَ بالمستعين بالله. ولم نقف على ذكر عامله بالبحرين.

وفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين خلع المستعين نفسه، وبايع للمعتز بالله بن المتوكل.

وفي رجب سنة خمس وخمسين ومائتين خُلع المعتز، ومات في شعبان من هذه السنة، وفي آخر رجب من هذه السنة بويع لمحمد بن الواثق، ولُقِّب بالمهتدي.

ذكر خروج صاحب الزنج بهجر البحرين

قال ابن الأثير -رحمه الله- في "الكامل"[1]: في سنة تسع وأربعين ومائتين جاء إلى هجر البحرين رجل من "سامرا"، فادعى بها أنه علي بن عبدالله بن محمد بن الفضل بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ودعا الناس إلى طاعته، فتبعه خلق كثير من أهلها ومن غيرهم. فجرى بين طائفتين منهم اختلاف وعصبية، قُتِلَ فيها جماعة، وكان أهل البحرين أحلوه محل نبي، وجبوا له الخراج، ونفذ فيهم حكمه، وقاتلوا أصحاب

---

(١) ج٣، ص ٤٥.

السلطان بسببه، فُوتِرَ منهم جماعة بسببه، فتنكروا له. فانتقل منهم، ونزل على قوم من بني سعد بن تميم يقال لهم بنو شماس، وأقام فيهم، وفي صحبته جماعة من أهل البحرين، منهم يحيى بن محمد الأزرق البحراني، وسليمان بن جامع، وهو قائد جيشه.

وكان يتنقل في البادية، فخدع أهلها، فأتاه منهم جماعة كثيرة، فأغار بهم على جماعة من العرب، بموضع يسمى "الروم"(*)، فكانت الهزيمة عليه وعلى أصحابه، وقُتِلَ منهم جماعة كثيرة، فتفرق الأعراب، فسار إلى البصرة، ونزل في بني ضبيعة، فاتبعه منهم جماعة، منهم علي بن أبان المهلبي. وكان قدومه البصرة سنة أربع وخمسين ومائتين، وعامل البصرة محمد بن رجاء الحضاري، فطلبه ابن رجاء، فهرب، وقبض على جماعته ممن يميلون إليه، فحبسهم، منهم ابنه وزوجته وجارية حامل منه. وسار إلى بغداد ومعه من أصحابه محمد بن مسلم، ويحيى بن محمد، وسليمان بن جامع، وبريش القريعي.

ثم عاد إلى البصرة سنة خمس وخمسين ومائتين، ونزل بقصر القرسي على نهر يعرف بنهر ابن المنجم، وجعل يدعو مماليك أهل البصرة للتحرر من الرق؛ فاجتمع عنده منهم خلق كثير، ولذلك سُمِّي "صاحب الزنج"، فأتاه مواليهم؛ ليخلصوهم، ويبذلوا له على كل رأس خمسة دنانير، فيأمر العبيد أن يضرب كل واحد منهم مولاه

(*) صحة الاسم «الردم»، وهي قرية كبيرة لبني عامر بن الحارث العبقسيين في البحرين. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج٣، ص ٤٠.

خمسمائة سوط. ولم يزل هذا دأبه حتى اجتمع إليه من السودان خلق كثير.

وفي شوال سنة سبع وخمسين ومائتين دخل البصرة، واستباحها، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وأحرقها، وأحرق الجامع.

وفي ربيع سنة ست وخمسين ومائتين، وقيل: في رجب خُلِع المهدي، ثم توفي بعد ذلك بليال، وبويع أحمد بن المتوكل، ولُقِّب بالمعتمد.

وفي سنة ثمان وخمسين ومائتين عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على ديار مصر وقنسرين والعواصم، وسيَّره لقتال "صاحب الزنج"، وجرت بينه وبينه وقائع هائلة، انتهت بهزيمة "صاحب الزنج"، وسحق جيشه، وقُتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين. وأكثر الشعراء من مدح أبي أحمد الموفق، ومما مُدِح به قول يحيى بن محمد الأسلمي:

أقول وقد جاء البشير بوقعة	أعزت من الإسلام ما كان واهيا
جزى الله خير الناس للناس بعد ما	أبيح حماهم خير ما كان جازيا
بتجديد ملك قد وهى بعد عزة	وأخذ بثارات تبيد الأعاديا
وردِّ عمَارات أبيدت وأحرقت	ليرجعَ فيء قد تخرم وافيا
ويشفي صدورَ المسلمين بوقعة	يقر بها منها العيون البواكيا
ويتلى كتاب الله في كل مسجد	ويلفي دعا الطالبين خاسيا
فأخرج من جناته ونعيمه	ومن لذة الدنيا وأصبح عاريا

وذكر له أبو إسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني في كتابه "جمع الجواهر في الملح والنوادر" شعراً مطبوعاً يدل على قوة النفس

وعلو الهمة، فمنه قوله:

مـا تغطـي عـسـاكـر اللـيل مني ... ما تجلـي مضاحك الصـبح عني
جسمٍ سيف في جوف غمد ثياب ... صـدر أنس من تحـتـه قلب جني
شـمّـري إذا اسـتـقل بعـزم ... لم يـعـرج بليـتني ولـو اني
مـا ينال الـكرى سـويداه إلا ... حـسـوة الـطائر الذي لا يـثني
إن رماه خطب قرى الخطب رأيا ... فـيـه درع النجـا وحـكم التـأني
كم ظلام جـعلـتـه طـيلسـاني ... صـاحـبي همـتي وقلبي مـجني
كم حبال قطعتُ في وصل أخرى ... تاركـاً ما أخـاف من سـوء ظني
مـسـتـخـف بذا وذاك وهذا ... لم أسـمع ندامـتي قـرع سني
أنا روض الـربيع فـي كل أرض ... فـيـلسـوف الزمـان في كل فن

ولـه أيضـاً :

لـقـد علـمـت هاشـم أننـا ... صـبـاح الوجوه غـداة الصـيـاح
وأنا إذا زعـزعـت في الـوغى ... ذيول الـرياح ذبـول الرمـاح
نسـوق السيـوف بدفع الحتـوف ... وننكـي الجـراح بكف الجـراح
وقـرم صـبـحنـاه في داره ... بكـل أقبٍّ ونـهـد وقـاح
فـغـودر بعـد عنـاق الملاح ... ضـجيع النجـيع مهـاض الجناح

وكانت مدة حروبه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام.

وتوفي الموفق يوم الأربعاء لثمان بقين من صـفر سنة ثمان وسبعين ومائتين، ولما مـات الموفق اجتمع القـواد، وبايعوا أبا العباس أحـمد بن الموفق بولاية العهد بعد المـعتمد، وأمضاها المعتـمد في محرم سنة تسع

وسبعين ومائتين، وفي ليلة الإثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب من هذه السنة توفي المعتمد على الله.

ذكر ابتداء أمر القرامطة بالبحرين عليهم لعنة الله

قال ابن الأثير -رحمه الله- في "الكامل": في سنة ست وثمانين ومائتين ظهر بالبحرين رجل يسمى أبو سعيد الجنابي، وكان عامل المعتضد على البحرين أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي، وكان سبب ظهور أبي سعيد أن رجلاً يعرف بيحيى بن المهدي قصد "القطيف"، ونزل على رجل يعرف بعلي بن المعلى بن حمدان مولى الزياديين ، وكان من غلاة الشيعة ، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي المنتظر ، وذلك سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وذكر أنه خرج إلى شيعته في البلاد يدعوهم إلى أمره ، وأن ظهوره قد قرب ، فوجه علي بن المعلى إلى الشيعة من أهل القطيف ، فجمعهم ، وقرأ عليهم الكتاب الذي مع يحيى من المهدي ، فأجابوه ، ووعدوه أنهم خارجون معه إذا ظهر أمره ، ووجه إلى سائر قرى البحرين بمثل ذلك ، فأجابوه ، وكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي (نسبة إلى جنابة قرية من قرى فارس) . وكان مقيماً في القطيف، يتاجر في الأطعمة.

ثم غاب يحيى بن المهدي مدة ، ثم رجع ومعه كتاب يزعم أنه من المهدي إلى شيعته ، وفيه : « قد عرّفني رسولي يحيى بن المهدي مسارعتكم إلى أمري ، فليدفع إليه كل رجل منكم ستة دنانير ، وثلثي دينار » . ففعلوا ذلك.

ثم غاب عنهم، وعاد ومعه كتاب، وفيه: «ادفعوا ليحيى خمس أموالكم». فدفعوا إليه الخمس. وكان يحيى يتردد إلى قبيلة قيس، ويورد إليهم كتباً يزعم أنها من المهدي المنتظر، وأنه ظاهر، فكونوا على أهبة.

وكان يحيى بن المهدي يتردد إلى بيت أبي سعيد، فأمر أبو سعيد زوجته إذا خرج من بيته أن تدخل إلى يحيى، وألاَّ تمنعه من نفسها، وبقي يحيى مع زوجة أبي سعيد مدة، حتى انتهى أمرهم إلى الوالي، فأخذ الوالي يحيى، فضربه ، وحلق لحيته ، وهرب أبو سعيد إلى "جنابة" مسقط رأسه ، وسار يحيى بن المهدي إلى بني كلاب وعقيل عامر والحريش، وسمع بذلك أبو سعيد، فقصده، واجتمع أبو سعيد مع يحيى، وأجابت تلك القبائل دعوتهم، وقوي أمر أبي سعيد، فجعل يهاجم القرى، ثم سار إلى القطيف، وظفر بأهلها، فقتل من بها.

وفي ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين سار أبو سعيد إلى "هجر"، وأغار على نواحيها، فجهز المعتضد جيشاً لقتال أبي سعيد، يقوده العباس بن عمرو الغنوي ، وهو عامل المعتضد على البحرين واليمامة ، فسار العباس من بغداد إلى البصرة، واجتمع إليه جمع عظيم من المتطوعة والجند، فخرج من البصرة قاصداً "هجر"، فلقيه أبو سعيد في الطريق، فتناوشوا القتال، وحجز بينهم الليل، فلما جن الظلام انصرف عن العباس من كان معه من بني ضبة، وتبعهم المتطوعون من أهل البصرة، فلما أصبح العباس باكر القتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وحمل نجاح -غلام أحمد بن عيسى- في مائة رجل من

ميسرة العباس على ميمنة أبي سعيد، فأوغلوا فيهم؛ حتى قُتِلُوا عن آخرهم ، وحمل أبو سعيد على أصحاب العباس فانهزموا ، وأسر أبو سعيد العباسَ بن عمرو، واحتوى على جميع ما كان معه.

فلما كان من الغد أحضر أبو سعيد -لعنه الله- جميع الأسرى، فقتلهم، وأحرقهم، وأطلق العباس، وجهزه إلى البصرة، وقال له: أخْبِرْ الخليفة بما رأيت. وكانت هذه الوقعة في آخر شعبان، وقيل: آخر رجب، سنة سبع وثمانين.

ثم توجه أبو سعيد إلى "هجر"، وكانت الرياسة في هجر لعياش ابن سعيد من بني محارب ، والعريان بن إبراهيم بن الزحاف من بني عبدالقيس . ويقال : إن منزل العريان قرب جبل "الشبعان" المعروف الآن بجبل "القارة".

وذكر شارح ديوان ابن المقرب أن أبا سعيد لما دخل "هجر" أرسل على جميع الرؤساء والأعيان والقراء؛ للتشاور معهم في إصلاح البلاد، فلما اجتمعوا أضرم عليهم النار، ومن فر أخذته السيوف. وأشار ابن المقرب إلى هذه الحادثة بقوله(*):

وحرقوا عبد قيس في منازلهم ... وغادروا الغر من ساداتها حمما

ثم سار أبو سعيد إلى مدينة "الزارة" الشهيرة، وكانت الرئاسة فيها لبني أبي الحسن علي بن مسمار بن سلم بن يحيى بن أسلم بن

(*) ورد البيت في ديوان ابن المقرب كالتالي:

وحرقوا عبدقيس في منازلها ... وصيروا العز من ساداتها حمما

انظر : عبدالفتاح الحلو، ديوان ابن المقرب، ط٢، مكتبة التعاون الثقافي ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٥٣١.

مدحور بن صعصعة بن مالك بن عمرو بن مخاش بن سعد بن كلب، فحاصرهم حتى سلموا له، فقتلهم، وأحرق "الزارة".

وقُتِلَ أبو سعيد -لعنه الله- سنة ثلاثمائة وواحدة، وسبب قتله أنه دخل الَحمام مع غلام له صقلبي، فهَمَّ أن يفجر به، فغضب، وقاتل أبا سعيد حتى قتله، ثم خرج إلى من يليه من الحرس، وقال له: إن مولاي يريدك. فإذا دخل الحمام قتله، وفعل ذلك بأربعة، وفطن الخامس، فقبض على الغلام الصقلبي، وصاح، ودخل الناس، وصاح النساء، وجرت بينهم وبين الصقلبي جولات، ثم قتلوه. وكان أبو سعيد قد عهد بالأمر إلى ابنه سعيد وهو الأكبر ، فعجز عنه ، وغلبه عليه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، وكان -لعنه الله- فاتكاً جريئاً.

وفي ربيع سنة تسع وثمانين ومائتين توفي المعتضد، وبويع لابنه محمد، وهو المكتفي بالله، وكان أبو سعيد مقيماً هو وأولاده في القطيف. وفي ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين توفي أمير المؤمنين المكتفي بالله علي بن المعتضد، وبويع جعفر بن المعتضد، ولُقِّبَ المقتدر بالله، فكتب المقتدر إلى أبي طاهر كتاباً يناظره فيه، ويقيم الدليل على فساد مذهبه، فأرسل الكتاب مع جماعة أوفدهم الخليفة إلى أبي طاهر، فأكرم أبو طاهر الوفد، وأطلق الأسرى، وأنفذهم إلى بغداد(١).

---

(١) وكتب إليه كتاباً، هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، من أبي الحسن الجنابي الداعي إلى تقوى الله، القائم بأمر الله، الآخذ بآثار رسول الله ﷺ إلى قائد الأرجاس المسمى بولد العباس ، أما بعد : فقد عرفك الله مراشد الأمور، وجنبك التمسك =

وفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة سار أبو طاهر في ألف وسبعمائة إلى البصـرة ومعه السـلالم، فوضعـها على السـور، وصعد أصـحابه،

= بحبل الغـرور ، فإنه وصل كتابك بوعيدك وتهـديدك، وذكرك ما وضعتـه من نظم كلامك ، ونمت به من فخامة إعظامك من التعلق بالأباطيل، والإصغاء إلى فحش الأقاويل، من الذين يصدون عن السبيل فبـشرهـم بعذاب أليم، على حين زوال دولتك، ونفـاذ منتـهى طلبتك، وتمكن أوليـاء الله من رقبـتك وهجومهم على مـعاقل أوطانك صغراً، وسبيـهم حرمك قسراً، وقتل جمـوعك صبراً ﴿ أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون ﴾ وجند الله هم البالغون.

هذا وقد خرج عليك الإمـام المنتظر، كالأسد الغضنفـر، في سرابيل الظفر، متـقلداً سيف الغضب، مستغنياً عن نصـر العرب، لا يأخـذه في الله لومة لائم ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ قد اكتنفه العز من حواليه، وسارت الهيبة بين يديه، وضربت الدولة عليه سرادقها، وألقت عليه قناع بوائقها، وانقشعت طخياء الظلمة ودجنة الضلالة، وعاشت بحار الجهالة ﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾.

تا لله غرتـك نفسك، وأطمعـتك فيـما لست قائله، وسـولت لك ما لست واصله، فكـتبت لي بما أجمعت عليه أذهان كتابتك، ذكرتني بالعيوب الشنيعة، وقذفتني بالمثالب السمحة، ﴿تا لله لتسألن عما كنتم تعملون﴾ فأما ما ذكـرت من قتل الحجيج وإخراب الأمصار؛ وإحراق المسـاجد، فوالله ما فعلت تلك إلا بعد وضوح الحجة كإيضـاح الشمس، وادعى طوائف منهم أنهم أبرار، ومعاينتي منهم أخلاق الفجار، فحكمت عليهم بحكم الله ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾.

خبرني - أيها المحتج لهـم والمنـاظر عنهم - في أي آية مـن كتاب الله، أو أي خبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إباحـة شرب الخمـور، وضرب الطنبور، وعزف القـيان، ومعانقـة الغلمان، وقد جمعوا الأموال من ظهور الأيتام، واحتووها من وجوه الحرام؟!

وأما مـا ذكرت من إحراق مسـاجد الأبرار، فأي مـسجد أحق بالخراب مـن مساجد إذا توسطتـها سمعت فيها الكذب على الله تعالى ، وعلى رسوله صـلى الله عليه وسلم ، بأسانيد عن مشايخ فجرة، بما أجمعوا عليه من الضلالة ، وابتدعوا من الجهالة.

وأما تخـويفك لي بالله، وأمرك بمراقبـته، فالعجب من بهـتك وصلابة حدقـتك، أترى أني أجهل بالله منك، وصـرفك أموال المسلمين للصـفاعنة والظراطين، ومنـعها عن مـستـحقـيهـا؟ يدعى على المنابر للصبيان ﴿ آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾.

وأما ما ذكرت من أني تسميت بسمة عدوان، فلـيس بأعظم من تسميتك بـ"المقتدر بالله" أمير المؤمنين، أي جيش صدمك فاقـتدرت عليه؟، أم أي عدو ساقك فابتدرت إليه؟. لأنت أمـير الفاسقين أولى بك من أمير المؤمنين! وإنك لَتُقَلِّد بـعضَ خدمك شيئًا من أمرك فيكاتبه الـشريف والرئيس بالسيد والمولى، فأي الأمرين أقرب للتقـوى؟، أما علمت أنه من انقاد له نفر من عشيرته وعصـابة من بني عمه وأسرته فقد سـادهم، وعلا فيهم. وبعـد ، فمالك وللوعيـد والإبراق والتهديد؟ اعزم على ما أنـت عليه عازم، وأقدمْ على ما أنت عليه قادم، والله من ورائي ظهيـر، وهو نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله وصلى الله عَلى خير بريته وآله وعترته».

وفتحـوا الباب، وقتلوا الموكلين به، وكـان أمير البصـرة سبك المفلحي، فركـب إليهم، فلقـيهم، فـقتلوه، ووضـعوا السـيف في أهل البـصرة، وقتلوا منهم خلقـاً كثيراً. وأقام أبو طاهر في البـصرة سبعة عـشر يوماً، وحمل منهـا ما قدر عليه من المـال والمتاع والنساء والصبـيان، ثم رجع إلى وطنه.

وفي سنة اثنـتي عـشـر وثلاثمـائة سـار أبو طاهر القـرمطي إلى الهبـير[1] في عـسكر عظيم؛ لتلقي حاج بغـداد وأخذهم، وقـيل: سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، فأوقع بقافلة عظيمة تقدمت الحاج، وكان فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرهم، فنـهبهم، واتصـل الخبر بباقي الحاج وهم بـ"فيـد"[2]، فأقـاموا بها حـتـى فنـي زادهم، فارتحـلوا مـسرعين. وكـان أبو الهيـجـاء بن حمـدان قـد أشار عليـهم بالعـودة إلى "وادي القـرى" وأنهم لا يقيـمـون بـ"فيـد"، فاستطـالوا الطـريق، ولم يقبـلوا منـه، ثم سـاروا على طريق الكوفـة، فلقيـهم القرمطـي؛ فـأوقـع بهم، وأسر أبا الهيجاء وأحـمد بن بدر -عم والدة المقتدر-، وأخذ أبو طاهر جمَال الحاج جـميعها، وما أراد من المتاع والأموال والنسـاء والصبيان، وعاد إلى "هجـر"، وترك الحاج في مواضـعهم، فمـات أكثرهم جـوعاً وعطشاً من حر الشمس. وكان عـمْر أبي طاهر إذ ذاك سبع عشرة سنة عليـه لعنـة اللـه .

ثم أرسل أبو طاهر إلى المقتـدر يطلب منه الاستيلاء علـى البصرة

---

(١) رمال متصلة برمال الدهناء شمال نجد.

(٢) قرية تابعة لمدينة «حائل»، لا تزال معروفة.

والأهـواز، فلم يجبـه إلى ذلك، فسـار من هجـر يريد الحـاج، وكـان جعفر بن ورقاء الشيباني متقلداً أعمال الكوفة وطريق مكة، فلما خرج الحاج من بغداد سار جعـفر بن ورقاء بين أيديهم؛ خوفاً من أبي طاهر، ومعـه ألـف رجـل مـن بني شـيبان، وسـار مع الحـاج من بغداد ثمال أميـر البـحـر ، وحنًـا أو جنـي الصفواني وطـريف السبـكري وغيرهم في ستـة آلاف رجل، فلقي أبو طاهر جعفـرَ الشيبـاني، فقاتله جعـفر، فبينما هـو يقاتله إذ طلع جـمع من القرامطـة، فانهـزم جعفـر مـن بين أيديهم، وسـار حتى لقـي القافلة الأولى، فـردهم إلى الكوفـة ومعـهم عسكر الخليـفة، وتبـعهم أبو طاهر إلى باب الكوفة، فـقاتلهم، فـانهزم عـسكر الخليـفـة، وقـتل منهم قـوم، وأُسـر جني الصـفـواني، وهرب البـاقـون، ودخـل أبـو طاهر الكوفـة، وأَقام بظاهـر الكوفة سـتـة أيام، يدخل البلد نهـاراً ، فيـقـيم في الجامع إلى اللـيل، ثم يخرج يبـيت في عسكره، وحـمل منها مـا قدر على حـمله من الأموال والثـياب وغـير ذلك، وعاد إلى "هجر".

وفي سنة خـمس عـشـرة وثلاثمـائة سـار أبو طاهر القـرمطي إلى العراق، ولما بلغ خـبره الخليفـة كتب إلى يوسف بن أبي الساج، يعـرِّفه هذا الخـبر، ويأمـره بالمبـادرة إلى الكوفـة، فسـار إليهـا في آخـر شهـر رمـضـان، وقـد أُعـدَّ له في الكوفة الأنـزال، وكان فـيهـا مـائة كـر من الدقـيق، وألف كرِ من الشـعيـر، فسـبق أبو طاهر إلى الكوفـة، وهرب عنها نواب السلطان، فاستـولى أبو طاهر على جميع ذلك، وتقوَّى به، ووصل يوسف الكوفـة بعد أبي طاهر بيـوم واحد وهو يـوم الجمـعة ، ثامن شوال .

فلما وصل أرسل إلى القرامطة يدعوهم إلى طاعة المقتدر، فإن أبوا فموعدهم الحرب يوم الأحد، فقالوا: لا طاعة لأحد علينا إلا الله، والموعد بيننا للحرب بكرة غد. فلما كان الغد ابتدأ أوباش العسكر بالشتم والرمي بالحجارة، ورأى يوسف قلة القرامطة؛ فاحتقرهم، وقال: إن هؤلاء بعد ساعة في يدي، وتقدم بأن يكتب للخليفة بالفتح والبشارة بالظفر قبل اللقاء؛ تهاوناً بهم، وزحف الناس بعضهم إلى بعض، فسمع أبو طاهر أصوات البوقات والزعقات، فقال لصاحب له: ما هذا؟ فقال: فشل ! قال: أجل. ولم يزد على هذا، فاقتتلوا من ضحوة النهار يوم السبت إلى غروب الشمس، وصبر الفريقان، فلما رأى أبو طاهر ذلك باشر الحرب بنفسه، ومعه جماعة يثق بهم، وحمل بهم ، فطحن أصحابَ يوسف ، ودقهم ، فانهزموا بين يديه ، وأسر يوسف وعدداً كثيراً من أصحابه، وحملوه إلى معسكرهم، ووكل به أبوطاهر طبيباً يعالجه.

وورد الخبر بذلك إلى بغداد، فخاف الخاص والعام من القرامطة خوفاً شديداً، وعزموا على الهرب إلى حلوان وهمذان، ودخل المنهزمون بغداد، أكثرهم رجالة حفاة عراة، فبرز مؤنس المظفر؛ ليسير إلى الكوفة، فأتاهم الخبر أن القرامطة ساروا إلى "عين التمر"، فسّير من بغداد خمسمائة سميرية[1] مشحونة بالمقاتلة؛ لتمنعهم من عبور الفرات، وسيَّر جماعة من الجيش إلى "الأنبار" لحفظها، ومَنْعِ القرامطة من العبور هنالك.

(١) نوع من السفن.

ثم إن القرامطة قصدوا "الأنبار"، فقطع أهلها الجسر، ونزل القرامطة غرب الفرات، وأنفذ أبو طاهر أصحابه إلى "الحديثة"، فأتوه بسفن، ولم يعلم أهل الأنبار بذلك، وعبر فيها ثلاثمائة رجل من القرامطة، فقاتلوا عسكر الخليفة، فهزموهم، وقتلوا منهم جماعة، واستولى القرامطة على مدينة الأنبار، وعقدوا الجسر، وعبر أبو طاهر في جريدة خيله ورجله، وخلَّف سواده بالجانب الغربي.

ولما ورد الخبر بعبور أبي طاهر إلى "الأنبار" خرج نصر الحاجب في عسكر جرار، فلحق بمؤنس المظفر، فاجتمعوا في نيف وأربعين ألفاً سوى الغلمان ، ومن يريد النهب ، وكان ممن معه أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان وأبو السرايا، وساروا حتى بلغوا نهر "زبارا" على فرسخين من بغداد، فأشار أبو الهيجاء بقطع القنطرة التي عليه، فقطعوها، وسار أبو طاهر ومن معه نحوهم، حتى بلغوا نهر "زبارا"، فرأوا القنطرة مقطوعة، ولما أشرفوا على عسكر الخليفة هرب منهم خلق كثير إلى بغداد من غير قتال، فلما رأى ابن حمدان ذلك ، قال لمؤنس : كيف رأيت ما أشرت به عليك؟ فوالله لو عبروا النهر لانهزم كل من معك، ولأخذوا بغداد.

ولما رأى القرامطة ذلك عادوا إلى الأنبار، فسير مؤنس المظفر صاحبه يلبق في ستة آلاف مقاتل إلى عسكر القرامطة -غربي الرفات؛ ليغنموه، ويخلصوا ابن أبي الساج من أسر القرامطة، فبلغوا إليهم، وقد عبر أبو طاهر الفرات، في زورق صياد استأجره بألف دينار، فلما رآه أصحابه قويت قلوبهم، ولما أتاهم عسكر مؤنس كان أبوطاهر

عندهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم عسكر الخليفة ونظر أبوطاهر إلى ابن أبي الساج الذي في أسره، وقد خرج من الخيمة ينظر، ويرجو عسكر الخليفة تخليصه من أسره، وقد ناداه أصحابه: أبشر بالفرج!. فلما انهزم عسكر الخليفة أحضره أبو طاهر، فقتله، وقتل جميع الأسرى، وكان عدة القرامطة ألف رجل وخمسمائة رجل، منهم سبعمائة فارس، وثمانمائة راجل، وقيل: كانوا ألفين وسبعمائة. وقصد القرامطة مدينة "هيت".

ولما علم الخليفة بعدد عسكره وعسكر القرامطة قال: لعن الله نيفاً وثمانين ألفاً يعجزون عن ألفين وسبعمائة.

وفي محرم سنة ست عشرة وثلاثمائة سار أبو طاهر إلى "الرحبة"، فوصلها ثامن محرم، فوضع السلاح في أهلها، وأرسل سرية إلى الأعراب، فنهبهم، وأخذ أموالهم، فخافه الأعراب خوفاً شديداً، وقرر عليهم جزية، على كل رأس ديناراً، يحملونها إليه في "هجر"، وسيَّر سرية إلى "رأس عين" و"كفرٍ كوثا"، فطلب أهلها الأمان، فأمنهم، ثم عاد إلى "هجر".

وفي سنة سبع عشرة بنى أبو طاهر مدينة بجانب مدينة "هجر"، وأطلق عليها اسم "الأحساء".

قلت: هي بقرب قرية "البطالية"،وهناك قصر يعرف بقصر "قُرَيْمط" بالتصغير والتحقير[1]، وجعل للبغاء موضعاً خاصاً يعرف حتى الآن بـ"القحيبات"؛ يعني محل القحيبات.

(١) انظر: ص ٩٢ و٩٣ من رحلة ناصر خسرو.

ذكر مسير القرامطة إلى مكة المشرفة وما فعلوه بأهلها وبالحُجَّاج وأخذهم الحجر الأسود عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

في سنة سبع عشرة وثلاثمائة سار أبو طاهر القرمطي إلى مكة، ودخلها يوم التروية، فقتل الحجاج وسكان مكة في الرحاب والشعاب، وفي المسجد وفي المطاف، والمتعلقين بأستار الكعبة، وكان أبو طاهر جالساً على الكعبة وهو يقول:

أنا بالله وبالله أنا ... يخلق الخلقَ وأفنيهم أنا

وقتل خلقاً كثيراً لا يحصيهم إلا الله تعالى، واقتلع الحجر الأسود وباب الكعبة، وجردها من كسوتها، وأخذ جميع ما فيها من آثار الخلفاء، ومما أخذ : درة يتيمة زنتها أربعة عشر مثقالاً، وقرطي مارية، وقرن كبش إسماعيل، وعصا موسى- مرصَّعين بالجواهر-، وطبق ومكبة من ذهب، وسبعة عشر قنديلاً من فضة، وثلاثة محاريب من فضة على طول قامة الرجل. وحمل جميع ذلك إلى بلاده. وكانت إقامة القرمطي بمكة أحد عشر يوماً، فلما عاد إلى بلاده. رماه الله بالجدري، فتساقطت أعضاء جسده وهو ينظر، وتناثر الدود من لحمه.

وفي سنة عشرين وثلاثمائة قُتل المقتدر، وكانت مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً، وكان عمره ثمانِ وثلاثين سنة، وبويع محمد بن المعتضد، ولُقِّب بـ"القاهر بالله".

وفي جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة خُلع القاهر بالله، وبويع أحمد بن المقتدر، ويكنى أبو العباس، ولُقِّب بـ"الراضي بالله".

وفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة مات الراضي بالله في ربيع الأول، وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر، وعمره اثنان وثلاثون سنة، وبويع لأخيه إبراهيم بن المقتدر، ولقب "المتقي لله".

وفي سنة ثلاث وثلاثين خلع المتقي لله، وسُمِّلت عيناه حتى عمي وبويع أبو القاسم عبدالله بن المكتفي، ولقب بالمستكفي بالله.

وفي رمضان من هذه السنة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة مات أبو طاهر القرمطي -لعنه الله- بـ"هجر"، وقام مقامه أخواه أبو العباس الفضل ويوسف، وكانت كلمتهم واحدة، وإذا أرادوا عقد أمر، أو ورد عليهم أمر يحتاجون فيه إلى التشاور ركبوا إلى الصحراء، واتفقوا على ما يعملون، ولا يُطلعون أحداً على أمرهم. ولهم سبعة وزراء، رئيسهم شنبر بن الحسن بن شنبر.

وفي ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة رد أبو محمد شنبر بن الحسن الحجرَ الأسود إلى موضعه بالكعبة المشرفة. وقد سبق أن أبا طاهر قد نقله، وبنى كعبة في القطيف، وجعله فيها، ظناً منه أن المسلمين يحجون إلى الحجر، وأنهم سيحجون إلى القطيف، وقد بذل بجكم[1] لأبي طاهر خمسين ألف دينار، فامتنع من رده، فلما أيسوا من حج المسلمين إلى القطيف ردوه إلى موضعه.

غزو القرامطة دمشق (الشام)

في سنة ستين وثلاثمائة غزا القرامطة دمشق (الشام)، ورئيس القرامطة الحسن بن أحمد بن بهرام. والسبب في ذلك أن بين ابن

---

(١) تركي من الغلمان الذين تقدموا لدى خلفاء بني العباس، حتى بلغ مرتبة "أمير الأمراء"، توفي سنة ٣٢٩هـ، وله ترجمة مطولة في المنتظم (ج٦ ص ٣٢٠).

طغج -ملك الشـام - وبين القـرامطة مـهادنـة، على أن يؤدي لهم كل سنة ثلاثمائة دينار. فلما ملكها جعـفر بن فلاح خافوا أن يفوتهم ذلك، فعزم القرمطي على غزو الشام، وأرسل إلى معز الدولة بختيار، يطلب منه المساعدة بالمال والسلاح، فأجابه إلى ذلك، واستقر الأمر بينهم على أنهم إذا وصلوا الكوفـة سائرين إلـى الشام حـملوا ذلك إليهم ، فلمـا وصلوا الكوفـة وفى لهم بذلك، فـساروا إلى الشـام، ولما بلغ خبـرهم جعفر بن فلاح احتقرهم، واستهان بأمرهم، ولم يحترز عنهم، فكبسوه بظاهر دمشق، وقـتلوه، وأخذوا ماله وسلاحـه ودوابه، وملكوا دمشق، وأمنوا أهلها، وساروا إلى "الرملة".

وجعفـر بن فلاح[1] هو أحد قـواد المعز لدين الله العـبيـدي، كان مقـدم عساكر القـائد جوهر، وكان جـوهر قد بعثه إلى دمـشق لمحاربة الحسن بن عبـيدالله بن طـغج، فحـاربه، وأسره، ومـهد البـلاد، وولي دمشق، وأصلح أمورها ، إلى أن قدم عليـه القرمطي وهو مريض على "نهر يزيد"، وحاربه ، فظفر به ، وقـتله ، وهو أول أمير ولي إمرة دمشق لبني عـبيـد، ولما قتلـه القرمطي بكى عليـه، ورثاه؛ لأن التـشيع يجـمع بينهما.

وكان جـعفر بن فلاح أديبـاً شاعراً فـصيحاً كـتب مرة إلى الوزير يعقوب، يقول له :

ولي صـديق مـا مـسني عـدم   مـذ نظـرت عـينه إلـى عـدمي
أعـطى وأقـنـى لم يـكـلـفـني   تقـبـيل كـفٍّ له ولا قـدم

(١) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، لابن خلكان ،ج١، ص ٣١٢.

وكتب بعض الأدباء على باب قصره بعد قتله:

يا منزلاً عبث الزمان بأهله ... فأبادهم بتفرُّق لا يجمع
أين الذين عهدتهم بك مرة ... كان الزمان بهم يضر وينفع؟
«ذهب الذين يعاش في أكنافهم» ... وبقي الذين حياتهم لا تنفع

وفيه يقول أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي الشاعر المشهور:

كانت مساءلة الركبان تخبرني ... عن جعفر بن فلاح أطيب الخبرِ
حتى التقينا فلا والله ما سمعت ... أذني بأطيب مما قد رأى بصري

ولما قرب القرامطة من "الرملة"، وسمع من بها من المغاربة خبرهم، ساروا عنها إلى "يافا"، فتحصنوا بها، وملك القرامطة "الرملة"، وساروا منها إلى مصر، وتركوا على "يافا" من يحصرها، فلما وصلوا إلى مصر اجتمع معهم خلق كثير من العرب والجند والإخشيدية والكافورية، فاجتمعوا بـ"عين شمس" عند مصر، واجتمع عساكر جوهر، وخرجوا إليهم، فاقتتلوا غير مرة، يكون الظفر فيها للقرامطة، وحصروا المغاربة حصراً شديداً، ثم إن المغاربة خرجوا في بعض الأيام من مصر، وحملوا على ميمنة القرامطة، فانهزم من بها من العرب وغيرهم، وقصدوا سواد القرامطة، فنبهوه، فاضطر القرامطة إلى الرحيل، وعادوا إلى الشام، فنزلوا "الرملة"، ثم حصروا "يافا" حصراً شديداً، وضيقوا على من فيها، فسيَّر جوهر من مصر نجدة لأصحابه المحصورين بـ"يافا"، ومعهم ميرة في خمسة عشر

مركباً، فأرسل القرامطة مراكبهم إليها، فأخذوا مراكب جوهر، ولم ينج منها غير مركبين أخذهما الروم.

وللحسن ابن بهرام مقدم القرامطة شعر قوي يدل على بُعْد همته، فمنه في المغاربة أصحاب المعز لدين الله[1]:

زعمت رجال الغرب أني هبتها فدمي إذاً ما بينهم مطلول

يا مصر إن لم أسق أرضك من دم يروي ثراك فلا سقاني النيل!!

وقوله:

إني امرؤ ليس من شأني ولا أربي طبل يرن ولا نأي ولا عود

ولا أبيت على خمر ومخمرة وذات دل لها غنج وتأويد

ولا أبيت بطين البطن من شبع وجار بيتي خميص البطن مجهود

وله أيضاً:

يا ساكن البلد المنيف تعززاً بقلاعه وحصونه وكهوفه

ما العز إلا العزيز بنفسه وبخَيْله وبرجله وسيوفه

وبقية بيضاء قد ضربت على شرف الخلال لجاره وضيوفه

قرْمٌ إذا اشتد الوغى أردى العدى وشفى النفوس بضربه وزحوفه

لم يجعل الشرف التليد لنفسه حتى أفاد تليده بطريفه

وفي ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة خُلع المطيع لله، وبويع لابنه أبي الفضل عبدالكريم، ولُقِّب "الطائع لله".

---

(١) تاريخ ابن عساكر، ج٤، ص ١٤٨.

قال ابن الأثير -رحـمه الله- في "الكامل"[1]: وفي هذه السنة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة سـار القرامطة من الأحساء، ومقـدمهم الحسن ابن أحمد بن بهرام إلى ديار مصـر، ولما سمع المعز لدين الله -صاحب مصر - بأن الحـسن قصد مصـر كتب إليه كتـاباً يذكر فيه فـضل نفسه وأهل بيتـه، وأن الدعوة واحـدة، وإنما كانت دعوة القـرامطة له ولآبائه من قبله، ووعظه، وبالغ في تهديده، وسيَّـر الكتاب إليه، فكتب جوابه: «وصل كتابك الذي قل تحـصيله، وكثر تفصـيله، ونحن سائرون إليك على أثره ، والسلام ».

وسار حـتى وصل إلى مصـر، ونزل على "عين شمس" بعـسكره، وأنشب القتـال، وبث السرايا في البـلاد؛ ينهبونهـا، فكثرت جمـوعه، وأتاه مـن العـرب خلق كثير، وكـان ممن أتاه حسان بن الجـراح الطائي أمـيـر العرب بالشـام ، ومعـه جـمـع عظيـم ، فلمـا رأى المعـز كثـرة جموعـه استعظم ذلك، وأهمه، وتحيَّر في أمـره، ولم يقدم على إخراج عسكره لـقتاله، فـاستـشار أهل الرأي من نصـحائه، فقـالوا: ليس لك حيلة غير السعي في تفريق كلمتهم، وإلقاء الخلف بينهم، ولا يتم ذلك إلا بابن الجراح، فراسله المعز، واستماله، وبذل له مائة ألف دينار إن هو خـالف القرمطي، فـأجـابه ابن الجراح إلى مـا طلبه مـنه، فاسـتحلفـه، فحـلف أنه إذا وصله المال المقرر انهـزم بالناس، فأحـضروا المال، فلـما رأوه استكثروه، فضربوا دنانير من صفـر، وألبسوها الذهب، وجعلوها

(١) ج٦، ص ٥٤.

في أسافل الأكياس، وجعلوا الذهب الخالص على رؤوسها، وحملوه إلى ابن الجراح، فأرسل ابن الجراح إلى المعز أن يخرج في عسكره يوم كذا، وأنه سيكون في الجهة الفلانية، وأنه سينهزم، ففعل المعز ذلك، وانهزم ابن الجراح، وتبعه العرب، فلما رآه الحسن القرمطي منهزماً تحير في أمره، وثبت، وقاتل بعسكره، إلا أن عسكر المعز طمعوا فيه، وتابعوا الحملات عليه من كل جانب؛ فأرهقوه، فولى منهزماً، واتبعوا أثره، وظفروا بمعسكره، فأخذوا من فيه أسرى، وكانوا نحو ألف وخمسمائة أسير، فضُرِبَتْ أعناقهم، ونُهِبَ ما في المعسكر، وجَرَّدَ المعزُّ القائدَ أبا محمد بن إبراهيم بن جعفر في عشرة آلاف رجل، وأمره باتباع القرامطة، والإيقاع بهم، فسار القرامطة إلى "أذرعات"، ومنها إلى بلادهم "الأحساء".

ذكر غزو الحسن بن أحمد بن أبي سعيد القرمطي الهجري بلاد مصر

ذكر الأستاذ الشيخ عبدالوهاب النجار تعليقاً على حوادث خمس وستين وثلاثمائة من "الكامل" لابن الأثير رحمه الله ، قال : كان كافور الإخشيدي -ملك مصر- يدفع إتاوة للقرمطي، قدرها ثلاثمائة ألف دينار كل سنة، ولما مات كافور وملك المعز العبيدي بلاد مصر أمر بقطع ذلك، ولما بلغ القرمطي عظم ذلك عليه، فسار الحسن بن أحمد ابن أبي سعيد القرمطي إلى بغداد، وسأل الخليفة المطيع لله العباسي أن يمده بمال ورجال، ويوليه الشام ومصر؛ ليُخْرِج المعز منها، فامتنع الخليفة من ذلك، وقال : كلهم قرامطة، وعلى دين واحد، ويقال : إن

بختيار -وزير الخليفة- أعطاه مالاً وسلاحاً، فسار القرمطي إلى الشام ومعه أعلام سود، وكتب على الأعلام اسم المطيع، ودخل القرمطي الشام، ولعن المعز على منبر دمشق، ثم سار إلى مصر، ولما بلغ المعز مجئيه تهيأ لقتاله، فنزل القرمطي بـ"مشتول الطواحين" -وهي إحدى قرى مركز بلبيس، بمديرية الشرقية-، وحصل بينه وبين المعز مناوشات، ثم تقهقر المعز، ودخل القاهرة، وانحصر بها، إلى أن أرضى القرمطي بمال، وعاد إلى الشام، ومات بـ"الرملة" في شهر رجب سنة خمس وستين وثلاثمائة، وأراح الله المسلمين منه.

قال ابن عساكر في تاريخه[1] : الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي القرمطي المعروف بالأعصم، ولد بالأحساء سنة ثمان وسبعين ومائتين، وغلب على الشام سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وولّى عليها وشاحا السلمي، ثم رجع إلى "الأحساء" سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ثم خرج إلى الشام ثانيةً سنة ستين، وكسر جيش جعفر بن فلاح، وقتله، ثم توجه إلى مصر، فحاصرها شهوراً سنة إحدى وستين، واستخلف على دمشق ظالم بن موهوب العقيلي، ثم رجع إلى "الأحساء"، ومات بالرملة سنة ست وستين وثلاثمائة.

وكان يلبس الثياب القصيرة، وهو أحد من قتل العباد، وأخرب البلاد، وكان الحسن هذا فصيحاً شاعراً. قال الحسين بن عثمان الخرفي الفارقي الحنبلي التميمي: كنت بالرملة سنة ست وخمسين وثلاثمائة، وقد ورد إليها أبو علي الحسن القرمطي، وعليه ثياب قصيرة،

---

(١) ج٤، ص ١٤٨.

فاستدناني منه، وقربني إلى خدمته، فكنت ليلةً عنده إذ حضر الفراشون بالشموع، فقال لأبي نصر بن كشاجم ، وكان كاتبه : ما يحضرك يا أبا نصر في صفة هذه الشموع ؟ فقال : إنما نحضر في مجلس السيد ؛ لنسمع كلامه، ونستفيد من أدبه ، فقال أبو علي :

ومجدولة مثل صدر القناة تعرّت وباطنها مكتسي
لها مقلة هي روح لها وتاج على هيئة البرنس
إذا غازلتها الصبا حركت لساناً من الذهب الأملس
ونتج في وقت تلقيحها ضياء يجلي دجى الحندس
فنحن من النور في أسعد وتلك من النار في أنحس

فقام أبو نصر بن كشاجم، وقَبَّل الأرض بين يديه، وسأله أن يأذن له في إجازة الأبيات فأذن له، فقال ابن كشاجم:

وليلتنا هذه ليلة تشاكل أشكال "إقليدس"
فيا ربة العود حثي الغناء ويا حامل الكأس لا تحبس

ومن شعره ما كتب به إلى جعفر بن فلاح قبل وقوع الحرب بينهما :

الكتب معذرة، والرسل مخبرة والحق متبع، والخير محمود
والحرب ساكتة، والخيل صافنة والسلم مبتذل، والظل ممدود
فإن أنبتم فمقبول إنابتكم وإن أبيتم فهذا الكور مشدود
على ظهور المنايا أو يردن فنا "دمشق" والباب ممدود ومردود
إني امرؤ ليس من شأني ولا أربي طبل يرن ولا نأي ولا عود
ولا اعتكاف على خمر ومجمرة وذات دل لها غنج وتأويد

ولا أبيت بطين البطن من شبع ... ولي رفيق خميص البطن مجهود
ولا تسامت بي الدنيا إلى طمع ... يوماً ولا غرني فيها المواعيد

ومن مختار شعره قوله:

له مقلة صحت ولكن جفونها ... بها مرض يسبي القلوب ويتلف
وخد كروض الورد يجنى بأعين ... وقد عز حتى أنه ليس يقطف
وعطفة صدغ لو تعلم عطفها ... لكان على عشاقه يتعطف

وقال في مرضه الذي مات فيه:

ولو أني ملكت زمام أمري ... لما قصَّرْتُ في طلب النجاح
ولكني ملكْتُ فصار حالي ... كحال البُدْن في يوم الأضاحي
يُقَدْن إلى الرَّدى فيمتن كرها ... ولو يسطعن طرن مع الرياح

وفي سنة[1] خمس وسبعين وثلاثمائة ورد الكوفة إسحق وجعفر الهجريان في جمع كثير، واستوليا على الكوفة، وخطبا لشرف الدولة، فانزعج الناس لذلك؛ لما في نفوس الناس من هيبتهم وبأسهم، وكان لهم نائب (ممثل) ببغداد، يعرف بأبي بكر بن شاهويه، وكان له في بغداد أمر نافذ، فقبض عليه صمصام الدولة، فلما ورد القرامطة الكوفة كتب لهم صمصام الدولة؛ يتلطفهم، ويسألهم عن سبب مجيئهم، فذكروا أنكم قبضتم على نائبنا، وذلك هو السبب، ووصل أبو قيس الحسن بن المنذر -وهو من أكابرهم- إلى الجامعين، فأرسل صمصام الدولة العساكر ومعهم إبراهيم بن مفرج العقيلي في

(١) المنتظم، ج٧ ص ١٢٦، وتاريخ ابن جرير، ج ٧ ، ص ١٢٦ .

طائفة من قومه، فالتقى الفريقان، وتناوشوا، وتطاردوا، ثم حمل إبراهيم وأصحابه ومن معه من فرسان الديلم، فانهزم القرامطة، وأُسِر أبو قيس وجماعة من قوادهم، وقُتلوا.

وعاد القرامطة، وسيروا جيشاً آخر في عدد كثير وعدة، والتقوا مع عساكر صمصام الدولة بـ"الجامعين"، فانجلت الوقعة عن انهزام القرامطة، وقتل مقدمهم، وأسر جماعة منهم، وأخذ سوادهم، وقصدوا الكوفة ثم رحلوا عنها، وتبعهم العسكر إلى القادسية، فلم يدركوهم، ورجعوا إلى "الأحساء".

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة جمع رجل من بني المنتفق -يعرف بـ"الأحيفر" - جمعاً كثيراً، وقصد بلاد القرامطة، فخرجت القرامطة للقائه، وكانت بينه وبينهم وقعة شديدة، قُتل فيها رئيس القرامطة، فانهزموا، وأسر منهم ناس كثير، وسار الأحيفر إلى "الأحساء"، فتحصن منه القرامطة، فعدل إلى "القطيف"، فأخذ ما كان فيها للقرامطة من الأموال والعبيد والمواشي، وسار بها إلى "البصرة". ومن حينئذ لم يغز للقرامطة جيش، ولزموا أرضهم، وكفى الله المسلمين شرهم. وهذا آخر ما ذكر ابن الأثير -رحمه الله- من أخبارهم.

ذكر حالة الأحساء في أيامهم نقلا عن رحلة ناصر خسرو الفارسي

قال فيها: دخلت الأحساء في آخر سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة، ثم خرجت منها، ووصلت البصرة في شعبان سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، وكانت الأحساء سوادها وقراها محاطة بأربعة أسوار، بين كل سورين فرسخ ، وفيها ينابيع المياه العظيمة ، يدير كل نهر منها

خمس طواحين، ويوجد فيها كل ما يوجد في البلاد المتمدنة، وليس فيها مسجد تقام فيه الصلاة حتى مر بها رجل أعجمي يسمى أحمد علي، يحمل الحجاج إلى مكة، وكان ثرياً، فبنى فيها مسجداً. وتصنع بها القراطيس الجيدة، وتحمل إلى البصرة والبلاد الأخرى، وتباع فيها لحوم جميع الحيوانات حتى الحمير والكلاب، ويوضع رأس الحيوان عند لحمه، وكانت العملة التي يتعاملون بها من الخزف.

قلت: ومن عوائدهم القبيحة المشهورة "ليلة الماشوش"، وهي ليلة عيد لهم تجتمع فيها النساء والرجال، فيغنون، ويلعبون، ويشربون الخمور، فإذا انتشوا أخذ كل رجل امرأة ممن يليه من النساء، فقضى حاجته منها، واستمرت هذه العادة فيهم، ثم زالت بزوالهم[1].

ذكر زوال دولة القرامطة من الأحساء

قال في "شرح ديوان ابن المقرب": لما كان العقد السادس من القرن الخامس ظهر الضعف في حكم القرامطة، وكانت جزيرة "أوال" تحت ولاية القرامطة، وكان أبو البهلول العوَّام بن محمد بن يوسف بن الزجاج ضامناً لمكوسها، فطمع في الاستبداد بها، وأظهر العصيان، وامتنع من أداء المكوس، فأرسل القرامطة إلى قبائل عبدالقيس، وقالوا لهم: استرجعوا جزيرة "أوال" من أبي البهلول، وهي لكم دوننا. فاجتمع جيش من عبدالقيس، ورئيسهم بشر بن مفلح، فنزلوا في موضع من جزيرة "أوال" يسمى "كسكوس"، وخرج أبو البهلول لقتالهم بجيشه، والتقى الفريقان، فكانت الهزيمة على جيش القرامطة، فانهزموا، وتم استيلاء أبي البهلول على جزيرة "أوال"، وخُطِب له فيها بالإمارة، وقوي أمره.

---

(١) وقد ذكرها ابن المقرب في شعره.

وخرج في "القطيف" يحيى بن العياش، وطرد منها عمال القرامطة، واستولى عليها، وقويت شوكته، وعجزت القرامطة عن استرجاع "القطيف" من ابن العياش، ثم طمع في ضم جزيرة "أوال" إلى "القطيف"، ولم يقدر له ذلك، ولما مات خلفه ابنه زكريا، فجهز جيشاً، وسار به إلى "أوال"، فظفر بأبي البهلول، وقتله، واستولى على جزيرة "أوال"، فكانت "القطيف" وجزيرة "أوال" ملكاً لزكريا بن يحيى بن العياش.

ذكر ثورة عبدالله بن علي العيوني على القرامطة في الأحساء وإخراجهم منها [(١)]

كان عبدالله بن علي رجلاً من بني عبدالقيس، يسكن مشارف "العيون" بالأحساء؛ ولذلك سمي العيوني، فطمع في أخذ الأحساء من القرامطة، وذلك في سنة ست وستين وأربعمائة، فكتب إلى جلال الدولة أبي الفتح ملك شاه السلجوقي، والخليفة يومئذ أبو جعفر القائم بأمر الله والوزير أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق نظام الملك ، وشرح له أحوال القرامطة وضعفهم، وأنه يريد أخذ الأحساء منهم، وإقامة الدعوة للدولة الجلالية العباسية في الأحساء، ويميت سنن القرامطة، فأجابه السلطان إلى ما أراد، وبعث إليه أكسك سالار بك "حلوان" وكورها، ومعه سبعة آلاف فارس، فسار من البصرة إلى الأحساء، واجتمع مع عبدالله بن علي، ثم سار إلى "القطيف"، فهرب منه زكريا بن العياش، وعبر إلى جزيرة "أوال"، فاستولى أكسك سالار على "القطيف،" وضبطها، ونهب ما ظفر به من أموال ابن عياش، ثم رجع إلى الأحساء، وحصر القرامطة، وشدد عليهم

(١) انظر: تاريخ ابن لعبون، ص ١٥١/ ٥٤.

الحصار، حتى أشرفوا على الهلاك، فأرسلوا إليه يطلبون المصالحة على مال يدفعونه إليه؛ فطمع في المال، وأجابهم إلى ذلك، فطلبوا منه أن يمهلهم مدة شهر؛ ليجمعوا له المال، ويفك عنهم الحصار، ويعطونه ثلاثة عشر رجلاً رهناً في المال، فتم الصلح على ذلك، وأرسلوا الرهائن، وفك عنهم الحصار. فخرجوا، وجعلوا يجمعون الأطعمة من مخازنها الخفية، ويدخلونها البلاد، فلما تم لهم ما أرادوا من جمع الذخيرة نقضوا الصلح، وتحصنوا في البلاد، فلما عرف أكسك سالار ذلك منهم قتل الرهائن، وشدد الحصار عليهم.

ولما طالت مدة الحصار سئم الجند الذين قدموا مع أكسك سالار المقام، وضجروا، فشاور أكسك سالار عبدالله بن علي في الأمر، فقال له عبدالله بن علي : اجعل معي من الجند مائتي فارس ، وارجع إلى بلادك ، ونحن نكفيك أمرهم إن شاء الله . فأبقى معه أخاه البقوش في مائتي فارس، ورجع إلى البصرة، فلما وصل أكسك سالار إلى ديوان الخليفة عبدالله بن محمد المقتدي بأمر الله ، خدم له، وذكر له ما جرى له مع القرامطة، وأنه لا بد له من الرجوع إليهم؛ حتى يستخلص سائر البلاد منهم، وخرج له التوقيع، وهذا نصه:

«الحمد لله المتوحد بالجمال والبهاء، المتفرد بالقدرة والكبرياء، المنجي من غياهب الشرك برسالة محمد ﷺ ، أكرم الخلق متحداً وأصلاً، وأشرفهم درجة ومحلاً، النبي العربي سيد الأنبياء وخاتم الأصفياء، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، والحمد لله الذي عضد الإسلام بالخلفاء الراشدين المهديين، الذين أزال الله بهم البدع والمنكر، وجعل الاقتداء بهم سبيل النجاة يوم الفزع الأكبر، وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله، فقال - عز من

قائل-: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[*1]، فصارت طاعة أمير المؤمنين لازمة الوجوب، وأضحت قلوب أهل الزيغ منه دائمة الوجوب، وغدت راياته حيث يممت منصورة ظاهرة، وفتوحه متتابعة متقاطرة. فالله يمتع أمير المؤمنين بالنعمة فيه، ولا يخلي دولته من حميد مساعيه، وليعلم بك سالار أن الخليفة وقف على ما كان له من جليل الخدمة، وامتثال الأمر في جهاد المبطلين، والقرامطة الملحدين، فليستمر في استئصال ذكرهم، وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم، قال الله -تعالى-: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾[*2]. وليعتمد إحماد السيرة فيما فتحه الله عليه من تلك الأعمال، وليقدم صالحاً ليوم تجد فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[*3]».

ولما قرئ التوقيع على أكسك سالار قبّل الأرض، ودعا، وانصرف. وحملت إليه الأنزال، وانحدر إلى "واسط" قاصداً "البصرة"، فوافاه الرسول من أخيه البقوش بكتاب يذكر فيه: «أن القرامطة أرسلوا إلى قبائل عامر، فجاءهم منهم خلق كثير، وكانت الواقعة بيننا وبينهم بموضع يعرف بـ"الرحلين" قلت: هو موضع بين بلد العمران وبحيرة الأصفر، فقاتلناهم حتى أدخلناهم القصر، فعند ذلك أذعنوا،

(*١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(*٢) سورة التوبة، الآيتان: ١٤-١٥.

(*٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

وذلوا، وطلبوا الأمان لأنفسهم، فأعطاهم عبدالله بن علي الأمان، وسلَّموا له البلاد».

ذكر ما كان من الحوادث بعد استيلاء عبدالله بن علي

لما تم لعبدالله بن علي الاستيلاء على الأحساء جهز ابن عياش جيشاً، وقصد الأحساء، فخرج عبدالله بن علي لقتاله، فالتقوا بالموضع المعروف بـ"ناظرة" ، وكان قريباً من قرية المقدام ، ودارت بينهم معركة شديدة، فانهزم ابن عياش، ودخل "القطيف"، فتبعه عبدالله بن علي، وأوقع بجنده عدة وقعات، ودخل ابن عياش "القطيف"، وعرف أنها لا تحميه؛ فعبر إلى جزيرة "أوال"، فجهز عبدالله جيشاً يقوده ابنه الأكبر الأمير الفضل بن عبدالله، فعبر إلى جزيرة "أوال"، وحارب ابن عياش، وقتل وزيره العكروت، فانكسر جناح ابن عياش، وهرب إلى "العقير"، وجمع جنداً من البوادي، وتوجه بهم إلى "القطيف"، فلقيه عبدالله بن علي في الطريق، فقاتله، وقُتل ابن عياش في هذه الوقعة، وتفرق جنده، وتم استيلاء عبدالله بن علي على "القطيف" وجزيرة "أوال". وإلى ذلك أشار ابن المقرب بقوله:

ولم ينج ابن عياش ومهجته ... يم إذا ما رآه الناظر ارتسما
أتى مغيراً فوافى جو "ناظرة" ... فعاين الموت منا دون ما زعما
فراح يطرد طرد الوحش ليس يرى ... حبل السلامة إلا السوط والقدما
فانصاع نحو "أوال" يبتغي عصما ... إذ لم يجد في نواحي "الخط"معتصما

فأقحم البحر منا خلفه ملك ما زال منذ كان للأهوال مقتحما
فحاز ملك "أوال" بعد ما ترك الـ عكروت بالسيف للغبراء ملتزما

ولما تم لعبدالله بن علي مُلْك "أوال" جعل ابنه عليا أميراً فيها.

ذكر غزو حاكم جزيرة قيس جزيرة أوال بعد استيلاء عبدالله بن علي عليها

قيس الذي نسبت إليه الجزيرة هو قيس أبو كرزاز بن سعد بن قيصر[1] . لما ملك عبدالله بن علي جزيرة "أوال" طمع أبو كرزاز في الاستيلاء عليها، فجهز جيشاً، وقاده بنفسه، ونزل الموضع المعروف بـ"سترة"، فبرز له الأمير علي بن عبدالله، ودارت رحى الحرب بينهما، فوقعت الهزيمة على قيس، وأُسر أخوه نام سار بن سعد، وقُتل من جند قيس ألفان وثمانمائة، وفر الباقون في سفنهم. وفي ذلك يقول ابن المقرب:

ويوم "سترة" منا كان صاحبه لاقت به سامت والحاسك الرغما
ألفين غادر منهم مع ثمان مئين صرعى فكم مرضع من بعدها يتما

ذكر الحرب بين عبدالله بن علي وبني عامر

لما ملك عبدالله بن علي "الأحساء" قطع ما كان لرؤساء بني عامر من العوائد والجرايات، التي أُجريت لهم أيام القرامطة، فأجمعوا على حربه، فأقبلوا ومعهم خلق كثير من البوادي، فالتقوا في فقور "السهلة".

(١) انظر: شرح ديوان ابن المقرب.

قلت: يوجد جنوبي قرية "الجفر" نخيل تعرف بالفقر، وبالقرب منها، وتقع جنوباً غرباً قرية "غامرة"، تسمى "السهلة"، والمنسوب إليها يسمى "السهلاوي"؛ فلعل الوقعة كانت فيها.

وأقبل بنو عامر يسوقون الإبل أمامهم، وهم خلفها، وصاحوا عليها، فكانت تدق الجموع، وخرج عبدالله بن علي لقتالهم، ولما رأى ما تفعله الإبل بالناس؛ أمر بضرب الدبادب والأبواق في وجوهها، فنفرت، ورجعت على أعقابها، فحطمتهم، فانهزموا. وحمل عليهم عبدالله بن علي، فقتلهم قتلاً ذريعاً، ولم ينج منهم إلا رئيسهم أحمد بن مسعر وأبو فراس بن الشباش في جماعة قليلة هربوا إلى العراق، وجهز عبدالله بن علي نساءهم وذراريهم والضعفة منهم، ووجّههم إلى عمان.

وتوفي عبدالله بن علي على رأس خمسمائة، رحمه الله تعالى.

ذكر ولاية الفضل بن عبدالله بن علي(*)

كان الفضل بن عبدالله بن علي شجاعاً كريماً بعيد الهمة، كثير الأسفار والتنقلات والتجول في البراري؛ لتعقب المفسدين، والأخذ

(*) يختلف دارسو تاريخ الإمارة العيونية حول أمر تولي الفضل بن عبدالله بن علي الإمارة بعد وفاة والده، فمنهم من يذهب إلى أن الفضل أُغتيل في تاروت في زمن والده على يد بعض خدمه في عام ٤٨٤هـ/ ١٠٩٠م، ومنهم من يميل إلى الأخذ بأنه تولى الحكم بعد والده، وأن اللبس في الأمر جاء بسبب تضارب تاريخ وفاته ووفاة والده.
انظر: د. فضل بن عمار العماري، ابن مقرب وتاريخ الإمارة العيونية في بلاد البحرين، مكتبة التوبة، د.ت، ص ص ٤٨ - ٥٠.
عبدالرحمن المديرس، إقليم البحرين في العصر العباسي: ٤٦٩ - ٦٣٦هـ/ ١٠٧٦ - ١٢٣٨م، رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، عام ١٤٠٤هـ ص ص ٩٨ - ٩٩.

على أيدي الأعراب، الذين يرتزقون من قطع الطرق، وسلب المارة، فأمنت البلاد في عهده.

وقد حمى لإبله وإبل المستضعفين من رعيته من "ثاج" شمالاً إلى "يبرين" جنوباً. ويروى أنه كان يتجول مرة في الصحراء التي حماها، فرأى أعرابياً يرعى غنمه في الحمى، فقال له أعرابي آخر: أما علمت أن هذا حمى الفضل؟ فقال:

وأين امرؤ في "زادبرد"[1] محله وأغنام سودي بعيد مذاهبه؟

"زادبرد"موضع في جزيرة "أوال" فيه قصور للفضل، كان يقيم فيها إذا كان في جزيرة "أوال" فما أتم البيت حتى ظهر عليه الفضل في جريدة من الخيل، فبهت الأعرابي، فكان ذلك من عجائب الاتفاق. وقد أشار إليها ابن المقرب بقوله:

وإن تفتخر بالفضل فضل ابن عبدل فيا بأبي أعراقه ومناسبه!
همام حمى البحرين سبعاً ومثلها سنين وسارت في الفيافي مواكبه
ولم يرع من"ثاج" إلى "الرمل" مصرم على عهده إلا استبيحت حلائبه
زمان يقول العامري لمن غدا يحذره عنه وذو الحمق غالبه:
وأين امرؤ في زاد برد محله وأغنام سودي بعيد مذاهبه؟
فلم يستتم القول حتى إذا به يسايره، والدهر جم عجائبه
فقال له: الآن التقينا فأرعدت فرائصه والجهل مر عواقبه

(١) في النسختين: متى يلتقي من "ناربرد" محله وآخره سودي ....إلخ.

ومن كرمه أن تجاراً ركبوا البحر، فغرق مركبهم بين "أوال" و"القطيف"، فذهب ما كان معهم، فأمر الفضل أن يكتب كل رجل ما غرق له، ففعلوا، فأعطى كل رجل ما يقابل ما له من النقود، وكان فيهم جوهري عنده عقود من اللؤلؤ، قيمتها مائة ألف، فأعطاه مائة ألف، فرجع إلى جزيرة "أوال"، فاشترى بها عقوداً، وذهب بها إلى البصرة، فأرسل إليه حاكمها، وسام منه ما يساوي ثلاثة آلاف بألف واحد، فقال له صاحب العقود: يا سيدي، خذ ما شئت، ودع ما شئت، فهذا كله حباء ملك عربي. قال: من هو؟ قال: ملك البحرين، الفضل بن عبدالله العيوني. فاستعظم ذلك ودعا بكأس ماء، وشربه وهو قائم؛ احتراماً للفضل. وإلى ذلك أشار ابن المقرب بقوله:

منَّا الذي قام سلطان العراق لـه   جلالة والمدى والبعد بينـهما

ذكر ولاية ابنه محمد بن الفضل(*١)

يكنى أبو سنان. كان يسكن جزيرة "أوال"، وأميره في الأحساء عمه علي بن عبدالله، وأميره في القطيف ابنه غرير(*٢)، وأبرز صفاته الكرم، يروى أنه قدم عليه شاعر من أهل العراق، يسمى الثعالبي،

(*١) يميل بعض دارسي تاريخ الإمارة العيونية إلى القول بأنه خلف جده عبدالله بن علي مؤسس الإمارة ، وأنه قد قام باتخاذ القطيف عاصمة للإمارة العيونية. انظر: عبدالرحمن المديرس، إقليم البحرين في العصر العباسي: ٤٦٩ - ٦٣٦هـ/ ١٠٧٦ - ١٢٣٨هـ، رسالة ماجستير من قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، غير منشورة، ص ص ٩٨ - ٩٩ .

بينما يعارض ذلك د. فضل بن عمار العماري، ابن مقرب وتاريخ الإمارة العيونية في بلاد البحرين، مكتبة التوبة، د.ت، ص ٤٨ - ٥٠.

(*٢) غرير أخوه، وليس ابنه، وقد عينه أميراً لجزيرة "أوال". انظر: المديرس، المصدر السابق، ص ١٠٣.

فمدحه بقصيدة، وكان عنده وزير ماليته، ولديه عقود من اللؤلؤ يعرضها عليه، فأمر الوزير أن تسلم جميع العقود للشاعر، فاستعظم الوزير ذلك، وأهمَّه، ومات من ساعته. وإلى ذلك أشار ابن المقرب بقوله:

منا الذي من نداه مات عامله ... غمًّا وأصبح في الأموات مخترما

ولما مات رثاه هذا الشاعر بقوله:

عزيز أن أعاتب فيك دهراً ... قليل همه بمعنفيه !

وأن ألقى الملوك ولستَ منهم ... وأن أطأ التراب وأنت فيه !

ذكر الحوادث بعد موت أبي سنان

لما مات أبو سنان بايع أهل القطيف والجند الذي فيه غرير بن محمد(*١)، وبايع أهل الأحساء والجند الذي فيه عليٌّ بن عبدالله؛ لأنه أكبر أفراد الأسرة المالكة، فتجهز غرير بن محمد(*١) لغزو عمه بالأحساء بجيش كبير، فاستعد الأمير علي -ويكنى أبا منصور- للحرب، وفتح خزائن الأطعمة، وفرقها على السكان، وأعطى كل أهل بيت ما يكفيهم سنة، وخرج أبو منصور بمن معه من الجنود، لصد الأمير غرير(*٢)، فالتقى الجمعان بموضع في الأحساء يعرف "بالسليمات"، واشتد القتال، وقُتل الأمير أبو منصور، وانهزم جنده،

(*١) غرير بن الفضل، وليس غرير بن محمد. المصدر السابق.

(*٢) يختلف دارسو تاريخ الإمارة العيونية حول مقتل الأمير أبي منصور علي بن عبدالله في تلك المعركة، فمنهم من ذهب إلى قتله فيها، ومنهم من ذهب إلى القول بأن أبا منصور علياً لم يقتل في تلك المعركة، وإنما قتل على يد ابنه منصور فيما بعد. انظر: المديرس، المصدر السابق، ص ١٠٤، وكذلك العماري، المصدر السابق، ص ٥٢.

وقُتل من الجند ثمانون رجلاً، وأسر خمسمائة وعشرون، وتحصن أهل الأحساء بالأحساء، ورجع غرير إلى القطيف، وبايع أهل الأحساء شكر بن علي[*١].

ذكر ولاية شكر على الأحساء

يكنى أبو مقدم، وكان عالماً كريماً، ورعاً، وشاعراً مجيداً، وفارساً شجاعاً، وضع المكوس عن جميع رعيته. وحينما تولى الأحساء خرج رجل يسمى حماد النائلي أو الوائلي[*٢]، وجمع جمعاً كثيراً من البوادي، وأقبل يريد الأحساء، وحاصر الأحساء ثلاثين يوماً، ثم حملوا على المدينة حملة شديدة، واقتحموا أبوابها، وكاد يتم لهم الظفر، فتلقاهم أبو مقدم وبنو عمه ومن معه من الجند وأهل البلاد، فردوهم على أعقابهم، وقَتَلوا منهم خلقاً كثيراً، حتى أنتنت الأرض، وسُمِّي ذلك الموضع "الخائس".

قلت: يوجد في نخيل قرية "البطالية" نخل يسمى "الخايس"، ولعله ذلك الموضع.

(*١) هناك من يجزم بعدم مبايعة أهل الأحساء شكر بن علي أثر تلك المعركة، إذ قال بعدم مقتل علي بن عبدالله وبقائه في حكم الأحساء، وأن تولي أبي مقدم شكر بن علي العيوني حكم الأحساء إنما تم بعد عدة سنوات من تلك المعركة حين اغتاله أحد أبنائه المدعو منصور، وقد فُسِّر إقدام الابن على فعلته بقيام والده بتعيين ابنه شكر ولياً للعهد، فأثار بذلك حفيظة ابنه الأكبر منصور الذي كان يعتقد أنه الأحق بولاية العهد وتولي الحكم بعد والده، فقام باغتيال والده. انظر: المديرس، المصدر السابق، ص ص ١١١ - ١١٢.

(*٢) يميل بعض من درس تاريخ الإمارة العيونية إلى تحديد زمن خروج حماد النائلي وإغارته على الأحساء إلى زمن إمارة أبي سنان محمد بن الفضل، وأن الذي صدها من قبله هو أبو المقدم شكر بن علي بن عبدالله في معركة "الخائس" المشهورة. انظر: العماري، المصدر السابق، ص ٥١.

وإليه أشار ابن المقرب بقوله:

منا الذي يوم حرب النائلي جــلا   يوم "السبيع" ويوم "الخائس" الغمما

ومات شكر -رحمه الله- بعد منتصف القرن السادس.

ذكر ولاية محمد بن أحمد المكنى بأبي الحسين بن عبدالله بن علي

في أيامه استفحل ملك العيـونيين، وامتد نفوذهم إلى نجد وبادية الشام، وقد جـعل الخليفة الناصـر لدين الله لمحمد بن أحـمد أبي الحسين خـفارة الحاج، إذا خرج من بغداد، حتى يصل إلى مكة، ويرجع منها، وقرر له الخليفة كل سنة ألفاً وخمسمائة حمل من البر، وألفاً ومائتين ثوباً من عمل مصر.

ذكر غزو محمد بن أبي الحسين لبوادي الشام وإيقاعه بهم

وسبب ذلك أن سعيد بن فضل ومـانع بن حديثة ومسعود بن بريك وهم رؤساء بني ربيـعة بن حارثة من طيـئ ، وانـضم إليهم دهمش بن سند بن أجـود، هموا بأخـذ حـاج بغداد، وخـفـر ذمة مـحمـد بن أبي الحـسين، فبلغ ذلـك الخليفـة، فـأرسـل إلى مـحمـد بن أبي الحـسـين، وأخبـره بذلك. فجـمع محـمد عـرب البحـرين، وانضم إليهـم عرب العراق من بنـي المنتفق وخفـاجة ، فـالتقوا بـ"لينـة" الموضع المعروف ، ودارت بين الفريـقين معركـة حامـية الوطيس، فـانهزمت قبـائل طيئ، وهرب دهمش ابن سند إلى العراق، واستجـار بمشهد الحسين بن علي رضي الله عنه ، فتـبعه مـحمد ، وحصـره في مشهـد الحسين ، وأرسل

الخليفة يعلمه بذلك، فأرسل الخليفة رجالاً، وقبضوا عليه، وحملوه إلى الخليفة.

غزو الأمير محمد لبني مالك وإيقاعه بهم على ماء الدجاني[1]

غزا الأمير محمد بني مالك على ماء "الدجاني" لخروجهم عن طاعته، فقتل منهم قتلى كثيرين، وسبى أموالهم، حتى مات كثير منهم جوعاً وعطشاً. وقد ذكر ابن المقرب هذه الغزوة في هذه القصيدة:

صداق المعالي مشرفي وذابل	وسابغة زغف وأجرد صاهلُ
وطعن إذا الغر المساعير أقبلت	تخبُّ مذاكيها بها وتناقلُ
وضرب إذا ما الصيد هابت وأحجمت	وفر من الفرسان من لا يقاتل
يجوب بها البيداء كل شمردل	يسارع في كسب العلا ويعاجل
فيا خاطب العلياء لا تحسبنها	حديث العذارى أنشأتها المغازل
تنح ودعها هكذا غير صاغر	لملك همام ما اشتهت فهو فاعل
أغر عيونيّ كأن جبينه	صحيفة سيف أخلصتها الصياقل
نماه إلى العلياء فضل وعبدل	وأحمد والقرم الهمام الحلاحل
هو المشرب العذب الذي طاب ورده	إذا خبثت للشاربين المناهل
حميد السجايا ما تروح عداته	مسالمة هاماتها والمناصل

---

(١) الدجاني: ماء معروف يقع غرب الدهناء، بينها وبين العرمة، قرب القاعية، وكثيراً ما يقرن بها، فيقال: الدجاني والقاعية. ورد ذكره في رجز أورده الهمداني.

يُحكِّم في أعــدائه حــدَّ سـيـفـه إذا حطمت في الدارعين العـوامل
يروم ذوو الأغراض إدراك شأوه وأين من البـحر الخضـم الجداول؟
فـقل للعـدى مهـلاً قليـلاً فـإنه سـمـام لمن يبـغي العـداوة قـاتل
كـأنكم لم تـعـرفـوا سـطواته إذا الحرب فارت من لظاها المراجل
سلوا تخبروا من غيـر جهل بفعله بني مـالك فـالحـر بالحق قـائل[1]
ألم يجلب الجرد العـتاق شوازبا من "الخط" تـتلوها المطايـا المراسل
إلى أن أناخت بـ"الدجاني" بعدما براها السـرى والأين فـهي نواحل
فـصبَّح حيـا لم تصبـح حـلاله قـديماً ولا رامـت لقـاه الجـحـافل
فكم غادرت من قرم قوم مجدلا تعض شـواه الخامـعات العـواسل
وكم عاتق لم تترك الخـدر ساعة تقلـب كـفـيـهـا لـه وهي ذاهل
تقــول ودمع العين منـهـا كـأنه جـمـان هوى من سلـكه مـتـوابل
حنانيك يا بن الأكرمين فلم تدع لنـا أمـــلاً تلوي عـليــه الأنـامل
وفي "لينة" أردى شـغامـيم طيئ جـهـاراً ولون الجـو بالـنقع حـائل
فـمن ينج من أسيـافـه فلقد نجـا وفي قلبـه خـبل من الرعب خـابل
وكان له بـ"الحزم" يوم عـصبصب وقد حشدت للحرب تلك القبائل
عنين وآل الفـضل من آل برمك[2] وكلـهم لـلعـــز أنـف كـــاهل
وجـاءت زبيـد كـالجـراد وطيئ وكلٌّ يمنـي نفـســه مـا يحــاول
وكــانوا يظنون الأمـيــر بداره مـقـيمـاً وجـاءتهم بذاك الرسـائل

---

(١) في المكية: «والحر للحق قابل»، وفي الهندية: «الحر للحق ناقل».

(٢) ليس آل فضل من "آل برمك"، بـل هم من طيئ، وكان جهـالهم ينتسبـون إلى الفضل ابن بني يحـيى بن برمك؛ لما هو معروف عن الـبرامكة من الكرم. ولكن الصـحيح من نسبهم أنهم من قبيلة طيئ. نص على ذلك مـتقدمو المؤرخين كابن خلدون وابن فضل الله العمري والقلقشندي والنويري وغيرهم.

فضاقت على أحياء قيس رحابها من الخوف وانسدت عليها المناهل
فسار من "الأحساء" تطوي به الفلا عتاق المذاكي والمطي الذوامل
ومرت بقصر "العنبري" ولم يكن لها بسوى دار الأعادي تشاغل
فما شعروا حتى تداعت عليهم كما يتداعى صيِّب متواصل
فثاروا يرشون الطراد وكلهم يطاعن في موجاتها ويقاتل
إلى أن بدت من آل فضل عصابة قصير لديها الباذخ المتطاول
يقود نواصيها أخو الجود ماجد وفضل إذا هاب الكميّ المنازلُ
وأقبل ليث الغاب أعني محمدا يفتش عن أشباله ويسائل
فأوردهم صدر الحصان كأنه بأخذ نفوس الناس بالسيف كافل
فصاروا شلالا[1] من أسير وهارب ومن هالك تبكي عليه الثواكل

وامتد سلطان محمد بن أحمد أبي الحسين على جميع عرب البادية من "حلب" إلى "عمان"، فلا يتعرض أحد لأحد، وأمنت السبل في أيامه، ومشت القوافل بغير خفارة لأحد.

ذكر المؤامرة على قتله غِيلةً

اجتمع غرير بن الحسن بن شكر بن علي بن عبدالله بن علي العيوني، وراشد بن عميرة بن غفيلة رئيس بني عامر، يقال: إنه جد العماير القبيلة الموجودة في القطيف الآن[2]، وأبرموا معاهدة لاغتيال الأمير محمد، على أن يكون لراشد بن عميرة جميع ما كان للأمير محمد من الأموال والذخائر، وتكون البلاد لغرير بن الحسن. فجعل راشد يتحين الفرص، حتى قتله غيلة

(١) في المكية: سلابا.
(٢) العماير من عبدالقيس، وقد دخلوا أخيراً في بني خالد الذين هم من بني عقيل بن عامر.

بين "صفوى" و"الآجام" ببلد "القطيف"، وكان للأمير محمد ثلاثة أبناء: الفضل -وهو أكبرهم- وماجد وأحمد، فكتب الفضل للخليفة الناصر لدين الله بذلك، وطلب منه النصرة والنجدة؛ حتى يأخذ بثأر أبيه، فبادر الخليفة بإنجاده، وأرسل له الأموال والأسلحة، ووعده بإرسال الجنود إذا احتاج إليها، فبذل الفضل الأموال في رؤساء العشائر، وكثر جمعه، فتتبع قتلة أبيه، فقَتَلَ أكثرهم، وهرب الباقون من وجهه، وملك فضل البلاد.

وقد رثى ابن المقرب الأمير محمداً بهذه القصيدة:

ظننت حسودي حين غالت غوائله	يريع إلى البقيا وتطوى حبائله
وقلت: كفاه ما لقيت ونالني	به الدهر مما كان قدما يحاوله
فأغمضت جفناً والقذى ملء ناظري	وأبديت سلما ليس تخشى دغائله
وأطفأت نار الجهل بالحلم بعد ما	غلى المرجل الأحوى ودقت توابله
فما زاد ذو الأضغان إلا تماديا	ولا بشرت إلا بشرٍّ مخايله
فلا ترج يوماً من حسود مودة	وإن كنت تبدي وُدَّه وتجامله
فقل لخليع همه ما يسوؤني	رويدك فات الزج بالرمح عامله
فلا تحسبني ضقت يوماً بما جرى	ذراعاً فما ضاقت بحر[1] مراكله
فقد يدرك البدر الخسوف وتنجلي	غياهبه عن نوره وغياطله
ولا بد لي من وقفة قبل رحلة	أذيل بها دمعي فينهل وابله
على جدث أضحى به المجد ثاويا	بحيث ترى "شط المزار" يقابله

قال الشارح : والمزار أرض بالقطيف فيها قبر الأمير محمد بن أبي الحسين.

---

(١) في المكية: ببحر.

قلت: ذكـــر لي بعض أهــل الـقطيف أن "شط المـــزار" بين الآجــام ومقابر صفوى.

فيـا عجبـا من ملحَد ضم فـيلقا ... وطوداً وبحـراً يركـب المزن عـاقلُه
مضى طاهر الأخلاق والخيم لم يمل ... إلى سفـــه يومـاً ولا خـــاب آمله
فيا لك من مجـد تداعت فروعه ... ومـال ذراه وانـقـعـرت أســافله!
ليبك العلا والمجد والبأس والندى ... لقـد صل واديهـا وجفت مـسـايله
وتندبه البـيـض الصـوارم والقنا ... لما أنـهلتـــهـــا كـــفـــه وأنامـله
لعمـري لئن كان الأمـير محـمد ... قضى وأصـيبت يوم نحس مـقاتله
لقـد مـنيت منه الأعـادي بثـائر ... همام أبى أن يحمل الـضيمَ كاهلُه
أبا الفضل لا زالت لنعماك تلتقي ... بمغناك سـادات الـورى وعـبـاهله

ذكر الصلح الذي تـم بـيـن الأمير فضل بن محمد وبـيـن ملك جزيرة قيس غيـاث الدين شاه

في سنة ست وستمـائة وقع صلح بين الأمير الفضل بن مـحمـد بن أحـمد أبي الحـسين وبين ملك "جزيـرة قيس" غـياث الدين شـاه بن تاج الدين جـمشـيـد، وتمت المعـاهدة على الشروط الآتيـة: أن تكون جـزيرة "أكل" ومـقاسـمهـا وبرها وبحرها وخـراجهـا وما يتـعلق بها، وجـزيرة "الجارم" وما يتعلق بها، وجزيرة "الطيور" وأدم المدبغة ما خلا مائتي جلد، و"ملا" فـي ظهر الحـورة، و"سماهـيج"، وجمـيع مسـاكر الأسمـاك إلى "المروزان"، وخـمـسـمـائة دينار كل سنـة لملك جـزيرة "قـيس". وتكون المقـاسم والخراج والحلـقة وطراز الغـاصـة والطيور والعـشـور بين ملك جزيرة قيس وبين ملك العرب الفضل بن محمد مناصفة.

وفي هذا العهد لمس علي بن المقرّب الضعف يدب في جسم الدولة، فلانت قناتها، ووهنت عزماتها، وتحكم فيها عداتها، وكان ابن المقرب حماسي الطبع، حاد المزاج، تجمعه مع البيت المالك أواصر الرحم ووشائج القربى، تربى في عز باذخ، وبيت شامخ، فجعل ينظم القصائد الحماسية، ويندد بسياسة الهون واللين، حتى مقتته الأسرة المالكة، وباعدته، وفي بعض الظروف صادرت أمواله رجاء أن تكسر من حدته، وتقلل من شدته، فلم يزده ذلك إلا تصلباً؛ لما يعلم من عواقب التراخي والدعة، ومما قال في ذلك:

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد ... وهب لصروف الدهر ما أنت واجدُ
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه ... فواعجبا[1] إن سالمتك الأباعد!
ولا تشك أحداث الليالي إلى امرئ ... فذا الناس إما حاسد أو معاند
وعد عن الماء الذي ليس ورده ... بصاف فما تعمى عليك الموارد
فكم منهل طامي النواحي وردته ... على ظمأ فانصعت والريق جامد
فلا تحسبن كل المياه شريعة ... يُبَل الصدى منها وتوكى المزاود
فكم مات في البحر المحيط أخو ظما ... بغلته والماء جار وراكد
وإن وطن ساءتك أخلاق أهله ... فدعه فما يغضي على الضيم ماجد
فما "هجر" أمٌّ غذتك لبانها ... ولا "الخط" إنْ فارقتها لك والد
فبت حبال الوصل ممن توده ... إذا لم يرد كل الذي أنت وارد
وقل لليالي كيفما شئت فاصنعي ... فإن على الأقدار تأتي المكايد
ولا ترهب الخطب الجليل لهوله ... فطعم المنايا كيف ما ذقت واحد

---

(١) في المكية: فلا عجبا.

وفيها يقول:

فقم نحصد الأعمار أو نبلغ المنى ... بجد فللأعمار لا بد حاصد
فليس بصعّاد إلى المجد عاجز ... نؤومٌ تناديه العلى وهو قاعد
وفي السعي عذر للفتى لو تعذرت ... عليه المساعي أو جفته المقاصد
خليلي كم أطوي الليالي وعزمتي ... تنولني الجوزاء والجد راقد؟
وكم ذا أناجي همة دون همها ... نجوم الثريا والسها والفراقد؟
وتقعدني مما أحاول نكبة ... جرت وزمان عاثر الجد فاسد
وإخوان سوء إن ألمت ملمة ... بسوء فهم أساسها والقواعد
يسرون لي ما لا أسر وكلهم ... على ذاك شيطان من الإنس مارد
لقد بذلوا المجهود فيما يسوؤني ... وقد كنت أرمي دونهم وأجالد
وأعجب ما لقيت أن بني أبي ... حسام لمن يبغي جلادي وساعد
عزيزهم إنْ لُذْتُ يوماً بظله ... رأيتُ سموماً وهو للخصم بارد
وسائرهم إما ضعيف فضعفه ... له عاذر أو مبغض لي مجاهد
هم ألحموني التائبات وأولغت ... بلحمي أسود منهم وأساود
وهم تركوا عمداً جنابي ومربعي ... من الجدب لا يرجو به الخصب رائد
وهم شمّتوا بي حاسديّ وذلكم ... من الأمر ما لا ترتضيه الأماجد
فيا فضل[1] قد طال انتظاري ولم أقم ... شتاء وقيظاً عند مثلك وافد
وقد زالت الأعذار لا الغوص بائر ... ولا البحر ممنوع ولا السعر كاسد
ولا أنت محجور التصرف في الندى ... عليك رقيب في لوائك راصد
ولا في بني فضل بخيل وإنهم ... إذا اغبرت الآفاق غرٌّ أماجد

(١) في النسختين: أبا الفضل.

فـلا تقـطعنْ مـا بيننـا من مـودة وقربى وخلِّ الشعر فـالشعر كاسد

فهات فقل لي : ما أقول لأسرتي؟ فكل عـن الأحــوال لا بد نـاشــد

وكلـهم ســـامٍ إليَّ بـطـرفـــه يظن بأن الـزارع الخـيـر حــاصـد

فلا تتكل يا فضل في الفضل والندى على ســالف أســداه جــد ووالد

فلا حمـد إلا بالذي يفعل الفتى ولو كـثــرت في أوليـه المحــامـد

فكن عند ظني فـيك لا ظن عـاذل نعـاني على قـصديك فـالمال نافـد

وغـيـر خـفيٍّ نبل من تعـرفـونه وهل لضياء الشـمس في الأرض جاحد؟!

وعش وابق واسلم وانج من كل غمة جنابك مـحروس ومـجدك خـالدُ

فلم يظفر ابن المقرب منه بطائل؛ لأن الوشاة قد حملوا الفضل على إبعاده، وعدم قبول نصائحه.

ويظهـر لنا من القـصـيدة الآتيـة أن الأمن قـد تقلص في البـلاد في أيامه، وسـادت الفوضى، وانتقل الحكم من يده إلى ابن أخـيه علي بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين.

ولاية علي بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين

لما تولى علي بن مـاجـد زمام الحـكم أظهر العـدل، وأخـذ على يد المجرمين، فعاد الأمن إلى البلاد، وسار بها الاستقرار، فقال ابن المقرب يمدح علياً :

صدَّتْ فجـذَّتْ حبل وصلك زينب تيـهاً وأعـجبـها الشـباب المعـجبُ

لا تعـجبن -يا قلب- من هجرانهـا فـوصــالهـا لو دام منهــا أعـجب

أغـرى المليـحـة بالصـدود ثلاثة: نأي، وإقـــلال، ورأس أشــــيب

فاضرب عن استعتابها صفـحاً فما ذو الشـيب والإقـلال ممن يعـتب

واستبق مـاء الوجه منك وكن به حـــيّـــا ولا تقل الـقلوب تقـلب
ولئن طمعت بـأن تريع وترعوي والحـال تلك، فمـرحـباً يا أشـعب
يا حـبـذا وادي "الحـسـاء" فـإنه لو ســـاءنـي واد إليّ مـــحــــبب
بل حـبذا "درب الشـليم" وحبـذا ذاك الـقـطـين بــه وذاك المـلـعـب
وعـصابـة فارقـتـهم لا عن قلى مني ومــالي غــيـــر ودّهم أب
وكــــريمة الـطرفـين ذروة وائل آبـاؤها وجـــــدودها إذ تـنسـب
وبعيدة الأقطار طامسة الصوى تيـهـاً تموت بها الظبـا والأرنب
أقـحمـتهـا سـرح النجاء شـملّة أجـدى يبـاريهـا كـميت مـذهب
مـا لي بها مـن صاحب إلا هـمـا ومـــهـنّـد عـــضب، وقلب قُـلّبُ
ولقـــد حلبت الدهر أشـطر نابه وعـرفت مــا يبـقى ومـا يتــقلب
فـإذا مــودة كل من أصـفـيــتـه ودي لدى الحـــاجـات بـرق خلب
يا هاجـر الأوطان يطلب ماجـداً يلجــا إليـه مـن الزمـان ويهــرب
انزل عـلى المـلك الـذي بفـنائـه تلقى الرحـال ويـسـتـريح المتـعب
انزل على البحر الخضم فما بقي ملـك ســــواه به تـناخ الأركـب
انزل على الندب الهمـام فما ترى أحــداً ســواه إلى المكـارم يرغب
مـتوقّـد العزمـات يُخشى بأسـه ويَخـاف صـولتَـه الهـزبرُ الأغلبُ
أمضى من الصمصام عزماً والدما تكسـو المناكب والـنفـوس تسلب
والبيض في أيدي الكمـاة ضياؤها يطفـو مـراراً في الـغـبـار ويرسب
فـكـأن أطـراف الأســنـة أنجـم شـهب وداجي النقـع ليل غـيـهبُ

إلى أن قال:

لله درك يا علي فلم يعد إلاك في هذا الزمان مهذَّبُ
أضحت بك "الأحساء" ساكنة وقد خفت بمن فيها وكادت تقلب
لو لم تداركها وترأب صدعها لغدت بها خيل الهلاك توثب
أحييتها بعد الممات وبعدما قامت بواكيها تنوح وتندب
دفعتها من بعدما كانت سدى في كل ناحية تغار وتنهب
وملأتها عدلاً وكانت عممت جوراً تغور به البلاد وتخرب
ورفعت عنها المؤذيات وطالما راح البلى في جوها يتصبب
حتى كأنك -والمشبِّه صادق- "عمر" بها وكأنما هي "يثرب"
نام الغني وكان قبلك لا يني خوف المظالم ساهراً يتقلب
ومشى الفقير ضحى وهونا آمناً بالإلتفات وأسفر المتنقبُ

إلى آخرها.

وذكر شارح ديوان ابن المقرب أن أبا علي إبراهيم بن عبدالله بن غرير بن إبراهيم بن أبي جروان -وكان من رؤساء بني عبدالقيس- عقد مؤامرة مع جماعة للقبض على علي بن ماجد، وقد علم علي بذلك، فخرج من البلاد، وبايعوا مقدم بن غرير بن الحسن بن شكر بن علي بن علي - المكنى أبو منصور- بن علي بن عبدالله بن علي مؤسس دولة العيونيين .

وكان مقدم قد نشأ في البادية، ليس له علم بالسياسة التي تحميه من فساد التدبير، وتمكنه من مكايدة الأعداء، وتقيه مكرهم وخداعهم، وضعفت الدولة عن الأخذ على أيدي المفسدين، فتكالبت عليهم البوادي، وأخلوا بالأمن، واعتدوا على الحاضرة، وطمعوا فيما في

أيديهم من المال والعقار، فكان الأغنياء يعطونهم ما طلبوا منه، ليأمنوا شرهم، فلم يزدهم ذلك إلا تمادياً في الشر والفساد.

وقد سمَّى ابن المقرب جماعة من رؤساء البادية المفسدين في القصيدة التي قالها في تأنيب إبراهيم بن جروان الذي كان السبب في تولية مقدم بن غرير. وإليك ما قال فيها:

فكفى لكم بقديمة[1] ومقدم ... وبعبدل والنكد من حرثانِ
وبجعفر وبمسلم ومطرف ... ويزيد والأحلاف والندوانَ
وسواقط أضعافهم قذفت بهم ... نجد من الآكام والغيطان
لا يعرفون الله جل ولا لهم ... علم بيوم البعث والميزان
قد بان عجزكم وكلكم يد ... عنهم فكيف وأنتم حزبان؟
فاحموا دياركم التي عرفت بكم ... من قبل مقتل عامر الضحيان
لا تحسبوا شرَّ العدو تكفه ... عنكم مصانعةٌ وحملُ جفانِ
والله ما كف المعادي عنكم ... من دون سلب معاجر النسوانَ
لم يبق مال تتقون به العدى ... لربيعة فيها ولا قحطان
أخذوا "الحساء" من "الكثيب" إلى محا ... ديث "العيون" إلى نقا "حلوان"
و"الخط" من "صفواء" حازوها فما ... أبقوا بها شبرا إلى "الظهران"
والبحر فاستولوا على ما فيه من ... صيد إلى در إلى مرجان
ومنازل العظماء منكم أصبحت ... دوراً لهم تكرى بلا أثمان

إلى أن قال:

---

(١) قديمة : رجل من بني عامر بن عقيل، وإليه تنسب محلة "القديمات" في المبرَّز. المؤلف.

يا راكباً نحو "الحساء" شملَّة تنمى لموجدة القرا مذعان
أبلغ -هديت- أبا علي ذا العَلا عني السلام وقل له ببيان:
أتراك ترضى أن يحدِّث جاهل أو عالم من نازح أو داني
فيقول: كان خراب دار ربيعة بعد العمار بنو أبي جروان؟
يأبى لك الطبع الكريم ونخوة عربية شهدت بها الثقلان
فلأنت إن أنصفت عين زماننا يا با عليٍّ، وعين كل زمان
ودع احتجاجك بالأمير فإنه ما لا يجوز علي ذوي الأذهان
واعلم بأن الرشد إن حاولته في طاعتي والغيَّ في عصياني
والرأي عندك ما تقول وما ترى لا ما رأى قلبي وقال لساني

ثم رأى أهل الحل والعقد من الوزراء والرؤساء أن يولوا الأمر محمد بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين، فنودي به ملكاً على البحرين، ومدحه ابن المقرب بهذه القصيدة:

خذوا عن يمين المنحنى أيها الركب لنسأل ذاك الحي ما فعل السربُ؟
عسى خبر يحيي حشاشةَ وامق صريعُ غرام ما يجف له غرب
بأحشائه نار اشتياق يشبُّها زفيرُ جوىً يأبى لها النأيُ أن تخبو
ألا ليت شعري والحوادث جمة وذا الدهرُ سيف لا يفلُّ له عضب
عن الحي بالجرعاء، هل راق بعدنا لهم ذلك المرعى ومورده العذب؟
وهل أينع الوادي الشمالي واكتست عثاكيل قنوان حدائقه الغلب؟
وهل بعدنا طاب المقام لمعشر بحيث تلاقي ساحة الحي والدرب؟
وهل عندهم من لوعة وصبابة كما عندنا والحب يشقى به الحب؟
وهل علمت بنت المقاويل أنني بغير هواها لا أهيم ولا أصبو؟

وبيـضاء مثل الـبدر حسنـاً وشارة ... يزين بها السب المزبرق والأتب[1]
إذا مـا نسـاء الحيِّ رحـن فـإنهـا ... لها النظرة الأولى عليهن والعقب
تحيَّـر فيـها رائق الحـسن فاغـتدت ... وليس لهـا فيـهن شكل ولا ترب
بدت سافراً من "درب دينار"[2] والصِّبا ... يرنِّحـها والتـيه والدل والعـجب
رأتني وأبدت عن أسيل وحـجبت ... بذي معـصم جذل يعض به القلب
وقـالت: غـريب والفـتـاة غـريبـة ... ولا في نكـاح الحل ذام ولا ذنب؟
فـقلتُ لهـا: إني ألوف ولي هوى ... وما لي في بغـداد شعب ولا سرب
فقالت: وأين الشعب والسرب والهوى؟ ... فقلت: بحـيث الكر والطعن والضرب
فقـالت: أرى "البحـرين" دارك والهوى ... بنوك وهذا ما أرى، فمن الشعب؟
فـقلت: سلي حـيي نزار ويعـرب ... بأعظمها خطباً إذا استبهم الخطب
وأمنعـها جـاراً، وأوسعـها حـمى ... وأصعبـها عزاً إذا استـرحل الصعب
وأنهـــرها طعنـاً وضــرباً ونـائلاً ... إذا اغبـرت الآفاق أو هـزت الحرب
وأقـتـلهـا للمـلك صعَّــر خـده ... قديم انتظام الملك والـعسكر اللجب
فـقـالت: لعـمـري إنهـا لربيـعـة ... المعـالي لا "كـلاب" ولا "كلب"[3]
ولو سـئلت يومـاً ربيـعـة من بهـا ... له خضعت وارتجت الشرق والغرب؟
ومن خـيـرها طرا قـديماً وسـالفـا ... وأنجبها عـقباً إذا أخلف العقب؟
لأخــبــر أهل العلم أن ربيــعــة ... رحى "آل إبراهيم" فـي سـرها قطب
هم الناس كل الناس والناس فضلة ... إذا ناب أمْـر أطَّ من حـمـله الصلب
بهم يدرك الشـأو البعيـد وعندهم ... للمتـمس المعروف مرتبـع خصب

---

(١) السب: الخمار. والأتب: كساء رقيق تلبسه النساء.
(٢) درب دينار: في بغداد.
(٣) كلاب : قـبيلة معـروفـة من قيس عدنان، وكلـب : قبيلة مـعـروفة مـن قضـاعة مـن قحطان.

وفيهم رباط المكرمات وراثة يورِّثها المولود والده الندب
ولولا أياديهم، وفضل حلومهم، لزلزلت الأرضون، وانقضت الشهب
خفاف إلى داعي الوغى غير أنهم ثقال إذا خفت مصاعبها الهلب
أطاعت لهم ما بين "مصر" إلى "قنا" إلى حيث تلقى دارها "الشحر" و"النعب"
تحنُّ إلى بذل النوال أكفُّهم حنيناً كذات السقب فارقها السقب
وأكثر ما تلقاهم ولباسهم حبيك الدلاص التبعيات لا العصب
وأيامهم يومان: يوم لنائل يقول ذوو الحاجات من فيضه: حسب[1]
ويوم تقول الخيل والبيض والقنا به والعدا: قطناً فلا كانت الحرب
وإن ضُنَّ بالعدان كان قراهم سديف المتالي لا عنود ولا وطب
أولئك قومي حين أدعو وأسرتي وتنجبني منهم شرامخة غلب
وما أنا فيهم بالمَهين وإنني إذا عدّ فضل فيهم الرجل الضرب
لي البيت فيهم والسماحة والحِجا وذا الصبر حين الباس والمقْول الذرب
وإن ابتعادي عنهم وتغربي ترامي بيِ الأمواج والحزن والسهب
لغير اختيار كان مني ولا قلًى وإنهم لِلعينِ والأنفُ والقلبُ
ولكنها الأيام تبعد تارة وتدني، ولا بُعْدٌ يدوم ولا قرب
وإني حفيٌّ عنهم ومسائل بهم حيث يثوي السُّفْر أو ينزل الركب
ولي فيهمُ سيفٌ إذا ما انتضيته على الدهر أضحى وهو من خيفة كلب
همام علت هماته فكأنما يحاول أمراً دونه السبعة الشهب
على كل باع باعه وتواضعت لعزته وانقادت العجم والعرب
سليل علا من دوحة طاب فرعها وطالت ذرى أغصانها وزكا الترب
سما للمعالي قبل يبقل وجهه فأدركها والمكرمات له صحبُ

(١) أي: حسبنا؛ يكفينا.

وذكر شارح ديوان ابن المقرب أن محمد بن ماجد قتله ابن عمه محمد بن مسعود، وتولى محمد بن مسعود البلاد، ثم ابنه الفضل، وفي عهده زالت دولة العيونيين.

وذكر شارح ديوان ابن المقرب أن جلساء الأمير المذكور تواطؤوا مع رؤساء قبيلة بني عقيل بن عامر، على أن يشنوا على البلاد حرباً، ويحاصروها، وهم بعد ذلك يشيرون على الأمير بطلب الصلح، وإذا طلب الصلح منهم يجيبونه إلى ذلك بشرط أن يعطيهم جميع القصور والبساتين الخاصة بالأسرة المالكة، وإذا استشارهم أشاروا عليه بذلك. فنفَّذ رؤساء بني عقيل خطة المؤامرة، وحاصروا الأحساء، وأفسدوا زروعها وثمارها، وكان ذلك في وقت الأرطاب؛ فضاق الأمير بذلك ذرعاً، وجعل يتلمس الرأي من الجلساء والمستشارين، فأشاروا عليه بطلب الصلح، فأرسل الأمير إلى رؤساء بني عقيل -وهم بنو عصفور-؛ يطلب منهم الصلح، فأجابوا على شرط أن يسلم إليهم ما يرغبون فيه من القصور والبساتين، الخاصة بالأسرة المالكة، فثقل عليه الشرط، وعرض الأمر على أولئك النفر الذين دبروا المؤامرة، فأشاروا عليه بقبول الشروط، وقالوا: إن ذلك أيسر من ذهاب البلاد كلها. فقبض على جميع ما أرادوا من البساتين والقصور، وسلمه إلى رؤساء بني عقيل، وفكوا الحصار، ودخلوا البلاد دخول الفاتحين، وأصبحت الأسرة المالكة فقراء معدمين؛ فقال علي بن المقرب يتوجع من هذه الفاجعة:

بعض الذي نالنا -يا دهر- يكفينا فامنن ببقيا وأودعْها يداً فينا
إن كان شأنك إرضاء العدو بنا فدون هذا به يرضى معادينا
الحمد لله حمداً لا نفاد له إذ لم يكن صفعُنا إلا بأيدينا
خافت بنو عمنا أمراً يعاجلنا من قبل إلحاق تالينا بماضينا
واستيقنت أن كل الملك منتزع ولو تمكّث في أربابه حينا
وحاذرت دولة في عقب دولتها تأتي سريعاً فتلقي سمها فينا
فلم تدع لمرجِّي سلب نعمتنا أرضًا قراحاً بأيدينا ولا لينا
ولم تزل هذه فينا عنايتها حتى تساوى أبو ست[1] وستينا
هذا هو الحزم والرأي السديد فلا يظنه القوم زهداً في معانينا
والفقر في أرضنا خير لصاحبه من الغنى، والقليل النزر يكفينا
لما يعانيه ربُّ المال من تعس في أرضنا لا لأن المال يطغينا
وكم غنيٍّ عندنا قد جرَّ داهية دهياء تترك فحلَ القوم عنينا
فانظر -أخا العقل- ذا التدبير إن له شأناً عظيماً وضمِّنه الدواوينا
لم يهتد المرء كسرى أن يدبِّرهُ وكان أرجحها عقلاً وتمكينا
وصاحب قال لي والعين تخرسه حيناً، وينطق بالشكوى أحايينا
أما ترى قومنا فينا وما صنعوا لم يتركوا أملاً فينا لراجينا؟
مالوا علينا مع الأيام واستمعوا فينا أقاويل شانينا وقالينا
من غير ذنب سوى قصَر بألسننا عما يعاب، وطول في عوالينا
وأننا نَردُ الهيجاءَ تحسبنا من زارنا في الوغى جنًّا مجانينا
ولا نبالِي شققنا في عجاجتها هوادي القوم أو شُقَّتْ هوادينا
ويكره الصعدة الصماء أصغرنا سنا ويفحم كهل القوم ناشينا

---

(١) في المكية : حتى تساوى ابن ست وابن ستينا.

نحن الملوك وأرداف الملوك وفي بحبوحة العز شاد العز بانينا
آباؤنا خير آباء إذا ذكروا كانوا المشاوذ، والناس التساخينا[1]
أيامنا لم تزل غراً محجلة ولا تباع بأيام لياليا
ترعرع الملك في أبياتنا ونشا حتى استوى ومربيه مربينا
يا ليت شعري أي الذنب كان لنا حتى به اجتيح دانينا وقاصينا؟
أضحت بساتيننا تهدى بأحسنها شقصاً لأدنى خسيس من موالينا!
إنا إلى الله لا أرحامنا نفعت ولا طعان حماة القوم يحمينا

إلى أن قال:

يا خيبةَ السعي يا خسران صفقتنا يا شؤم حاضرنا الأشقى وبادينا!
كنا نخاف انتقال الملك في مضر فمرحباً بك يا ملك اليمانينا
فلو تولتِ ملوك الروم ما فعلت معشار ما صنعت إخواننا فينا
كنا نضجُّ من الحرمان عندهم ونطلب الجاه منهم والبساتينا
فاليوم نفرح أن يبقوا لموسرنا من إرث جديه سهماً من ثمانينا
أفدى الذي قال الأشعار سائرة قدماً يدونها الراوون تدوينا:
يا طالب الثار قم لا تخش صولتنا فما نراعي بها من لا يراعينا
فسوف يسقى بكاسات العقوق على حرِّ الظما من بكاس الغبن يسقينا
نال المعاند منا ما يحاوله سراً وجهراً وتعريضاً وتعيينا
رامت ذوو أمرنا إطفاء جمرتنا فعندها ألحقوا "الأحساء" بـ"يبرينا"

يظهر من هذه القصيدة أن الأسرة المالكة قد حقدت على الملك؛ لأخذه قصورهم وبساتينهم وتسليمها لرؤساء بني عقيل، فنفضت

---

(١) المشاوذ: العمائم، والتساخين: الخفاف.

يدها من مناصرة الملك، فـتلاشت سلطته، وتقلص نفوذ العـيونيين من ذلك الحين، وانتقلت السلطة لبنـي عصفور رؤساء بني عـقيل ، وذلك في العقد الرابع من القرن السابع من الهجرة[١] .

(١) يوجد في الكتاب: رقم (٦٣٧) تاريخ، مخطوطات المكتبـة التيمورية المضافة إلى دار الكتب، في ص ٣٥٩ منه: بيان أسماء الأمراء العيونيين ومدة حكمهم للأحساء، يفيد في معرفة ترتيب حكمهم، وعدة سني بعضهم، والمؤلف شيعي رحالة، من أهل القرن العاشر الهجري.

ذكر انتقال الحكم في الأحساء من العيونيين إلى بني عامر بن عوف بن مالك بن عامر بن عقيل

قال ابن خلدون في التاريخ[١] نقلاً عن أبي سعيد المؤرخ أنه قال: سألت أهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة المنورة سنة ٦٥١هـ، فقالوا: الملك لعصفور وبنيه، وبنو أبي الحسين من رعاياهم.

وذكر الحمداني[٢] أن "آل عامر" هؤلاء قد وفدوا على السلطان بيبرس بالديار المصرية، مقدمهم محمد بن أحمد بن العقدي بن سنان بن غفيلة بن شبانة بن قديمة بن شبانة بن عامر، فعُوملوا بأتم الإكرام، وأُفيض عليهم سابغ الإنعام، ولُوحظوا بعين الاعتناء.

قال في "مسالك الأبصار"[٣]: وتوالت وفادتهم على الأبواب العالية الناصرية، وأغرقتهم تلك الصدقات بديمها، فاستجلبت النائي منهم، وبرز الأمر السلطاني إلى آل فضل رؤساء بوادي الشام، بتسهيل الطريق لوفودهم، وتأمينهم في صدورهم وورودهم، وكانت الإمرة في أولاد مانع بن عصفور، ودارهم الأحساء والقطيف[٤].

---

(١) ج٤، ص ٩٢.

(٢) الحمداني هذا هو يوسف بن سيف الدولة، ويعرف بابن زماج، وكان مهمندارا لملوك مصر في عهده -أي: مديراً للضيافة- وله كتاب في الأنساب نقل عنه ابن فضل الله في "المسالك" والقلقشندي في "نهاية الأرب" كثيراً، وانظر ترجمته في "الدرر الكامنة" (ج٤ ص ٤٥٥) وترجمة الصفدي في "أعيان العصر"، ج٧ القسم الثاني الورقة ٣٤٨ وما بعدها، نسخة دار الكتب رقم ١٠٩١.

(٣) ج٤ منه ورقة ٣٠، نسخة دار الكتب المصرية رقم ٣٤١٧ المصورة عن نسخة أيا صوفيا.

(٤) بقية كلام الحمداني: وملح وقطاع والقرعاء واللهابة وجودة ومتالع.

ذكر المتغلبين على الأحساء في القرن الثامن

على رأس سبعمائة من الهجرة ملك الأحساء سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة ، وفي سنة خمس وسبعمائة انتزع الملك منه جروان أحد بني مالك بن عامر ، ثم ابنه ناصر ، ثم ابن ابنه إبراهيم بن ناصر[1] . ولم نقف على تاريخ مدة ملك أحد من المذكورين.

ذكر استيلاء سيف وأجود ابني زامل على بلاد البحرين والأحساء

قام الإمام شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي في كتابه "الضوء اللامع"[2]: أجود بن زامل العقيلي الجبري؛ نسبة لجدٍّ له يسمى جبر، ولذا يقال له ولطائفته: بنو جبر، النجدي الأصل المالكي. مولده ببادية الحساء في رمضان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وقام أخوه سيف بن زامل على آخر ولاة بني جروان حين رام قتله ، وكان الظفر لسيف ، وقتله ، وانتزع الملك منه ، واستولى على البلاد ، وسار فيها بالعدل ، فدان له أهلها . ولما مات خلفه أخوه أجود بن زامل واتسعت مملكته، بحيث ملك البحرين وعمان، وانتزع مملكة هرموز من ابن أخ الصرغل، وكان رئيس نجد ذا أتباع يزيدون على الوصف مع فروسية. وقد تعددت في بدنه جراحات كثيرة، وله إلمام ببعض فروع مذهب مالك، واعتناء بتحصيل كتبهم، وأقام الجمعة والجماعات، وأكثر من الحج في أتباع كثيرين، يبلغون آلافاً، مصاحباً للتصدق والبذل.

---

(١) انظر: كتاب "الدرر الكامنة" لابن حجر، ج١ ص ٧٣، وذكر أن إبراهيم كان موجوداً سنة ٧٢٠هـ.

(٢) ج٨ ، ص ١٩٠.

وقال السيد السمهودي في كتابه "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ"[1]: رئيس أهل نجد ورأسها، سلطان البحرين والقطيف ، فريد الوصف والنعت صلاحاً وأفضالاً وحسن عقيدة، أبو الجود أجود بن زامل بن جبر أيده الله وسدده .

وقال الشيخ عبدالقادر الجزيري الحنبلي في كتاب درر"الفرائد المنظمة"[2]: «أجود بن زامل العقيلي الجبري؛ نسبة لجد له اسمه جبر، ولذا يقال له ولطائفته: بنو جبر، النجدي الأصل المالكي المذهب: مولده ببادية الحساء والقطيف من الشرق في رمضان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة. وولي بعد أخيه، واتسعت له المملكة، بحيث ملك البحرين وعمان، ثم قام حتى انتزع مملكة هرموز من ابن أخ لصرغل كان استقر فيها بعد موت أبيه. وصار رئيس نجد ذا أتباع يزيدون على الوصف مع فروسيته. تعددت في بدنه جراحات كثيرة بسببها ، أكثر من الحج في أتباع كثيرين يبلغون آلافاً مصاحباً للتصدق والبذل لأهل الحرمين وغيرهم».

وقال الشيخ المؤرخ عبدالملك العصامي المكي في تاريخه: «حجَّ أجود بن زامل سنة اثنتي عشرة وتسعمائة هجرية، مع أتباع يزيدون على ثلاثين ألفاً».

قلت : ومن آثاره رسوم قصر بالقرب من قرية "المنيزلة"، يسمى قصر أجود بن زامل رحمه الله تعالى ، ولم يوقف على تاريخ وفاته. وذكروا أن له ثلاثة من الولد، وهم : مقرن، وسيف ، وزامل.

وقد تولى الملك ابنه مقرن، ثم وقع شقاق بين الإخوة؛ أدى بهم إلى التفرق والضعف وزوال الملك.

---

(١) ج ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٢) درر الفوائد ، ص ٣١٦ ، النسخة التيمورية رقم ٩٢٦ ، تاريخ .

ذكر دولة آل مغامس

ذكرها الشيخ عبدالقادر الجزيري الحنبلي في كتاب "درر الفوائد"[1]، فقال: سلطان الشرق الشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل، سلطان البصرة والحساء والقطيف، حج في سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة، في ولاية الأمير تنم بن مغلباي على الحج في نحو خمسة آلاف نفس على رواحل، ونزل الأبطح.

وكانت ولايته على الشرق في عام إحدى وثلاثين وتسعمائة، فاستقل البصرة، واستعان به بنو جبر لضعف حالهم، فقوي عليهم، وأخذ منهم الحسا والقطيف وأعمالها، وذلك لما استولى الأعداء الفرنج المخذولون على بلادهما، وقتلوا سلطانهم الشيخ مقرن بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري في سنة سبع وعشرين وتسعمائة، ثم وليها بعده عمه علي بن أجود نحو شهر، فأخذها منه ابن أخيه ناصر ابن محمد بن أجود، فأقام ثلاث سنين، وأعطاها بيعاً لقطن بن علي بن هلال بن زامل، فأقام فيها نحو سنة، ثم مات فخلفه ولده، ثم عجز عنها، ودفعها لغصيب بن زامل بن هلال، فأقام بها نحواً من سبعة أشهر، فأخذها منه بالحرب الشيخ راشد بن مغامس صاحب الترجمة ، وولّى البصرة لأخيه محمد، وأقام هو بالحسا والقطيف.

وخرج للحج منها، صحبه الشيخ يحيى ابن أخيه محمد، والشيخ مهنا، وقاضيهم الشيخ العلامة جمال الدين بن محمد بن عبدالعزيز الشهير برفرف المكي البصري الشافعي، ولحقهم السلطان الشيخ راشد

---

(١) نسخة دار الكتب المصرية ص ٣١٦، رقم ٣٢٦، تاريخ ، تيمور.

بالطريق بعد نصف شهر، ورافقهم قوم كثير من البلدان، ووافقت البركة في أسعار القوت. ولله الحمد.

وحج بعد ذلك -أيضاً- في نحو العشرين ألفاً من بلاده، وحج ولده -أيضاً- في نحو العشرة آلاف من أهل البصرة وغيرها. انتهى.

ذكر استيلاء العثمانيين الأتراك على الأحساء لأول مرة

في سنة ثلاث وستين وتسعمائة هجرية(*١)، وجه السلطان سليمانُ خان ابنُ السلطان سليم محمدَ باشا فروخ بعساكر كثيرة، لفتح الأحساء، فاستولى عليها، وبنى مسجداً في داخل الكوت في بلد "الهفوف"، يعرف الآن بمسجد "الدبس"، وكتب تاريخ عمارته في حجر، وهذا نص المكتوب: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. قد بنى وعمَّر هذا المقام في زمان السلطان العادل، سليمان ابن السلطان سليم، حضرة الحاكم الأجل، قدوة الحكام، كهف الأنام، صاحب السيف والقلم، والي بلد الأحساء، محمد باشا في سنة ثلاث وستين وتسعمائة هجرية».

ثم ولي عليها علي بن أحمد بن لاوند البريكي(*٢)، ومن آثاره

(*١) انظر الهامش رقم (*١) في ص ٥٧.

(*٢) لم يل علي بن أحمد بن لاوند البريكي الأحساء بعد محمد باشا فروخ، فقد كان ترتيب علي بن أحمد بن لاوند بين من تولى الأحساء هو الخامس عشر، وقد تولى الحكم في عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧٢م.
انظر: الوهبي، المصدر السابق، ص ص ٢٥٢ - ٢٥٤.

مسجد القبة، الذي في داخل القصر المسمى "قصر إبراهيم"، في كوت الهفوف، بناه سنة أربع وسبعين وتسعمائة(*١).

وقدم مع عساكر الدولة الشيخ علي الحافظ -جد آل ملاّ- مرشداً، وواعظاً للعسكر، ومعه الشيخ حسن المحافظ، فتزوج الشيخ حسن المحافظ بأخت الشيخ علي الواعظ، فجاءت منه بالشيخ إبراهيم بن حسن العلامة الشهير.

وامتدت ولاية علي باشا على الأحساء إلى العقد الرابع من القرن الحادي عشر، وولد له فيها ثلاثة أولاد: محمد وأبو بكر الأمير الأديب الكريم ، وسيأتي الكلام على ترجمته في قسم العلم والأدب إن شاء الله تعالى ، والأمير يحيى.

ذكر مكر محمد بن علي باشا بأبيه وسعيه لعزله والاستيلاء على البلاد بعده(*٢)

كان على علي باشا مبلغ من النقود، يؤديها لخزانة الدولة سنوياً، ويوفد أحد أولاده بهدية إلى السلطان كل سنة، فأوفد ابنه محمداً

(*١) سمي بمسجد القبة لكونه مكوناً من قبة واحدة تبلغ مساحتها ١٥×١٥م، وقد بنيت في عام ٩٧٩هـ ، وليس عام ٩٧٤هـ ، كما يتضح من لوحة تأسيسية لمسجد القبة، ذكرت أن بناءه كان في أوائل شهر رجب ٩٧٩هـ.

(*٢) يبدو أن الأمر قد اختلط على المؤلف - رحمه الله - في نسبة مكر محمد بن علي باشا بأبيه، فاعتقد أن المقصود هو علي بن أحمد بن لاوند. بينما توضح الوثائق العثمانية الرسمية أن بين علي بن أحمد بن لاوند وعلي باشا المقصود ثمانية وعشرين والياً، إذ إن ترتيب محمد باشا بين من تولى حكم الأحساء هو الرابع والأربعون، وكان توليه الحكم في الأحساء خلال الفترة ١٠١٨ - ١٠٤٤هـ/ ١٦٠٩ - ١٦٣٤م.
انظر: الوهبي، المصدر السابق، ص ٢٨٤ - ٢٨٧.

بالهدية المعتادة، فـزوَّر محمد كتاباً على أبيه لـلسلطان، يقول فيه: «إني رجل كبير السن، ولا أستطيع القيـام بمهام منصبي، وألتمس من عظمة السلطان أن يعفـيني، ويجعل ابني محمداً بدلاً مني». فـأجابه السلطان بكتاب يتضمن إعفاءه، وإقامة ابنه محمد مقامه.

ولما وصل مـحـمـد "الأحسـاء" جـمع أمـراء العـسكر وقـادتهم، وأعلمـهم بالأمـر، وأغـدق لهـم العطاء، فـوافـقـوه على رأيه، وأخـذ عهودهم. ولما تم له مـا أراد دفع لوالده الكتاب، ولما قرأه بهت، وعظم عليه الأمر، ورأى ألَّا يقيم مع ابنه في بـلد واحد، فطلب منه أن يجهزه وأهل بيته إلى "المدينة المنورة" على ساكنها سـيدنا محمد عليه أفضـل الصـلاة والسلام ، ومعـه ابنـه يحيـى وكان والياً على القطيف، فتركها، وابنه أبو بكـر. ونزلوا "المدينة" بموضع يعـرف -حـتى الآن- بحـوش الباشا، وتوفي علي باشا -رحمه الله -سنة إحدى وخمسين وألف.

واستـولى الأمير مـحمد بن علي عـلى "الأحساء"، وبنى المسـجد الذي بقرب قـصر الحكم بداخل الكوت بمدينة الهـفوف، وتاريخ بنائه بحساب الجُمَّل: (بُشْراكَ بُشْراك) سنة ١٠٤٤هـ . ولم نقف على ضبط مدة ولايته على الأحساء، ومتى انتهت.

وبعـده ولـي الأحـسـاء للـدولة عـمـر بـاشـا(*)، وهو آخـر ولاة العـثمانيـين على تلك المقاطعـة في الفتـرة الأولى، ثم انتهت ولايتـهم باستيلاء آل حميد - من بني خالد - سنة ثمانين وألف.

(*) لم يأت عمر باشا بعده مباشرة ، بل كـان الذي تـلاه هـو محمـد باشـا الـذي تولى إدارة حكم الأحـساء خـلال الفتـرة ١٠٤٤-١٠٧٤هـ/ ١٦٣٥-١٦٦٣م. وقد جـاء بعده كل من : =

ذكر استيلاء آل حميد على «الأحساء»

كانت الدولة العثمانية في أيام السلطان محمد خان الرابع ابن السلطان إبراهيم معرضة لأخطار الانحطاط، تقذفها أمواج الاضطراب من جميع الجهات، وكانت دول الأعداء تضرم عليها نيران الحروب، والجنود في تمرد وهياج. وكانت سنة سبع وسبعين وألف من أنحس السنين في تاريخ الدولة العثمانية، وعلى أثر ذلك ثار آل حميد على ولاة الترك العثمانيين، وطردوهم من الأحساء، وأخرجوا من فيها من الحامية العسكرية، واستولوا عليها.

وآل حميد بطن من بني خالد الحجاز ، وإنما سُمُّوا خالد الحجاز ، لأن مساكن آبائهم في بيشة ، تمييزاً لهم عن بني خالد حمص.

ومنهم آل حسين بن عثمان الحميد، وآل هزاع، وآل شباط، والقرشة، وآل كليب، والجبور، والمهاشير.

والمُلك في آل غرير بن عثمان بن مسعود آل حميد.

= ١ - براك بن غرير الخالدي [وكالة عن محمد باشا] ١٠٧٤-١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤-١٦٦٥م.

٢ - يحيى آغا ١٠٧٥-١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥ -١٦٦٦م.

٣ - عمر باشا الحلبيي ١٠٧٦-١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦-١٦٦٧م.

٤ - عيسى باشا ١٠٧٧-١٠٨٢هـ/ ١٦٦٧- ١٦٧٢م [عندما تم استيلاء بني خالد على القطيف].

انظر: الوهبي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٨٧ - ٢٩٤

ذكر استيلاء براك بن غرير بن عثمان

لما رأى براك بن غرير اشتغال الدولة بالحروب المضطرمة عليها من كل جهة، هجم على الحامية العثمانية في الأحساء حتى اضطرهم إلى تسليم البلاد، فسلموا، وخرجوا منها سالمين، فضبط ثغورها، وحصن قصورها، ونودي به ملكاً عليها.

وكان آل شبيب من أقوى بوادي الأحساء في ذلك الحين، فشق عليهم استيلاء بني خالد، واستبدادهم بالملك، فتجهز رئيسهم راشد بن مغامس في قومه؛ لغزو براك وجماعته في الأحساء، فخرج براك لمحاربته، ووقع بينهم قتال شديد، وقُتل راشد بن مغامس، وكثير من قومه، وانهزم الباقون إلى العراق، وقد أرَّخوا استيلاء براك على الأحساء بكلمة (طغى الماء)، وذلك سنة إحدى وثمانين وألف من الهجرة(*).

ولما استقر الملك لبراك جعل محل إقامته بلد "المبرَّز"، وبنى قصراً فخماً يعرف موضعه الآن بالقلعة، إلا أن العامة يبدلون القاف بالجيم، فيقولون: الجلعة ، وهو السوق الذي يباع فيه التمر في الوقت الحاضر، وبنى بجانب قصره مسجداً، يعرف بمسجد براك إلى حين التاريخ .

ثم غزا آل نبهان ، وهم قاطنون على قرية "سدوس" المعروفة في

(*) تم إحكام بني خالد قبضتهم على الأحساء والقطيف وإنهاء الحكم العثماني المباشر عندما تمكن براك بن غرير الخالدي من السيطرة على القطيف في عام ١٠٨٢هـ/ ١٦٧٢م.
انظر: الوهبي، المصدر السابق، ص ٤٨٥.

نجد[1]، وقتل رجالاً منهم وسبى أموالهم.

وفي سنة ثمان وثمانين وألف غزا آل عساف بالموضع المعروف بالزلال قرب بلد الدرعية بنجد ، وقتل، وسبى.

وتوفي براك -رحمه الله تعالى- سنة ثلاث وتسعين وألف هجرية.

ذكر ولاية محمد بن براك

لما توفي براك ولي بعده ابنه [محمد] الملك. وفي سنة ثمان وتسعين وألف غزا آل مغيرة وعايذ، وأوقع بهم في الموضع المعروف "بالحاير" - موطن "سبيع" جنوب الرياض-، وقتل منهم خلقاً كثيراً. ثم كر عليهم في صيف هذا العام، وهم بحاير المجمعة، ونكل بهم.

وتوفي محمد بن براك - رحمه الله - سنة ثلاث ومائة وألف هجرية.

ذكر ولاية سعدون بن محمد بن براك

بعد وفاة محمد ولي الملك ابنه سعدون بن محمد، وفي سنة عشر ومائة غزا الظفير والفضول بالموضع المسمى "البترا" قرب نفود السر ، فقتلهم، وأخذ أموالهم. وفي سنة إحدى وعشرين غزا الظفير بالموضع المسمى "الحجرة".

وتوفي سعدون بن محمد - رحمه الله - سنة خمس وثلاثين ومائة وألف.

---

(١) انظر: تاريخ ابن بشر، ج١، ص ٧٤.

ذكر النزاع بين دجين بن سعدون وعمه سليمان بن محمد بن براك

لما توفي سعدون افترقت بنو خالد فرقتين: فرقة تطالب ببقاء الملك لدجين بن سعدون، وتؤيده، وفرقة تطالب بنقل الملك إلى سليمان بن محمد[1]؛ لكونه أرفع درجة. ونشبت الحرب بينهم فاقتتلوا، فانهزم جند دجين، وأُخِذ أسيراً هو وأخوه منيع، وتم ملك البلاد لسليمان بن محمد.

ذكر ولاية سليمان بن محمد

لما استقر الملك لسليمان، بنى مسجده المعروف باسمه شرقي سوق التمر ببلد المبرز، وامتد سلطانه على الأحساء وبواديها، وعلى نجد وبواديها، ولم يكن له في أيامه منازع، وكانت أيامه صافية، والأمن مستتب. وفي أيامه ظهر الشيخ العلامة، مجدد دعوة التوحيد، محمد ابن عبدالوهاب رحمه الله .

وتوفى سليمان بن محمد في بلد الخرج -من أرض نجد- سنة ست وستين ومائة وألف، رحمه الله تعالى.

حال نجد عند ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، رحمه الله

كان المسلمون في الديار النجدية حين ظهور الشيخ محمد متعادين متفرقين ، ليس فيهم ملك ولا إمام ، ولا يسودهم شرع ولا نظام ،

---

(١) يفهم مما ذكره ابن بشر (ج١، ص ٢٢١ و٢٣٨) أن الخلاف وقع بين دجيني وبين علي ابن محمد بن غرير، وأن علياً هو الذي ولي الأحساء لا سليمان.

يقتل بعضهم بعضاً، ويأكل قويهم ضعيفهم، لا يتناهون عن منكر فعلوه، ولا يؤطرون على فرض تركوه، قد شاع فيهم ما شاع في غيرهم من بلاد الإسلام؛ من اعتقاد الوسائط ودعوة غير الله لجلب المنافع ودفع المضار، والتبرك بالأحجار والأشجار، وإضاعة حق الله الواحد القهار. قال العلامة الشيخ عثمان بن بشر الحنبلي -رحمه الله- في كتابه "عنوان المجد[1] في تاريخ نجد": كان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها، وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور، والبناء عليها، والتبرك بها، والنذر لها، والاستعاذة بالجن، والذبح لهم، ووضع الطعام لهم لشفاء مرضاهم، والحلف بغير الله، وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر؛ فلذلك لا بد من ظهور عالم يجدد للأمة معالم دينها، فقيض الله لذلك العالم المجدد المصلح **الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، رحمه الله تعالى.

نسبه:

هو الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالوهاب ابن الشيخ سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرّف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب التميمي الحنبلي.

ولد في بلد "العيينة" -من بلاد نجد- سنة خمس عشرة ومائة وألف، ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وهو ابن عشر سنين، وقرأ على أبيه الفقه والحديث والتفسير، ثم حج حجة

---

(١) ج١، ص ١٤ (بتصرف).

الإسلام، ثم سار إلى المدينة المنورة على مشرفها نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام ، وقرأ على العلامة الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف ، وكان أصله من أهل بلاد "المجمعة" المدينة المعروفة بناحية "سدير" من أرض نجد ، وأخذ -أيضاً- عن العلامة الشيخ محمد حياة السندي صاحب الحاشية على صحيح البخاري ، ثم رجع إلى بلده.

وبعد مدة رحل إلى البصرة، وقرأ على الشيخ محمد المجموعي نسبة إلى بلدة بالبصرة تسمى "المجموعة" ، ثم توجه إلى الأحساء ، وقرأ على العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الأحسائي الشافعي.

ثم توجه إلى مدينة "حريملاء" المعروفة بنجد، وقد عُيِّن والده قاضياً فيها، فشرع في دعوة الناس إلى إخلاص الدعاء والعبادة لله عز وجل ، والتوجه إلى الله في طلب السراء ودفع الضراء ، وترك الوسائط والشفعاء، ونهى عما نهى عنه رسول الله ﷺ، من الحلف بغير الله، والبناء على القبور، وتعظيمها، ودعا إلى تَرْك الخرافات واعتقادها، والرجوع إلى ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه والسلف الصالح في الاعتقاد والأعمال والعبادات، وتَرْك الأمور المحدثات، وقَطَعَ شجرة كان العامة يتبركون بها، ويعلقون عليها الخرق، وانضم إليه جماعة من صلحاء المسلمين.

وتوفي والده -رحمه الله- سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف ، فجد، واجتهد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله ،

فهمَّ السفهاء والعبيد من أهل حريملاء بالفتك به، فخرج منها، وعاد إلى "العيينة" مسقط رأسه ، ورئيسها حينئذ عثمان بن حمد بن معمر، فرحب به ، وبالغ في إكرامه، وزوجه قريبته الجوهرة، فعرض على عثمان ما قام به ، ودعا إليه، وقرر له معرفة التوحيد وحدوده ، وما ينقضه ، وقال له: أرجو إن قمت بنصرة لا إله إلا الله، أن يظهرك الله وتملك بها جميع نجد. فساعده عثمان.

وكان بالقرب منهم موضع المعركة التي دارت بين المسلمين وبين مسيلمة الكذاب ، وقد قتل فيها جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، ومن مشاهيرهم زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهم ، وقد بُني على قبره قبة، وكان العامة قد فتنوا به، فكانوا يقصدونه للدعاء، وينذرون له النذور، فأمر بهدم تلك القبة، وطمس القبر؛ تأسياً بعمل عمر -رضي الله عنه- حين أمر بقطع الشجرة، التي وقعت تحتها "بيعة الرضوان"، التي قال الله فيها: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾(*)، فذهب إليها الشيخ وعبدالله بن معمر في ستمائة رجل، فهدموها.

ثم شرع في إقامة الحدود الشرعية، وكانت معطلة، فزنت امرأة، ولما اعترفت أمر برجمها، فتناقلت الركبان أخباره، ولكن الرواة والمغرضين شوهوها، وانتهى ذلك إلى حاكم الأحساء سليمان بن محمد، وقيل له: إنه قد ظهر في بلاد ابن معمر عالم يُضلِّل الناس، ويعتقد تكفير المسلمين. فكتب إلى ابن معمر بقتله، وكان سلطان

(*) سورة الفتح ، الآية : ١٨.

سليمان -كما قدمنا - قد امتد على جميع بلاد نجد، وكان لابن معمر من سليمان مرتب سنوي قدره ألف ليرة ومئتا ليرة، فلم يستطع ابن معمر مخالفة سليمان، فأوعز إلى الشيخ بالخروج من بلد "العيينة"، فخرج، وتوجه إلى بلد "الدرعية".

ولما دخل الدرعية قصد بيت محمد بن سويلم العريني، فلما رآه ضاقت عليه داره، وخاف على نفسه من رئيس البلاد محمد بن سعود ابن مقرن، ووصل خبر مجيئه إلى زوجة محمد بن سعود، وكانت ذات عقل وروية، فأشارت على زوجها بمقابلة الشيخ وإيوائه ومؤازرته والقيام معه، فقبل نصيحتها، وزار الشيخ، وقال له: أبشر ببلد خير من بلدك، وأبشر بالعز والمنعة. فأجابه الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين؛ لأن من قام بنصر الحق فهو منصور، وهذه كلمة لا إله إلا الله من تمسك بها، وعمل بها ونصرها ملك العباد والبلاد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما تدعو الرسل إليها، ثم شرح له الشيخ ما كان عليه رسول الله ﷺ وما دعا إليه ، وما كان عليه الصحابة - رضوان الله عليهم - والسلف الصالح ، وقد أعزهم الله بالجهاد في سبيل الله ، وأغناهم به ، وبيَّن له ما ظهر في الناس من أنواع الشرك والبدع والمنكرات ، والتهاون بأداء المفروضات ، وما هم فيه من الاختلاف والظلم والجور، فلما تحقق محمد بن سعود جميع ذلك بسط له يده ، وبايعه على النصرة والمنعة، والجهاد في سبيل الله.

مؤلفات الشيخ محمد :

كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وكتاب الكبائر، وكتاب الإيمان، ومختصر الإنصاف ، والشرح الكبير، ومختصر تفسير ابن كثير، ومختصر الفتح، ومختصر سيرة ابن هشام، وكتاب المسائل التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، ومختصر زاد المعاد، وكتاب آداب المشي إلى الصلاة وشروط الصلاة. وله كثير من الرسائل والأجوبة المفيدة، وله كتاب الثلاثة الأصول في معرفة الله ودين الإسلام ومعرفة الرسول.

أولاد الشيخ محمد :

الشيخ حسن بن محمد: وأشهر الموجودين من نسله في عصرنا الحاضر، الشيخ العلامة المفتي الأكبر للمملكة العربية السعودية محمد ابن إبراهيم بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد، وإخوانه الشيخ عبداللطيف ، رئيس المعاهد الدينية والكليات ، والشيخ عبدالملك رئيس هيئات الأمر بالمعروف بمكة المكرمة ونواحيها ، والشيخ عبدالله بن إبراهيم.

ومن مشاهير أبناء الشيخ حسن الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالله ابن عبداللطيف ابن الشيخ عبدالرحمن بن حسن، خال سمو الأمير ولي العهد ورئيس الوزراء ووزير الخارجية، فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود.

الثاني من أبناء الشيخ محمد الشيخ حسين. ومن مشاهير ذريته الشيخ عبد الله بن حسن ، رئيس القضاة بمكة المكرمة ، المتوفى في

رجب سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية ، وابنه الشيخ عبدالعزيز وكيل وزارة المعارف في عهدنا الحاضر ، وأخوه الشيخ عمر بن حسن رئيس عام هيئات الأمر بالمعروف بنجد والمنطقة الشرقية وتوابعها .

ومن أولاد الشيخ محمد الشيخ علي والشيخ عبدالله، وكلهم علماء مبرزون.

أشهر من قرأ على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأخذ عنه :

منهم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر والد الشيخ عبدالعزيز "مؤلف منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب" ، وعبدالله ابن محمد بن عبدالعزيز الناصري ، والشيخ عبدالرحمن بن خميس إمام مسجد الدرعية أيام الإمام عبدالعزيز ، وابنه الإمام سعود ، رحمهم الله تعالى ، والشيخ عبدالرحمن بن نامي ، وتولى القضاء بالأحساء، والشيخ محمد بن سلطان العوسجي ، وتولى القضاء في الأحساء أيضاً ، والشيخ عبدالعزيز أبا حسين، والشيخ حسن بن عيدان ، وكان قاضياً في بلد حريملاء ، والشيخ عبدالعزيز بن سويلم ، وكان قاضياً في بلد القصيم ، والشيخ حمد بن راشد العريني ، وكان قاضياً في ناحية سدير .

وتوفي الشيخ محمد بن عبدالوهاب في آخر ذي القعدة سنة ست ومائتين وألف ، وله من العمر اثنتان وتسعون سنة ، رحمه الله وأجزل ثوابه.

ذكر نا صر الدعوة وحامل مشعلها في الآفاق الإمام محمد بن سعود :

هو محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي، ويتصل هذا النسب الكريم إلى عنزة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. وتوفي الإمام محمد سنة تسع وسبعين ومائة وألف، وخلفه في الجهاد ونشر الدعوة ابنه الإمام عبدالعزيز بن محمد، رحمهم الله.

رجعنا إلى :

ذكر سليمان بن محمد بن براك بن غرير ملك الأحساء ، وما كان من أمره :

في سنة ست وستين ومائة ألف أحس سليمان بمؤامرة تحاك لقتله، فخرج من "الأحساء" خفية، وقصد بلاد "الخرج" من أرض نجد، فوافته المنية فيها.

رب من فرَّ من منيته   في بعض غراته يوافقها

إذا ما حمام المرء كان ببلدة   دعته إليها حاجة فيطير

ذكر ولاية عريعر بن دجين

بعد موت سليمان بن محمد تولى الأمر عريعر بن دجين بن سعدون بن محمد. وفي سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف غزا عريعر بلد "الدرعية" من بلاد نجد ، وهي مقر إمارة الإمام محمد بن سعود ابن مقرن، ومركز الدعوة الدينية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، فحاصرها حصاراً طويلاً، ورماها بالمدافع، ولما عجز عن فتحها رحل عنها .

ذكر تجهيز الإمام محمد ابنه عبد العزيز لغزو الأحساء لأول مرة

في سنة ست وسبعين ومائة وألف جهز الإمام محمد ابنه الإمام عبدالعزيز لغزو "الأحساء"، فظفر بقرية "المطيرفي"، وقتل من أهلها سبعين رجلاً، وغنم جميع ما فيها، وأغارت خيله على بلد "المبرز"، وقتلوا من ظفروا به، ثم رجع إلى "الدرعية".

وفي سنة تسع وسبعين ومائة وألف توفي الإمام محمد بن سعود رحمه الله تعالى ، وبويع ابنه الإمام المجاهد عبدالعزيز بن محمد.

وفي سنة ثمان وثمانين ومائة وألف سار عريعر بن دجين إلى ناحية القصيم، وغزا بلدة "بريدة"؛ لأنها دخلت في طاعة الإمام عبدالعزيز، وحاصرها، ودخلها عنوة، ونهب ما فيها، ثم ارتحل عنها، ونزل "الخابية"- الموضع المعروف قرب "النبقية" - ومعه جموع كثيرة من بني خالد وغيرهم من البوادي، وكاتبه كثير من رؤساء بلدان نجد، واستعد للمسير إلى بلد "الدرعية"، فوافته منيته في ذلك الموضع قبل مسيره.

ذكر ولاية بطين بن عريعر

لما مات عريعر في "الخابية" كان معه ابنه بطين، وذلك في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين، فتولى الأمر، وفرق الأموال في الجند، ورجع إلى الأحساء.

وكان سيِّئ السيرة فاسد التدبير، ونصحه العلماء بجملة نصائح،

من أجمعها رسالة كتبها له العلامة الشيخ محمد سعيد بن عمير، خوَّفه فيها عواقب الظلم، وإهمال أمور الرعية، وهي رسالة طويلة جامعة لحكم كثيرة رأيت نسخة منها عند الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ عبدالله بن عمير ، فلم ينتفع بطين بها، وتمادى في جهله وطغيانه، فدخل عليه أخواه دجين وسعدون ابنا عريعر، فخنقاه في بيته، ومات مخنوقاً.

ولاية دجين بن عريعر

لما مات بطين تولى أخوه دجين، ولم تطل مدته؛ فيقال: إن أخاه سعدون سقاه سماً؛ ومات من ذلك. والله أعلم.

ذكر ولاية سعدون بن عريعر

في سنة تسع وثمانين ومائة وألف تولى سعدون مُلْك الأحساء ، وكانت الأمور مضطربة، والفتن متأججة بين الناس، لا سيما في الأحساء، وكان ملوك بني خالد يصيفون في الأحساء، وفي الشتاء يخرجون إلى البرية، ويجوسون خلالها، ويغزون من يخرج عن طاعتهم من البوادي المخلين بأمن البلاد، فخرج سعدون من الأحساء في أول الشتاء على جاري عادتهم ، فأظهر أهل الأحساء العصيان ، وطمعوا في الاستقلال ببلادهم، وعلم سعدون بذلك؛ فجمع الجموع، وتوجه إلى الأحساء ، ولما قرب منها خرج أهل الأحساء لمحاربته ، ثم تخاذلوا ، وبادر بعضهم لأخذ الأمان لنفسه ، وحينما وقع بينهم القتال عمَّهم الفشل ، وانهزموا ، وأصابتهم الآية ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا

وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾(*) وقُـتِلَ منهم في المعـركة عـشرون رجـلاً، ودخل سعدون البلاد، وقَتَلَ عدة رجال من رؤسائهم.

وفي سنة ثلاث وتسـعين ومائة وألف بايع أهل "المجـمعـة" الإمام عبدالعزيز على السمع والطاعـة، وكتب أهل "الزلفي" بذلك لسعدون ابن عـريعر، وطلبـوا منه غـزو "المجمـعة"، فـسار سـعدون بجـموعـه، وحاصر بلاد "المجمعة"، وكان حسن بن مشاري بن سعود أميراً في بلد "جلاجل"، فأرسل سرية مدداً لأهل "المجمعة"، وكانت جموع سعدون قد أحـاطت بـ"المجمـعة" من كل جـانب، ولكن السرية اسـتطاعت أن تتخلل المحـاصرين، وتمر من بينهم في سواد الليل حـتى دخلت البلاد، فقويت نفوس أهلها، وصمـموا على المقاومة، ولما علم سعدون بذلك عرف أن الحصار سيطول؛ فانصرف عنها.

وفي سنة خمس وتسعين ومائة وألف غزا سعدون بن عريعر ومعه جديع بن هذال - رئيس الحـبلان من عنزة - على الدهامشة ورئيـسهم مجلاد بن فواز ، وتقاتلوا ، وانهزمت الدهامـشة، وأخذ سعدون جميع أموالهم.

وفي سنة ست وتسعـين ومائة وألف خرج أهل "عنيـزة" عن طاعة الإمام عـبدالعزيز، وكتـبوا إلى سعدون بن عـريعر يستنجدونه، فـسار سعدون ومعه بنو خالد والظفـير وشمر وعنزة، وحاصروا بلدة "بريدة" - ورئيسها حجيلان بن حمد العليان- أربعة أشهر، جرت خلالها عدة وقعـات، ثم ارتحـل عنها سـعدون، ونـزل قـريبـاً من "الـزلفي"، وأقام

(*) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

عليه أياماً، ووفد عليه كثير من رؤساء بلدان نجد، الذين لم يدخلوا في طاعة الإمام عبدالعزيز، ثم رحل، ونزل "مبايض"، وأرسل جنداً يرأسه عون الماضي وإخوانه إلى بلد "الروضة"، وكان الإمام عبدالعزيز قد فتحها عنوة، وهرب منها رؤساؤها آل ماضي، وكانت فيها سرية من أهل العارض للإمام عبدالعزيز، فحصروهم في حصنهم، حتى طلبوا الأمان على أنفسهم، فأعطوهم الأمان، ونزلوا، وسلَّموا الحصن والبلدة لأهلها آل ماضي، ثم رحل سعدون، ونزل "الروضة" أياماً، ثم رجع إلى وطنه.

وفي سنة ثمان وتسعين ومائة وألف سار سعود ابن الإمام عبدالعزيز بإذن والده إلى بلد "الأحساء"، وهي الغزوة الثانية، وأغار على قرية "العيون"، وأخذ ما ظفر به من مواشيهم، وحصل بينهم قتال، قُتلَ فيه من رجال الأمير سعود عدة رجال، منهم ناصر بن عبدالله بن لعَبون، ثم رجع سعود إلى بلدة "الدرعية".

ذكر ما وقع من الشقاق بين دويحس بن عريعر وأخيه سعدون بن عريعر

في سنة مائتين وألف خرج دويحس بن عريعر عن طاعة أخيه سعدون، وانضم إليه عبدالمحسن بن سرداح بن عبيدالله بن براك بن غرير، وتبعهم المهاشير وآل صبيح، واستنجدوا بثويني بن عبد الله -رئيس بني المنتفق-، فجمع سعدون جموعه، والتقى الجمعان، واحتربوا عدة أيام، وقُتل من الفريقين قتلى كثيرة، ثم وقعت الهزيمة على سعدون، واستولى دويحس على معسكر أخيه، وفر سعدون،

والتجأ إلى الإمام عبدالعزيز في بلد "الدرعية"، فأكرمه الإمام، وأعطاه عطاء جزلاً، وتسمى هذه الواقعة وقعة "جضعة".

وفي السنة الثانية بعد المائتين والألف، جهز الإمام عبدالعزيز سليمانَ بن عفيصان لغزو "الأحساء"، فأغار على أهل قرية "الجشة"، وقَتَلَ منهم رجالاً، ثم رجع.

وفيها بايع الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأهل الحل والعقد الإمام سعود بن عبدالعزيز بولاية العهد.

وفيها سار سليمان بن عفيصان بأهل "الخرج"، وأغار على بندر "العقير"، ونهب ما فيه من الأموال. وفيها سار الإمام سعود إلى "الأحساء"، وأغار على بلد "المبرز"، وحصل بينهم مناوشة، ثم سار إلى قرية "الفضول"، فظفر بها، وقتل من أهلها ثلاثمائة رجل، ونهب ما فيها من الأموال.

وفي هذه السنة توفي الشيخ العلامة الفقيه الحنبلي عبدالوهاب ابن الشيخ محمد بن فيروز بن بسام التميمي الأشيقري الأحسائي، توفي في المبرَّز وله من العمر ثلاثون سنة، وله حاشية على كتاب "زاد المستقنع" في الفقه.

ذكر وقعة غريميل لسعود بن عبدالعزيز على بني خالد

لما انهزم سعدون بن عريعر تولى دويحس بن عريعر، وخاله عبدالمحسن بن سرداح بن عبيدالله أمر بني خالد.

وفي سنة أربع ومائتين وألف سار سعود بن عبدالعزيز بجنوده،

ومعه زيد بن عريعر ، ولعل ذلك بعد موت سعدون بن عريعر ؛ فإني لم أقف على تاريخ موته ، وقصد بني خالد ، وهم عند "غريميل"[1]، فنازلهم ، واستمر القتال بينهم ثلاثة أيام ، ثم وقعت الهزيمة على بني خالد، وقُتلَ منهم ناس كثير، وغنم سعود جميع ما كان معهم من الأموالَ والمواشي، وهربَ عبدالمحسن ودويحس إلى بني المنتفق ، واستعمل الإمامُ سعود زيدَ بن عريعر على بني خالد.

وفي سنة ست ومائتين وألف سار الإمام سعود إلى بلد "القطيف"، وحاصر أهل "سيهات"، ودخلها عنوة ونهبها، وقتل جماعة منهم، وأخذ القرية المسماه "عنك"، وقتل من أهلها أربعمائة رجل، وأخذ أموالاً عظيمة، وصالحه أهل "الفرضة" على خمسمائة أحمر، وهو نقد من الذهب.

ذكر قتل زيد بن عريعر عبد المحسن بن سرداح

تقدم أن عبدالمحسن بن سرداح قد هرب إلى بني المنتفق بعد "وقعة غريميل"، وأن سعود بن عبدالعزيز قد جعل زيد بن عريعر والياً على بني خالد، فأرسل زيد إلى عبدالمحسن بن سرداح كتاباً يتودده فيه، ويطلب منه الرجوع إلى قومه بني خالد، وأنه سيوليه أمرهم، فرجع عبدالمحسن من العراق إلى قومه، واجتمع بزيد، فلما تمكن منه زيد قتله.

---

(١) غريميل: جبل عنده ماء قريب من الأحساء، معروف باسمه هذا حتى الآن.

ذكر وقعة اللصافة للإمام سعود على بني خالد

لما قَتَلَ زيدٌ عبدَ المحسن بن سرداح غدراً غضب له جميع بني خالد، وخرجوا على زيد، واجتمعوا على براك بن عبدالمحسن السرداح، وبلغ ذلك الإمام سعود، فتجهز لغزوهم، وأُخْبر أنهم على ماء "الجهرى" بقرب الكويت ، فسار إليهم ، فوجدهم خَلوفاً قد غزا بهم أميرهم براك، وقد قرب قفولهم، فعرف أن طريقهم لا يكون إلا على أحد الماءين : "اللصافة" أو "اللهابة"[1] ، وهي قريبة بعضها من بعض، فجعل على كل ماء قسماً من جيشه، فلم يلبثوا إلا يسيراً، حتى أقبل براك بن عبدالمحسن بجموعه، وكان ذلك صيفاً، وهم في أشد الحاجة إلى الماء، فنشب القتال بينهم، ولم يلبث بنو خالد حتى انهزموا، وأثخنهم الإمام سعود، وأكثر فيهم القتل، وهلك أكثرهم عطشاً، رُوي أن الذي هلك منهم في هذه الوقعة ألف رجل، وهرب براك بن عبدالمحسن مع شرذمة منهم إلى بني المنتفق، وغنم الإمام سعود جميع أموالهم، وذلك سنة سبع ومائتين وألف.

ذكر مسير الإمام سعود إلى الأحساء

لما خضد الإمام سعود شوكة بني خالد توجه إلى كرسي مملكتهم، وهي "الأحساء"، ولما وصل إلى "الردينيات" -الماء المعروف - قابله وفد أهل "الأحساء"، وطلبوا منه الأمان، والمبايعة على السمع والطاعة، فأجابهم إلى ذلك. ولما وصل "عين نجم" -المشهورة في الأحساء- خرجوا إليه، وبايعوه على السمع والطاعة والعمل بكتاب

---

(١) ماءان معروفان شرقي الصمان في جهة "الدبدبة" المعروفة قديماً باسم "الشواجن".

الله وسنة رسوله محمد ﷺ، ثم دخل "الأحساء"، وضبطها، وأقام فيها شهراً، وجعل محمد الحملي أميراً عليها، وجعل على بيت المال حسين بن سبيت، ورتب في القصور مرابطين أميرهم محمد بن غشيان، وأقام جماعة للوعظ والإرشاد، وآمرين بالمعروف، وهم عبدالله بن فاضل، وإبراهيم بن حسن بن عيدان، ومحمد بن سليمان ابن خريف، وحمد بن حسين، ثم رجع إلى "الدرعية".

ذكر انقلاب أهل الأحساء ونقضهم بيعة الإمام سعود

بعد رحيل الإمام سعود بشهر واحد وقع انقلاب في الأحساء قُتلَ فيه الأمير محمد الحملي، ومدير بيت المال حسين بن سبيت، وقُتِلَ فَيه هيئة الوعظ والإرشاد، وحصروا الجند المرابط في القصور، حتى فني زادهم، فهربوا ليلاً، وأرسل أهل "الأحساء" إلى زيد بن عريعر، وأقاموه ملكاً عليهم، وكانت إقامته في بلد "المبرز".

ذكر مسير الإمام سعود لتأديب أهل الأحساء وفيها وقعة المحيرس

في سنة ثمان ومائتين وألف جمع الإمام سعود جموعه من الحاضرة والبادية، وتوجه إلى "الأحساء"، ونزل على قرية "الشقيق"، وحاصرها يومين، فهرب منها أهلها، ودخلها عنوة، وأخذ ما فيها، وقتل من أهلها عدة رجال. ثم حاصر قرية "القرين" وقرية "المطيرفي"، فصالحه أهلها على نصف أموالهم. ثم توجه إلى بلد "المبرز" ، وفيها زيد بن عريعر ، فحصل بينهم قتال ، قُتلَ فيه من قوم زيدٍ غديرُ بن عمر وحمودُ بن غرمول، ثم بعد أيام سارَ إليهم

الإمام سعود، وجعل له كميناً في المحل المسمى "المحيرس"، وأغار على "المبرز"، فخرج أهله لردهم، فهرب المغيرون، واستطردوا لهم، حتى خلف أهل "المبرز" الكمين، وجعلوه خلف ظهورهم، ولم يشعروا بذلك، فعطف عليهم المغيرون، وخرج عليهم الكمين من ورائهم، فكانوا بين نارين، وقتل من أهل "المبرز" مائة رجل، فانهزموا، ودخلوا بلادهم، وتحصنوا فيها. ثم سار الإمام سعود إلى قرية "البطالية"، وحصل بينهم قتال، قُتلَ فيه من أهل "البطالية" جماعة. ثم سار إلى قرية "الجبيل"، وقَتَلَ من أهلها رجالاً، وكان ذلك في أيام القيظ وإبان الإرطاب، فأكثر الجنود من صرام النخيل وإفساد الزروع.

ذكر الهدنة بين الإمام سعود وأهل الأحساء

على أثر ذلك أوفد أهل الأحساء براك بن عبد المحسن السرداح للإمام عبدالعزيز والد الإمام سعود ؛ ليصالحوه، ويدخلوا في طاعته، على أن يأمر ولده سعوداً بالرجوع عنهم، فقبل ذلك منهم، وكتب لابنه سعود بالرجوع عن الأحساء.

وبعد رجوع الإمام سعود، اختلف أهل الأحساء في تنفيذ شروط الصلح، فكانت القرى الشرقية -وأكثر أهلها شيعة- يرغبون في بقاء الملك لأولاد عريعر ، وتحزبوا لهم ، ونزل زيد بن عريعر قرية "الجشة". أما براك بن عبدالمحسن السرداح فنزل بلد المبرز ، وكان أهلها يرغبون في تنفيذ شروط الصلح والدخول في طاعة الإمام عبدالعزيز، واجتمع أهل الأحساء على حرب بلد "المبرز"،

وحاصروه، وهاجموه عدة مرات، فكتب براك بن عبدالمحسن السرداح وأهل المبرز إلى الإمام سعود؛ يطلبون المدد، فأرسل إليهم إبراهيم بنِ عفيصان. وحينما طلعت نواصي الخيل على المحاصرين انهزموا، وقُتِلَ منهم عدد كثير، ورحل أولاد عريعر، وتوجهوا إلى العراق.

وبذلك زالت "دولة بني خالد" من "الأحساء" و"القطيف"، وكانت مدة ملكهم مائة سنة وثمان وعشرين سنة ، فسبحان من لا يزول ملكه وسلطانه.

واستمر براك بن عبدالمحسن السرداح أميراً على الأحساء للإمام عبدالعزيز؛ ينفذ أوامره.

ذكر نقض أهل الأحساء مرة أخرى

وفي رمضان سنة عشر ومائتين وألف اتفق جماعة من رؤساء أهل الأحساء على نقض العهد، وطلبوا من أهل "المبرز" أن يدخلوا معهم، فأبوا عليهم، وكتبوا للإمام عبدالعزيز بذلك، فأرسل الإمام إبراهيم بن عفيصان كمقدمة لابنه سعود، ولما وصل إبراهيم بن عفيصان تحصن منه رؤساء الفتنة، فحصرهم في حصنهم عدة أيام، وضيق عليهم، فطلبوا الأمان، فأمنهم على شرط أن يسلموا أنفسهم، ويسيروا إلى الإمام عبدالعزيز في بلد "الدرعية"، فسلموا أنفسهم، وساروا إلى الإمام عبدالعزيز.

وفي شهر ذي القعدة من هذه السنة سار الإمام سعود من "الدرعية" ، وقصد الأحساء ، ونزل قريباً من الموضع المسمى "الرقيقة"، وبعد طلوع الشمس أمر أفراد الجيش أن يطلقوا بنادقهم

دفعة واحدة، وقصد بـذلك إرهاب الناس، فأظلمت السماء من دخان البـارود، وارتجت الأرض، وأسـقطت الحـوامل حـملهـا، ثم نزل "الرقيقـة"، وخرج إليه جميـع أهل "الأحساء"، وسلموا له أنفسهم بلا قيـد ولا شرط، فـعفا عـمن ظهرت خـيانتـه، وأخذ من أهل الأحـساء غرامة الحرب، وقتل كثيـراً من الرجال المتظاهرين بالفسوق والعصيان، وأقام مـدة شهر، رمّم فيـها كثيـراً من الحصون، وجـعل فيها أمـيراً من أهلها يسمى ناجم بن دهينيم، وتسمى هذه الغزوة "غزوة الرقيقة".

ذكر غزو ثويني بن عبدالله
- رئيس بني المنتفق- ناحية الأحساء

في سنة إحـدى عشرة ومـائتين وألف جهـز والي العراق سليـمان باشا ثـويني بن عبدالـله بن محمـد الشبـيب رئيس بني المنتفـق ؛ لغزو "الأحسـاء" و"القطيف"، وجهز معـه عساكـر كثيرة من "بغـداد"، ونفر معـه جميع بني المنتفق وبوادي الظـفير وبنو خالد ، ورئيـسهم براك بن عبـدالمحسن السرداح ، ولـم يتخلف عـنه إلا المهاشير، فـسار ثويني من "البصـرة"، ونزل "الجهـرى" الماء المعروف قرب بلـد "الكويت" ، وأقام عليه ثلاثة شـهور، يجمع البوادي والعسـاكر ومعدات الحـرب، وسيّر العساكر النظامية في السفن إلى سيف "القطيف".

وبلغ ذلك الإمـام عبدالعـزيز بن محـمـد بن سعود رحمـه اللـه ، فـأمر على جـميع رعـاياه من أهل الخرج والفـرع والدواسر والأفـلاج والوشم وسدير والقصيم وشمر، وأمر عليهم مـحمد بن معيقل، فسار ونزل "قرية" القـرية المشهورة ، وأمـر الإمـام عبدالعـزيز مـن دخـل في

طاعـته من البـوادي -وهم مطيـر وسبـيع والعـجمـان والسهـول- أن يسـيـروا بأمـوالهـم وأولادهم، وينزلوا على المياه التـي بين "الكويت" و"الأحسـاء"، ويكونوا فـي وجـه العـدو، وخـرج الإمـام سـعـود بن عـبـدالعـزيز، ومـعـه أهل العـارض وبقـيـة بلدان نجـد، ونزل روضـة "التنهات".

أما ثويني فرحل من "الجهرى"، وقـصد "الأحساء"، فلما وصل الماء المسمى بـ"الـشباك"، وكـان في جيشـه مولى من مـوالي الجبـور يسمى طعيس -تصـغير طعس-، فلما نـزل ثويني، وجلس في خيمتـه، وكان خدمـه وعامـة الجند مشـتغلين في بناء خـيامـهم، وحط أثقالهـم، فرآه طعـيس خاليـاً من الحرس، وكـان معـه حربة، فـهزها، ثم دفـعهـا في صدره؛ فمات من ساعته.

ولما علم به أصـحـابه حـملوه، وأخفـوا مـوته على الناس، وكـانوا يأمــرون له بالطعــام والشــراب، ولما شـاع مــوته في الـناس ارتحلوا منهـزمين، لا يلوي أحد على أحـد ، ولما علم بذلك الإمـام سعـود بن عبـدالعزيز تـتبع آثارهم، وقـتل من ظفر به منهم، وغنم غـنائم كثـيرة، واستمر في طلبهم إلى بلد "الكويت".

وكان قَتْلُ ثويني في رابع شهر محرم سنة ثنتي عشرة ومائتين وألف، وبهذا يعـرف معنى المثل العـامي، فيـقولون للرجل المغـامر: «باع بيـعة طعيس»؛ يعني: اندفع اندفاع طعيس في قتل ثويني.

ثم سـار سعـود إلى "الأحسـاء" ، وخرج إليـه أهلهـا ، وجددوا لـه البيعــة .

ذكر غزو علي الكخيا للأحساء

في سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف، جهز سليمان باشا -والي العراق- جيشاً كثيفاً من العساكر النظامية، ومن الأكراد والمجرّة ومن أهل "البصرة" وأهل "الزبير"، ومن البوادي بني المنتفق -ورئيسهم حمد ابن ثامر الشبيب- وآل بعيج والزقاريط وآل قشعم وبوادي شمر والظفير، وبلغ عدد خيلهم ثمانية عشر ألفاً، ومعهم المدافع الضخمة، فسار الجيش متوجهاً إلى بلد "الأحساء"، وحصروا بلد "الهفوف" حتى احتلوها ما سوى قصر "الكوت"، وما أحاط عليه سور "الكوت"، وباحتلالها سلمت لهم جميع قرى "الأحساء"، ثم توجهوا إلى بلد "المبرز"، وحصروا قصر "صاهود" الموجود بها، من سبع ليال خلت من شهر رمضان إلى سبع ليال مضت من ذي القعدة، وهاجموه بالزحافات، ورموه بالمدافع، وحفروا نفقاً يصل إلى جدار القصر، وشحنوا النفق بالبارود، وأشعلوا فيه النار، ولم يقدروا على فتحه، وكلما حدث في جدرانه شيء من الخلل أصلحه من كان داخل الحصن، وكان فيه مائة رجل من أهل نجد، أميرهم محمد بن سليمان ابن ماجد من أهل "ثادق".

ولما يئس الجند من فتح الحصن ، وأضر بهم المقام ، ألقى الله في قلوبهم الرعب ، وزلزلوا ، فارتحلوا راجعين إلى العراق ، وارتحل كثير من أعيان "الأحساء" إلى بلد "الزبارة"، التي بقرب "قطر"، وكان فيها التاجر الجوهري المفضال الجواد الشيخ أحمد ابن رزق.

أما الإمـام سعود فـقد سار بأهل نجـد من الحاضرة والبـادية، حتى وصل إلى "ثاج" ، القرية المشـهورة التي بين الأحساء والبـصرة ، وجاء علي الكخيا ، ونـزل "الشباك" ، الماء المعروف ، وهو قريب من "ثاج" ، وجرت بين الجيـشين مناوشات، وأقاموا على ذلك أيامـاً، ثم تصالحوا، ورجع كل جـيش إلى وطنه، ورحل سـعـود، وسار إلـى "الأحسـاء"، ورمم حصونه، وجعل محمد بن سليمـان بن محمد بن ماجد أميراً في "الأحساء".

ذكر مقتل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود

في العـشـر الأواخـر من شهـر رجب ، سنة ثمان عـشرة ومـائتين وألف قُتِلَ الإمـام عبـدالعزيز بن مـحمد بن سـعود -رحمـه الله- في مسجـد الطريف ببلد الـدرعية وهـو ساجد يؤدي صلاة العـصر ، قتله رجـل كـردي مـن "العمادية" المعروفة في لـواء الموصل ، اسمه عثمان جاء من العـراق لهذا الغـرض، وأظهر التنسك، والحـرص على طلب علم التـوحيد. ولمـا علم الإمام عـبدالعزيـز برغبتـه في ذلك، أمر بـبره والإحسان إليـه، وكان هذا الرجل يظهر الحرص على الـصلاة بالقرب من الإمـام ، ومن الموضع الذي يصلي فـيه الإمـام عبـدالعزيز ، وكـانَ يستبطن خنجـراً، فلما أمكنته الفرصة وثب من موضـعه، وطعن الإمام عبدالعزيز بن سـعود في خاصرته؛ فسقط الإمام شهـيداً، وكان بجانب الإمام أخـوه عبدالله، فهـجم عليه القاتل؛ ليـقتله أيضاً، وكان عـبدالله رجلاً شجـاعاً قوياً، فنهض على قـدميه، وأمسك القـاتل بيديه، وتمكن من ضرب القاتل بالسـيف حتى صرعه، وتكاثر الناس عليه، فـأجهزوا

عليه، ومات الإمام من ساعته، وحُمِل إلى قصره؛ لتجهيزه، تغمده الله برحمته.

وكان ولده وولي عهده الإمام سعود غائباً في نخله المسمى "مشيرقة" بضواحي الدرعية ، ولما بلغه الخبر جاء مسرعاً إلى قصر أبيه ، واجتمع المسلمون والزعماء وأهل الحل والعقد ، وبايعوه ، وعزوه في والده.

وكان مولد الإمام عبدالعزيز -رحمه الله- سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، فكان عمره خمساً وثمانين سنة وسبعة أشهر.

ذكر سيرته وما كان عليه :

لقد امتد ملك الإمام عبدالعزيز بعد الجهاد المتوالي في إعلاء كلمة الله، وإخلاص العبادة لله، وتنفيذ أحكام شرع الله، فشمل الديار النجدية، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف إلى الخليج العربي الشرقي. وكان كثير الخوف من الله، آمرًا بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ينفذ الحق ولو في أهل بيته، كثير الرأفة والرحمة بالرعية، ويبث الصدقات فيهم.

وكانت البلاد في عهده آمنة مطمئنة، في عيشة رضية، وكان المسافر يجوب البلاد بالأموال الكثيرة شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً من جزيرة العرب، لا يخشى أحداً إلا الله.

وقد درج الإمام سعود بن عبدالعزيز على سيرة أبيه، وكان شجاعاً مقداماً، صبوراً جلداً على المكاره، عالماً بالحديث والتفسير والتوحيد وفروع فقه الإمام أحمد، وكان يشارك العلماء في البحوث العلمية، ويملي النصائح النافعة، المرصعة بالآيات والأحاديث.

وفي سنة تسع عشرة ومائتين وألف عزل الإمام سعودُ سليمانَ بن محمد بن ماجد عن إمارة الأحساء ، وأقام فيها إبراهيم بن سليمان بن عفيصان .

وفي شهر ذي الحجة سنة خمس وعشرين ومائتين وألف توفي العلامة الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام الأحسائي المالكي، ولد ببلد "المبرز" بالأحساء، وأخذ العلم عن مشائخها، وله مصنفات منها : "العقد الثمين في أصول الدين"[١]، و"روضة الأفكار" في تاريخ الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام المجدد الشيخ محمد، رحمه الله[٢]. ونقله الإمام سعود إلى الدرعية لتعليم العلوم العربية، وأخذ عنه الشيخ سليمان ابن الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وجماعة آخرون، منهم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، رحمهم الله تعالى.

(١) ألفه إجابة لطلب الإمام عبدالعزيز وابنه سعود سنة ١٢١٦، ولا يزال مخطوطاً، ومنه نسخة في المكتبة السعودية.

(٢) وقد طبع.

ذكر نشوب الحرب بين الدولة المصرية والحكومة السعودية

دخلت سنة ست وعشرين ومائتين وألف وقد جمع ملك الإمام سعود بن عبدالعزيز بين نجد والحجاز واليمن وعمان، وقد أزعج ذلك سلاطين الأتراك، وأهمَّهم، لا سيما خروج الحرمين الشريفين من أيديهم، وكانوا يعدون حماية الحرمين أعظم شيء يفخرون به على من سواهم من ملوك المسلمين.

وفي شهر ذي القعدة من سنة ست وعشرين جمعت الدولة التركية من آلات الحرب ؛ من المدافع والقنابل والذخائر ، والأموال، وعدداً كبيراً من الجنود إلى الديار المصرية ، وأمرت محمد علي باشا -والي مصر - أن يتولى حرب الإمام سعود، وإخراجه من الحرمين الشريفين، فقابل محمد علي باشا الأمر بالقبول، وجهز حملة عسكرية من الجيش العثماني ومن أهل مصر والمغرب ، بلغت نحو أربعة عشر ألف مقاتل ، وسارت هذه الحملة بقيادة أحمد طوسون أحد أنجال محمد علي باشا ، ووصلت إلى "ينبع" ، والأمير فيها جابر بن جبارة ، وليس معه من الجند ما يدفع به هذه الحملة القوية ، فترك البلاد وأخلاها ، ودخلها أحمد طوسون بغير مقاومة.

ولما بلغ ذلك الإمام سعود أمر الناس بالنفير إلى الجهاد، والدفاع عن أوطانهم وحريمهم، فاجتمع نحو ثمانية عشر ألف مقاتل في مدة وجيزة من البادية والحاضرة ، وجعل ابنه عبدالله القائد الأعلى لهذه الحملة ، وسار الإمام عبدالله ، حتى نزل "الخيف" المعروف في وادي الصفراء ، وتبع هذه الحملة سعود بن مضيان في ثمانمائة فارس، والتقى الجيشان ، ودارت بينهم المعارك ثلاثة أيام ، وكثرت القتلى من الفريقين ، وانتهت بهزيمة القوات المصرية التركية ، واستولت

القوات السعودية على تلك الذخائر والمدافع والأسلحة، ووصلت فلول المنهزمين إلى "ينبع"، وركبوا في المراكب، ومعهم قائدهم أحمد طوسون، واستقروا فيها. ذكر العلامة ابن بشر في تاريخه أن عدد القتلى قد زاد على أربعة آلاف، ومن السعوديين ستمائة رجل، من مشاهيرهم: مقرن بن حسن بن مشاري بن سعود، وسعد بن إبراهيم بن دغيثر ، وهادي بن قرملة ، ومانع بن مكرم رئيس عشيرة عبيدة من قحطان ، وراشد بن شعبان رئيس بني هاجر، ومانع بن وحير الفارس المشهور من العجمان .

ثم دخل الأمير عبدالله مكة المشرفة، واجتمع مع والده في موسم الحج في تلك السنة، وبعد الحج رتب الإمام سعود أمور الحجاز، وشحن ثغورها بالرجال وعتاد الحرب، ورجع هو وولده عبدالله إلى الدرعية، وأذن للمجاهدين بالرجوع إلى أوطانهم.

وفي سنة سبع وعشرين ومائتين وألف جهز محمد علي باشا حملة أخرى، فاستولت على ينبع النخل، ثم قصدت المدينة المنورة، وانضمت إليها عشائر حرب، وحاصرت المدينة، وكان فيها من الجيش السعودي سبعة آلاف رجل، فسدَّ الجيش المحاصر مجاري الماء، وحفروا سرباً تحت القلعة، وملؤوه بالبارود، وأشعلوه فانهدم السور، ودخل الجند المحاصر المدينة، وذلك في التاسع من شهر ذي القعدة.

ولما علم بذلك الإمام سعود جهَّز جيشاً كثيفاً، وسيَّره بقيادة ابنه الإمام عبدالله إلى الحجاز، ثم تبعه الإمام سعود في بقية الجيوش السعودية، مجموعة من نجد والأحساء وعمان وتهامة وغيرها، ووصلوا إلى مكة، وحجوا، واعتمروا.

وبعد انقضاء الحج رجع الإمام سعود إلى الدرعية، وبقي ابنه الأمير عبدالله، وبعد أيام يسيرة زحفت القوات المصرية إلى مكة المكرمة، ونقض الشريف غالب العهد الذي عقده مع الإمام سعود، وانضم إلى

الجنود المصرية ، فرحل الأمير عبدالله مع جنوده من مكة ، ونزل "العبيلاء"[1]، وزحف أحمد طوسون بقواته إلى مكة، فاحتلها بدون قتال، ونزل قصر "القرارة"، وأرسل أحمد طوسون الشريفَ راجح إلى "الطائف"، فاحتلها بالقوات المصرية.

ذكر وفاة الإمام سعود بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى

في ليلة الإثنين حادي عشر من شهر جمادى الأولى سنة تسع وعشرين ومائتين وألف، توفي الإمام سعود بن عبدالعزيز، أصيب بوجع المثانة وانحصار البول.

بويع في الدرعية في اليوم الذي استُشهد فيه أبوه، فكانت ولايته عشر سنين وتسعة أشهر، فأمنت في أيامه البلاد، وانتظمت مصالح المسلمين، بحسن مساعيه وجهاده وحزمه وصرامته، وكان يقظاً بعيد الهمة، وكانت له معرفة تامة بالتفسير والحديث وفروع الفقه، وكان ثبتاً شجاعاً في الحروب.

ذكر ولاية الإمام عبدالله بن سعود

لما توفي الإمام سعود -رحمه الله- بايع المسلمون ولي عهده ابنه الإمام عبدالله بن سعود.

وفي آخر شهر رمضان من السنة التاسعة والعشرين، سار الإمام عبدالله بجيش كثيف من أهل نجد من الحاضرة والبادية، وقصد جهة القصيم، وأغار على عربان بريه والجبلان من مطير.

---

(١) العبيلاء: قرية لقبيلة عدوان، من قرى الطائف الشمالية الشرقية.

وفي ذي القعدة رحل، وقصد الحجاز، وأغار على بعض الأحياء من الأعراب الخارجين عن طاعته، وأقام هناك خمسة أشهر، ثم رجع إلى وطنه، وذلك في ربيع الأول سنة ثلاثين ومائتين وألف. وفي هذه السنة أرسل الإمام عبدالله أخاه فيصل بن سعود إلى بلد "تربة"، في عدد كبير من المجاهدين، وانضم إليه طامي بن شعيب بمن معه من عسير وألمع وزهران وغامد، وبلغ عدد هذا الجيش عشرين ألفاً، وقاد محمد علي باشا ما لديه من القوات التركية والمصرية إلى بلد "تربة"، والتقى الجمعان في "تربة"، ودارت المعركة القاسية بين الجيشين، فوقع الخلل في جموع زهران ، واختل توازن القوات السعودية، وسرت فيهم الهزيمة، وتوجه الأمير فيصل بن سعود بمن معه إلى "رنية"، ثم توجه إلى "الدرعية"، واحتل محمد علي باشا "تربة" و"رنية" و"تبالة" وتلك النواحي.

ذكر توجُّه القوات المصرية إلى البلاد النجدية

كان أحمد طوسون بن محمد علي مقيماً في المدينة المنورة، يجمع القوات للزحف بها على نجد، ولما استجمع قواه زحف بها إلى نجد، وأرسل إلى سكان الرس والخبراء يأمرهم بالطاعة والتسليم، فسلموا، ودخلت العساكر المصرية تلك البلدتين بغير مقاومة في هذه المرة، ذكر ذلك العلامة ابن بشر رحمه الله ، واستولوا على ما كان حولها من القصور والمزارع والقرى، مثل: ضرية، ومسكة، والبصيري، ونجخ.

ولما بلغ ذلك الإمام عبدالله بن سعود استنفر المسلمين من أهل

الجبل والقصيم ووادي الدواسر والأحساء وعمان وأهالي نجد، وخرج من الدرعية غرة جمادى الأولى ، وسار إلى "المذنب" ، ثم سار إلى "الرويضة" ، وهي قريبة من الرس ، ووقعت بينهم وبين القوات المصرية مناوشات قُتل فيها عدد كثير من القوات المصرية، ثم رحل عبدالله بن سعود ، وتوجه إلى "عنيزة" ، خوفاً أن تحتلها القوات المصرية وجعل يبعث السرايا تشن الغارات على العساكر المصرية، وعلى من كان معهم من البوادي الناقضين لعهد الإمام، ثم رحل الإمام عبدالله بن سعود من "عنيزة" ، ونزل "الحجناوي" الماء المعروف بين عنيزة والرس ، وبقي مدة شهرين يقاتلون العساكر المصرية، ثم جنح الفريقان إلى الصلح ، فوقع الصلح بين الإمام عبدالله وأحمد طوسون، على أن تنسحب القوات المصرية من جميع بلدان نجد، وعلى ألا يتعرض الإمام عبدالله للحجاز، ولا لأحد من رعايا الأتراك والحكومة المصرية، وكتبوا بذلك عهداً، ورحل الجيش المصري من "الرس" في شعبان من هذه السنة وتوجهوا إلى المدينة المنورة.

ذكر انتقاض هذا الصلح وأسبابه

ذكر العلامة الشيخ عثمان بن بشر -رحمه الله- أنه في سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف، سار الإمام عبدالله -رحمه الله- بجموع من المسلمين من الأحساء وعمان ووادي الدواسر والجبل والجوف ونجد، من الحاضرة والبادية، وقصد ناحية القصيم، ونزل قرية "الخبراء"، وهدم سورها، وسور "البكيرية"؛ عقوبة لهم لما

دخلوا في طاعة القائد المصري، وتأديباً لهم؛ لئلا يعودوا لمثلها، وقتل شاعراً من أهل الخبراء، يسمى عميان. ثم توجه إلى ناحية الحجاز، وبعث جيشاً أغار على أعراب في الحرة، فركب رجال من أهل القصيم إلى مصر، وشكوا إليه ما فعل الإمام عبدالله بن سعود، وأنه نقض بذلك الصلح، فشمر محمد علي في تجهيز العساكر إلى نجد، مع ابنه إبراهيم باشا. ولما شعر الإمام عبدالله بذلك أرسل وفداً مؤلفاً من حسن بن مزروع وعبدالله بن عون؛ لتقرير الصلح، ومعهم هدايا، ولما قدموا على محمد علي وجدوه مصمماً على نقض الصلح، وقد جهز جيشاً كثيفاً من الترك والمغاربة ومن أهل الشام والعراق، فتوجهت الجيوش إلى المدينة المنورة ، وضبط القائد إبراهيم باشا ثغورها ، واستولى على ما حولها من القرى، ثم سار إلى "الحناكية"، وأكثر الغارات على ما حولها من العربان ، وأخذ أموالاً ، وقتل رجالاً، فانحازت إليه البوادي من حرب ومطير وعتيبة والدهامشة من عنزة.

ودخلت السنة الثانية والثلاثون بعد المائتين والألف وإبراهيم باشا في جهة "الحناكية"، لم يتحول عنها، وفي جمادى الأولى من هذه السنة، خرج الإمام عبدالله بن سعود من "الدرعية" ومعه جميع أهل نجد من الحاضرة والبادية، وقصد ناحية الحجاز، حتى وصل "نجخ" القصر المعروف في عالية نجد ، وبلغه أن قائداً من قواد الجيش المصري ومعه قوة ، ساروا إلى "الماوية" ماء مشهور في عالية نجد ، فسار إليهم الإمام عبدالله ، فأغار عليهم ، وجعل الجيش المصري يرمي

المهاجمين بالمدافع، فجعلت تحصد المهاجمين، وانهزم الأعراب الذين كانوا مع الإمام عبدالله، وتتابعت الهزيمة في جميع الجيش، وقُتل من جيش الإمام مئتا رجل، وحمى الإمام عبدالله ظهور المنهزمين، حتى نجوا. وتوجه الإمام عبدالله إلى "عنيزة"، ونزلها.

أما إبراهيم باشا بعد هذه الوقعة فإنه سار من "الحناكية" إلى "الرس" لخمس بقين من شعبان من هذه السنة، فحاصر "الرس" حصاراً شديداً، وتابع عليهم الرمي بالمدافع ليلاً ونهاراً، وحفر الألغام، وحشاها بالبارود، وأشعل فيها النار، وكلما انهار شيء من السور أصلحوه، وامتد الحصار إلى اثني عشر ذي الحجة. روي أن المحاصرين رموا بلد "الرس" في ليلة واحدة بخمسة آلاف طلقة، وأتلفوا جميع النخيل والزروع، وأرسل أهل "الرس" إلى الإمام عبدالله وهو مقيم في "عنيزة": إما أن يناجز إبراهيم باشا، ويفك عنهم الحصار، وإما أن يأذن لهم في المصالحة. أما الإمام عبدالله فبلغه أن إبراهيم باشا قد جاءته إمدادات كثيرة من مصر، فجعل يجمع القوات والمعدات الحربية. ولما ضاق الأمر على أهل "الرس"، وعيل صبرهم، طلبوا من إبراهيم باشا الصلح على دمائهم وأموالهم وأسلحتهم، وشرطوا الأمان لمن كان عندهم من المرابطين من جند الإمام عبدالله، فتم الصلح على ذلك.

أما الإمام عبدالله فقد خرج من بلد "عنيزة"، بعدما شحن قصورها بالرجال والعتاد والذخيرة، ونزل بلد "بريدة"، فأقبل إبراهيم باشا إلى بلد "عنيزة"، فقابله أهل البلد بالطاعة والتسليم؛ لعجزهم

عن مقاومته، وامتنع المرابطون الذين كانوا في القصور، فرماهم بالمدافع رمياً هائلاً، وسقط جدار قصر "الصفا"، وسقطت قنبلة على مخزن الرصاص والبارود؛ فثار، وأحرق ما حوله، وحينئذ طلب أهل القصر الأمان، فأمنهم على دمائهم وأسلحتهم، فسلموا القصر إلى العساكر المصرية، ورحل المرابطون إلى أوطانهم.

ولما بلغ ذلك الإمام عبدالله رحل من "بريدة" إلى "الدرعية" عاصمة ملكه، أما إبراهيم باشا فرحل من "عنيزة" إلى بلد "بريدة"، فسلمت له البلاد، وكلما فتح بلداً أخذ معه رئيسها خوفاً من الخيانة، ثم توجه إلى بلد "شقراء"، وقد خندقوا على بلادهم، فجرى بينهم قتال عنيف خارج البلد، قُتل فيه ناس كثير، وجُرح الأمير حمد بن غيهب، فدخل أهل شقراء في بلدهم، وجعل إبراهيم باشا يرميهم بالمدافع، ودام ذلك مدة أسبوع، من صبيحة يوم الجمعة إلى يوم الخميس، ففيه خرج عبدالعزيز بن إبراهيم بن عيسى، وغيهب بن زيد، فعقدوا الصلح مع إبراهيم باشا على دمائهم وأموالهم، ودخل جميع أهل الوشم في هذا الصلح، وسار إبراهيم باشا في بلاد نجد يفتحها صلحاً وحرباً، حتى انتهى إلى "الدرعية" في غرة جمادى الأولى من سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف، فاشتعلت الحرب الطاحنة بين أهل "الدرعية" والعساكر المصرية، واستمر الحرب والقتال على أشده ليلاً ونهاراً ستة شهور.

ومن أراد تفاصيل أخبار هذه الحرب الضروس فليراجع تاريخ العلامة الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر، رحمه الله.

ذكر استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية

ذكر العلامة الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر في تاريخه أنه لما كان آخر الحصار خرج من "الدرعية" غصاب العتيبي ، وكان على الخيالة ، وقصد إبراهيم باشا، وهو ممن يظن به الصدق مع الإمام عبدالله، فلما ظفر به الباشا عرف أن الناس قد ملوا الحرب، وفتّ خروجه في عضد المسلمين ، وتسلل كثير من سكان "الدرعية" وغيرهم إلى إبراهيم باشا، وأطلعوه على عورات المدينة، ومواضع الضعف فيها . ولما كان يوم السبت ثالث ذي القعدة سنة ثلاثة وثلاثين أمر إبراهيم باشا عساكره أن تهاجم البلاد من جميع جهاتها، واشتدت الحرب، وكثرت القتلى من الفريقين، وامتلأت الطرقات بالقتلى، ولما رأى أهل "الدرعية" أن السيل قد بلغ الزبى، وخافوا أن تؤخذ البلاد عنوة ؛ أرسلوا إلى إبراهيم باشا في طلب الصلح، فأجابهم إليه، فخرج إليه من الأعيان عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد ابن سعود، والشيخ علي ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومحمد ابن مشاري بن معمر، وعقدوا صلحاً مع إبراهيم باشا على دمائهم وأموالهم ومن دخل في صلحهم.

أما الإمام عبدالله -رحمه الله- فبقي محارباً في منزلته ومحلته، وتوجه الجيش المصري إلى محاربته، ودامت الحرب الهائلة مدة يومين، ثم تفرق عن الإمام عبدالله أكثر من كان معه ، فلما عرف الإمام ذلك أرسل إلى إبراهيم باشا في طلب الصلح، فأجابه إلى ذلك، فخرج إليه الإمام عبدالله، وتم الصلح، على شرط أن يرحل

الإمام عـبدالله إلى السلطان في "القـسطنطينية"، فـقبل الإمام عـبدالله ذلك؛ حفظاً لمحارم المسلمين من معرة الجيش.

وبعـد يومين من توقيـع الصلح أمر إبراهيم بـاشا الإمـام عبـدالله بالسفر إلى "القسطنطينيـة"، وجهز معه قوة برئاسة رشـوان آغا، فتوجه إلى "المدينة"، ثم إلـى "القـاهرة"، فـوصلهـا في ثامن مـحـرم سنة أربع وثلاثين. يروى أنه لما قـابل محمـد علي باشا قال له: كـيف رأيت ابني إبراهيم؟ فأجابه بقـوله: أدى واجبه، وأدينا واجبنا، ومـا شاء الله كان. وأقـــام في "القـــاهرة" يـومين، ثم تـوجـه إلـى السلـطان سليـم في "القـسطنطينيـة"، ومعـه كاتب سـره ورجل آخـر من رجاله؛ كـرها أن يفارقاه، ولما وصل "الآستانة" أمـر السلطان أن ينفذ فيه حكم الإعدام . رحمه الله، وعفا عنه ، وأسكنه الجنة .

وقد هلك في هذه الحرب من العساكر التـركية والمصرية اثنا عشر ألف رجل، وقـد كـان أمـيره عـلى "الأحسـاء" فـهـد بن سليـمـان بن عفيصـان.

ذكر عودة بني خالد إلى الأحساء

لما توجـه إبراهيم باشا إلى مـحاصـرة الدرعيـة انضم إليـه محـمد ومـاجد ابنا عـريعـر بن دجين، فلما سلمت الـدرعيـة وانتهت الحـرب طلب ماجـد وأخوه محـمد من إبراهيم باشا أن يوليـهما "الأحـساء"، ويعيدهمـا إليها؛ لأنها من جـملة بلادهم، فأجابهم إلى ذلك، فتـوجها إليها، وقد هرب منها أمـيرها فهد بن سليمان بن عفيـصان حينما بلغه استيلاء إبراهيم باشـا على الدرعية، فدخل ماجد ومحـمد "الأحساء"،

واستوليا عليها ، ثم سار محمد بن عريعر إلى "القطيف"، واستولى عليها.

وبعد أيام بعث إبراهيم باشا محمد كاشف، ومعه مائتان وأربعون رجلاً، وفي صحبتهم عبدالله ابن الشيخ عيسى بن مطلق، وأمرهم بأخذ جميع ما في بيت المال، وما كان لآل سعود من الخيل والسلاح، ففعلوا ذلك، وصادروا مال كل رجل له علاقة بآل سعود، وقتلوا القاضي الشيخ عبدالرحمن بن نامي وجميع أئمة المساجد والمرشدين النجديين، وحينما رأى آل عريعر ذلك خافوا على أنفسهم؛ فخرجوا من "الأحساء"، وتوجهوا إلى العراق.

وتوفي الشيخ عبدالله ابن الشيخ عيسى بن مطلق في هذه السنة، قال العلامة ابن بشر: كانت له معرفة وذكاء وسخاء وطمع في الرياسة.

ولما رحل إبراهيم باشا من نجد رحل من كان في "الأحساء" من العساكر، وتركوا "الأحساء"، ولما بلغ محمداً وماجداً ابني عريعر خلُوُ "الأحساء" من العساكر المصرية، عادا إليها، فكان ماجد ومحمد في "الأحساء"، وأخوهم سعدون في "القطيف"، وكان ضرير البصر.

ولما أراد إبراهيم باشا مغادرة البلاد النجدية أمر بترحيل آل سعود وآل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من "الدرعية" إلى الديار المصرية، ولكن الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن تمكن من الهرب، ومعه أخوه زيد.

ذكر استيلاء محمد بن مشاري بن معمر على الدرعية

كان محمد بن مشاري بن معمـر ذا مال كثير، وكان رئيساً في بلد "العيـينة"، فلما خلت بلاد نجد من آل سـعود طمع في الاستـيلاء على بلاد نجد، ودعا الناس إلى مبايعته؛ فكتب إلى رؤساء البلدان بذلك فلم يجبه أحد، وكتبوا إلى مـاجد بن عريعر، وطلبوا منه أن يغزوه، ويقضي عليه قبل أن يسـتفحل أمره، فاستـشار ماجد رؤساء عشيـرته، فأشاروا عليه بذلك؛ فسار ماجد من "الأحـساء" بجميع بني خالد ومن كان في طاعته من البوادي، وانضم إليه أهل حريملاء والخرج والرياض.

فلما علم ابن مـعمر بذلك كتب إلى مـاجد: إنه لا يعتبـر نفسه إلا أمـيراً من أمـرائه، ولا يخـرج عن طاعـتـه في شيء. وأهدى له هدايا، فقبلها، وجنح ماجد إلى السلم وترك الحرب؛ فغضب كثير من رؤساء العشائر الذين أغـزاهم معه، وفارقوه، وارتحـل على غير طائل، ورجع إلى "الأحساء". واستبد ابن معمر بالدرعية، وكاتبه بعض رؤساء بلدان نجد بالسمع والطاعة، وقدم عليه الإمام تركي وأخوه زيد.

ذكر قدوم مشاري ابن الإمام سعود إلى الدرعية وأخذها من ابن معمر

في جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين قـدم مشاري بن سعود بن عبـدالعزيز من ناحيـة الوشم، ومعه ناس كـثير من أهل القـصيم وأهل الزلفي وأهل ثرمـدا، ودخل "الدرعـيـة"، ونزل في بيت الإمـام تركي، وفوجئ ابن مـعمر بما لم يكن في حـسابه، فهمَّ بمحاربتـه، ثم عرف أن

جميع أهل نجد سينضمون إلى مشاري ينصرونه؛ لأنه أولى بالأمر منه، فسلّم البلاد إلى مشاري، وعاد الحق إلى أربابه، وبايعه على السمع والطاعة، ووفد رؤساء البلدان إلى الدرعية؛ لمبايعة مشاري، فبايعوه، وانضم إليه ابن عمه الإمام تركي وأخوه زيد، وقدم عليه عمه عمر بن عبدالعزيز وأبناؤه: عبدالله ومحمد وعبدالملك، وقدم إليه الأمير مشاري بن ناصر وحسن بن محمد بن مشاري. وبعدما استتب له الأمر تجهز، فغزا الخرج، وفتح القرى المجاورة للخرج، وهي : السلمية والدلم واليمامة.

ذكر انتقاض محمد بن مشاري ومهاجمته لمشاري بن سعود

لما تم استيلاء مشاري على الدرعية والرياض وما جاورهما من بلدان نجد، خرج محمد بن مشاري بن معمر من الدرعية بعذر المرض، وقصد "سدوس"، وكتب لرؤساء بلد "حريملاء"؛ يطلب منهم النصرة، فأجابوه إلى ذلك ، وكتب إلى فيصل الدويش رئيس قبيلة مطير ؛ يستنجده، فأرسل إليه جماعة من مطير، فسار بهم إلى "الدرعية"، ودخلها على حين غفلة من أهلها، وقصد قصر الإمام مشاري، وهجم عليه بغتة، واعتقله، وسجنه، وكان الإمام تركي بن عبدالله أميراً على "الرياض"، فأقام محمد بن مشاري بن معمر ابنه مشاري، مع فرقة من جيشه في "الدرعية"، وسار إلى "الرياض". ولما علم الإمام تركي ومن معه من آل سعود بذلك خرجوا من "الرياض"، وقصدوا "الحائر"، واحتلَّ محمد بن معمر الرياض.

وفي أثناء ذلك وصلت قوة من الجنود الأتراك -بقيادة أبوش آغا-

إلى القصيم ، واحتلت بلدة "عنيـزة" ، ثم سلمت له القصيم كلها . ولما علم محمد بن معمر بذلك كتب للقائد التركي يخبره بطاعته، وانقياده للأوامر السلطانية، وأنه أمسك الأمير مشاري بن سعود، وسجنه، وهو ينتظر أمره فيـه، فأقرَّه القائد على ما كان في يده، فـرحل ابن معمر من "الرياض"، وأرسل ابنه مشاري أميراً عليها، واستقر هو في "الدرعية"، وأرسل مشـاري بن سعـود إلى "سدوس"، وسـجنه بها، ووعـد القائد بتسليمه إليه متى أراد.

ذكر هجوم الإمام تركي بن عبدالله على محمد بن مشاري في الدرعية وقبضه عليه

في ربيع الأول سنة ست وثلاثين ومائتين وألف توجه الإمام تركي ابن عبـدالله من "الحـائر" إلى بلد "ضرمـا"، وجمع له قـوة، فسـار بها إلى "الدرعية"، وقـصـد قصر ابن معـمـر، وذلك بعد صـلاة المغـرب، وقد اجتمع لدى ابن معمر جملة وفود من رؤساء بلدان نجد، وقد أعد لهم ضيـافة، فدخل عليـه الإمام تركي فـجاءة، وقبض عليـه، وسجنه، وهرب الوافدون، وأكل الوليمة الإمـام تركي وأصحابه. ثم سار الإمام تركي إلى "الرياض"، ونازل مـشـاري بن مـعـمر، حـتى قـبض عليـه، واستـولى على "الرياض"، وسجن مـحمد بن مـشاري وابنه مـشاري، وقـال لمحمـد بن مشـاري : إن أطلقـت مـشاري بـن سـعود أطلقـتك وابنـك، وإلا قـتلتكمـا جـميـعـاً. فكتـب ابن مـعمـر إلى عـاملـه في "سـدوس" بإطلاقه ، فامتنع من إطـلاقه خـوفـاً من القـائـد التـركـي، ثم جاء خليل آغـا وفيـصل الدويش، وتسلما مشـاري. ولما علم تركي

بذلك قتل محمد بن معمر وابنه مشاري. أما مشاري بن سعود فقد حبسه القائد في "عنيزة"، ومات في محبسه، رحمه الله تعالى.

ذكر استيلاء حسين بك على الرياض

في هذه السنة سنة ست وثلاثين ومائتين وألف قدم حسين بك وآبوش آغا ومعهما عساكر من الدولة العثمانية، إلى بلد "الرياض"، وحصروا الإمام تركي في قصره، ورموه بالمدافع؛ حتى اضطروه للهرب، فهرب منه ليلاً. ولما جاء النهار طلب من في القصر الأمان لأنفسهم، وسلموا القصر. ولما تمكن منهم حسين بك قتلهم جميعاً، وكانوا سبعين رجلاً، وكان معهم عمر بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود وأولاده محمد وعبدالله وعبدالملك، فقبضوا عليهم، وأرسلوهم إلى مصر، وأقام الإمام تركي في بلد "الحلوة" المعروفة في نجد.

وفي آخر سنة ست وثلاثين رحل حسين بك من الرياض، وجاء بدله حسين كاشف.

وفي عشر ذي الحجة سنة سبع وثلاثين غزا إبراهيم كاشف بمن معه من العساكر وأهل الرياض وأهل منفوحة، وأغار على قبيلة سبيع في "الحاير"، فكانت الهزيمة عليه، وقُتل إبراهيم كاشف، وقُتل معه ثلاثمائة رجل، وقُتل أمير الرياض ناصر بن حمد العايذي، فوجهت الدولة بدلاً من إبراهيم أبا علي البهلولي، ومعه ستمائة رجل، واستقر في "الرياض".

وفي رجب من سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف خرج ماجد بن عريعر، ومعه بنو خالد وجماعة من عنزة -رئيسهم مغليث بن هذال-

وجماعة من قبيلة سبيع، وقصد فيصل الدويش وقبيلة العجمان، والتقى الجمعان في "الرضيمة"، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم وقعت الهزيمة على ماجد بن عريعر ومن معه، وتركوا جميع ما معهم من الأموال والذخائر. وممن قُتل ذلك اليوم مغيليث بن هذال،وقتل من قبيلة مطير حباب بن قحيصان، وكان من الرجال الدهاة المقربين لدى الإمام سعود ابن عبدالعزيز.

ذكر محاربة الإمام تركي لأبي علي المغربي حتى أخرجه من الرياض

في سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف أقبل الإمام تركي بن عبدالله من بلد "الحلوة" إلى بلد "عرقة"، وكان معه أهل شقراء -وأميرهم حمد بن يحيى بن غيهب- وأهل جلاجل -وأميرهم سويد- وأهل المحمل وأهل منيخ ، فسار بهم تركي إلى بلد "الرياض"، فوقع الحرب بينهم وبين أبي على المغربي، ثم رجع الإمام تركي إلى "عرقة" مكيدة حربية ، وتبعه أبو علي المغربي، ومعه أهل الرياض وأهل منفوحة وحريملاء وثرمدا، وأهل الخرج، وحاربوا الإمام تركي. وطالت مدة الحرب إلى أن دخلت سنة أربعين ومائتين وألف، وفي أولها سار الإمام تركي بجميع المسلمين إلى الرياض، وفيه العساكر المصرية مع أبي علي المغربي، ونشبت الحرب بين الفريقين، وطال أمدها، وجرت عدة وقعات شديدة، قُتل فيها من الفريقين عدة قتلى. ثم إن أبا علي المغربي طلب الصلح على أن يرحل من جميع بلاد نجد، وعلى أن أهل الرياض آمنون على دمائهم وأموالهم، لا يتعرض

لهم الإمـام تركي بسوء، فـصالحـهم الإمـام تركي على ذلك، ورحلت العساكر المصرية من جميع بلاد نجد، ودانت كلها للإمام تركي -رحمه الله-، وامتد فيها سلطانه.

وفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف أرسل الإمام تركي مشاري ابن عـبدالرحـمن بن حسن بن مـشاري بن سـعود بن عـبدالعـزيز في جيش من أهل العارض والمحمل وسدير، فأغاروا على آل عبيدالله من بني خالد في "حفر العتك"، فأخذوا أموالهم ومتاعهم.

وفي سنة ثلاث وأربعين خـرج الإمام فيـصل ابن الإمام تركي من مصر، وكان ممن قبض عليه إبراهيم باشا، ونقله إلى مصر، ووصل إلى أبيه سالماً؛ ففرح به أبوه والمسلمون.

ذكر وقعة السبية [1] من الإمام تركي على ماجد بن عريعر

في سنة خـمس وأربعين ومـائتين وألف خـرج حـاكم الأحـسـاء محمد بن عريعر وأخوه ماجـد في جميع بني خالد، وانضم إليهم فهيد ابن مبارك الصيفي رئيس قبيلة سـبيع وضويحي الفغم ، رئيس الصهبة من مطيـر ، ومزيد بن مـهلهل بن هذال وأتباعـه من عنزة ، ومطلق بن نخيـلان رئيس بني حسين ، واجتـمعوا في "خـفيسة المهـرى"، وساروا إلى محاربة الإمام تركي في بلد "الرياض".

ولما علم بـذلك الإمـام تركي أمــر جـمـيـع أهل نجـد بالجــهـاد، واسـتنفرهم مع ابنــه فيـصل ، وأمر مـن كـان في طاعـته من البـوادي بالنفير، فـجاءه مطلق المصخ وعساف أبو اثنين فـيمن تبعهـما من قبيلة

(١) السبية: أقواز من الرمل شرق الدهناء، ورد ذكرها في شعر ذي الرمة.

سبيع، وضـويحي بن خزيم فيمن تبعـه من قبيلة السهول، ومـحمد بن هادي بن قـرملة فـيمن تبـعـه من قـحطان، وجمـاعـة من العـجمـان، وسلطان بن قـويد فيمن تـبعه من قـبيلة الدواسـر، فنزلوا بين الماء وبين بني خـالد، وحالوا بيـنهم وبين الماء الذي يشربـون منه، ونشب القتـال بينهم، وجالـت الفرسان، وثار الغـبار ودخان البنادق، وأظـلمت الدنيا عليهم، فكانت الحال كما قال بشار:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

واستمر القتال والطراد والضرب والجلاد مدة أيام. وفي أثناء ذلك مرض ماجد بن عـريعر، ومات في أول شهر رمضـان، ولما بلغ فيصلاً مـوته أيقن بالنصـر، وكـتب لأبيه بذلـك. وتولى أمر بنـي خالد أخـوه مـحمـد بن عريعـر، وسار الإمـام تركي من الرياض، ومعـه حشـر بن وريك رئيس آل عـاصم من قحطان ، وقـدموا على فـيصل في العـشر الأواخر من رمـضان، وضرب خـيمتـه تجاه خـيمة مـحمد بن عـريعر، وحميت الحرب عند ذلك، وقُتل مطلق المصخ.

فلما كـان يوم سبع وعـشرين من رمـضان حمل الإمـام تركي بمن معه حـملة صادقة، فانهزمت جـموع بني خالد، وتركوا جمـيع ما كان معهم، وتوجـه محـمد بن عريعر إلى "الأحساء" ، واسـتعد للحصـار. ولما فـرغ الإمــام تركي من قــسم الغنيــمـة كـتب إلـى رؤسـاء أهل "الأحســاء"؛ يدعـوهم إلى الدخول في طاعـتـه، فأجـابـوه إلى ذلك، فســار إلى "الأحساء" بجـميع جنـده، ووصلها، ونزل "عين الحويرات" بقـرب بلـد "المطيرفي"، فهـرب عامة بني خـالد من جهة "الأحسـاء"،

ثم رحل الإمام تركي من "الحويرات"، ونزل جبل أبي غنيمة قرب عين نجم الشهيرة ، وخرج إليه علماء الأحساء ورؤساؤها ، فبايعوه على السمع والطاعة ، وبقي محمد بن عريعر محاصراً في قصر "الكوت"، فأرسل إليه الإمام تركي ؛ يقول : إما أن تنزل من القصر ، وتسلِّم لنا نفسك بلا قيد ولا شرط، وإلا هاجمناك فيه. فسلَّم نفسه، وتسلم تركي القصر، واستولى على جميع ما فيه من المال والذخيرة، وأعطى محمد بن عريعر من المال والإبل ما يكفيه، فخرج محمد بن عريعر من الأحساء إلى العراق، وهذه آخر ولاية كانت لبني خالد على "الأحساء".

وأقام الإمام تركي وابنه فيصل يرتبان أمورها، ويصلحان ثغورها، وجعل في كل قرية من قرى "الأحساء" مرشداً وإماماً وهيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الشيخ عبدالله الوهيبي -رحمه الله- قاضياً في "الأحساء"، ووفد إليه رؤساء أهل "القطيف"، فبايعوه على السمع والطاعة، ووفد إليه رؤساء أهل "الخيمة" من أهل "عُمان"، وبايعوه، وجعل عمر بن عفيصان أميراً في "الأحساء"، ثم رحل إلى "الرياض"، وأذن للجنود بالرجوع إلى أوطانهم.

وفي تلك السنة أرخص الله الأطعمة، فكان خمسة وثلاثون صاعاً من البر بريال، وكانت مدة ولايته سنين خصب وأمن ورخاء، رحمه الله.

ذكر مقتل الإمام تركي، رحمه الله

كان مشاري بن عبدالرحمن بن سعود -ابن عم الإمام تركي، وابن أخته- قد سوّلت له نفسه أنه أحق بالإمامة من تركي، وأجرى

مؤامرة مع بعض خدم الإمام تركي على قتله. وفي يوم الجمعة آخر ذي الحجة سنة تسع وأربعين ومائتين وألف عزموا على تنفيذ الجريمة، وكان الإمام فيصل غازياً في جهة "القطيف"؛ لتأديب أهل "سيهات"، لخروجهم عن طاعته، وتعدِّيهم على أهل "القطيف"، وكان أهل "سيهات" لفيفاً من قبيلة العماير وغيرهم. ولما صلى الإمام تركي صلاة الجمعة، خرج من الباب الذي يلي المحراب، فرماه رجل يسمى إبراهيم ابن حمزة برصاصة، فخر صريعاً، ثم خرج مشاري بن عبدالرحمن، ومعه جماعة، فشهروا سيوفهم، وحموا القاتل، وطردوا عنه الناس، وحُمل الإمام تركي إلى بيت مملوكه زويد العبد، وكان في الجامع جماعة من العلماء من آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيرهم، فاعتصموا بالمسجد، ولم يخرجوا، وسار مشاري إلى قصر الإمام تركي، وأخرج نساءه وعائلته، ونساء ابنه فيصل من القصر، واستولى على جميع ما فيه من المال والعتاد والذخائر. ثم دعا آل الشيخ، وأرغمهم على مبايعته، فبايعوه. ثم جهزوا الإمام تركي، وصلى عليه المسلمون، ودُفن بعد العصر -رحمه الله تعالى، وغفر له-. وبايع أهل "الرياض" مشاري كرهاً.

ثم إن زويداً -مملوك الإمام تركي- تمكن من الهرب من بلد "الرياض"، وقصد الإمام فيصل في "الأحساء"، وأخبره بمقتل أبيه، وكان معه جماعة من رؤساء بلدان نجد، منهم الأمير عبدالله بن علي ابن رشيد ، والد محمد بن عبدالله الرشيد ، الذي حكم الجزيرة في آخر القرن الثالث عشر ، وعبدالعزيز بن محمد بن حسن رئيس بلد

بريدة، وتركي الهزاني رئيس بلد الحريق ، وحمد بن يحيى بن غيهب رئيس بلد شقراء وأمير بلاد الوشم ، فجمعهم الإمام فيصل ، وأخبرهم بمقتل والده، وطلب منهم البيعة والنصرة والأخذ بثأر والده، فبايعوه على ذلك؛ فتجهز من "الأحساء"، وسار إلى "الرياض"، فوصل "الرياض" ليلة الثلاثاء تاسع عشر محرم، ودخل من كان معه من أهل "الرياض" البلاد ليلاً، واستولوا على بروج السور والبيوت المقابلة للقصر الذي فيه مشاري، ولما أحاطوا بالقصر من جميع جوانبه، أطلقوا الرصاص، ونادوا : يا لثارات تركي. ولما طلعت الشمس دخل الإمام فيصل بلد "الرياض"، وحصر مشاري ومن معه في القصر، ورماهم بالمدافع. فلما كانت ليلة الثلاثاء تاسع صفر هرب أكثر من كان في القصر، وطلب باقيهم الأمان، فأعطاهم فيصل الأمان إلا من باشر قتل الإمام تركي أو أعان عليه؛ فرمى من في القصر الحبال، فكان أول من صعد عبدالله بن علي بن رشيد وبداح الحبيش من العجمان وعبدالله بن خميس، ومعهم أربعون رجلاً، وقصدوا مشاري وهو في غرفة من غرف القصر، ومعه ستة رجال فقط، فهاجموه، وقتلوا جميع الستة، وأحاطوا به، حتى أثخنوه بالجراح، وأخرجوا جثته؛ لينظر الناس إليها. وأنجز الله وعده: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً﴾(*). ونزل فيصل القصر، وبايعه أهل الرياض.

(*) سورة الإسراء، الآية: ٣٣.

ذكر مسير العساكر المصرية لقتال الإمام فيصل

في سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف أقبل إسماعيل آغا ومعه خالد بن سعود - من الجالية السعودية في مصر - ومعهما حملة عسكرية، عددها ألفان، ولما وصلوا "ينبع" أرسل إليهم الإمامُ فيصل محمدَ بن ناهض بهدية، ويتعرف خبرهم، فقدَّم إليهم الهدية، وعرف ما كان من أمرهم، وأين يريدون. فرجع إلى الإمام، وأخبره خبرهم، فجمع رؤساء المسلمين ، وفيهم عبدالله بن علي بن رشيد ، واستشارهم، فأشاروا عليه بالمسير والنزول في بلدان القصيم، قبل أن يستولي عليها إسماعيل آغا وخالد بن سعود، فاستنفر الإمامُ المسلمين من الرياض والأحساء والوشم وسدير، وخرج من الرياض في آخر شوال، ونزل "الخفيسة" ، وأقام عليها أياماً ، حتى اجتمعت جنوده ، ثم رحل، ونزل "الصريف" ، قرب بلد التنومة، من ناحية القصيم ، وأقام عليه نحو شهر، وسار خالد بن سعود وإسماعيل آغا من المدينة المنورة، ونزلوا بلد "الرس"، فرحل فيصل من الصريف، ونزل بلد "عنيزة"، وانضم إليه جميع حاضرة القصيم ، فسار بتلك الجموع ، ونزل بلد "الخبراء"، وذلك في أيام التشريق، وأقام فيها أكثر من عشرين يوماً، ثم رأى أن يعيد قواته وذخائره الثقيلة إلى "عنيزة"، ويلقى العدو بالرجال والخيل وبما خف من عتاد الحرب، وبينما هو يجهز ذلك ، ظن رؤساء العشائر أن الإمام منهزم من وجه عدوه ، فخف أكثرهم للهرب؛ فأرسل الإمام طائفة من رجاله لتهدئة الناس، ثم رحل بجميع جنوده، وتوجهوا إلى بلد "عنيزة"، واستشار أهل

الرأي، فأشاروا عليه بالتوجه إلى بلد "الرياض"، فأذن للجنود بالرجوع إلى أوطانهم، وتوجـه إلى بلد "الـرياض"، ومعـه أهل الخـرج والفـرع ومـحمـد بن قـرملة رئيس قحطـان . ولما دخـل الرياض رأى من أهله ريبة، وسمع من بعضهم مـا يسوؤه، فعزم على الخروج من "الرياض"، والتوجـه إلى "الأحساء"، فـأخرج جمـيع ما في القـصر مـن الأمـوال والذخيـرة والسلاح ، وتوجـه إلى " الخـرج " في أربعمائـة فـارس ، ثم أمـر بإخـراج حرمـه وعـياله من " الريـاض " ، ثم توجـه بهم إلى "الأحساء" ، فخـرج الأميـر عمر بن عـفيصـان وأعيان أهل "الأحساء" لاستقباله ، ونزل قصر الكوت ، واستقر في الأحساء.

أما خالد بن سعود وإسماعيل آغا فرحلا إلى "عنيزة"، ووقع بينهم حرب، ثم تصـالحوا، ودخلت العسـاكر المصريـة بلدة "عنيزة"، ودانت لهم بريدة وحائـل وجميع بلدان القـصيم، ووفد إلـيهم أهل الرياض، وعقدوا بينهم صلحاً.

وفي آخـر محـرم من سنة ثلاث وخـمـسين ومـائتين وألف رحل خالد بن سعود وإسماعـيل آغا بما معهم من الجنود، وقصدوا الرياض، ونزل خالد وإسـماعيل القـصر، وكتـبوا إلى رؤساء الحـوطة والحريق؛ يدعونهم إلى السـمع والطاعة، فكتبـوا إلى خالد: إن كنت تريد البيـعة لنفسك بايعناك، على شرط أن ترحل العسـاكر المصرية من جميع بلاد نجـد، وإن كنت تريدها لغـيـرك فليس عندنا إلا الـسـيف. ولما قـرأ إسماعيل باشا الكتاب غضب غضباً شديداً، وصمَّم على حربهم.

ذكر ما وقع بين إسماعيل باشا وأهل الحوطة من الحروب

وفي ربيع الثاني من سنة ثلاث وخمسين سار إسماعيل باشا وخالد بن سعود ومعهما من العساكر وأهل نجد سبعة آلاف مقاتل، وقصدوا بلد "الحلوة"، فأخرج أهلها نساءهم وأطفالهم، وسيَّروهم إلى "الحوطة"، واستعدوا لقتالهم. ولما وصلوا بلاد "الحلوة" نشب القتال بينهم، واستمر من طلوع الشمس إلى وقت الزوال، ورحى الحرب دائرة على أشدها، وجاء تركي الهزاني بأهل "الحريق" مدداً لأهل الحلوة، وجاءهم إبراهيم بن عبدالله في قومه من أهل "الحوطة"، وفوزان بن محمد آل مرشد بجماعة من قومه آل مرشد من أهل الحوطة، وزيد بن هلال في جماعته من أهل "نعام"، وكان رئيس بلد "الحلوة" محمد بن خريف، فانهزمت العساكر المصرية، ومن كان معهم، وأنزلهم إبراهيم بن عبدالله من معاقلهم، وأخرجهم من متارسهم، واستولى على مدافعهم، وهلك أكثر العساكر قتلاً وعطشاً، ونجا خالد بن سعود بنفسه، وتبعه إسماعيل باشا، وشرذمة قليلة من الخيالة، وتحصنوا في بلد" الرياض".

ذكر خروج الإمام فيصل من الأحساء ونزوله الخرج

لما بلغ الإمام فيصل -رحمه الله- انتصار أهل الحلوة وأهل الحوطة، واندحار العساكر المصرية، خرج من الأحساء، ومعه جند من أهل الأحساء وغيرهم، ونزل بلد الخرج، وكتب لأهل الحوطة والحريق والفرع، فأتوا إليه، ومعهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ولما اجتمعت أمدادهم رحل من الخرج، وقصد بلد الرياض، فخرج إليه خالد بن سعود وإسماعيل، ومعهما أهل الرياض، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم خالد بن سعود وإسماعيل ومن معهما، ودخلوا الرياض،وحصرهم الإمام فيصل، وأحاطت الجنود بالرياض إحاطة السوار بالمعصم، وامتد الحصار من أول يوم من جمادى الآخرة إلى سابع يوم من شعبان، وفي ذلك اليوم جاءت قبيلة سبيع نصرة لأهل الرياض، فأغاروا على سرح الإمام فيصل، وجاء قاسي بن عضيب بمن تبعه من قحطان، وشن الغارة على الإمام فيصل، وعلى من كان معه، ففك الإمام الحصار عن بلد الرياض، ورحل عنها، ونزل قرية منفوحة، وجرت مراسلات بين فيصل وخالد بن سعود، في عقد الصلح، ولم ينعقد بينهم صلح.

ذكر مسير خورشيد باشا من مصر إلى نجد

في شوال سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف قدم خورشيد من مصر، ومعه حملة من العساكر المصرية، ولما وصل ينبع أرسل الشريف عبدالله- رئيس ينبع- إلى الإمام فيصل بهدية، فقدم عليه في منفوحة، فقبلها، ثم جهز أخاه جلوي بن تركي بهدية إلى خورشيد، فقدم بها عليه وهو في المدينة المنورة، ثم رحل خورشيد من المدينة، ومعه جلوي بن تركي، ووصل القصيم. ولما دخل خورشيد مدينة عنيزة هرب جلوي، وتوجه إلى أخيه فيصل، وكان قد رحل من منفوحة، ونزل بلد "الدلم".

وفي آخر رجب سنة أربع وخمسين رحل خورشيد من عنيزة متوجهاً إلى الرياض، ثم سار من الرياض ومعه خالد بن سعود إلى محاربة الإمام فيصل في بلد "الدلم"، فخرج إليهم الإمام بجنوده، والتحم الفريقان، وقُتل من الفريقين قتلى كثيرة، وتعددت الوقعات بينهم، وقدم على فيصل عمر بن عفيصان بمدد من الأحساء، وذلك لسبع خلون من رمضان، وجرت بين الفريقين ملحمة عنيفة، كادت تفني الجيشين، ثم تتابعت الإمدادات على خورشيد، فقوي عزمه على مواصلة القتال.

ولما علم الإمام فيصل بذلك، ورأى أن جنده قد أنهكته الحرب كتب إلى خورشيد في طلب الصلح، وذلك في العشر الأواخر من رمضان، فأجابه على شرط أن يسلِّم نفسه، ويرحل إلى مصر، فلم يجد الإمام بدّاً من ذلك، وقبِل الشرط، فجهزه الباشا، ومعه حسن اليازجي في فرقة من العسكر، فرحَل الإمام، ومعه أخوه جلوي وعبدالله ومحمد أبناء الإمام فيصل، وعاد عمر بن عفيصان إلى الأحساء.

ذكر استيلاء خورشيد على الأحساء

لما رحل الإمام فيصل إلى مصر كتب خورشيد إلى عمر بن عفيصان؛ أن يتوجه إليه مع جماعة من أعيان أهل "الأحساء"، ولما خرجوا من الأحساء أمر عمر بن عفيصان أهل "الأحساء" أن يتوجهوا إلى خورشيد ، وهرب هو إلى الكويت ، ولما وصل أهل "الأحساء" إلى خورشيد أعطاهم الأمان، وأمرهم بالرجوع إلى وطنهم، وأرسل معهم أحمد بن محمد السديري أميراً في الأحساء، ومعه مائة وثلاثون

فارساً من العساكر المصرية، رئيسهم أبو حزام المغربي، ثم أتبعهم بالفاخري ومعه خمسون فارساً، ثم أرسل محمد أفندي لسنّ الضرائب، وترتيب طرق الجباية التي لم تكن معروفة ولا مألوفة في تلك البلاد، واستمرت الحال على ذلك إلى شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وألف.

ذكر قتل محمد أفندي غيلة في الأحساء

كان محمد أفندي يخرج كل يوم بعد صلاة العصر إلى "عين نجم"؛ للاستحمام والاستجمام ، ويعود بعد صلاة المغرب . وفي شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وألف جلس له كمين في شجر النخيل التي في طريقه إلى "عين نجم"، ولما رجع بعد صلاة المغرب أطلقوا عليه الرصاص، فأصيب في رأسه وقلبه، فخر صريعاً يتخبط في دمه، ومات من ساعته، وحُمل إلى بيته، وبثّ أحمد السديري الجواسيس، وجعل لهم الجوائز إذا عرفوا قاتله، ودلوه عليه، فلم يعثر له على خبر. ولما بلغ خورشيد قتْله أرسل بدلاً له، وزيادةً للجيش المرابط في الأحساء.

وفي آخر سنة خمس وخمسين ومائتين وألف عزل خورشيد أحمد السديري عن إمارة الأحساء ، وأرسل عيسى بن علي بن فايز - من أهل حائل- والياً على بيت المال في الأحساء.

وفي سنة ست وخمسين في شهر صفر أرسل خورشيد حمد بن مبارك -رئيس قرية حريملاء- أميراً في الأحساء.

وفي آخر هذه السنة توفي عيسى بن علي بن فايز في الأحساء.

وفي ربيع الآخر من سنة ست وخمسين رحل خورشيد من الرياض بجميع عساكره، وقصد ناحية القصيم.

وفي صفر سنة سبع وخمسين ومائتين وألف وفد أهل الأحساء، مع أميرهم حمد بن مبارك على خالد بن سعود في الرياض، فعزل حمد بن مبارك عن إمارة الأحساء، وأمر فيها موسى الحملي، وجعل عبدالرحمن بن مانع والياً على بيت المال.

ذكر خروج عبدالله بن ثنيان آل سعود على خالد بن سعود

في رجب سنة سبع وخمسين ومائتين وألف خرج عبدالله بن ثنيان آل سعود على ابن عمه خالد بن سعود، وكتب إلى أهل الحريق والحوطة والحلوة: إني أريد تطهير نجد من الجنود المصرية. وكان الشيخ عبدالرحمن بن حسن، والشيخ علي بن حسين، والشيخ عبدالملك بن حسين جميعهم في الحوطة، فأجابوه إلى ذلك.

ولما علم خالد بن سعود بذلك خرج من الرياض، وقصد الأحساء، ودخلها في شعبان من هذه السنة ، ومعه سليمان بن سعيد أمير منفوحة .

أما عبدالله بن ثنيان فقد استولى على قرى الخرج والقرى التي حولها، وسار إلى الرياض، فبايعه أهلها، وكان في قصرها حامية من رجال خالد بن سعود وقليل من العساكر المصرية، مع ضابط يسمى الأبعج، فطلبوا من عبدالله بن ثنيان الأمان على أرواحهم، فأمنهم،

فخرجوا، وسلموا القصر. وتم استيلاء عبدالله بن ثنيان على الرياض والخرج والحوطة وما جاورها.

ولما بلغ ذلك خالد بن سعود وهو في الأحساء، تجهز هو ومن كان معه، وخرج من الأحساء، ونزل قصر الدمام، وهرب عنه أكثر من كان معه، فرحل إلى الكويت، ومنها إلى القصيم، ثم إلى مكة المشرفة.

وفي المحرم سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف أرسل عبدالله بن ثنيان عبدَالله بن بتال أميراً في الأحساء، ومعه عشرون رجلاً، ثم أرسل عمرَ بن عفيصان أميراً في الأحساء، ومعه مائة رجل، وعزل عبدالله بن بتال، وأخذ عمر بن عفيصان بيعة أهل الأحساء لعبدالله بن ثنيان، ثم أمرهم أن يفدوا إلى عبدالله بن ثنيان، فوفدوا إليه ثم رجعوا.

ذكر هرب الإمام فيصل من سجن القاهرة وقدومه إلى نجد

في سنة تسع وخمسين تمكّن الإمام فيصل هو وأخوه جلوي وعبدالله بن فيصل وعبدالله بن إبراهيم آل سعود؛ أن ينزلوا بالحبال من القلعة التي سجنوا فيها، وكانوا قبل ذلك قد أوعزوا إلى رجال من أهالي نجد، الذين كانوا يتجرون في الإبل، أن يهيئوا لهم ركائب في محل معين، فنزلوا، وهربوا، فوصلوا الشام، ومنها إلى حائل، وكانوا قد كتبوا إلى عبدالله بن علي بن رشيد - أمير بلد حائل- يخبرونه بقدومهم، فخرج لاستقبالهم، ووعد الإمام بالنجدة والسلاح والرجال.

ولما علم عبدالله بن ثنيان بقدوم الإمام فيصل، ووصوله إلى حائل، أمر بالتجهز لاستقبال الإمام، وكتب له بذلك يريد أن يخدعه؛ حتى يلقاه آمناً، فيقبض عليه. ولكن كان الإمام فيصل يقظاً ذكياً؛ لا تنطلي عليه الحيل، فكتب فيصل -وهو في حائل- إلى رؤساء بلدان نجد؛ يدعوهم إلى طاعته، وكتب بمثل ذلك إلى عبدالله ابن ثنيان، فبادر أهل عنيزة بالإجابة، وأرسلوا وفداً منهم للإمام فيصل؛ يدعونه إلى النزول عندهم، وكان الإمام قد سار من حائل متوجهاً إلى نجد، فوافاه رسول أهل عنيزة وهو في "الكهفة" الماء المشهور ، فقبل دعوتهم ، وتوجه إلى عنيزة ، فدخلها ، وكان عبدالله ابن ثينان قد وصل بلد بريدة ، وكانت قريبة من بلد عنيزة ، ولما علم عبدالله بن ثنيان بدخول فيصل بلد عنيزة بدعوة من أهلها، عرف أنه قد بلغ مأمنه، وفشلت حيلته، فرجع إلى الرياض، وعرف من كان معه من الناس أنه كان يريد الشر بالإمام فيصل، فتفرقوا عنه، ورجعوا إلى أوطانهم.

ولما وصل عبدالله بن ثنيان إلى الرياض هدم البيوت التي حوالي القصر، وتأهب للحرب ، ورحل الإمام فيصل من عنيزة ، وقدم الوشم، فبايعه أهلها، ووفد إليه رؤساء البلدان وزعماء سبيع والسهول والعجمان، فبايعوه على السمع والطاعة، وكتب إلى عبدالله بن ثنيان؛ يدعوه للدخول في الطاعة والمبايعة، فأبى إلا المحاربة، فرحل الإمام فيصل من "حريملاء" لست بقين من ربيع الأول سنة تسع وخمسين، وجهز أخاه جلوي في جماعة من شجعان قومه، وأمرهم

أن يدخلوا الرياض، وذلك بممالأة أهل الرياض، ونزل الإمام فيصل بلد منفوحة.

ولما علم عبدالله بن ثنيان بذلك، دخل القصر هو وجماعة من أوليائه، وسدوا بابه بالطين، ودخل الإمام فيصل الرياض صلحاً، وبقي ابن ثنيان محاصراً في القصر. وفي ليلة من الليالي خرج عبدالله بن ثنيان من القصر خفية؛ يريد الهرب، ففطن به رجال من جند الإمام فيصل، فقبضوا عليه، وأتوا به الإمام، فأمر بحبسه، ودخل فيصل القصر، وعادت الأمور إلى مجاريها. ولله الحمد.

وفي يوم الجمعة خمس عشرة جمادى الثانية من هذه السنة، توفي عبدالله بن ثنيان في سجنه، فجهزه الإمام فيصل، وصلى عليه مع المسلمين، ودفن في مقبرة الرياض. وأرسل الإمام عبدالله بن بتال أميراً في الأحساء.

وفي سنة ستين ومائتين وألف خرج الإمام فيصل بجنوده غازياً على المناصير، وسباهم، ثم أغار على بني هاجر، وأخذ أموالهم، ثم أغار على آل مرة، وسباهم . ثم سار إلى قصر الدمام ، وكان فيه عبدالله بن خليفة -حاكم البحرين- وأولاده، فحصرهم الإمام اثني عشر يوماً . ثم طلبوا الأمان ، فأمّنهم ، فخرجوا، ودخل الإمام القصر، وجعل فيه مائة رجل مرابطين. ثم سار إلى الأحساء، وأقام فيها أربعين يوماً، ووفد إليه رؤساء القبائل، ووفد إليه أهل عمان، وبايعوه، وجعل أحمد بن محمد السديري أميراً في الأحساء، ثم رجع إلى الرياض.

ذكر نهب فلاح بن حثلين الحاج

في آخر سنة ستين ومائتين وألف عرض فلاح بن حثلين -رئيس قبيلة العجمان- لحاج أهل "الأحساء"، وانتهبه، ووصل خبر ذلك للإمام فيصل رحمه الله ؛ فأمر الناس بالغزو، وخرج من الرياض في آخر ذي القعدة، وسار حتى نزل "ربيداء" محل معروف بالدهناء ، فوفد إليه رؤساء قبيلة العجمان، واعتذروا إليه، وأن ذلك لم يكن عن علمهم ورضاهم، فقبل الإمام عذرهم على شرط أن يتخلوا عن رئيسهم فلاح ، ويتركوه مع الإمام، ففعلوا ، فهرب فلاح ابن حثلين ، واستجار بالدويش رئيس قبيلة مطير ، فركب الدويش للإمام ؛ يسأله العفو عنه، فلم يعف الإمام عنه؛ لأن أخْذ الحاج وانتهاك حرمتهم جريمة لا تغتفر، فلم يكن للدويش بد حينئذ من تسليمه للإمام، فأوعز الدويش إلى رجاله بالرجوع إلى أهله، والقبض على ابن حثلين، وتسليمه لرجال الإمام الذين معهم ، وتسلمته رجال الإمام ، وذهبوا به إلى الأحساء، وقُتل هناك.

ذكر وقعة عبدالله بن فيصل بالعجمان في ملح

ذكر الشيخ إبراهيم بن عيسى في كتابه "عقد الدرر في حوادث القرن الثالث عشر" أن قبيلة العجمان أظهرت التمرد والعصيان على الإمام فيصل، وذلك في سنة ست وسبعين ومائتين وألف.

وقبيلة العجمان ينتسبون إلى مذكر بن يام بن أصبا بن رافع بن مالك بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان، هاجروا من "نجران" إلى جهات "الأحساء"، فأغاروا على سرح الإمام فيصل، ثم ارتحلوا، ونزلوا "الصبيحية" الماء المعروف بقرب الكويت .

وفي شعبان من هذه السنة أمر الإمام فيصل ابنه عبدالله أن يتجهز لغزوهم، وأمر من كان في طاعته من قبائل البادية والحاضرة بالمسير معه، فخرج من الرياض في آخر شعبان، ومعه أهل الرياض والخرج والحوطة وأهل الوشم وسدير والمحمل، ومعه من القبائل قبيلة سبيع والسهول ومطير وقحطان، فوجدوا العجمان متفرقين على الصبيحية والجهراء والوفرة، فأغار على من كان نازلاً على "الوفرة" ليلاً، فاكتسحهم، ثم أغار على من كان في "الصبيحية"، وأخذ أموالهم، وكان راكان بن فلاح رئيس العجمان ، نازلاً على "ملح" ، ولم يعلم بما كان على قومه إلا بعد الغارة عليهم. ثم إن عبدالله بن فيصل رحل، ونزل بالقرب من ملح، فجمع راكان بقايا العجمان، وأظهر البنات الجميلات راكبات في الهوادج؛ تشجع الفرسان، وجمع الإبل، وقرن بعضها ببعض، وساقها أمام جموعه، يتترَّسون بها، والتحم الفريقان، ودارت معركة شديدة حامية الوطيس. وبعد مرور ساعات انهزم راكان ببقية العجمان، وتركوا ما وراءهم من المال والذرية، وقُتل منهم نحو سبعمائة رجل، وغنم المسلمون جميع أموالهم، وذلك يوم سابع رمضان، وذهبت فلول العجمان إلى الكويت، وأرسل الأمير عبدالله مبشرين إلى والده، وإلى الأحساء والبصرة والزبير، وفرح الناس بذلك، وأرسل والي البصرة للأمير عبدالله هدية سنية، وقدم عليه سليمان بن عبدالرازق الزهير بهدية من رئيس الزبير.

وفي هذه الوقعة يقول الشيخ أحمد بن علي بن مشرف الأحسائي:

لك الحمـد اللهـم مـا نزل القطر
وما نسخ الديجور مـن ليلنا فجر

ومـا هبت النكبـا رخـاء وزعزعـا
على نعم لا يسـتطاع لهـا حصـر

فـمـن ذلك الفـتح المبين الذي له
تهلل وجـه الدين وابتـسم الثغـر

تفــتح أبـواب السـمـــاء لمثـله
ويعلو بسيط الأرض أثوابهـا الخضر

فناهـيك من فــتح بـه أمن الفــلا
وأسفرت البلدان وابتـهج العصر

تسـامى به "نجـد" إلى ذروة العـلا
وأسفـر وجه "الخط" وافـتخـرت "هجر"

لقـد سـرَّنا مـا جــاءنا من بشـارة
فزالت هموم النـفس وانشرح الصدر

لَدُنْ قـيل عــبدالله أقـبـل عـادياً
يقود أسوداً فـي الحروب لها زأر

رئيس به سيـمـا الخلافة قـد بدت
وفي وجهه الإقبال والعز والنصر

فصبَّح قوماً بالصـبيحيـة اعـتدوا
وقـادهم للغـيِّ من شـأنه الغـدر

فروَّى حـدود المرهفات من الـدما
كما قد روت منها المثـقفة السمر

فغـادر قتلى يعصب الطير حـولها
ويشبع منها الذئـب والنمر والنسر

قبـائل "عجـمان" ومنهم "شـوامر"
ومن لـ"حسين" ينتـمون وما بروا

وطائفــة "مــرية" غــيــر عــذبة
خـلائقـهـا بل كل أفـعـالهـا مـر

أساؤوا جميـعاً في الإمام ظنونهم
وقالوا: ضعيف الجند في عـزمه حصر

نغـيــر على بلدانه ونـخـيـفــهـا
ليـعـرفنا الوالي وينمـو لنا الوفـر

فـإن لم نصب مــا قـد أردنا فـإنه
صفوح عن الجاني ومن خـلقه الصبر

وقد قسموا "الأحساء" جهلاً بزعمهم
لعـجمـانها شطر، وللخـالدي شطر

أمـاني غـرور كـالسراب بـقيـعـة
يرى في الفلا وقت الضـحى أنه بحر

كذبتم، فـ"هجر" دونـها الخيل والقنا
ومن دونها ضرب القـماحد والأسر

ومن دونهـا يوم به الجـو مظلم ... أسنتنـا والبيـض أنجـمـه الزهر
فقل للبوادي: قد نكثتم عهودكم ... وذقتم وبال النكـث وانكشف الأمر
فعودوا إلى الإسـلام واجتنبوا الردى ... وإلا فـلا يؤويكم الـبـحـر والبـر
وننذركم من بعـدها أن من عصى ... فأفـسد أو شقّ الـعصا دمـه هدر
فمن لم يكن عن غـيِّه الوحي زاجراً ... له كان في ماضـي الحديد له زجر
تهنأ بهـذا النصر يا فيـصل الندى ... فقد تم للإسلام والحـسب الفخر
فـقابلْ بحـمد الله جـدواه والثنا ... على الله بالنعما فقد وجب الشكر
ولا تبن للأعـراب مـجـداً فـإنهم ... كما قيل: أصنام لها الهدم والكسر
إذا أودعوا النعمـاء لا يشكرونها ... وإن رمت نفـعاً منهم أبداً ضـروا
فوضع الندى في البدو مطغٍ ومـفسد ... فأصْلحْهم بالسـيف كي يصلح الأمر
وبالعدل سُسْ أمر الرعـيةِ واحمهم ... من الظلم كي ينمو لك الخير والأجر
وألِّف بني الأحـرار في زمن الرخـا ... تجدْهم إذا الهيـجاء شُدَّ لها الأزر
ودونك نظم بالـنصـائح قـد زها ... كما أن نظم العـقد يزهو به النحر
وأخـتم نظمي بالصـلاة مـسلِّمـاً ... على المصطفى ما انهل من مزنه القطر
كذا الآل والأصحاب من بجهادهم ... سما وعلا الإسلام وانخفض الكفر

ذكر وقعة الطبعة لعبدالله بن فيصل على العجمان

في سنة سبع وسبعين ومائتين وألف اتفق العجمان والمنتفق على حرب الإمام فيصل، والعبث بالأمن في بلاده، وقطع الطريق، وجعلوا ينهبون القوافل في طرق نجد والأحساء، وأخافوا أهل البصرة والزبير والكويت؛ فأمر الإمام فيصل ابنه عبدالله بالتجهز لقتالهم ، فجمع رعاياه من الحاضرة والبادية ، وخرج في شعبان من هذه السنة ، سنة سبع وسبعين ، وقصد العجمان وهم في الجهراء ، القرية المعروفة عند الكويت ، وأغار عليهم في الموضع المذكور وكان قريباً من البحر، ودارت المعركة بين الفريقين، وتحيز العجمان إلى جهة البحر، واضطرهم المسلمون إلى أن دخلوا البحر، وغرق أكثرهم؛ ولذلك سميت هذه الوقعة بـ"الطبعة". ولما رأى راكان -رئيس القبيلة- جموع المسلمين أمامه، والبحر خلفه أنشأ يقول وهو على ظهر حصانه:

يا قومنا ما من صديق جمعين والثالث بحر
والله لبوج لها الطريق لعيون براق النحر

فاخترق الصفوف حتى نجا هو ومن تبعه. فانظر إلى غرام العربي بصاحبة الجمال من النساء، كيف يدفعه في أحرج المواقف إلى المغامرة والاستبسال، وهلك منهم بالغرق ألف وخمسمائة، وقُتل منهم خلق كثير، وغنم المسلمون جميع ما كان معهم، وكان ذلك في خامس عشر شعبان سنة سبعٍ وسبعين ومائتين وألف، وأقام الأمير عبدالله في محلة "الوقعة"؛ يقسِّم الغنائم، وأرسل إلى والي البصرة والزبير وإلى كثير من البلدان؛ يبشرهم.

وفي ذلك يقول العلامة الشيخ أحمد بن علي بن حسين بن مشرف رحمه الله تعالى :

لك الحمد يا ألله يا خير ناصر ... لدين الهدى ما لاح نجم لناظر
وما انفلق الإصباح من مطلع الضيا ... فجلَّ وجلَّى حالكات الدياجر
لك الحمد ماهبَّ النسيم من الصبا ... وما انهل ودق المعصرات المواطر
على الفتح والنصر العزيز الذي سما ... فقرت به منا جميع النواظر
وإظهار دين قد وعدت بنصره ... على الدين طراً في جميع الجزائر
وعدت فأنجزت الوعود ولم تزل ... معزاً لأرباب التقى والبصائر
لك الحمد مولانا على نصر حزبنا ... على كل باغ في البلاد وفاجر
ومن بعد حمد الله جل ثناؤه ... على نعم لم يحصها عد حاصر
نقول لأعداء بنا قد تربصوا: ... عليكم أديرت دائرات الدوائر
ألم تنظروا ما أوقع الله ربنا ... بعجمانكم أهل الجدود العواثر ؟
بأول هذا العام ثم بعجزه ... بأيام شهر الصوم إحدى الفواقر
همُ بدَّلوا النعماء كفراً ، وجاهروا ... بظلم وعدوان، وفعل الكبائر
فكم نعمة نالوا، وعز ورفعة ... على كل باد، في البلاد وحاضر
إذا وردوا الأحساء فازوا بخيرها ... وفي برها نبتٍ الرياض النواضر
وكم أحسن الوالي إليهم ببذله ... وبالصفح عنهم في السنين الغوابر
وكم نعمة أسدى لهم بعد نعمة ... ولكنه أسدى إلى غير شاكر
«ومن يصنعٍ المعروف في غير أهله ... يلاق كما لاقى مجيرُ امِّ عامر»

لقد بطروا بالمال والعز واجتروا ... على حرمة الوالي وفعل المناكر
فمدوا يد الآمال للملك واقتفوا ... لكل خبيث ناكث العهد غادر
فعاجلهم عزم الإمام بفيلق ... رماهم به مثل الليوث الخوادر
وقدَّم فيهم نجله يخفق اللوا ... عليه وفي يمناه أيمن طائر
فأقبل من "نجد" بخيل سوابق ... ترى الأكم منها سجداً للحوافر
فوافق بـ"الجهرا" جموعاً توافرت ... من البدو أمثال البحار الزواخر
"سبيعاً" وجيشاً من "مطير" عرمرما ... ومن آل "قحطان" جموع "الهواجر"
ولا تنس جمع "الخالدي" ففيهم ... قبائل شتَّى من "عقيل بن عامر"
فسار بموَّار من الجيش أظلمت ... له الشمس من نقع هنالك ثائر
فصبَّح قوماً بـ"الصبيحية" اعتدوا ... بسمر القنا والمرهفات البواتر
بـ"كاظمة" حيث التقى جمع خالد ... بهرمز نقلا جاءنا بالتواتر
فلما أتى "الجهراء" ضاقت بجيشه ... وجالت بها الفرسان بين العساكر
فولى العدى الأدبار إذ عاينوا الردى ... بطعن وضرب بالقنا والخناجر
فما اعتصموا إلا بلجَّة مزبد ... من البحر يعلو موجه غير جازر
فغادرهم في البحر للحوت مطعماً ... وزاداً لسرحان ونمر وطائر
تفاءلت بالجبران والعز مذ أتى ... بشيراً لنا "عبدالعزيز بن جابر"
فشكراً لها من وقعة عبقرية ... تشيب لرؤياها نواصي الأصاغر
بها يسمر الساري إذا جد في السرى ... ويخطب من يعلو رؤوس المنابر
نفوه بمدح للإمام ونجله ... ومعشره أهل العلا والمفاخر
كفاه من المجد المؤثل ما انتمى ... إليه من العليا وطيب العناصر
فشكراً -إمام المسلمين- لما جرى ... وهل تثبت النعماء إلا لشاكر؟!

فهُنِّئْتَ بالعيدين: بالفتح أولاً ... وعيد كمال الصوم إحدى الشعائر
وشكر الأيادي بالتواصي بالتقى ... بترك المناهي وامتثال الأوامر
صبرت فنلت النصر بالصبر والمنى ... «وما انقادت الآمال إلا لصابر»
ودونك من أصداف بحري لآلئا ... إلى نظمها لا يهتدي كل شاعر
وبكراً عروساً أُبرزت من خبائها ... شبيهة غزلان اللواء النوافر
إلى حسنها يصبو وينشد ذو الحجا ... «لك الخير حدثني بظبية عامر»
وأختم نظمي بالصلاة مسلِّما ... على من إليه الحكم عند التشاجر
محمد المختار والآل بعده ... وأصحابه الغر الكرام الأكابر
مدى الدهر والأزمان ما قال قائل: ... لك الحمد يا ألله يا خير غافر

وفي سنة سبع وسبعين ومائتين وألف توفي الأمير أحمد بن محمد السديري أمير الأحساء، رحمه الله تعالى.

ذكر خروج أهل عنيزة عن طاعة الإمام وغزوه لبلادهم

في سنة تسع وسبعين ومائتين وألف خرج أهل "عنيزة" -البلد المشهورة في القصيم - عن طاعة الإمام فيصل، وغزوا بلاد "بريدة" المجاورة لبلادهم، ودخلوها ليلاً، فقاتلهم أهلها ؛ حتى أخرجوهم منها، وكتبوا بذلك إلى الإمام؛ فأمر ابنه محمداً أن يسير إلى نجدتهم، فسار في جمع من أهل الرياض وأهل الجنوب، ومعه الشيخ حسين بن حمد بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ عبدالعزيز ابن محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ ناصر بن عيد. ولما وصل إلى "بريدة" خرج معه أهلها إلى غزو "عنيزة"، وقدم عليه -أيضاً- عبيد بن علي بن رشيد ومحمد بن

عبدالله بن علي بن رشيد -أمراء الجبل وبلدة حائل- بمن معهم من شمر، وساروا إلى عنيزة؛ فخرج لهم أهلها، وتناوشوا القتال، ثم دخل أهل عنيزة بلادهم بعدما قُتل منهم عشرون رجلاً، وحصرهم الأمير محمد في بلادهم. وفي اليوم الخامس عشر من جمادى الثانية خرج أهل عنيزة لقتال المحاصرين، واقتتل الفريقان قتالاً شديداً، وبعد الكر والفر حقت الهزيمة على أهل عنيزة، وقُتل منهم نحو أربعمائة رجل، وضيَّق عليهم الأمير الخناق، وقطع أكثر نخيلهم.

وفي شعبان سار الأمير محمد بن أحمد السديري في جمع كثير من أهل "الأحساء"؛ مدداً للأمير محمد بن فيصل، وقصدوا بلد الرياض، ثم ساروا منه بقيادة الأمير عبدالله بن فيصل، ومعه المدافع الثقيلة، فشدد الحصار، ورمى المدينة بالمدافع؛ حتى أذعن أهل عنيزة، وطلبوا الصلح والعفو، فأجابهم الأمير عبدالله، بشرط أن يذهب رؤساؤهم إلى الإمام فيصل، ويعقد معهم الصلح، فقبلوا الشرط، وخرج أمير عنيزة عبدالله بن يحيى بن سليم إلى الأمير عبدالله بن فيصل، ثم توجه إلى الإمام فيصل في بلد الرياض، ورجع الأمير عبدالله إلى الرياض، وأذن للغزاة في الرجوع إلى أوطانهم، وعفا الإمام فيصل عفواً عاماً عن جميع أهل عنيزة، وأكرم وفدهم، وأعطاهم عطاء جزيلاً. واستعمل الإمام فيصل محمد بن أحمد السديري أميراً في عنيزة، وكان قبل ذلك أميراً في الأحساء، وكان محمود السيرة، مرضي السياسة، وكانت إقامته في مدينة بريدة، وإمارته شاملة لجميع مقاطعة القصيم.

وفي هذا الصلح يقول الشيخ أحمد بن علي بن مشرف الأحسائي:

سبحان من عقد الأمور وحلها ... وأعزَّ شرعة أحمد وأجلها!
وحمى سياسة ملكنا بمهذب ... وال إذا ربت الحوادث فلَّها
بالعزم والرأي السديد وإنما ... فيه الأناءة ذو الجلال أحلها
يدعو مخالفه إلى نهج الهدى ... فإذا أبى شهر السيوف وسلّها
فسقى وروَّى أرضهم بدمائهم ... قتلاً، وأنهلها بذاك وعلها
في كل ملحمة تعيش نسوره ... منها وترتاد السباع محلها
رجفت "عنيزة" رهبة من جيشه ... لما غشى حيطانها وأظلها
فاختارت السلم الذي حقن الدما ... إذ وافقت من للهداية دلها
صلحاً به نصر المهيمنُ حزبه ... وأزاح أوغار الصدور وغلَّها
فانظر إلى صنع المليك بلطفه ... وبعطفه كشف الشدائد كلها
لا تيأسنَّ إذا الكروب ترادفت ... فلعلها ولعلها ولعلها
واصبر فإن الصبر يبلغك المنى ... حتى ترى قهر العدو أقلها
والزم تقى الله العظيم ففي التقى ... عز النفوس فلا يجامع ذلّها
وإذا ذكرتُ بمدحة ذا شيمة ... فإمامنا ممن تفيأ ظلها
أعني أخا المجد المؤثل فيصلا ... نفسي تتوق إلى حماه تولها
كفاه في بذل الندى كسحابة ... جادت بوابلها فسابق طلها
مازال يسمو للعلا حتى حوى ... دق المكارم في الفخار وجلها
يشري المدائح بالنفائس رغبة ... حتى بمفتاح اللهى فتح اللها
فإذا أناخ مصابراً لقبيلة ... في الحرب أسأمها الوغى وأملها
ساس الرعية حين قام بعدله ... وببذله غمر النوال مقلها

مني إليك خريدة "هجرية" ... حسناء يهوى كلُّ صب دلها
طوت المفاوز نحو قصرك لم تخف ... لصاً ولا ذئب الفلاة وصلها
فاقبل وعجِّل بالقراء فلم تزل ... تقري الضيوف بها وتحمل كلها
لا زلت بالنصر العزيز مؤيداً ... تدعى الأعز ومن قلاك أذلها
ثم الصلاة على النبي محمد ... ما باشر الأرض السماء فبلها
والآل والأصحاب ما نسخ الضيا ... من شمسنا وقت الظهيرة ظلها

وفي سنة ثمانين ومائتين وألف وفد أهل الأحساء - وفيهم الشيخ أحمد ابن علي بن مشرف، وطلبوا من فيصل إعادة محمد بن أحمد السديري إلى إمارة الأحساء، فأكرم وفادتهم، وأجاب طلبهم، وأعاده إلى الأحساء.

ذكر وفاة الإمام فيصل، رحمه الله تعالى

لتسع ليال بقين من رجب، سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف توفي الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، إمام المسلمين بنجد وما جاورها، كان -رحمه الله تعالى- إماماً عادلاً حليماً مهاباً كريماً، وافر العقل، حسن السيرة، عطوفاً على الرعية، محباً للعلماء وأهل الصلاح ، كثير الصدقة والبر بالفقراء واليتامى ، وكان له أربعة أولاد : عبدالله وهو ولي عهده ، ومحمد ، وسعود ، وعبدالرحمن . وبعد وفاة الإمام بايع المسلمون ولي العهد عبدالله بن فيصل.

ورثى الشيخ أحمد بن علي بن مشرف الإمام فيصلاً بهذه القصيدة:

على "فيصل" بحر الندى والمكارم ... بكينا بدمع مثل صوب الغمائم
إمام نفى أهل الضلالة والخنا ... بسمر القنا والمرهفات الصوارم
فكم فلَّ من جمع لهم جاء صائلا ... وأفنى رؤوسا منهم في الملاحم

يجر عليهم جحفلاً بعد جحفل ويرميهم في حربه بالقواصم
فما زال هذا دأبه في جهادهم تغير بنجد خيلُه والتهائم
إلى أن أقيم الدين في كل قرية وأصبح عرش الملك عالي الدعائم
وأخلى القرى من كل شرك وبدعة وما زال ينهى عن ركوب المحارم
ويعطي جزيل المال محتقراً له سماحاً ويعفو عن كثير الجرائم
مناقبُ جود قد حواها وراثة فحاز الثنا من عربها والأعاجم
تغمَّده المولى الكريم برحمة وأسكنه الفردوس مع كل ناعم
فلا جزع مما قضى الله واصطبر وإلا سنسلو مثل سلوى البهائم
فلما تولى خلَّف الملك بعده لنجل خليق بالإمامة حازم
فقام بعون الله، للملك سائساً رعيته، مستيقظاً غير نائم
فتابع أهل العدل في كف كفه عن المكس، إن المكس شر المظالم
وشابه في الأخلاق والده الذي فشا ذكره بالخير بين العوالم
وقرَّب أهل العلم والفضل والنهى وجانب أرباب الردى غير نادم
ومن يستشرْ في أمره كل ناصح يجد فرجاً من معضلات العظائم
على يده جلُّ الفتوح تتابعت فساوى القرى في الأمن مرعى السوائم
وأسلمت الأعراب كرهاً وجانبوا حضوراً لدى الطاغوت عند التحاكم
وذكَّرنا "عبدالعزيز" وشيخه وما كان في تلك الليالي القوادم
ومازال منصور اللواء مؤيداً على كل باغ معتد ومخاصم
ودونك أبياتاً حوت كل مدحة فأضحت كمثل الدر في سلك ناظم
ونهدي صلاة الله خالقنا إلى نبي عظيم القدر للرسل خاتم
محمد الهادي وأصحابه الألى حموا دينه بالمرهفات الصوارم
صلاة وتسليماً يدومان ما سرى نسيم الصبا وانهل صوب الغمائم

ذكر ما جرى من الحوادث في أيام الإمام عبدالله بن فيصل

دام الائتلاف بين الإمام عبدالله وإخوانه سنة واحدة. وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف خرج الأمير سعود بن فيصل من الرياض؛ ساخطاً على أخيه الإمام عبدالله، وتوجه إلى محمد بن عايض ، رئيس بلدان عسير ، وأقام عنده مدة ، وشكا إليه ما في نفسه، وطلب منه النجدة على محاربة أخيه. وحينما علم الإمام عبدالله بهذه الحركة كتب إلى ابن عايض، وأوضح له أن خروج أخيه من الرياض لا مبرر له، وإنما قصده شق عصا المسلمين وتفريق جماعتهم، وكتب لأخيه سعود كتاباً؛ يأمره فيه بالطاعة ولزوم الجماعة، وأن يعود إلى الرياض؛ ليعطيه جميع ما يرغب فيه من المخصصات، فأبى أن يرجع، وتخلى ابن عايض عن مساعدته، فخرج من عنده، وتوجه إلى نجران، وقصد رئيسها، وأقام عنده، وطلب منه النصرة، فلم يجبه إلى ذلك.

ولما سمع رؤساء قبيلة العجمان ما حدث بين الأخوين - وكان في نفوسهم الغيظ الكامن على الإمام عبدالله؛ بسبب الضربات التي أنزلها بهم في "ملح" و"الطبعة" -ركبوا إلى سعود بن فيصل وهو في نجران، ووعدوه النصرة على أخيه، وقدم عليه من قبيلة "آل مرة" فيصل المرضف، وكتب إليه -أيضاً- مبارك بن روية أمير بلاد السليل ، من وادي الدواسر ؛ يعده بالنصرة والقيام معه ؛ لأمر أراده الله . واجتمع عليه خلق كثير، وعطف عليه رئيس نجران، وأمده باثنين من أولاده وفصيلة من جيشه.

ولما تحقق الإمـام عبدالله جـميع ذلك أمـر أخاه محـمداً أن يتجـهز، ويسير بمن مـعه من المسلمين؛ لقتال سـعود، وصدِّه عن مهـاجمة بلدان نجد، فـالتقى الجمعـان بالموضع المسمى "المعتـلا"، واشتد بينهم القـتال، وطال، حتى حقت الهزيمة على سعـود وجنوده، وقُتل منهم ناس كثير، منهم أولاد السيـد رئيس نجران، وعلي بن سريعـة، وجُرح سعـود عدة جراحات، فانهـزم في بقية جنده إلى جهة الأحسـاء، وأقام عند آل مرة إلى أن برئت جروحه، ثم سار إلى عمان، وأقام هناك.

ودخلت السنة الرابعة والثـمانون، وفيهـا أرسل الإمام عبداللـه عمه عبدالله بن تركي، ومعـه سرية من أهل الرياض والوشم وسدير؛ لطرد العجمان من الأحساء، فسار إلى الأحساء، وكان الأمير فيها محمد بن أحمد السـديري، فقبض على من وجد فـيها من العجـمان، وأودعهم السجون، وحرق بيوتهم.

وفي هذه السنة عزل الإمامُ عـبدُالله محمدَ بن أحـمد السديري عن إمارة الأحساء، وجعل بدله ناصر بن جبر الخالدي.

وفيـات

في هذه السنة توفي محـمد بن عبـدالله القاضي، الشاعر المشـهور، أحد رؤساء بلد عنيزة.

وفي سنة خمس وثمانين ومائتين وألف توفي العـالم الشهير الشيخ أحمد بن علي بن حـسين بن مشرف الأحسائي، وستأتي تـرجمته عند الكلام على العلم والعلماء، في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

وفي ذي القـعـدة من سنة خـمس وثمـانين تـوفي رئيس الموحـدين

الجامع بين علم الأصول والفروع العلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وفي سنة ست وثمانين ومائتين وألف بدئ حفر قناة السويس، وتم في سنة إحدى وتسعين.

وفي سنة ست وثمانين ومائتين وألف خرج الإمام عبدالله بن فيصل من الرياض غازياً، ومعه جموع كثيرة من الحاضرة والبادية، وقصد جهة الأحساء ، ونزل على "دعيلج" الماء المعروف ، جنوبي الأحساء ، ومكث في تلك الناحية أربعة شهور، وبعث سرية إلى الأحساء، يرأسها فهد بن دغيثر، ثم سار إلى جهة الشمال، وأغار على فريق "الصهبة" من مطير على "الوفرا"، ثم رجع إلى الرياض.

ذكر غزو سعود للأحساء ، وفتحها ، ووقعة الوجاج

في سنة سبع وثمانين ومائتين وألف، وتعرف هذه السنة عند أهل الأحساء بـ"سنة سعود"، وذلك أن سعود بن فيصل خرج من عمان، وتوجه إلى البحرين ، ونزل على آل خليفة حكام البحرين ، وطلب منهم النجدة والمساعدة على حرب أخيه عبدالله، ثم توجه إلى قطر ومعه ابن عمه محمد بن عبدالله بن ثنيان، ونازل السرية التي أرسلها الإمام عبدالله مع مساعد الظفيري، وصار بينهم قتال شديد، وقُتل محمد بن عبدالله بن ثنيان وعدة رجال من جند سعود، ورجع إلى البحرين، وكتب إلى رؤساء قبيلة العجمان فقدم عليه منهم خلق كثير؛ وذلك بإيعاز من رؤساء القبيلة. أما الرؤساء فجاؤوا إلى الأحساء، وأعطوا ناصر بن جبر وفهد بن دغيثر العهود والمواثيق على

الوفاء للإمام عبدالله والقيام معه على أخيه سعود، وذلك محض مكر وخداع.

وفي رجب من هذه السنة خرج سعود بن فيصل من "البحرين" متوجهاً إلى الأحساء، ومعه من آل خليفة أحمد بن الغتم في عدة رجال من أهل البحرين، ولما وصل "العقير" انضم إليه العجمان وآل مرة، فتوجه إلى "الأحساء"، وقاتل أهل "الجفر"؛ حتى دخل قريتهم عنوة، وانتهبها الجند. أما قرية "الطرف" فصالح عنها أميرها أحمد بن محمد بن حبيل، وسلمت، وأطاعت، ثم توجه إلى "الهفوف"، وحينئذ دخل حزام بن حثلين وابن أخيه راكان بن فلاح على أمير الأحساء ناصر بن جبر، وأمير السرية فهد بن دغيثر، وأخبروهما أن سعوداً متوجه إليهم، ولا بد من الخروج إلى قتاله، وصده عن دخول البلاد عنوة، وحلفوا لهما الإيمان المغلظة على الوفاء والصدق، فخرج الأمير ناصر وأمير السرية فهد بن دغيثر ونفر معهم أهل الهفوف، ومعهم حزام وراكان وجماعة قليلة من العجمان وآل مرة، والتقوا بالأمير سعود في "الوجاج" البر الواقع بين الهفوف والقرى الشرقية .

ولما التحم الفريقان أظهر راكان وحزام الغدر، فعطفوا على أهل "الهفوف"، يقتلون ويسلبون، وانهزم ناصر بن جبر بالناس، وقد قتل منهم نحو ستين رجلاً، منهم محمد بن عبدالعزيز بن ملحم وإخوانه عبدالله وسليمان.

ثم زحف سعود إلى مدينة "الهفوف"، وحاصرها أربعين يوماً، وأمعن العجمان في الإفساد في البلاد بالنهب وقطع الثمار، فذهب

أهل "المبرز"، وصالحوا الأمير سعوداً؛ لتسلم بلادهم؛ حماية لهم من الفساد، وأرسل لهم حزام بن حثلين؛ ليقيم عندهم خفيراً، واستبد العجمان بالأمر؛ لأن الشوكة لهم ، وأذاقوا الناس عذاب الهون، وكانوا لا يسمعون ولا يطيعون لأوامر سعود ، ولا يرقبون في مؤمن إلّاً ولا ذمة .

ذكر وقعة جودة بين الأمير سعود بن فيصل وأخيه محمد بن فيصل

لما بلغت الإمام عبدالله أخبار هذه الحوادث أعلن الجهاد العام، وأمر أن توافيه الجنود في بلد الرياض، ولما تكاملت الجنود أمر أخاه محمد ابن فيصل بقيادة هذه الحملة، ومنازلة سعود وإخراجه من الأحساء، فخرج من الرياض، ومعه المجاهدون من أهل الرياض وغيرهم من بلدان نجد، وعساف أبو اثنين بمن تبعه من السبعان، وتوجه إلى الأحساء. ولما علم سعود بن فيصل بذلك فك الحصار عن بلد الهفوف، وسار بالعجمان وآل مرة وأحمد بن الغتم وجمع من أهل المبرز وأهل الطرف ، وقصد الماء المسمى "جودة" شمال الأحساء ؛ لأن طريق محمد بن فيصل عليه ، فنزل سعود على الماء قبل وصول محمد ، ووصل محمد في اليوم السابع والعشرين من رمضان ، والتحم الفريقان ، ولما اشتد القتال وحمي الوطيس التقى راكان بن حثلين بعساف أبو اثنين ، وكان في جيش الأمير محمد ، فنزل راكان عن فرسه، وقال له: يا عم، اركب هذه؛ فهي ألين لك. وقصد بذلك إرضاء عساف؛ حتى ينهزم بالناس، وفهم عساف الغرض، فأشار إلى

جمـــاعتـه بالانجــذاب والخـروج من المعركـة ، ففعلوا ، وانهـزم جند الأمير محمد على آثارهم ، فاستلحـمهم العجمان ومن معهم ، وقتلوا من جنـــد الأمير مـحمد أربعمائة رجل ، من مشاهيـرهم : عبدالله بن بتال المطيري ، ومجاهد بن محمد أمير بلد الزلفي ، وإبراهيم بن سويد أمير بلد جلاجل ، وعبـدالله بن مشـــاري بن مـاضـي ، وعبـــدالله بن علي آل عبـدالرحـمـن أمير بلد ضـرما ، وأُسر مـحمد بن فيـصل قائد الحملة ، فأمر سعود بتقييده ، وأرسله إلى سجن القطيف .

وأقام سـعود في مـحل الوقعة، وكـتب إلى أهل الهفـوف؛ يأمرهم بالتسليم والمبـايعة على السمع والطاعـة، فساروا إليه، وبايعـوه، فرحل من "جودة" إلى "الأحـساء"، واستولى علـيها، وأخذ من أهلهـا أموالاً كثيرة، وفرقها على العجمان والجند الذين كانو معه.

ولما وصلت أخبار هذه الهـزيمة الشنعاء إلى الإمام عبـدالله جمع ما كان له في الرياض من المال والذخيرة والعتاد، فخرج به من "الرياض"، وتوجه إلى "حـائل" مقـر إمـارة محـمد بن عبـدالله بن علي الرشـيد ، ومعـه الشيخ عـبدالعـزيز بن عـبداللـه أبابطين ، وسـار حـتـى وصـل "البعـيثة"، ونزل الماء المسـمى "العروق" (جمع عـرق)، وأرسل الشيخ عـبدالعـزيز أبابطين بهـدايا إلى والي بغداد وطـلب منه المساعـدة على حرب أخـيه؛ لـيسـتعـيد ملكه المسلوب، فـوعده بالنصـرة والمسـاعدة؛ وكـانت للدولة العـثمـانيـة مطامع في الاسـتيـلاء على الأحـساء ومـا جاورها؛ لمتاخمتها العراق.

وفي شـوال من سـنة سبع وثمانين وفـد محمد بن هـادي بن قرملة -رئيس قبيلة قحطان- على سعود بن فيصل في الأحساء ، فلم يحسن وفادته ؛ لأن العجمان يكرهونه ، فـسار إلى الإمام عبدالله ، وهو على "العـروق" ، فعـاهده على النصـرة ومـحاربة سـعـود ، فرجع الإمـام عبـدالله إلى الرياض ومعه مـحمد بن قـرملة، ودخل الرياض في آخر ذي القعدة.

وفي محرم سنة ثمان وثمانين ومـائتين وألف خرج سعود بن فيصل من الأحساء متوجهاً إلى الرياض، وأبقـى فرحان بن خير الله أميراً في الأحسـاء، فالتقى في طـريقه بسرية للإمـام عبدالله يـقودها حطاب بن مقبل العطيـفة في موضع يسمى "الجـزعة" فحصل بينهم قـتال شديد، قُتل فيـه قائد الحملة حطاب بن مقبل، وابنه عويد، وابن عـمه فلاح بن صقر، وغنم سعود جميع ما معهم من السلاح والعتاد.

ولما قرب سعود من الرياض هرب منها الإمام عـبدالله ومعه محمد ابن قرملة، وقـصدوا عشـائر قحطان، وهم على الأنجل، ودخل سـعود بلد الرياض فاتحاً بغير قتال، وكتب إلى رؤساء بلدان نجد بالقدوم عليه للبيعة، فقدموا عليه، وبايعوه.

وفي ربيع الأول من سـنة ثمـان وثمـانين خـرج مـن الرياض غـازياً لأخـيه عـبـدالله وقبـائل قـحطان، ومعـه العـجمـان وآل مـرة وسبـيع والسـهول والدواسـر وأهل الرياض والخرج والحـوطة، فوافـاهم على "البـرة" قرية معروفة في نجد ، فالتـقى الجمعان يوم السابع من جمادى الأولى. وبعد معركة حامية الوطيس انهزم جيش الإمام عبدالله ، وقُتل

منهم عدد كثير، ومن مشاهير القتلى من هذا الجيش عبدالعزيز بن محمد بن ناهض، ومن جيش سعود منصور الطويل، أحد فرسان العجمان المشاهير.

ذكر مسير عساكر الدولة العثمانية إلى الأحساء وفتحها

لما طلب الإمام عبدالله بن فيصل من والي بغداد إخراج أخيه سعود من "الأحساء" صدرت الأوامر الشاهانية بإرسال العساكر إلى الأحساء؛ لإخراج آل سعود جميعاً من الأحساء، وردها إلى ممالك الدولة، فسارت العساكر بقيادة محمد نافذ الفريق، وصدر الأمر على عبدالله بن صباح؛ أن يغزو مع الجيش العثماني، ويكون في صحبته إلى الأحساء، وسارت العساكر العثمانية في مركبين[*١] من البصرة إلى القطيف، وجهز عبدالله ابن صباح جيشاً حمله في السفن، يقوده بنفسه، وجيشاً سار على طريق البر، يقوده أخوه مبارك بن صباح. ولما وصل الجيش العثماني والجيش الكويتي "القطيف"، دخلوها بغير قتال[*٢]، وتحصن الأمير في القلعة،

(*١) حملت القوات العثمانية مجموعة كبيرة من السفن، كان في طليعتها سفن عثمانية جديدة اشتراها أحمد مدحت باشا خصيصاً لإنفاذ الحملة العثمانية إلى القطيف والأحساء، وهي: بابل ونينوى وآشور؛ وذلك من أموال الأراضي الحكومية التي بيعت في البصرة وبغداد والمنتفق وكركوك، إضافة إلى عدد من السفن العثمانية القديمة الموجودة في الأسطول العثماني الشرقي المرابط في البصرة، وكذلك مراكب أهلية تم استئجارها في البصرة، علاوة على ثمانين سفينة أمنها شيخ الكويت عبدالله بن صباح.
انظر: د. عبدالله بن ناصر السبيعي، تاريخ الأحساء والقطيف وقطر، دراسة وثائقية، الجزء الأول، الحملة العثمانية، ص ص ١١ - ١٢، ٢١، ٣٥.

(*٢) كانت القطيف هي الوحيدة بين المواقع التي تم دخولها بعد قتال بين القوات العثمانية وأمير سعود بن فيصل الذي أبى أن يسلم دون قتال وفاء لأميره؛ فدخل القلعة، وتحصن بها، وسلم بعد تبادل إطلاق نيران وجد نفسه غير قادر للصمود أمامها.
انظر التفاصيل في: السبيعي، المصدر السابق، ص ص ٣٧ - ٣٨.

وبعد أيام قليلة رفع راية التسليم، وطلب الأمان لنفسه ولمن معه من رجال الحامية.

ثم سار محمد نافذ وعبدالله بن صباح وأخوه مبارك إلى الأحساء، ولما وصلوا "القطار" -الموضع المعروف الواقع شمال بلاد العيون- كتبوا إلى عامل سعود في الأحساء فرحان بن خيرالله؛ يأمرونه بالتسليم، وإلا فسوف يجازى بالإعدام، وكتبوا منشورات لأهل الأحساء، هذا نصها: "الباعث لتحرير الكتاب، هو أنه قبل هذا أرسلنا لطرفكم مكاتيب مخصوصة، وملفوفة بطيها إعلانات مطبوعة، متضمنة بيان أسباب كيفية مأموريتنا، وخلاصة أفكار صاحب الدولة العلية، وزبدة ما في ضمير حضرة السلطنة السنية، إنها مجرد إرجاع أمن البلاد؛ ليستريح الناس، ويصرفوا أوقاتهم في مكاسبهم وازدياد ثروتهم، واستجلاب دعواتهم الخيرية لدوام أيام الدولة. وقد فهمتموه مفصلاً، ولأجل ذلك صرفنا النظر في هذه الدفعة عن الإطناب والإسهاب في بيان ذلك، واقتصرنا على إخباركم بمجيئنا هذا اليوم، ووصولنا "القطار"، وغداً -إن شاء الله- نرحل، ونتوجه إلى "الأحساء"، فمن استقبلنا بالطاعة نقابله بعهد الله وأمانه على نفسه وماله، ونبذل دونه الرعاية والحماية، ومن يستقبلنا بالعصيان وعدم الطاعة فسنسحقه -بحول الله وقوته- بسنابك الخيل، ونجعل داره تدعو عليه بالثبور والويل. وبناء على ما بلغنا أنكم اليوم في أسوأ حال؛ من جراء ما لقيتموه من شدائد الظلم والوبال، وتمنيكم سرعة مجيئنا لأجل استخلاصكم من ذلك؛ سارعنا للمجيء. فإذا أحاط علمكم بذلك، فتوكلوا على الله، واستقبلونا بالمواجهة، ولكم عهد

الله وأمانة على الأنفس والأموال، وسوف ترون -إن شاء الله- ما يسركم، ويكفيكم شاهداً على هذا ما بلغكم من حسن معاملتنا لأهل القطيف وملحقاتها من أهل القرى والعشائر؛ ليكون معلومكم، ولأجل ذلك؛ بادرنا بتحريره. ثمانية عشر، ربيع الآخر، سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف».

وفي اليوم التاسع عشر من شهر ربيع الآخر دخل محمد باشا نافذ الفريق ومن كان معه من العساكر داخل الكوت، بعد ما فر منه فرحان ابن خير الله(*١)، ومن كان معه، وأمر محمد نافذ بإطلاق سراح محمد بن فيصل من سجن القطيف(*٢)، وكتب للإمام عبدالله ، وهو إذ ذاك مع عشائر قحطان ؛ أن يقدم عليه في الأحساء؛ لأنه جاء لإنقاذ الأحساء من سعود وتسليمها له، فبادر الإمام عبدالله بالإجابة، وتوجه للأحساء، وقابله محمد نافذ بالإجلال والاحترام.

أما الإمام سعود فقد قام ضده أهل الرياض، يتزعمهم عمه عبدالله ابن تركي، وحصروه في قصره، ودار القتال بينهم عدة أيام، ثم خرج من القصر بعد أن أخذ الأمان منهم لنفسه ولمن معه، فخرج، وتوجه إلى بلد الدلم.

(*١) لم يفر فرحان بن خيرالله من الهفوف، بل استسلم، وظل بها إلى ما بعد معركة "الخويراء" التي جرت بين العثمانيين وسعود بن فيصل، وحينها أخرجه الفريق محمد نافذ باشا ومن معه من الهفوف إلى البحرين عن طريق ميناء العقير. انظر: د. عبدالله بن ناصر السبيعي، تاريخ الأحساء والقطيف وقطر، دراسة وثائقية، الجزء السادس: آل سعود والعثمانيون، ص ١٣.

(*٢) لم يكن محمد بن فيصل بن تركي مسجوناً في سجن القطيف، بل كان محتجزاً في قلعة الدمام.
انظر: السبيعي، الحملة العثمانية، ص ٣٨.

ذكر وقعة الخويراء

وفي آخر جمادى الآخرة خرج سعود بن فيصل من بلد الدلم، ونزل على قبيلة العجمان، ووفد إليه رؤساء قبيلة آل مرة، وحسّنوا إليه مهاجمة الأحساء وإنقاذها من الأتراك، واجتمع عليه خلق كثير من الطامعين في النهب والسلب، وتوجهوا إلى الأحساء، وجعلوا يغيرون على القرى، وينهبون المارة، ويفسدون الزروع والثمار، فخرج إليهم قائد الجيش التركي، ومعه الإمام عبدالله[*١]، بجميع ما لديهم من الجيوش والمدافع ، فوقع بينهم القتال في الموضع المسمى "الخويراء" الواقع جنوبي مدينة الهفوف ، وانهزم جند الأمير سعود بن فيصل ، بعدما قتل منهم رجال. وأمنت البلاد، وشملها الاستقرار.

ذكر قدوم نجدات من العساكر العثمانية بقيادة مدحت باشا إلى الأحساء

في شهر جمادى الآخرة من سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف توجهت القوات العثمانية من بغداد بقيادة مدحت باشا عن طريق "العقير"[*٢]، ووصلت "الأحساء" تعزيزاً للقوات السابقة، وأصدر مدحت باشا [*٣] إعلاناً هذا نصه: «قد أسقطنا الرسومات التي تؤخذ

(*١) لم يخرج الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي، الذي كان حينها موجوداً في "الهفوف" مع القوات العثمانية؛ بسبب ممانعة العثمانيين لخروجه.
انظر: السبيعي، آل سعود والعثمانيون، ص ١٣.

(*٢) كان وصول أحمد مدحت باشا إلى الأحساء في شهر رمضان ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م.
انظر السبيعي، الحملة العثمانية، ص ٥٣.

(*٣) الذي أصدر هذا الإعلان هو الفريق محمد نافذ باشا.
انظر: السبيعي، المصدر السابق، ص ٥١.

من الأهالي باسم الجهاد، وخدمات المأمورين على تحصيل الزكاة، والزيادة في الخرص المخالف للأحكام الشرعية، ومراد الدولة العلية ترقية أحوال التبعة، وزيادة ثروتهم، وأمرنا بإلغائها وعدم أخذها، ونبّهنا المأمورين بعد تحليفهم على عدم الزيادة على الواجب الشرعي، والذي يتبيّن منه أنه ارتكب ذلك فقد أوعدناه بالمجازاة الشديدة. ولإعلام كافة الأهالي وتبشيرهم؛ حررنا هذا الإعلام نسخاً متعددة، وأمرنا بتوزيعها على المدن والقرى؛ ليكون معلوم الجميع؛ ليبتهلوا بالدعوات الخيرية ببقاء أيام الدولة العلية، ويشتغلوا بتعمير أملاكهم، وتوسيع دائرة محاصيلهم وتجارتهم، وأن يكونوا آمنين مطمئنين؛ ليكون معلوم الجميع، في جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف».

ذكر هرب الإمام عبدالله بن فيصل من الأحساء خوفا من الترك

كان الإمام عبدالله يظن أن الدولة ستسلم له البلاد بعد طرد الأمير سعود منها، وكان مقيماً في "الأحساء" يترقب ذلك، فبدا له منهم ما لم يكن يحتسب، أحس بعض الرجال المناصحين للإمام عبدالله أن القائد التركي يدبِّر مكيدة؛ للقبض على الإمام، وإرساله إلى القسطنطينية؛ فأوعز للإمام بالهرب، فاستأذن الإمام عبدالله القائد التركي في الخروج إلى "عين نجم" للاستجمام والاستحمام، فأذن له، فأوعز إلى بعض رجاله أن يحضر له جملة من المطايا، في جبل "أبي غنيمة"، فخرج هو وابنه تركي، وأخوه محمد بن فيصل(*)، ومعهم

(*) تختلف الروايات في كيفية فرار الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي من الهفوف حين شعر بغدر العثمانيين، كما تختلف في مصاحبة أخيه محمد بن فيصل بن تركي له ولابنه تركي؛ إذ تنص بعضها على سبق محمد لهما في الفرار من الهفوف.
لمعرفة تفاصيل تلك الروايات انظر: د عبدالله بن ناصر السبيعي، آل سعود والعثمانيون، ص ص ٧ - ٩.

ثلاثة من الحرس العسكري، ولما أصحروا جعلوا يتطاردون على خيولهم، ويبتعدون شيئاً شيئاً، حتى غابوا عن نظر الحرس، وغشيهم الليل، ولما يئس منهم الحرس رجعوا إلى الهفوف، وأخبروا القائد بهربهم، ولم يتمكن من إرجاعهم، ودخل الإمام عبدالله بلد "الرياض" سالماً، واستبشر به أهلها.

ذكر غزو سعود بن فيصل بلد الدلم وفتحها

لما يئس سعود بن فيصل من استرجاع الأحساء توجه إلى الأفلاج، ومعه ابن قنيان والعجالين ، وآل حسين أهل الحوطة . ولما علم الإمام عبدالله أرسل أخاه محمداً في سرية من أهل الرياض، وأهل ضرما، ومعه عمه عبدالله بن تركي إلى بلد "الدلم"، وكانت مقراً ومركزاً لسعود بن فيصل، ودخلوها، وضبطوها. ولما علم سعود بذلك كرّ راجعاً إليها، وحاصر بلد الدلم، ولما طال الحصار على أهل البلدة فتحوا باب المدينة لسعود ومن معه، وهرب الأمير محمد إلى الرياض، وقبض سعود على عمه عبدالله وسجنه، وصادر أسلحة من قُبض عليه من جند أخيه محمد، وقَتَل منهم رجالاً، وتوفي عبدالله بن تركي في السجن.

وفي هذه السنة(*) قتل محمد بن عبدالله بن علي الرشيد أولاد أخيه طلال، وهم خمسة، وتولى الإمارة على حائل وجبل شمر.

(*) يريد : ١٢٨٩هـ.

ذكر فتح سعود بن فيصل بلد الرياض مرة ثانية

في محـرم سنة تسعين ومائتين وألف خرج الأمـير سعود بن فـيصل من بلد الدلم غـازياً، وقصـد بلد "ضرما"، وغـرم أهلها أموالاً كثـيرة، وفرقهـا على من كـان معه، ثم سار إلـى "حريملاء" فقاتله أهلهـا قتالاً شديداً، ثم انهزمـوا بعـدما قَتَل مـنهم ثلاثين رجلاً، منهم أميرهم ناصر ابن حمد المبارك، وتحصنوا في بلادهم، ثم تركهم، وسار إلى "الرياض"، فخرج إليه أخوه عبـدالله في أهل الرياض، واقتتلوا في الموضع المسمى "الجزعة"، فصارت الهزيمة على الإمام عبدالله ومن معه، فهرب ، وتوجه إلى بادية قحطان، وكانوا نازلين على الماء المسمى "الصـبيحية"، ودخل الأمير سعود بلد الرياض فـاتحاً، وبايعه أهلها، وكتب إلى أهـل البلدان بالقـدوم عليـه ومبايعته ، فقدموا عليـه، وبايعـوه.

وفي ربيع الثانـي من سنة تسعين ومائتين وألف اسـتنفر سـعود أهل نجد، وتوجه إلى مـسلط بن ربيعان رئيس قبيلة عتـيبة ، وهم على مـاء يسمى "طلال"، فصبّحهم، ودارت بينهم معركة، وقُتل من جنود سعود كثيـر من الناس، من مشاهيرهم سعـود بن صنيتان، ومحمـد بن أحمد السديري أمـير الأحـساء في أيام الإمـام فيصل ، وانهـزم جمع الأمـير سعود، وغنم العـتبان جميع مـا معهم من خيل وسـلاح، ورجع سعود إلى الرياض.

وفي التاسع عـشر من جـمادى الثانـية من هذه السنة توفي العـلامة المؤرخ الشـيخ عثـمـان بن عبـدالله بن بشـر صاحـب التاريخ المسـمى "عنوان المجد في تاريخ نجد".

ذكر خروج الإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي من بغداد ومحاولته استرجاع الأحساء من الترك

في رمضان سنة إحدى وتسعين قدم الإمام عبدالرحمن بن فيصل ابن تركي من بغداد إلى الأحساء، ومعه فهد بن صنيتان[*١]، وانضم إليه طائفة من العجمان وآل مرة، وطلب من أهل الأحساء مناصرته على إخراج جنود الأتراك من الأحساء، فأجابوه إلى ذلك، ما خلا "الكوت" لأنه مقر العساكر التركية، فحصر الإمام العساكر في حصونهم، ثم هاجم قصر "خزام" المعروف في الهفوف ، وفيه حامية عسكرية فأبادوها عن آخرها، وشددوا الحصار على من في "الكوت"، واستمر الحصار إلى ذي القعدة، وفي أثناء هذه المدة كتب والي الأحساء إلى متصرف بغداد[*٢] بما حدث، وطلب منه النجدة.

ذكر توجه ناصر باشا بن راشد بن ثامر السعدون - رئيس المنتفق - لقتال الإمام عبدالرحمن وفك الحصار

في ذي القعدة من سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف توجه ناصر باشا بن راشد السعدون من البصرة، ومعه حملة عسكرية وجميع قبيلة المنتفق، ولما قربوا من الأحساء خرج إليهم الإمام عبدالرحمن بمن معه

(*١) كان مقدم الإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي من البحرين التي وصلها من بغداد بعد السماح له بمغادرتها، حيث كان مفروضاً عليه الإقامة الجبرية بها، وقد أقام في البحرين فترة، ومعه فهد بن صنيتان. وصنيتان: لقب لعبدالله بن إبراهيم -أخي الإمام تركي بن عبدالله-.
لتفاصيل محاولة الإمام عبدالرحمن بن فيصل الجسورة لاستعادة الأحساء من العثمانيين.انظر: السبيعي، المصدر السابق، ص ص ٣٨ - ٥٢.

(*٢) كان يطلق على من يعين لإدارة الأحساء "متصرف" وليس والياً، أما في بغداد فوالٍ.

من العجمان وآل مرة وأهل الأحساء؛ لمحاربتهم، فالتقى الجمعان بالموضع المسمى؛ بـ"الوزّية"، وكان وقت صلاة العصر قد حان، فأمر الإمام عبدالرحمن الناس بتقديم الصلاة على مباشرة القتال، وحينما أحرم الناس بالصلاة رماهم العدو بالمدافع؛ فانهزم رعاع الناس، وسرت الهزيمة، وتتابع الناس في الانهزام، وتبعهم العدو، وغشيهم الليل، فقتل من قتل وأسر من أسر.

وفي صباح اليوم الثاني زحف ناصر باشا إلى بلد الهفوف، وصب جام غضبه على فريقي "النعائل" و"الرفعة"، واستباحهما الجيش ثلاثة أيام، فنهبوا البيوت، وسلبوا النساء، وقتلوا من وقع في أيديهم، وفر جميع السكان، وتفرقوا القرى، وفر كثير من الأعيان إلى بلاد البحرين، ومنهم آل الشيخ مبارك.

أما الإمام عبدالرحمن فقد سار بعد الهزيمة إلى الرياض ومن مشاهير القتلى: الشيخ عبدالعزيز بن نعيم، ومحمد بن عبدالرحمن بن عامر، وعمه أحمد، ورشيد بن عبدالرحمن الباهلي. وكان ذلك في آخر ذي القعدة سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف، وتُعرف عند أهل الأحساء بـ"سنة ناصر باشا".

وفي الثامن عشر من ذي الحجة من هذه السنة توفي "الأمير سعود ابن فيصل، أصابه المرض وهو في بلد "حريملاء"، فرجع إلى الرياض، وتوفي ودفن في مقابر أجداده رحمه الله، وعفا عنه . وكان عبدالله ابن فيصل وأخوه محمد في بادية عتيبة؛ فاستولى عبدالرحمن بن فيصل على الرياض.

وفي السنة الثانية والتسعين كتب عبدالله بن فيصل إلى رؤساء بلدان نجد بتجديد بيعته، وأرسل أخاه محمد بن فيصل؛ ليأخذ له البيعة، فقدم الأمير محمد إلى بلد شقراء، ليأخذ البيعة لأخيه عبدالله، فبايعه أهل الوشم، ثم خرج بهم إلى بلد "ثرمدا"، فبلغ ذلك الإمام عبدالرحمن بن فيصل، فخرج من "الرياض"، ومعه جنود كثيرة من أهل الرياض والخرج وأهل الحوطة وجمع من العجمان ومطير وسبيع، ومعه أولاد أخيه سعود، وحصر أخاه محمداً في "ثرمدا"، ثم خرج محمد بن فيصل ومن كان معه -ومعهم أهل "ثرمدا"- إلى قتال الإمام عبدالرحمن، فالتحموا، وقتل جماعة من الفريقين، ثم تصالحوا على أن يسلِّم الأمير محمد للإمام عبدالرحمن ما كان معه من السلاح والخيل، ويخرج من "ثرمدا"، ونفذ الصلح، وأقام الإمام عبدالرحمن في "ثرمدا" عدة أيام، ثم رحل منها إلى "الدوادمي"، وقد سبق إليه مسلط بن ربيعان، ومحمد بن هندي بن حميد، وهذال بن فهيد الشيباني، وهم قادة قبيلة عتيبة، ومعهم جميع قبيلة عتيبة، فوقع بين الفريقين قتال شديد، انهزم فيه جمع الإمام عبدالرحمن، فرجَع إلى الرياض.

ذكر رجوع الإمام عبدالله بن فيصل إلى الرياض

في سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف وقع خلاف بين الإمام عبدالرحمن وبني أخيه سعود؛ فخرج الإمام عبدالرحمن من الرياض متوجهاً إلى أخيه عبدالله ، وهو عند عتيبة ، ولما قدم عليه أكرمه ، وبالغ في إكرامه ، ثم جمع الإمام عبدالله الجنود من الحاضرة والبادية،

وتوجه مع أخـيه إلى الرياض. ولما علم أولاد سعود بذلك خـرجوا من الرياض إلى بلد الدلـم، ودخل الإمام عـبـدالله وأخـوه عبـدالرحـمن الرياض بسلام، ووفد رؤساء البلدان، وجددوا بيعتهم للإمام عبدالله.

وفي سنة أربع وتسعين حمل محمد بن عبدالله بن علي الرشيد راية الغزو مستقلاً بها عن متابعة آل سعود، وهو أول من حملها مستقلاً من بيت آل رشيد، وكان قبل ذلك أميراً في حائل، فغزا بادية عتيبة.

ذكر أول قتال وقع بين آل سعود وآل رشيد

في ربيع الأول من سنـة ثلاثمـائة وألف خـرج الإمـام عـبـدالله بن فـيصـل من الرياض لغـزو "المجمـعـة"، فنزل على عـربان عـتيـبـة في "الحمــادة" ، المسماة "أم الـعصافـير" . ولما علم بـذلك أهل المجمـعة ، أرسلوا إلى محمد بن عـبدالله الرشيد؛ يستنجدونه، فتجـهز محمد بن عبدالله، وخرج في أهل حائل ومعه قـبيلة شمر، وانضم إليه حسن بن مهنا -رئيس بلد بريـدة - بمن معه من أهل بريدة ، والتقى الجمعان في "أم العصـافير"، واقـتتـلوا، فانهـزم جـمع الإمـام عبدالله بن فـيصـل، وقتـل منهم خلق كثير، من مـشاهيرهم: تركي بن عبدالله بن تركي آل سعود، وفهـد بن سويلم، وفهد بن سلطان، وفهد بن غـشيان، والشيخ عـبـدالعـزيز ابن الشـيخ عـبدالله بـابطين، وأحـمد بن عـبـدالمحـسن السديري. ورجع الإمام عبدالله إلى الرياض، وأقـام محمد الرشيد في "الحـمادة" عـدة أيام، وأحضـر رؤساء بلدان الوشم وسـدير، وعين في كل بلد من بلدانهم أميراً، ثم رجع إلى بلاده.

وبعد هذه الوقعة امتدت أطماع محـمد الرشيد، إلى الاستيلاء على جمـيع بلدان نجد، وجـعل سلطان آل سعـود يضعف، ويشتـد سلطان محمد بن رشيد، ويمتد نفوذه.

ذكر استيلاء محمد بن عبدالله بن رشيد على الرياض وأسباب ذلك

في سنة ثلاث وثلاثـمائة وألـف خرج أولاد سـعـود بن فـيـصل، وهم محمـد، وسعد وعبـدالله، على عمهم عبـدالله بن فيصل، وقبـضوا عليه، وسجنوه، وبـلغ ذلك محمـد بن عبـدالله آل رشيد، فـرأى أن الفرصـة قد أمكنت فأظهر الإنكار والسخط على أولاد سعـود؛ لاعتدائهم على عمهم عبدالله، وهو أحق بالأمر منهم، فتجهز، وقصد الرياض.

ولما قـرب من الرياض تلقـاه وفـد من أهلهـا، على رأسـهم الإمـام عبدالـرحمن بن فيصل -والد جـلالة الملك عبدالعزيز، رحـمهم الله- لمفاوضة ابن رشيد ومعرفـة قصده، فأخبرهم أنه لم يجئ لحربهم، وإنما جاء لتخليص الإمـام عبدالله من السجن فقط. ولما عـرف أولاد سعود ذلك، وعلموا من أنفسهم العجز عن مقـاومته خرجوا إليه، وطلبوا منه الأمـان لأنفسـهم، فأمَّنهم، فـخـرجوا من الرياض إلى الخـرج، ودخل محمد بن عبدالله الرياض، وأطلق عبدالله بن فيصل من السجن.

وبعد ذلك بأيام خرج من الرياض ومعه الإمام عبدالله وعبدالرحمن ابنا فيصـل وعشرة آخرون من آل سعـود، ورجع بهم إلى بلده، وجعل سالم السبهان أميراً في الرياض.

ذكر إيقاع سالم السبهان بأولاد سعود وقتلهم

لقد ظل محمد بن سعود -الملقب بغزالان- يصاول محمد بن عبدالله الرشيد ، ويجاوله ، وجرت بينهم عدة وقعات ، لم يكتب لمحمد بن سعود فيها النصر.

وكان محمد بن سعود وإخوانه سعد وعبدالله يقيمون في الخرج، وسالم السبهان يقيم في الرياض، فأوعز محمد ابن رشيد إلى سالم السبهان بأن يهاجم أولاد سعود على حين غفلة، ويقضي عليهم، فذهب إليهم، فوجدهم كما أراد، فقتلهم واحداً بعد واحد(*)، وضج أهل نجد من ذلك، وأظهروا سخطهم على سالم السبهان، فأظهر محمد آل رشيد استنكاره وسخطه على سالم السبهان، فعزله عن الرياض، وجعل مكانه فهد بن رخيص من أهل حائل .

وفي أول سنة سبع وثلاثمائة وألف أذن محمد بن عبدالله آل رشيد للإمام عبدالله بن فيصل وأخيه عبدالرحمن بالرجوع إلى الرياض، وكان الإمام عبدالله قد أصيب بمرض ملازم ، قيل : إنه سُقي هو وأخوه عبدالرحمن شيئاً من السم في فناجين من القهوة، فتمكن عبدالرحمن من مجِّها، ولم يمكن عبدالله ذلك؛ فأساغها، فكانت سبب مرضه.

وبعد مضي ليلتين من شهر ربيع الثاني من سنة سبع وثلاثمائة وألف توفي الإمام عبدالله في بلد الرياض رحمه الله تعالى ، ودفن

(*) قتل سالم بن سبهان ثلاثة من أبناء سعود بن فيصل هم محمد وسعد وعبدالله، بينما نجا عبدالعزيز لكونه كان حينئذ في زيارة لعميه عبدالله وعبدالرحمن الموجودين في حائل آنذاك.

في مقابر آبائه ، فأعاد محمد آل رشيد سالم السبهان إلى إمارة الرياض، وأوعز إليه بالقضاء على البقية الباقية من آل سعود، وكان عيد الفطر قد أظل، ولما كان يوم العيد أرسل سالم السبهان للإمام عبدالرحمن؛ إني أرغب في زيارتكم للتهنئة بالعيد، وأحب أن تجمع أفراد رجال آل سعود في قصرك؛ لأهنئهم بالعيد؛ لأني لا يمكنني أن أزور كل واحد في قصره. ففطن الإمام عبدالرحمن لحيلته، وأمر رجال آل سعود أن يحضروا بسلاحهم، وبعد اجتماعهم جاء سالم السبهان بأعوانه وهم شاكو السلاح، وبعد ما دارت القهوة بدرت من سالم السبهان بوادر الغدر، فلم يمهلهم السعوديون، فابتدروهم بالسيوف، وقتلوا منهم جماعة، وجُرح سالم السبهان، وأسروه، وأودعوه السجن، وعادت إمارة الرياض للإمام عبدالرحمن.

وبلغ ذلك محمد آل رشيد ، فجاء إلى الرياض مسرعاً بجيوشه ، وتحصن أهل الرياض بمدينتهم ، وأظهروا الاستعداد للحرب ، وكانت العلاقات قد توترت بين أهل القصيم ومحمد آل عبدالله آل رشيد ، وكتبوا للإمام عبدالرحمن : إنهم على أتم استعداد لمناصرته على ابن رشيد . وبعد مضي أربعين يوماً من محاصرة الرياض طلب محمد آل عبدالله من أهل الرياض المفاوضة في الأمر ، فخرج إليه محمدُ بن فيصل ، وأخوه الإمام عبدالرحمن، وابنه جلالة الملك عبدالعزيز وسنُّه إذ ذاك إحدى عشرة سنة ، والشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ ، وتم الصلح بينهم ، على أن يكون جميع العارض وما حوله تحت سلطة الإمام عبدالرحمن ، ويرجع محمد آل عبدالله عن حربهم، ويطلقوا له أميره، سالم السبهان، ونفذوا جميع ذلك، ورجع ابن رشيد إلى وطنه.

ذكر وقعة المليداء لمحمد بن عبدالله الرشيد على أهل القصيم

كان بين محمد بن عبدالله الرشـيد وبين أميـر "بريدة" حسن بن محمد أبا الخيل محالفة، فلما قوي سلطان محمد الرشيد وامتد نفوذه طمع في ضم "بريدة" وجميع ناحية القصيم إليه، فـجعل يتحرش بهم وجهز الجيوش لغزوهم، فخرج إليه حسن بن مهنا في أهل بريدة، وخرج زامل السليم في أهل عنيزة، والتقى الجمعان في الموضع المعروف بـ"الشقة" ، وهو موضع قريب من بريدة ، فرحل منه محمد بـن عبدالله الرشيد، ونزل "المليداء"؛ لأنها أوسع لمجال الخيل، فرحل أهل القصيم في أثره، وأكثرهم رجَّالة لا خيول لهم، فنشبت الحرب بينهم وحمي وطيسها، استطردت خيول جيش ابن رشيد لأهل القصيم، فظنوا أنهم انهـزموا، فأسرعوا في آثارهم، ولما بعدوا عن مراكزهم ورواحلهم وخيامهم، عطفت عليهم الخيول، وأخذتهم السيوف من جانب، وحاز ابن رشيد خيامهم وركابهم، وقُتل من الجانبين خلق كثير، وقُتل زامل السليم، ولما سمع حسن بن مهنا أن زامل السليم قد قتل ، ترك القتال ورجع هو والبقية الباقية من جيشه إلى وطنه.

وقد أشار عبدالعزيز بن محمد القاضي إلى هذه الملحمة بقوله:

ابن الرشـيد مـحمـد قد كـان ذا	حـزم وكـان مـسـدَّد الآراء
قـد ظل يرقب فـرصـة لبلوغـه	حكمـاً بنجـد واسـع الأرجـاء
حـتى إذا مـا الأمـر أقـبل طائعـاً	كشف الحـقيقة بعد طـول خفاء
حـتى تمادى سـائراً بغـزاته	فـأتى "عنيـزة" وهو بالأثـناء
عـرفـوا بأن مـروره مـتـحـيزاً	لعـدائهم فـتـآمـروا لعـداء

ظهرت إليه "عنيزة" و"بريدة" لكريهة حفَّت بشر بلاء
رحلوا إليه وناوشوه بـ"شقة" حتى انثنى متظاهراً بجلاء
وإلى "المليدا" سار بين جموعه لما أشار عليه ذوو الآراء
قالوا له: إن "المليدا" أرضها فيها مجال واسع الأنحاء
ومشى له أهل القصيم بجمعهم وتعاقدوا وتهيؤوا للقاء
حتى إذا حمي الوطيس لحربهم والأرض سال أديمها بدماء
كرَّت خيول ابن الرشيد عليهم وقضى الإله عليهم بفناء
فقضوا على حد السيوف وقد أبوا أن ينثنوا بهزيمة الجبناء

قيل: إنه قُتل من أهل القصيم في هذه المعركة ألف رجل.

وعلى أثر ذلك خرج الإمام عبدالرحمن بن فيصل من الرياض بحرمه وأولاده ، أكبرهم جلالة الملك عبدالعزيز، وهو في الثانية عشرة من عمره ، وتوجه إلى الأحساء ، ونزل "عين نجم" ، وذلك في جمادى الثانية سنة ثمان وثلاثمائة وألف، والمتصرف فيها عاكف باشا، فأوفد إليه الدكتور زخور الطبيب اللبناني، وعرض عليه أن يعترف بسيادة الدولة العثمانية على نجد، وأن يعود إلى الرياض بصفة الأمير، ويسلم للدولة كل سنة ألف ريال، وتمده الدولة بكل ما يحتاج إليه من الجنود والعتاد والمساعدات المالية، فرفض الإمام جميع ذلك، وتوجه إلى الكويت ، فمنعه محمد بن صباح من الدخول، فعاد إلى البادية وأقام في قبيلة العجمان بضعة أشهر ، ثم توجه إلى قطر، وأقام فيها شهرين، ثم كتب له متصرف الأحساء ؛ يدعوه إلى مقابلته في الأحساء، فرجع إلى الأحساء ، وسكن في فريق "النعائل"، حتى تم

الاتفاق بينه وبين المتصرف أن يسكن الإمام وعائلته في بلد الكويت، وتعين له الدولة مرتباً شهرياً، وأوعزت الدولة لحاكم الكويت بذلك، فأذن للإمام بالدخول والسكنى، وقصْد الدولة بذلك إطفاء الحركات السعودية والقضاء عليها.

ذكر ولاة الأحساء في عهد الدولة العثمانية(*)

كان أولهم محمد نافذ باشا، الفريق الفاتح، وبعده مدحت باشا، ثم صالح باشا، وفي أيامه غزا الإمام عبدالرحمن الفيصل "الأحساء"، وحاصرها. وبعد فك الحصار عينوا فيها بزيع بن محمد العريعر، ثم عزلوه، وأعادوا صالح باشا، وفي أيامه بُني السرداب الموجود في قصر الكوت، ثم أحمد عزت العمري الموصلي، كان من بيت علم وأدب، وكان هو أديباً وشاعراً مطبوعاً، ومن جيد شعره:

ذكر الحمى فتحركت أشجانه ... وجرتْ دماً من ذكره أجفانُه
ما بال هذا كلما ذُكر الحمى ... تبدو لنا محمّرَّةً أردانه؟
مَنْ لي بمعتدل القوام مهفهف ... قد شابهته من اللوى غزلانه
ظبيٍ أدار على القلوب مدامةً ... من كأس عينيه وهذا حانه
وتوردَّت وجناته فكأنما ... أهدى إليه شقائقاً نعمانه
لله وصلٌ قد تصرَّم وانقضى ... رقَّت لياليه وراق زمانه
أيام أمرح في رداء شبيبتي ... مذ شاقني من وشيه ريعانه

(*) يضطرب الأمر على المؤلف - رحمه الله - كما اضطرب على من تعرض لتاريخ الأحساء بعده، في ذكر عدد متصرفي لواء الأحساء وأسمائهم وترتيبهم؛ ولذا يجب ألا يعتد على روايته لهم ولا ترتيبه لهم، ولا سيما وقد أسقط أسماء عشرة من متصرفي اللواء، علاوة على وضعه أحمد مدحت باشا متصرفاً بعد الفريق محمد نافذ باشا. انظر: د. عبدالله بن ناصر السبيعي، تاريخ الأحساء والقطيف وقطر، دراسة وثائقية، الجزء الثاني: الإدارة العثمانية، ص ص ٢٨ - ٧٥.

والنهـر مطّرد الـكعـوب يحـفُّـه — روض أريـض أيـنـعت أفـنـانـه
وترنّمـت أطيــاره وتراقـــصت — أشـجــاره وتعـانقت أغــصـانه
والطير يقـرأ في الغصـون مرتّلاً — فكـأنما أوراقـــهـــا قـــرآنه
حـتى إذا مـا الصـبح لاح قـراره — وتدفـقـت من فـجـره غــدرانه
فــارقــتــه لا عــن قلّى ومــلالة — لكـن ذاك الدهـر هذا شـــأنه

وله أيضاً:

ونادمتُ ذاتَ الخـال في جنح ليلة — بها أنف إبريقي من الراح يرعفُ
أناولهـا كـأسـاً أرقَّ من الهـوى — وأذكى من المسك الذكي وألطف
وحـيّيـتـها فـي وردة من مدامـة — كـأني بِها من وردة الخـد أقطف
ترشّف من كـفي مـدامـاً مروَّقـاً — وثغريَ من خمـر اللمى يترشّف
إلى أن أمال الكأس غصن قـوامها — وكم رنحت غصن المحبين قرقف
فمالت إلى جنبي من الراح وانثنت — تغني بشعـري في هواها وتهتف
فلما تبدّى الصـبح وانصدع الدجى — وخفت من الواشي بذكراي يرجف
توليت عـنهـا والفـؤاد مـــخـيم — لديهـا وجـفني بـالمدامع يهـتف
وبات رفيقي مسعداً لي على الجوى — ولكن على بـذل الدمـوع يعنف

ولما استـقر بالأحساء اجـتمع بالعلامة الشـهير الشيخ عـبدالله ابن الشيخ عـبداللطيف آل مبارك وبأخـيه العلامة الشـيخ راشد، فبهـره ما رأى من غـزارة أدبهم وعـلمـهم وكـثـرة حـفظهـم لأشـعـار العـرب وأخبـارهم، وعـرف أن البلاد آهلة بالعلم والأدب، فـجعل يسـأل عن الشعر والشعراء المجيدين، فذكروا له العلامة الشيخ عبدالله ابن الشيخ علي آل عـبدالقادر، فكتـب له رسالة، وطلب منه إنشـاء قصيـدة على رويٍّ قـصـيـدة أنشـأها في الأحـسـاء؛ يريد أن يـسـاجل بهـا الشـيخ عبداللطيف ابن الشيخ عبدالله بن عمير، ومطلعها :

سقاها الهوى باللوى صرخدا وشوَّقها الرعد لما حدا
وأرّقها البرق في ليلة تردت من الجون في أسودا
تحنّ إلى أثلاث الأثيل وتطلب من مائه موردا
تروم النقا، بل ظباء النقا تنفسي لتلك الظباء الفدى
لقد صيرتني أراعي السُّها وأرعى الصباح إلى أن بدا
فيا ظبية قد رعت بالعذيب عراراً تغذى بقطر الندى
أنيلي نوالاً وجودي لنا بوصلٍ يبل الحشا والصدا
فقد بلغت نفسي المنتهى وجرّعها الصبر كأس الردى
فلا أنا ممن يقاسي العنا ولا من يلين لكيد العدى
بعيد المنال قريب النوال كريم الجدود كثير الجدى
فلي همة قرنت بالسها وزانت برونقها الفرقدا

فأنشأ الشيخ عبدالله ابن الشيخ علي العبدالقادر هذه القصيدة:

عداها وحقك عما بدا تذكُّرها باللوى معهدا
دعاها الهوى فاستجابت له وبالسفح أنجزها موعدا
وأوجدها وهي في "بابل" شميم العرار فما أبعدا
وطاف بها طيفه سحرة فواعجباً منه أنى اهتدى!
تهيم بـ"نجد" وأوطانه كأن بـ"نجد" لها مولدا
إذا هبت الريح تلقاءه سحيراً تصوم عليها غدا
تحن إليه حنين العشار لفقد الحوار إذا أبعدا
فيا ضاحك البرق من أفقه كوجه الكريم إذا استرفدا
ظمئت إليك ألا فاسقني فقد أنضج القلب حر الصدى
ويا ساجعاً فوق أفنانه يُهيج القلوب إذا ما شدا
إذا جسَّ مزهر أحشائه يُذَكِّر "إسحاق" أو "معبدا"
طروبا ببهجة أوطانه رياضا غذين بقطر الندى

نسيتَ هديلا فلم تبكه
وقد أوبقتْه صروف الردى

أليفٌ مضى لم يخن عهده
وخنْت العهود فتبَّت يدا

أغرَّك هذا النعيم الذي
وإنْ طال لا بدَّ أن ينفدا

أليس فتى العبد لما وفى
بعهد الحبيب بكى "ثهمدا"

طلولاً كما خط ذو فكرة
على الترب قد أصبحت همدا

ولم يبكها لا ولكن بكى
عهوداً تقضت وإلفا عدا

يفوه الحمام بدعوى الغرام
وما أن أقام له شُهَّدا

وكل ادعاء قرين افترا
سوى من إذا ما ادَّعى أشهدا

وما كل من قال يسمع له
إذاً لبغى بعضنا واعتدى

حملنا قضايا مقالاته
على أصل قيس هو المقتدى

فخالفت الأصل لا تسمعوا
مقالاته يا قضاة الهدى

فحلي الرقاب وحسن الخضاب
ينافي الخطاب الذي أوردا

فيا مدعي مذهبي في الهوى
فإن أخا الحق من أسعدا

تعال أقاسمْك حمْر الدموع
وجمر الضلوع إذا استوقدا

وقرب السَقام وبعد المنام
وطول الملام وقول العدا

ومس الطوى وانحلال القوي
وهيهات لي أن أرى مُسْعدا

فلولا قدوم فتى عزةٍ
تسمِّيه أخلاقه "أحمَدا"

لودعت أرضي وسكانها
وحاولت في الأفق لي مصعدا

أخو همَّة أوجبت رفعه
على الفاعلية والابتدا

أديب فألفاظه لؤلؤ
تساهمه القوم في المنتدى

مهيب فمن يلقه خالياً
يهبْه كأن قد يرى مشهدا

تواضع للناس لكنه
هو السيف يُخشى وإن أغمدا

أتتنا على اليمن أبياته
عروساً تجرُّ فضول الردى

عليها قلائد من أنجم
بمنظومها جيدها قُلِّدا

شربنا على وجهها قهوةً
حكى لونها وجنتي أغيدا

ترد الشباب على ذي المشيب وتعطيه هبّاته أمردا
تنافس في كأسها الناسكون يمانية لم تكن صرخدا
وقمنا جميعاً على سوقنا لبسط الأكف ورفع اليدا
دعاء لدولتنا بالبقا وحسن القضاء لكي نسعدا
فهاك قريضاً له بهجة كوجه الحبيب إذا شوهدا
يسيل على رقه رقة ويحلو به طعم من أنشدا
وتحكي عذوبة ألفاظه نسيم العراق إذا ما غدا
بدا من أخي همة قد علت بها انتعل النسر والفرقدا
له سلف أوقدوا نارهم فمنها استضا كل من أوقدا
على أنه لم يزل دهره يعوّقه عن بلوغ المدى
عسى نفحة من إله السما بعطف الختام على المبتدأ
وصلى المهيمن ربي على نبيِّ الهدى المصطفى السيدا
به الأرض كانت طهوراً لنا وقد جعلت كلها مسجدا
كذا الآل والصحب والتابعون ومن قد قفا إثْرهم واقتدى

ولما وصلته القصيدة أعجب بها، وأقر لصاحبها بالفضل والإجادة، ثم أرسل إليه هذين البيتين، وطلب منه تشطيرهما:

إن المذاهب كالمناهل للهدى والمرء مثل الوارد الظمآن
والنفس إنْ رويت بأول منهل غنيت بلا كره لشرب الثاني

فخمّسهما بقوله:

يا سالكاً وجد السبيل تعددا خذ ما تشاء فسوف تأتي المقصدا
واحذر وقوفك حيرة وترددا إن المذاهب كالمناهل في الهدى
والمرء مثل الوارد الظمآن

فـإذا نزلْتِ من الحـمى في منزل ... لا ألفــينَّـك عن ســواه بمعــزل
فــالحــرُّ لا يبــقى رهـينة أولٍ ... والنفس إنْ رضـيــت بأول منهل

غنيت بلا كره لشرب الثاني

وخمَّسهما -أيضاً- بقوله:

نور تبلَّج كــالصــبــاح إذا بدا ... بعث الإلـه به النبي مــحــمــدا
مـا زال يظهــر في نجوم الاقـتـدا ... إن المذاهب كالمنـاهل في الهدى

والمرء مثل الوارد الظمآن

نعــمــانهم فــالأصــبــحي بمنزل ... مـا كــان عنه التـاليــان بمعـزل
أنهــارهم تجـري بـعــذب سلسل ... والنـفس إنْ رويت بـأول منـهل

غنيت بلا كره لشرب الثاني

وقوله – أيضاً – مضمناً:

الله أكــبــر تلك أمــة أحــمــد ... خُـصَّتْ بدين أشــرف الأديان
بنيت شرائعه على التسهيل في الـ ... أحكام تسـهـيـلاً على الإنسـان
علمـاؤنا كــالأنـبـيـا في شـرعنا ... يقـضـون فيه بموجب الـتبيـان
والخلـف بيـنهـم يقــــينا إنـه ... في حـقنا مـن رحـمـة الرحـمن
«إن المذاهب كالمناهل في الهدى» ... تنـهل مـن سنن ومـن قـــرآن
طابت مـشـاربهـا لكـل مـوفق ... داني الرشـــاد مــوثـق الأذهان
أوفى عليـهـا وهي عـذب كلهـا ... «والمرء مــثل الـوارد الظمــآن»
اخـتـار منهـا مـا يليـه ولم يقف ... يخـتـار فـيـهـا وقـفـة الحيـران
«والنفس إن رويت بـأول منهل» ... فلهـــا الهناء بكـأســهـــا الملآن
لا تخش من ظمأ على طول المدى ... من بـعـــــد ذاك المنـهل الـريان
لا بأس أن تدع الورود فــإنهــا ... «غنيت بلا كـره لشرب الثـاني»
هذا الذي مـا شك فـيــه عـاقل ... طب بأخـــذ الحكم والبــرهان
خـذها إليك قـلائـداً فـصلتـهـا ... بالدرِّ والـيــاقــوت والمرجـان

أَلِّفْتُها والقلب مني قلّب والكفُّ كفَّتها يد الهجران
لا غرو أن أبصرت خلّب بارق فثنيت في نظري إليه عناني
لو نلت ما نال الخليّ تركته يكبو ورائي دائم الخفقان

وفي سنة تسع وتسعين ومائتين عُين بدله سعيد باشا الموصلي. ولما بلغه ذلك أنشأ يقول:

زعم المرجفون أن سعيداً قد أتانا وقد علاه الوقار
كل يوم أرى المناصب نحوي تتدانى وإن تناءى المزار
لا تقل دارها بشرقي "نجد" كل دار للعامرية دار

وفي سنة أربع وثلاثمائة وألف عُزل سعيد باشا، وعُين بدله رفعت باشا(*١)، وفي سنة ثمان وثلاثمائة عُزل، وعُيِّن بدله عاكف باشا(*٢)، وقد تقدم أن في أيامه هاجر الإمام عبدالرحمن بن فيصل من الرياض، وفي سنة عشر وثلاثمائة عزل، وعين سعيد باشا أبو البنات. وفي سنة أربع عشرة عُزل، وعُين بدله سعيد باشا الموصلي مرة ثانية. وفي سنة ست عشرة وثلاثمائة، عزل وعين بدله إبراهيم باشا الشامي. وفي سنة ثماني عشرة عزل، وجاء بدله موسى كاظم، وفي أيامه كانت وقعة "قهدية"(*٣).

(*١) جاء تعيين محمد رفعت باشا بعد عزل صالح باشا في ١٣ جمادى الثانية ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م.
السبيعي، المصدر السابق، ص ٤٤.

(*٢) كان تعيين الفريق محمد عاكف باشا في ١٩ جمادى الأولى ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م.
السبيعي، المصدر السابق، ص ٤٥.

(*٣) وقعت معركة "قهدية" الشهيرة في تاريخ لواء "الأحساء" في زمن المتصرف توفيق باشا.
انظر: عبدالله بن ناصر السبيعي، تاريخ الأحساء والقطيف وقطر، دراسة وثائقية، الجزء الثالث، الأمن الداخلي، ص ص ٩٨ - ١٠٠.

ذكر وقعة قهدية

"قهدية" موضع بين الأحساء والعقير، وكان العقير هو الميناء الوحيد للأحساء في ذلك العهد، ترد إليه البضائع الواردة من جهة البحر، من الهند والبصرة وفارس وعمان، وتحمل منه إلى الأحساء، وتحمل إليه صادرات الأحساء من التمور وغيرها، ويبعد عن الهفوف مسافة يوم وليلة بسير الأحمال، وكانت القوافل دائماً معرضة لنهب البوادي. وحينما قدمت الدولة، قررت إخراج قوة عسكرية من النظام والهجانة، تحمي القافلة من البوادي، وقررت لخروجها من الأحساء يوماً معيناً من الأسبوع، وهو يوم الإثنين، تخرج بالصادرات، وترجع بالواردات، فاستقر الأمن في هذا الطريق، وكانت عساكر الدولة مرهوبة الجانب في نفوس الحاضرة والبادية، ولكل شيء أجل، وكانت الدولة قررت لزعماء البادية مرتبات.

وفي سنة عشرين وثلاثمائة وألف طلب زعماء آل مرة وزعماء بني هاجر زيادة في مرتباتهم فلم يجابوا إلى ذلك، فأضمروا البطش بالقافلة وانتهابها وقتل حاميتها، ولما كانت القافلة في "قهدية" أغاروا عليها، وانتهبوها، وقتلوا من العسكر خمسين رجلاً، ومن الركاب عدداً كثيراً، وأصبح هذا الطريق مخوِّفاً، وزالت هيبة عساكر الدولة من قلوب الناس، ولما بلغ ذلك والي بغداد عزل موسى كاظم، وعين بدله السيد طالب باشا النقيب ومعه قوة عسكرية(*). ولما وصل

(*) جاء تعيين طالب باشا النقيب متصرفا للواء الأحساء (نجد) بعد عزل المتصرف توفيق باشا، وليس بعد موسى كاظم الحسيني.
انظر: السبيعي، الإدارة العثمانية، ص ص ٦٤-٦٧.

الأحساء، واستقر به المقام كتب له العلامة الشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي هذه القصيدة العصماء:

ديار لوا نجد أتاها سعودها ... وعاد لها بالأروع الشهم عيدُها
همام أتى "الأحساء" وهي مريضة ... يُظَنُّ بها أن الشفا لا يعودها
فعاد شفاها مذ أتاها وأصبحت ... منعمة يربد غيظاً حسودها
وصارت شياطين اللوى من مخافة ... أجل مناها أن تزاد قيودها
فنشكر بعد الله قرماً متوجاً ... أياديه باد كل يوم جديدها
عنيت بذا "عبدالحميد" الذي به ... وصولته الكفار بادت جنودها
وقد خصَّنا بابن الأكارم طالب ... يذب العدى عن أرضنا ويذودها
أيا هاشمي الأصل من خير عترة ... هم الصيد سادات الورى وأسودها
رمى بك سلطان البرايا مهمة ... على غيرك اشتدت فهان شديدها
فيا طالب العليا وقد ظفرت بها ... يد منك صدق وعدها ووعيدها
رجوناك تكسو الملك عزاً وهيبة ... ومثلك من يرجى لجلى يفيدها
فإن ضعاف الحلم حطوا سماءه ... على الأرض حتى نال منه قرودها
وليس يحوط الملك إلا مسود ... له عزمات ليس تنبو حدودها
فإن كان أهل البيت ما شيدوا العلا ... فأي رجال العالمين تشيدها؟!
فجرِّد سيوف البأس واجعل غمادها ... لئاماً طغى من طول أمن عنيدها
قبائل سوء بالإهانة عودوا ... وقد طال عن لقيا الهوان عهودها
وغرهم الأكرام منكم وهكذا ... تجور بأكرام الملوك عبيدها
وظنوا بأن الملك ليس لرعيه ... حماة ولا يحوي رجالاً تسودها
فهان ولي الأمر فيهم وقدره ... ولم يحترمه وغدها ورشيدها
وقادوا إليه كل يوم بلية ... قوافل تسبيها وقتلى تبيدها

ومن عسكر السلطان خمسين غادروا … على وهدات الرمل يجري صديدها
ولا ردهم عـــهــد وثيـق ولا يد … عليهم من الإحسان يجري مزيدها
فــلا بد فيــهم من عظيـم نكاية … تذوب احتراقـاً من لظاها كبودها
سحـابة جند صبـحتـهم بصيـحة … وهم وبنوهـم عـادها وثمــودها
ولا ترض منهم باليـسير تعطفاً … وعـفـوا فـإن العـفــو مما يزيدها
وأخِّــرْ جبــان القلـب إن لرأيه … مناهـج ســوء هالك من يـريدها
وأنت لك الرأي الســديد وهمـة … مــواردها تـأبى على من يـريدها
وأنت سـحــاب ممطر غيــر أنه … غـيــاث لأقـوام وقـوم يبــيـدها
لنا مـنك كفٌّ أهلكت كـل ظالم … وكفٌّ يداوي مشتكـي الضر جودها
وبالحـال هذي الدار تشكو لك الونى … لعلك بالـرفق العـمـيم تـقـودها
فـعطفاً عـليهـا يا بن هاشم إنهـا … لها قدم في الحق قـامت شهودها
فـهم لرسول الله سـاروا مـحبـةً … وذلك قـبل العرب تأتي وفـودها
وأول دار بعـد "طيبـة" شـيـدت … منابرها فـيهـا وشاعت حـدودها
وفـيـهــا هداة كلمـا جنَّ لـيلهم … تقـاسمـه تسبـيحهـا وسجـودها
ومن علمـاء الشرع فيـها جـهابذ … تصـدَّت لطلاب العلوم تفـيـدها
ومنذ شـهور لازمـتـها حـوادث … أقلُّ نـصـــيب من أذاها يـؤودها
وإنا لنـرجــو أن تكون لـهــا أباً … ويعلو بمسـعاك الحمـيد سـعودها
وذي بنت فكر أبـرزتْهـا مـحبـة … وعـز على غـيـر الكريم ورودها
ولست كمن قال القريض تعرضاً … لدنيـا سـيبلى جـدها وجـديدها
ولكننـي أهوى فـتى دأبه الـعــلا … وأنت الذي تسـعى لهـا وترودها

وعلى أثر هذه القـصيدة خـرج السيـد طالب بالعسـاكر والمدافع،

وصبَّح فريقاً من آل مرة وهم على ما يسمى "الزرنوقة"، فأخذوا مواشيهم، وعاد بها إلى الأحساء؛ ليشاهدها الناس، فقويت نفوسهم، واطمأنوا، وسارت القوافل كعادتها ومعها خفراء من كل قبيلة خفير، فتعود سالمة.

وفي السنة الثانية والعشرين عُزل السيد طالب، وعين بدله محمد نجيب أبو سهيل(*) إلى سنة خمس وعشرين، وفي أيامه وقعت الحرب بين أهل الأحساء والعجمان.

ذكر وقعة الحزم والوزية

كان كثير من العجمان وأحلافهم ينزلون في أيام القيظ في الأحساء، حتى يحين وقت جذاذ التمر، فيشترون ميرتهم، ويخرجون إلى البادية ، وكان نزولهم بموضعين "الحزم" الذي بقرب بلد المبرز، و"الرقيقة" التي بقرب بلد الهفوف .

وفي سنة أربع وعشرين اعتدى رجال من الساكنين في حزم المبرز على نخيل "عين الزواوي"؛ ليأخذوا منها رطباً فطردهم أهلها، وترامـوا بالبنادق، وفزع أهل "المبرز" لأهل "النخيل"، وفزع سكان "الحزم" و"الرقيقة" لأصحابهم، ودامت الحرب بينهم من بعد طلوع الشمس إلى قرب الزوال ، وفي الآخر تغلب رجال "المبرز" على سكان "الحزم"، وهاجموا منازلهم ، وأحرقوها ، وانتهبوها ، وسقط من الفريقين عدد من القتلى والجرحى؛ وحينئذ أعلنت "الأحساء"

(*) الذي جاء بعد عزل السيد طالب باشا النقيب هو فائق باشا، وليس «محمد نجيب أبو سهيل». انظر: السبيعي، الإدارة العثمانية، ص ٦٧.

الحرب على العجمان؛ فلا يدخلها أحد منهم. ودام ذلك من جمادى الثانية سنة أربع وعشرين إلى رمضان، وفي رمضان بلغ أهل "الأحساء"، أن العجمان قد جاؤوا بأجمعهم ، ومن انضم إليهم من البادية ؛ لمهاجمة نخيل الأحساء، وأخذ الميرة قهراً ، فطلبوا من محمد نجيب أبو سهيل أن يخرج معهم حملة عسكرية مزودة بالمدافع؛ ليصدوا هجمات البادية ، وبعد أخذ وردٍّ أجابهم لذلك، فخرج عامة أهل الأحساء وعساكر النظامً ، وكل أهل قرية وفريق تحت رايتهم ، وليس لهم قائد عام يأتمرون بأوامره، فخرجوا في رمضان وقصدوا العجمان في ناحية "الوزية" المعروفة ، ونزلوا في ذلك الموضع قرب صلاة العصر، فظهرت عليهم خيل للعدو؛ لتعرف منزلهم ، فظنوا أنها تريد أن تغير عليهم، فتيسروا للقتال، وناوشوهم الرمي ، ولما أظلم عليهم الليل أحاط بهم العدو من كل جانب ، وجعلت الحامية العسكرية ترمي بالمدافع إلى غير ناحية العدو ، وانهزم الناس ، لا يلوي أحد على أحد ، وقُتل من أهل الأحساء عدد كثير وجملة من عساكر الدولة ، وانتشر العدو في النخيل والزروع ، وأفسدوها ، وهاجموا قرية "الحليلة" و"الكلابية" و"الشقيق" وانتهبوها. وبعد ذلك جرى الصلح بين العجمان وأهل الأحساء، على أن تعود الأمور كسابق عهدها، ويمتار العجمان من الأحساء.

وفي أيام أبي سهيل قُتل في بلد "المبرز" رجل من عسكر النظام، يسمى محمود الكردي، فقبض أبو سهيل على مشايخ المحلات،

وسجنهم(*)، وطلب منهم أن يأتوا بقاتل الرجل، وكبَّلهم بالقيود، فكتب له العلماء في إطلاقهم لعدم علمهم بالقاتل، فلم يلتفت لقولهم؛ فأوعزوا للأهالي بالإضراب عن البيع والشراء، وفتح المتاجر، وجلب السلع إلى الأسواق؛ احتجاجاً على عمل أبي سهيل، فلم يرعو لذلك، فثار الناس إلى مهاجمته، فلما سمع دق طبول الحرب، وتحقق أن السكان زحفوا إليه طلب من العلماء التوسط في القضية، فأطلق الرؤساء والأعيان، وأسقط بعض الضرائب، وخفَّف في البعض، وسكنت الفتنة. والحمد لله.

وفي سنة خمس وعشرين عُزل أبو سهيل، وعُين بدله رشيد باشا، ولم يلبث إلا أشهراً معدودة، ثم عُزل وعُين بدله محمود ماهر باشا، وفي أيامه وقعت فتنة بينه وبين أهل "المبرز"، وسببها أن بعض المارة في الطريق الذي بين "الهفوف" و"المبرز" تعرض لهم لصوص، فأخذوا ما كان معهم ، فاتُّهم به رجال من "السياسب" في بلد "المبرز"، فطلب محمود القبض عليهم ، ولم يتمكن من ذلك ، وحمله المغرضون على محاربة أهل "المبرز" والتنكيل بهم، وعلم أهل "المبرز" بذلك، وجعلوا يترقبون، ويستطلعون حركات العساكر، ويحرسون ثكنات العسكر ليلاً ونهاراً؛ لئلا تصدر أوامر مفاجئة بمسير الجيش إلى "المبرز" وهم لايعلمون. وفي يوم من تلك الأيام خرجت من "الكوت" فرقة من العسكر، ومعهم عدة من البغال تحمل الأطعمة

(*) كان مقتل الجندي العثماني محمود الكردي في زمن المتصرف محمود ماهر باشا، وليس أثناء فترة تولي محمد نجيب أبو سهيل منصب متصرف اللواء.
انظر: السبيعي، الأمن الداخلي، ص ص ١٧٥ - ١٧٦.

والذخيرة إلى القلعة، التي في ناحية "المبـرز" الغربية المسماة "صاهود"، وفيـها حـاميـة عسكرية، فظن المراقـبون أنهـا تريد مهـاجمـة "المبرز" ، فـفـزعـوا إليهـا ، ورمـوا أهـلها بـالبنـادق ، ولمـا رأى مـن في قـصـر "صـاهـود" اشـتـباك أهـل "المبـرز" مع الفـرقـة جـعـلوا يرمـون أهل "المبـرز" بالمدافع والبنادق، ولـكن تمكن رجل من أهل "المبـرز"، فـرمى صـاحب المدفـع من الـنافـذة التي فيـهـا فـوهـة المـدفـع ، فـيصـيبـه، ويعطل المدفع، وانتـهب الناس جـميع الأطعـمـة والذخيـرة ، وهربت العسكر حـتى دخلوا "الكوت". وحينئذ جـاء صاحب الفضـيلة الشيخ أبو بكر - رحمه الله - بعدما فـوض إليه المتصـرف الأمـر في التوسط في إطفاء الفتنة، ولما وصل "المبرز" توجـه إلى قصر "صاهود" وأمـرهم بالكـف عن إطـلاق النار ، وأمـر بتشـكيل وعـقـد مجلـس في بلـد "المبـرز" لتـقـرير غـرامـة قـدرها ثمـانمـائـة ريـال ، قـيـمـة الأطعـمـة والذخـيرة التي انتـهبـها أهل "المبـرز"، وأمر أن يؤتى برجل، ويـضـرب ضرباً صـورياً على أنه هو الذي رمى الفـرقة العـسكرية ، ونفذ جـميع ذلك، وكـتب محـضراً يتـضمن أن أهالي "المبـرز" قد أذعنوا وأطاعـوا لأوامـر الدولـة ، وقـادوا الرجل الذي اعـتـدى على رجـال الدولة ، وضُرب في حصيـر الميدان ، وأدوا غرامة قدرها ثمانمائة ريال عـما فُقد من الأطعمة والـذخيرة ، وخُتم المحضـر بتواقيع الحاضـرين، وخمدت الفتنة. والحمد لله.

وفي سنة سبع وعشرين في ثامن ذي الحـجة ترصد رجال من أهل "المبـرز" للمـتصرف مـحمود باشـا ، فقتلوه فـي سوق "الهفـوف" بعد

صلاة العصر(*١)، وكان سيئ السيرة والتدبير، كان يوعز إلى البادية بقطع الطرق، ويجعلون له نصيباً من الغنيمة. وجاء بدلاً عنه السيد محمد عارف إلى سنة تسع وعشرين، ثم علي باشا سعاد إلى سنة ثلاثين، ثم أحمد نديم باشا إلى سنة إحدى وثلاثين، وكانت الفوضى قد شملت البلاد، وانقطعت السبل، وكثر السلب والقتل، وانتشرت بيوت الدعارة في كل مكان(*٢)، فرأى أهل الحل والعقد أن يكتبوا لعبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل بالاستيلاء على البلاد وإخراج الترك منها، وكانت الحرب العالمية الأولى قد نشبت بين الدولة العثمانية ودولة إنجلترا، فتوجه إلى "الأحساء"، وفي يوم السادس من شهر جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية، تم استيلاؤه على "الأحساء"، كما سيجيء مفصلاً، إن شاء الله(*٣).

(*١) وقع المؤلف - رحمه الله - في خطأ تاريخي حين انفرد بخبر قتل أهل "المبرز" للمتصرف محمود ماهر باشا، ولعل ما أوقعه في ذلك الخطأ تشابه الاسم بين الجندي المقتول محمود الكردي وبين اسم المتصرف.

انظر: السبيعي، الإدارة العثمانية، ص ص ٧١ - ٧٢.

(*٢) تبدو هذه مبالغة من المؤلف - رحمه الله -، انفرد بذكرها دون سند تاريخي لها.

(*٣) يذكر الأستاذ محمد سعيد بن أحمد الملا -حفيد الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن الملا، الذي دخل الملك عبدالعزيز آل سعود منزله أثناء استعادته الأحساء- أن دخول الملك عبدالعزيز آل سعود الأحساء كان ليلة الإثنين ٢٨/ ٥/ ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م.

ذكر نبذة من سيرة جلالة الملك عبدالعزيز

قد اخترت لهذا الموضوع قصيدة الأستاذ خالد الفرج رحمه الله ، المسماة "أحسن القصص"؛ لسهولة نظمها، واستيفائها لمعظم غزوات جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي رحمه الله تعالى ، مع التعليق على المواضع المحتاجة للتعليق والإيضاح:

قال خالد بن محمد الفرج :

هو ذا الدهر أكبر الأسفار   فيه أسمى العظات والاعتبار
ما الليالي فيه سوى أسطار   في طروس من نسج ضوء النهار
ملئت من تقادم الأعصار   صفحات ملئن بالأخبار
لذوي الاتعاظ والأبصار

هو هذا فافتحه سفر الخلود   حافل بالقديم بله الجديد
فيه ذكر فرعون والنمرود   وجديس وطسم ثم ثمود
ثم روم وفارس والهنود   ورجال الألياذ والتلمود
وعجيب الإقبال والإدبار

ليس عمر الفتى وإن طال   سوف يلقى الفنا وإن عاش دهرا
إنما العمر أن يخلف ذكرا   سائراً في الورى علاء وفخرا
فاجتهد أن تنال ما هو أحرى   ثم سطِّر بالجد باسمك سطرا
في سجل الخلود والأعمار

فلذا رب فارس مغوار   خاض نار الوغى وسحب الغبار
مستهيناً مراكب الأخطار   وخطيب في محفل زخار
وعليم بمغلق الأسرار   ومكب في الدرس والتكرار
لم يجدوا إلا لنيل الفخار

إنما الدهر كــــالمرايا لناس بان فــيــه خــيـالهم بـانعكاس
وتلاشى لفـقــدهم عن قـيـاس رسـمـهم فـيــه ثابت الأنقـاس
ماثلاً بالوضوح للأنظار
فـاحـرص الحـرص كله أن تنالا ذكـر عــمـر يـقـاوم الأجــيـالا
لا تسم الصـعاب عـجزاً مـحالا رُبَّ جـــد قـــد حـــقق الآمـــالا
وضـعـيف قـد أخـضع الأبطالا خـــذ مـثـــالاً إذا أردت مـثـــالا
سيرة من أعظم الآثار!

الشاب الناهض لاسترجاع ملك آبائه

هو هـذا فـــتى وســـيم أغـــر عـــاش مـــا بين أهله وهو حـــر
ولدوه إذ المـرابع خــــضـــر ثم أضـحى أبوه والكف صـفـر
نائـيـــاً عن بلاده وهـي وكـــر هو عـــيـش عند الأبـيين مـــر
كيف يقضي حياته بمرار ؟!
هو عـــبــدالعـزيـز آل سـعـــود كـــامـن ســره بعين الـوجـــود
ومـــخــبــا ليــومــه الموعــود مـثل سيـف في غـمـده مـغـمـود
أو كنـار الزنـاد في الجلـمــــود أو كـعـرف الشـــذا برند العـود
واللآلئ في غامض المحار

هو الملك عبدالعـزيز ابن الإمام عبدالرحمن ابن الإمـام فيصل ابن الإمـام تركي بن عبـدالله بن محمد بن سـعود بن محمد بـن مقرن بن مرخـان، ينتـهي نسبـه الكـريم إلى عنـزة بن أسد بن ربيـعة بن نزار بن معـد بن عدنان، ولد في بلد الريـاض عاصمـة نجد في ذي الحـجة سنة ست وتسعين ومائتين وألف هجرية، ونشأ في حجر والده عبدالرحمن

ابن فيصل، وقرأ القرآن الكريم على الشيخ عبدالله الخرجي، وأخذ علم التوحيد ومبادئ فقه مذهب الإمام أحمد عن الشيخ عبدالله ابن الشيخ عبداللطيف ابن الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد ابن عبدالوهاب إمام الدعوة.

وفي سنة ثمان وثلاثمائة خرج الإمام عبدالرحمن بن فيصل بأولاده ، وفيهم الملك عبدالعزيز وسنه حينئذ ثلاث عشرة سنة ، وسكن الكويت، كما تقدم تفصيل ذلك.

لذة العز ذاقها وهو طفلُ ... ورأى وهو يافع كيف يجلو
أهله عن ديارهم وهي تخلو ... ثم أضحى وعزهم مضمحلٍ
يتسلى ومثله كيف يسلو؟ ... هو ماض وحدُّه لا يُفَلُّ

غارق من همومه في بحار

كان وسط الكويت قيد العيون ... ذا مكان وسط القلوب مكين
يتمشى من بينهم في سكون ... بيد أن الآمال ذات كمون
زادها قوة صبا العشرين ... فلديه القصور مثل السجون

حينما يرتمي إلى الأفكار

قم وشمِّر وانهض لفتح الرياض ... دار أجدادك السيوف المواضي
آن من ضدنا اللدود التقاضي ... هي حبلى قد آذنت بمخاض
بحروب سود طوال عراض ... رفرف الصقر مزمعاً بانقضاض

وهوى كالشهاب ذي الأنوار

دعوة وافقت هوى ذا اتقاد ... طال ما كان كامناً في الفؤاد
طعن ابن الصباح فيها المعادي ... ليقد الفولاد بالفولاد
فيقيه تزاحم الأضداد ... خطة ذات حكمة وسداد

تربك الضد من وراء الستار

وقد تقدم أن محـمد بن عبدالله الرشيد قـد استولى على الرياض سنة ثمان وثلاثمـائة وألف، وباستيلائه عليـها تم استيلاؤه عـلى جميع نجد حاضرة وبادية.

وفي سنة خـمس عشـرة وثلاثمائة توفي مـحمـد بن عبـدالله الرشـيد، فكانت مـدة استـيلائه عـلى نجد ثمـان سنين. وخلفـه في منصبـه ابن أخيـه عبـدالعزيز بن متعـب، وكان شجاعـاً قاسيـاً لا يعرف من مواد السيـاسة إلا القهـر والغلبة، فطمع في الاسـتيلاء عـلى بلد الكويت ، ويحكمهـا حينذاك مبـارك بن صبـاح ، فهب مبـارك بن الصبـاح للدفاع عن بلده، وكـان الإمام عبدالرحمن بن فيصل مقيماً فيها هو وأولاده، ومنهم الملك عبدالعزيز، وسنّه يوم ذاك عشرون سنة، فتعاقد ابن صبـاح وعبدالرحمن بن فيصل على حرب ابن رشيـد، واتفقـا على أن يتجـهز مـبارك وعـبدالرحـمن لغزو ابن رشـيد، ويتجهز عـبدالعزيز لفتح "الرياض"، ويخرجون في آن واحد، فـخرج مبارك ومـعـه جيش يبـلغ عدده عـشـرة آلاف، ومـعـه الإمام عـبـدالرحـمن وابنه عبـدالعزيز، وذلك سنة ثمانية عـشر وثلاثمائة وألف، ولما بلغـو الماء المسمى "الشوكي" سار عبدالعزيز بفـرقة من الجيش لفتح الرياض، يبلغ عددها ألف رجل، وسار مبارك يريد عبدالعزيز بن متعب، فالتقى الجمعان في ذي القعدة في الموضع المسمى "الصريف" ، قـرب بلد "الطرفية" بناحية القصـيم ، ويبعد عن بلد "بريدة" خمـسة عشـر ميلاً ، وبعـد معركـة حاميـة الوطيس كانت الدائرة على مبارك الصباح، فولى جنده الأدبار، فـأمر عبدالعزيز جنده باتباع المنهزمين، وأسر من قدروا عليه، وجمعهم في حضيرة، فجمعوا خلقاً كثيراً، فأمر بقـتلهم صبرا، يقرنون كل عشـرة في حبل، وتجعل رقابهم على خـشبة مـعروضـة، ويجزرون، أمـا عـبدالعـزيز بن عـبدالرحـمن فـسار حـتى بلغ "الرياض"، وحاصرها، وحصر القصر الذي فيه الحامية.

وكاد الفتح أن يتم، فبلغه الخبر بانتـصار ابن رشيد وانكسار ابن صباح؛

ففك الحصار، ورجع إلى الكويت، وبقي في الكويت شهوراً معدودة من العام التاسع عشر، ثم خرج في أربعين راكباً منهم أخوه محمد وابنا عمه عبدالله بن جلوي وعبدالعزيز بن جلوي رحمهم الله .

ما توانى فتى العلا بل أجابا   لا يبالي خطأ أتى أم صوابا
قام للموت يستحث الركابا   موقناً أنه يلاقي صعابا
بمضاء يحير الألبابا   من توانى عن المآرب خابا

ويفوز الجسور بالأوطار

فتمشى بأربعين ذلولا   لا ترى فيهم كهاماً ذليلا
يضرب الأرض عرضها والطولا   فدعا بدوها قبيلا قبيلا
وسبيعاً ومرة والسهولا   فأتوا نحوه رعيلا رعيلا

وأتى "حرضاً" بالجيوش الكثار

بَسَمَ السعد مرة في الزمان   وتدانت للقطف تلك الأماني
بيد أن العدو ليس بواني   أرسل ابن الرشيد نحو ابن ثاني
والي الترك كي تسد المواني   فتنادى البداة بالخذلان

وتولوا إلى انتجاع القفار

ما بقي عنده سوى الأربعينا   بعد أن ذاق لذة الظافرينا
ضربات لو صادفت منه لينا   لأزالت بالشك منه اليقينا
فهي توهي العزم القوي المتينا   فانتحى برهة إلى "يبرينا"

وقضى شهره بشبه حصار

حالة لو أصابت الصلد ذابا   فالأعادي قد سدت الأبوابا
وغدت تلكم الأماني سرابا   غير أن الحماس زاد التهابا
رُبَّ يأس إلى النجاة أهابا   عقدوا العزم للرياض ذهابا

لم يبالوا للفوز أم للبوار

قـام فيـهـا للمـعتـدي حـصنان قـام أعــلاهمــا وراء الـثــاني
فـيه تسـعـون من رجال الطعـان حـرس مع أمـيرهم "عـجـلان"
بينمــا ســورها العظيم الشــان تركـــوه مــــهـــدم البنيـــان
متداعي البروج بعد الجدار
ليلـة السطو من عظـام الليـالي لثــلاث خلـون من شـــوال
جـاء فـيـهـا الكمـي بالأبطال لفــعـــال من أعظم الأفــعــال
كيف يسطو عليـه والسور عالي فـتـصـدى لبيـت بعض الموالي
طالبا ما لديه من أبقار
فـتـح البـاب بعـد قـال وقـيل عــرفـوه بالصــوت بعــد قليل
"عــمنا"! "عــمنـا"! في ذهول فــترامــوا عليــه بالتــقـبــيل
فـــتــخـطى للمـنزل المأمـــول زوج "عـجلان" فـيـه ذات نزول
علَّه عندها بذاك النهار
ليس ملـكاً مـا كـان بالتـرهيب إنمـا الملـك مـلـك ود القـلـوب
هو هـذا في حـــالـة المغـلوب يتـلقـــونه لقـــاء الحـــبـــيب
زوج "عجـلان" في المقام الرهيب قــابلتــه بأجــمل التــرحــيب
ثم باحت لديه بالأسرار
كان "عـجلان" عندي ليلة أمس وهو الآن داخل القـصـر يمسي
آه "عـبـدالعـزيز" فـدتك نفـسي أنا أخــشى فـــإنـه رب بأس!
فـدعـاها إلى السـكوت بهـمس وغـــدا وهو في رجـــاء ويأس
يشرب البن فوق ضوء النار
بدت الشمس من وراء الهضاب فتبدَّى "عـجلان" وسط الرحاب
فـعـدت نحــوه ليـوث الغـاب فــتــولى بحــيــرة واضطراب

ثم أصـــمــاه ليـــثنا بالـبــاب مـــاسكاً رجـله مـع الأثواب
ورصاص الحراس كالأمطار

أفلتت رجـله من الكف قــسـرا إذ رأى الموت كـالحـاً مـكفـهـرا
كـاد ينجو لكن "أبو فـهد" كـرا فـسـقـاه كـأسـاً من الموت مُـرّا
كـان شفـعـاً بهـا وقد كـان وترا ثم نـالوا من البـــقــيـــة وترا
وشفاء النفوس أخذ الثار

وأتاه الأهـلون بـالتـــأيـيـــد في نهـار على الجـمـيع سـعـيـد
ثم نادى بـحكم "آل ســـعــود" إذ نجــوا من ولاة "آل رشـــيــد"
بين وال عـــات وبين عـــبــيـــد ودعـاهـم من بعـد أخذ الـعهـود
لبناء البروج والأسوار

وشرح القصـة -كما ذكره الريحاني- هو أن الملك عـبدالعزيز بن عـبدالرحـمن آل فـيصل -رحـمـه الله- سار من الـصحـراء التي بين "حرض" و"يبـرين"، ومعه سـتون رجلاً، من بنـي عمه ومـواليه، منهم أخوه مـحمد، وابن عـمه عبـدالله بن جلوي، وعبـدالعزيز بن جلوي، عازماً على مـهاجمة الرياض، فوردوا ليلة عيـد الفطر، سنة تسع عشرة وثلاثمـائة وألـف المـاء المسمى "أبــو جفـان"، وسـاروا منـه في اليـوم الثاني، فوصلـوا الرياض في رابع شوال، ونزلوا في الساعة الثـالثة ليلاً في ضلع جبـل يـبعـد عن العاصـمة مسيـر ساعتين ، وقـرر مهاجـمة الأميـر عجلان في بـيت كانت له فيـه زوجة خارج الـقصر، فـسار من منزله بأربعين رجلاً، فيهم أخـوه محمد وابنا عمه عبـدالله وعبدالعزيز ابنا جلـوي بن تركي بن عـبدالله، فلما وصل إلى بسـاتين الرياض أمر

أخاه محمداً، ومعه ثلاثون رجلاً أن يقيموا هناك، وسار بعشرة رجال، منهم عبدالله بن جلوي وأخوه عبدالعزيز، فجاء إلى بيت مولى من مواليهم -يسمى جاسراً- كان يبيع البقر، فطرق عليه الباب، فأجابه بالطرد والزجر، فقال له عبدالعزيز: إني رسول الأمير عجلان؛ يريد بقرة؛ ليذبحها لأضياف طرقوه، وإن لم تجب الأمر فسوف تلقى العقوبة غداً، ففتح الباب، وكلّمه، فعرف أنه عبدالعزيز؛ لأنه كان من الخدم الذين تشرفوا بخدمته في صغره، ففرح به، وفرحت به بناته، وقلن: هذا عمنا (عمنا يعني سيدنا)، ثم أمرهم جميعاً أن يدخلوا غرفة من غرف البيت، ثم أغلق عليهم الباب، وتسلّق جدار الدار التي تليها، وفعل بأهلها كما فعل بأهل الأولى، ثم تسلق هو ومن معه جدار الدار التي فيها زوجة الأمير عجلان، وفتح الغرفة التي كان ينام فيها الأمير وزوجه، ودنا من الفراش، فلم ير فيه إلا الزوجة وأختها، وكان عجلان ينام وسط قصر الإمارة، ولا يأتي أهله إلا نهاراً، فاستيقظت الزوجة مذعورة، فسألها عن زوجها، فأخبرته أنه ينام في القصر، ولا يأتيها إلا بعد طلوع الشمس، فأدخلها وأختها في غرفة، وأغلق الباب عليهن، ثم دخلوا حجرة القهوة، وأوقدوا النار، وصنعوا لهم قهوة، وأرسل إلى أخيه محمد ومن معه، واجتمعوا جميعاً في بيت عجلان، وأكلوا من تمر كان معهم، وشربوا القهوة. وبعد طلوع الفجر صلوا صلاة الصبح، وجلسوا ينتظرون عجلان يخرج من القصر، وكان البيت مقابل القصر، وبينهما مرابط الخيل.

وبعد شروق الشمس فُتح القصر، وأخرج السواس الخيل، وربطوها، ثم خرج الأمير عجلان يريد بيته، وكانوا كامنين له يترقبون خروجه، فحين رأوه انقض عليه عبدالعزيز، وتبعه خمسة عشر رجلاً ممن كان معه، فلما رآهم رجع هارباً إلى القصر، فأطلق عليه عبدالعزيز البندق، فأصابته بجرح ، ومشى بجراحه ركضاً ، فأدركه

عبدالعزيز وقد دخل بعضه في خوخة القصر، فسحبه برجله، وأدركه عبدالله بن جلوي، فرماه برصاصة ، فأرداه قتيلاً، وجعلت الحامية ترمي المهاجمين بالرصاص ، وقتلوا منهم اثنين، ثم صاح عبدالعزيز برجاله بصوته الحماسي المجلجل ، فانقضوا جميعاً، ودخلوا القصر على الحامية، وأمروا الحامية بالنزول وتسليم القصر، فسلَّم البعض فسلِموا، وامتنع البعض فأحيط بهم وقُتلوا ، ودخل عبدالعزيز القصر هو ومن معه، وأمر منادياً ينادي على رأس القصر: «إن الحكم لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل». وكل هذا وأهل الرياض غافلون، ولم ينتبهوا إلا بصوت المنادي، فجاؤوا فزعين إلى القصر، فرأوا عجلان وكثيراً من رجاله مضرَّجين بدمائهم حول ساحة القصر، ودخلوا القصر، فوجدوا عبدالعزيز وأخاه وأبناء عمه في بهو الإمارة، فسرت البشرى في جميع الرياض، وأقبلوا كلهم مهنئين ومبايعين، وتيقن عبدالعزيز أن خصمه عبدالعزيز بن متعب سيتوجه لمحاربته في الرياض، فأمر أهل الرياض بإعادة بناء السور الذي هدمه محمد بن عبدالله بن الرشيد حينما تولى الرياض، فجدُّوا في بنائه ليلاً ونهاراً، ولم تمض مدة وجيزة حتى تم بناؤه.

ولما بلغ عبدالعزيز بن متعب قتل عجلان، واستيلاء عبدالعزيز بن عبدالرحمن على الرياض، قال: دعوا هذا الوغد، فهو كالأرنب التي في جحرها لا بدَّ أن نأخذه من جحره متى أردنا.

قال الناظم:

يفقد الملك كلُّ من لا يسوس ... وإذا لم تهو المليك النفوس

لا تقيه شجاعة وخميس ... هكذا "ابن الرشيد" فهو عبوس

فاتك ظالم غشوم شموس ... فارس إن تشب حرب ضروس

لم يكن ذا تبصر وابتكار

كان عبدالعزيز بن متعب في ذلك الحين يفكر في الاستيلاء على الكويت بعد هزيمة حاكمها مبارك الصباح، فخرج، ونزل "الحفر"، وكتب لوالي بغداد يطلب منه المدد بالسلاح والذخيرة؛ ليهاجم بها الكويت، فوعده الوالي بذلك، ولما علم حاكم الكويت بذلك طلب من الإنجليز الحماية، فأعلنوا الحماية على الكويت. قال الناظم:

كاتب "الترك" مستعيناً فطالا — أمرهم حين سوَّفوه مطالا
وهو يبغى من "الكويت" احتلالا — جاهلاً أنه يريد محالا
أين للترك أن يجيبوا سؤالا؟! — خشي ابن الصباح منهم فوالا

دولة "الإنجليز" بالاضطرار

أهمل "ابن الرشيد" أمراً خطيرا — لو تلافاه كان أمراً يسيرا
بعدها "ابن السعود" أضحى مغيرا — وغدا في جنوب "نجد" أميراً
فرأى "ابن الرشيد" أمراً عسيرا — وإلى "حائل" أغذّ المسيرا

ليوافي بالجحفل الجرار

لما استولى عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل على "الرياض" باشر بناء سورها، ولما تم بناؤه أرسل إلى والده بأن ينتقل من "الكويت" إلى "الرياض"، فاجتمع الأب بابنه المغامر الظافر، وجمع عبدالعزيز علماء "الرياض" ووجهاءها، وأمرهم بعقد البيعة بالإمامة والولاية لأبيه، فامتنع الأب من قبولها، وأصرّ على الامتناع، وقال لابنه عبدالعزيز: إذا لم تقبل البيعة لنفسك خرجت من "الرياض" فقبلها عبدالعزيز، وتمت له البيعة.

وفي ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف خرج

عبدالعزيز بن متعب الرشيد من "حائل" ، وجهز جيشاً عظيماً من شمر والقصيم وسدير والوشم ، وزحف به إلى "الرياض" ، وأقام على بلد "رغبة" مدة شهرين، يبثّ السرايا لقطع الميرة عن بلد "الرياض"، ونهب القوافل المتجهة إليها؛ فخرج عبدالعزيز بن عبدالرحمن من "الرياض" لجمع الأحزاب، وأمر والده وأهل "الرياض" بالاستعداد لمواجهة الحصار والحرب، وتوجّه إلى "الخرج" و"الحوطة"، وأرسل جواسيس تتصل بجيش ابن رشيد، وتشيع فيه أن ابن سعود خرج من "الرياض" هارباً.

ولما سمع ابن رشيد بذلك رحل من "رغبة" ، وقصد "الرياض" ؛ ليدخلها ، وينكِّل بأهلها. ولما وصل "الرياض" رآها محصنة ومستعدة للحرب ، وجاءه الخبر اليقين أن عبدالعزيز آل سعود في "الخرج"، وقد جمع الجموع لمحاربته، قال الناظم :

وأتى زاحفا رويدا رويدا	جاعلاً قطعه المؤونة قيدا
أجنب ابن السعود ينصب كيدا	باعثاً للعدوِّ عمراً وزيدا
فأشاعوا منه فرارا وحيدا	فأتى هاجماً فصادوه صيدا

ولدى الخرج باء بالانكسار

لما رأى عبدالعزيز بن متعب استعداد أهل "الرياض" للحرب، وعلم أن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في "الخرج"، رأى أن يتوجه إلى "الخرج" ؛ ليقضي على خصمه الجديد ، ويستريح منه ، ثم يعود إلى "الرياض" ، فتوجه إلى بلد "الدلم" عاصمة الخرج . ولما علم ابن السعود بذلك سار إلى "الدلم"، فدخلها قبل أن يصل إليها ابن رشيد ،

وجاء ابن رشيد بعده ، وأمر جنده بقطع نخيل "الدلم" ؛ ليستفز أهل "الدلم"؛ حتى يخرجوا مع عبدالعزيز بن عبدالرحمن، لمحاربته، فخرج إليه عبدالعزيز بن عبدالرحمن ومعه أهل "الدلم"، وألف وخمسمائة رجل من أهل "الخرج" و"الحوطة" و"الحريق". وهذه هي أول مرة يلتقي عبدالعزيز بن متعب بعبدالعزيز بن عبدالرحمن في ساحة الحرب، واستمر القتال بينهم ست ساعات، من منتصف النهار إلى غروب الشمس، ثم تقهقر ابن رشيد إلى معسكره. وفي اليوم الثاني رحل ابن رشيد من بلد "الدلم" إلى بلد "السلمية"، فلم يتمكن من دخولها، فحاصرها عدة أيام ، ففشا المرض في عسكره ، فكل يوم يموت منهم خلق كثير، فرحل من "الخرج" آيساً، وقصد "الحفر" وتمت سيادة ابن سعود على "الرياض" و"الخرج" و"الحوطة"، وما حولها من القرى بغير منازع، قال الناظم :

وانقضى العام كله في هجوم ودفاع ومقعد ومقيم
وأتته البلاد بالتسليم بعد حرب تشيب رأس الفطيم
وانتهى الأمر باحتلال "القصيم" محور الدائرات بين الخصوم
فيه رجحان كفة المعيار

ثم شرع عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود يبث سراياه في الوشم وسدير، حتى سلمت له، ودخلت في طاعته.

أما ابن رشيد فأصبح كالجمل المعرور، يضرب في شرقي الجزيرة وغربها ، فأغار على "عريب دار" قرب الكويت ، ثم أغار على سبيع في الدهناء ، ثم على عتيبة قرب الأرطاوية ، ثم أغار على

أطراف الكويت، فأرسل مبارك الصباح إلى عبدالعزيز بن عبدالرحمن يستنجده، فأصبح المنجد مستنجداً، فسارع إلى إنجاده في جيش لا يقل عن عشرة آلاف رجل. ولما علم ابن رشيد بذلك فك الحصار عن جهة الكويت ، وتظاهر بالرجوع إلى حائل ، ثم عطف متوجهاً إلى الرياض؛ ليدخلها على غرة، ولما وصل الموضع المسمى "أبو مخروق" انسلّ رجل من قبيلة السهول، ودخل الرياض، وصاح في أهله، فأغلقوا أبوابه، واستعدوا لمحاربته، ونشب الحرب والقتال بينهم ثلاثة أيام، ثم جاءه الخبر أن عبدالعزيز بن عبدالرحمن زحف إلى القصيم، فرحل عن الرياض، وتوجه راجعاً القصيم، وكان ذلك مكيدة من عبدالعزيز بن عبدالرحمن، يريد منها فك الحصار عن الرياض. ورجع عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، إلى الرياض، وأقام بها شهراً ثم خرج لتصفية بلدان سدير والوشم، ثم عاد إلى الرياض.

أما ابن رشيد فقد أرسل ماجد بن حمود بن رشيد في أربعمائة رجل لحماية عنيزة، وأرسل حسين بن جراد في ثلاثمائة إلى جهة "السر"، وانحدر هو إلى ناحية "العراق"؛ ليستنفر قومه شمر، أما عبدالعزيز بن عبدالرحمن فخرج من "الرياض"، وفي ثمان عشرة ذي الحجة من عام إحدى وعشرين التقى بحسين بن جراد، فقتله، وقتل أكثر من كان معه، ثم عاد إلى الرياض ومكث شهراً واحداً، ثم خرج إلى غزو القصيم، وفيه ماجد بن حمود ببلد "عنيزة". وقد فصل عبدالعزيز بن محمد القاضي فتح "عنيزة" بقوله:

خرج الإمام ابن السعود ميمِّما	نحو القصيم بغرة وخفاء
وإذا العيون لماجد بـ"عنيزة"	قد أبلغته تقدم الأعداء
فتقسموا الأسوار واعتزموا على	دفع العدو بهمة وبلاء

علمـوا بأن بني "عـنيـزة" جلّهم	لابن الســعــود عـلى أتم ولاء
فـتوعـدوهم بالنفـير بجـمعـهم	ليـسـاهمـوا بـجـهـادهم بسـخـاء
فـتـرقبـوا ليـلاً هجـوم عـدوهم	حـتى تراخـت سـجـفـة الظـلمـاء
فـتشكـكوا فيـمـا توارد عندهم	مــن أنـه آت ولـيــس بــنـائــي
وهي الحـقـيقـة لم يكن مـتنائيـا	لكنه قــد كــّان في اسـتــخـفــاء
ومضوا على استـخفائهم حتى أتوا	طرف البـــلاد على أتم خـــفــاء

قال الناظم عبدالعزيز بن محمد القاضي في تعليقه على منظومته:

لما علم ابن سعود بارتحال ابن رشيد إلى العراق، خرج من الرياض في شهـر ذي القعـدة سنة إحدى وعـشرين وثلاثمـائة وألف، وأتت العـيون والجواسيس ماجد بن حمود الرشيد، وأخـبرته أن عبدالعزيز بن عبدالرحمن نزل "الحميـدية"، وهو ماء يبعد عن "عنيـزة" مسيرة ثلاث ساعـات ، فأمر جميع سكان عنيـزة بالاستعداد للحرب وحـراسة المدينة، ولما ذهب ثلثا الليل ولم يأتهم أحد شكوا في خبر الجواسيس، ورجع أكثرالسكان إلى بيوتهم، وفي ذلك الوقت ارتحـل عبدالعزيز بن عبدالرحمن من "الحميدية"، ونزل "الجهيـمية"، وهي نخل قريب من البلد ، وكان مع عـبدالعزيز بن عبدالرحمن جماعة من آل سليم رؤساء بلد عنيزة ، قد فروا منها خوفاً من ابن رشيد ، فأمرهم عبدالعزيز بن عبدالرحمن أن يتقدموا إلى البلاد مع جمـاعة من الجيش، فـتقدمـوا حتى وصلوا "النتقـة" أحـد أبواب المدينـة ، ورموا الحرس بالبنادق، فـانهزم الحرس، فدخلوا البلد، وذهبـوا إلى قصر الأمارة، وكان فيـه فهيد السبهـان ، فقاتلوا من في القصر حـتى فتحوه ، وقتلوا فهيد السبهان وجـماعة ممن كان معه، وذلك في اليوم الخامس من محرم سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية.

أما عبدالعزيز بن عبدالرحمن فإنه لما صلى صلاة الصبح مشى على رأس

سرية من الجيش والخيالة، وقصد المكان الذي فيه ماجد بن حمود، فلما رأى ماجد نواصي الخيل هرب إلى "حائل"، ودخل عبدالعزيز بن عبدالرحمن بلد "عنيزة" فاتحاً منصوراً، وكان مع عبدالعزيز بن عبدالرحمن -أيضاً- آل مهنا رؤساء بلد "بريدة"، فجاءه بعدما فتح "عنيزة" وفد من أهل "بريدة"، وطلبوا منه أن يأذن لرؤساء "بريدة" في مهاجمة القصر الذي فيها، وكان فيه سريه لابن رشيد، وأميرهم عبدالرحمن بن ضبعان، فأذن عبدالعزيز لهم في ذلك. ولما هيؤوا أسباب الفتح أعلموا عبدالعزيز، فسار بجيشه، فوجد أبواب المدينة مفتوحه فدخلها ليلاً، واشتعلت نار الحرب بينهم وبين حاميه القصر وسلمت المدينة، وظل عبد الرحمن بن ضبعان محاربًا مدة شهرين، وهو ينتظر النجدة من عبدالعزيز بن رشيد، ولما يئس منها ولم يبق عنده شيء من الزاد والذخيرة طلب الأمان لنفسه ولمن معه من عبدالعزيز بن عبدالرحمن، فأعطاهم الأمان، فسلّموا القصر، وخرجوا سالمين.

ذكر وقعة البكيرية لعبدالعزيز بن عبدالرحمن على عبدالعزيز بن متعب

قال خالد بن فرج :

أصبح الترك في اضطراب شديد ... لاحتماء "مبارك" المعهود
وخضوع القصيم لابن السعود ... وهو فيما يرون ضمن الحدود
فأجابوا مطالب ابن "الرشيد" ... وأمدوه بالعطا والجنود

جهزوه بالنار والدينار

في "البكيرية" التقى الجمعان ... وتلاقى الأتراك بالعربان
وغطى الجو قسطل الفرسان ... من غبار في ظلمة ودخان
وشحّته "الأطواب" بالنيران ... هو يوم وما له من ثان

غير يوم الأعراب في "ذي قار"

لم تحن بعـد سـاعـة الانـتظار   حـيث باء الاثنـان بالانكسـار
وتسـاوى كـلاهما في الخسـار   فكسـوا أرضـهم رداء احـمـرار
من نجـيع على ثراهـا جـاري   وتداعى الجـمـعـان بعـد الفـرار

واستقرا كلاهما في قرار

عـاد عـبدالـعزيز عـودا سـريعـا   حيث ناداهما: الرجوع الرجوعا!
فتـوافوا وسط القـصيم جـميـعا   بينما ابن الرشـيد ساق الجمـوعا
لحـصار "الخبـراء"حتى تـطيعـا   وهي أضحت عليه حـصناً منيعا

لا تبالي بهول ذاك الحصار

البكيرية قرية معروفة من قرى القصيم بين بريدة والرس :

قـد ذكـرنا أن ابن الرشـيـد كـتب للدولة العـثـمـانيـة؛ يطلب المدد والمساعـدة على محاربة ابن سعـود، وجعلت الدولة تعده وتمنيـه، فلما استولى عبدالعزيز بن عبـدالرحمن السعود على القصيم تيقنت الدولة الخطر، وأجابت مطالب ابن رشـيد، وأمدته بأحد عشـر طابوراً وأربعة عشر مـدفعاً، وانضم إلى ابن رشـيد جميع قبـائل شمر، وسار بجـميع هذه الجنود والمعـدات إلى بلاد القصـيم، وكان عـبدالعـزيز بن سـعود مقـيماً في بلد بريدة، فـتوجه ابن رشيـد لمهاجمـته في "بريدة" ولما علم عـبدالعـزيز بن عـبـدالرحمن بذلـك خرج منهـا، ونزل الخب المسـمى "البصر"، ومـعه أهل الرياض وأهل القصيم وأهل الخـرج، وجميع من دخل في طاعتـه من حاضرة نجد، ومـعه قبـيلة مطير. وفي أول يوم من ربيع الثاني التقى الجمعان قرب بلد "البكيرية"، فكانت المذبحة الهائلة، فقُتِـلَ مـن عساكـر الدولـة ألـف رجـل ، ومـن أهـل حـائل ثلاثمائة

رجل، منهم ماجد بن حمود الرشيد، وعبدالعزيز بن جبر، وقُتِلَ من جيش عبدالعزيز بن عبدالرحمن تسعمائة رجل، من أهل الرياض ستمائة وخمسون، وأصابت عبدالعزيز بن عبدالرحمن شظايا قنبلة في يده اليسرى، ثم هجم أهل القصيم وقبيلة مطير بقيادة عبدالعزيز بن جلوي على أحد جناحي ابن رشيد، فبعجوه، وأغاروا على مخيم شمر، فغنموا ما فيه ، وهجمت شمر على معسكر ابن سعود، فنهبوه ، ومال أهل القصيم إلى مدافع العسكر، وقتلوا من كان حولها، واحتملوها، وانصرف ابن سعود متوجهاً إلى "المجمعة"، وكتب إلى أهل "عينزة" وأهل "بريدة" أنه سيذهب إلى الرياض؛ ليستنفر البقية الباقية من أهل نجد، ويأمرهم أن يتحصنوا في بلادهم، فأجابوه: «ليس من الحزم رجوعك إلى الرياض وعدونا بين أظهرنا، ولكن الرأي أن تتوجه إلينا ونحن نمدك بالمال والرجال». فاستصوب رأيهم، وتوجه إليهم فأمدوه بالمال، وجعل يعطي البوادي عطاء جزلاً، فاجتمع عنده منهم اثنا عشر ألفاً ، فمشى بهذا الجيش إلى "البكيرية"؛ لمهاجمة ابن رشيد والقضاء عليه ، ولكن ابن رشيد رحل من "البكيرية" بعد الوقعة ، وزحف بالخيل والرجال على بلد "الخبرا" إحدى قرى "القصيم" . وحاصرها حصاراً شديداً ، ورماها بالبنادق ، فدافعت عن نفسها دفاعاً مجيداً، ثم بلغ ابن الرشيد الخبر بتوجه عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود إلى "البكيرية"، وفيها معداته ومعسكره ، فأرسل سلطان بن حمود الرشيد في ألف وخمسمائة فارس إلى "البكيرية"، فالتقوا في آخر الليل بسرية من جيش ابن سعود، زهاء ستمائة فارس، فتطاردوا، ثم انهزم سلطان بن حمود بمن

كان معه، ولم يصلوا إلى "البكيرية"، ودخلها عبدالعزيز بن سعود، وقَتَلَ أكثر من وجد فيها من جيش ابن رشيد، وفر الباقون، فرحل ابن رشيد من "الخبرا"، وقصد بلاد "الرس"، ونزل عليها، وحاصرها من منتصف ربيع الثاني سنة ثلاث وعشرين إلى منتصف رجب، ثم سار إليه عبدالعزيز بن عبدالرحمن، والتحموا من صلاة الفجر إلى غروب الشمس، وحجز الليل بينهم. وفي تلك الليلة رحل ابن الرشيد منهزماً، ولما شعر ابن سعود بذلك رحل في أثره مسرعاً، ولم يدركه. وسار ابن رشيد إلى "قصر ابن عقيل"، وكانت فيه حامية لابن رشيد، فسبقه ابن سعود إليها، وجاء ابن رشيد بعده، ولما شعر بابن السعود رحل عنها، فرحل عبدالعزيز بن عبدالرحمن في أثره، وأدركه، ونزل ابن رشيد، ونصب خيامه، والتحم الفريقان إلى منتصف النهار، ثم تقهقر جناح جيش ابن سعود، فلما رأى ذلك ابن سعود هجم بنفسه ومن كان معه من الفرسان، وحمي الوطيس، فانهزم الأتراك، وانهزم ابن رشيد في أثرهم، وغنم ابن سعود جميع ما كان معهم من المعدات والذخائر، ووجدوا صناديق مملوءة ذهباً من الليرات العثمانية ، ففرقها عبدالعزيز على جيشه ، ولم يأخذ منها شيئاً. وتسمى هذه الوقعة "وقعة الشنانة"، وكانت يوم ثامن عشر شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف.

قال ابن فرج:

هاجموه على "الشنانة" فجرا	وأروه الفعال كرا وفرا
وانقضى اليوم والهجومات تترى	ثم جاء الدجى فأسبل سترا

فمضى ابن الرشيد يبغي مقرا وعليه قد أصبح الترك وقرا

كيف يحمي جنودهم ويباري؟

ناوشوه القتال بالانسحاب وبوادي "الرمة" على قيد قاب

قد دنا حينذاك وقت الحساب حين أضحت جنوده في اضطراب

لم تفده الأتراك بـ"الأطواب" إذ تولوا فوراً على الأعقاب

ثم لاذ "ابن متعب" بالفرار

ثم عادوا إلى الغنائم حالا غنما ينهبونها وجمالاً

وعتادا قد أثقل الأحمالا وصناديق ضُمِّنت أموالا

قسموها على السواء فنالا كل فرد غنما كبيراً ومالا

واكتفى ابن السعود بالانتصار

ذكر وقعة روضة مهنا، ومقتل عبدالعزيز بن متعب الرشيد

قال الناظم:

روضة ينسبونها لـ"مهنا" شهدت عبرة أتت ذات معنى

ترعب الثقلين إنساً وجنًّا جاءها أربعون شيخاً مسنا

يقطعون الحشيش عدماً ووهنا فأتاها "ابن متعب" حيث أفنى

تلكم الأبريا من الأوزار

لم يراقب حجاج هذا الزمان ما أتاها بالبغي والعدوان

فدوى فعله بكل مكان بينما خصمه بكل زمان

يتصدى للصفح عن كل جاني بهذا قد نال كل الأماني

وانتهى أمر ذاك بالإدبار

ظل عاماً والله بالمرصاد إذ أتى ابن السعود بالجيش عادي

فـدرى فــجــأة بــلا اســتــعــداد أن في "روضــة المهنا" المعــادي
فـــسـرى يـبـتـــغــيـــه بـالأجـناد في ظلام تنـهل فـيــه الغــوادي

وتسيل السيول بالأمطار

خـالطوا بعض جيشه فانزاحـا واستمـروا حـتى أزالو الجناحـا
فأتى "الشمـري" يذكي الكفاحا "من هنا يا الـفـريخ!!" صـاحـا
عـرفوا صـوته فمـدوا السلاحـا نحـوه بالرصـاص حـتى طاحـا

ذاق كأساً سقى بها بمرار

في مـحـرم سنـة أربع وعـشـرين وثلاثمـائة وألـف هجـرية زحف عبدالعزيز بن عـبدالرحمن آل سعود إلى جهة القصـيم؛ يطلب خصمه عبدالعزيز بن متعب الرشيد، ومـعه ألف ومئتان من الحضر، وأربعمائة من البـدو، فذكر له أن ابن الـرشيد نازل على مـاء يسمى "الثـوير" في "عقـلة الزلـفي" ، ثم رحـل منـه ، ونزل "روضـة مهنـا" نسبة إلى مهنا أبـا الخيـل رئيس بلد "بريـدة" ، فمـشى عبـدالعـزيز آل سعـود ورجاله ليلهم على أقـدامـهم؛ ليبـغـتوا العـدو، ويأخـذوه على غرة، فـوصلوا مـعـسكر العـدو آخـر الليل وهم نائمـون، فـمـا أيقظهم إلا أصـوات البنادق، فأوقدوا النيران، وجعلوا يعبِّـون صفوفهم، واختلط الجمعان، وجعلوا يقـتتلون بالرصاص والسـيوف، فخرج عـبدالعزيز بن مـتعب على حصـانه، يحض قومه، ويـحرضهم على القـتال، وقد قـتل حامل رايته ويـسمى "الفريـخ" ، وسقطت ، فأخـذها رجل من السـعوديين ، ورفعهـا، ومعه جمع من السعـوديين، فقصد ابن الرشيـد رايته، وجعل ينادي حـامل الراية، ويحضـه على التـقدم، وكـانت لهجـة الشمـريين

تختلف عن لهجة أهل نجد، فعرفوا صوته، فوجه السعوديون إليه البنادق، فخر صريعاً، وقد أصيب بإحدى وعشرين طلقة، ومات من ساعته، وأخذوا سيفه وخاتمه، وذهبوا بهما إلى عبدالعزيز بن سعود، فخر ساجداً لله شكراً، وانهزم جيش ابن الرشيد لا يلوي أحد على أحد، وأمر عبدالعزيز بعدم تعقب المنهزمين. وبعد طلوع الشمس أمر جنده بالكف عن القتال، ثم جاء حتى وقف على جثة ابن الرشيد، وترحم عليه، وكفَّنه، وصلى عليه، ودفنه، ثم جمع الغنائم، وقسمها.

أما قصة الحشاشين فقد كان أربعون رجلاً من أهل القصيم خرجوا في أيام الربيع إلى "روضة مهنا" يقطعون الأعشاب، ويجمعونها لوقت الحاجة، فوافوا بها عبدالعزيز بن متعب قبل قتله بسنة. ولما علم أنهم أهل القصيم قبض عليهم، وأوقفهم صفاً واحداً، وأمر بقطع رؤوسهم، فاقتص الله منه، فقُتِلَ في ذلك الموضع بعينه.

ذكر فتح الأحساء

قال الناظم :

فأتى جيشه ابن الإمام ساتراً ما يريد بالإيهام
جاعلاً قصده شراء الطعام فأناخوا بالعين تحت الظلام
ثم جاؤوا مشياً على الأقدام صعدوا للمحافظين النيام

وهم بعد سكرهم في خمار

ليلة الخمس من جماد الأولى أكمل الجيش في البلاد الدخولا
رافعين التكبير والتهليلا حيث فر الأتراك منهم ذهولا
ليس يدرون للنجاة سبيلا ثم نادى في السور عرضاً وطولا

"إن عبدالعزيز رب الدار"

ليلة "الكوت" وهو خطب كبير عند عبدالعزيز خطب يسير
ضاق عن وصف عزمه التعبير لا ينال المرام إلا الجسور
لاتحل دونه قلاع وسور فيه جند من النظام كثير

وهو من أهلها بلا أنصار

أصبح الناس كلهم فرحينا وأتوا في عهودهم طائعينا
بقى الترك يملكون الحصونا ألف نفس كانوا وبعض مئينا
أصبحوا في حصونهم قابعينا يطلبون الأمان والتأمينا

حين خافوا من لهجة الإنذار

في شهر ربيع الأول من سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية غادر عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل بجيوشه بلد "الرياض" عاصمة ملكه ، وتوجه إلى جهة "الأحساء". ولما نزل على بعض المياه القريبة منها جاءت النذر إلى متصرف "الأحساء"، فأخبرته أن عبدالعزيز قد وصل بجيوشه إلى قرب "الأحساء"، فأرسل المتصرف رسولاً يسأل عبدالعزيز عما يريد في هذه الناحية، فأجابه: إني أريد أن أغزو قوماً معادين لنا في جهة "الكويت"، وأريد شراء الطعام من "الأحساء"؛ لتموين الجيش. وفعلا أرسل قافلة، واشتروا كمية من التمر والأرز وما يحتاجون إليه، واستنفر من كان في جهة "الأحساء" من قبيلة العجمان، ووعدهم ماء بعيداً في جهة الشمال، وقصد بذلك إبعادهم عن "الأحساء"؛ لأنه لا يأمن شرهم. ولما تم له ما أراد ارتحل يغذ السير، فوصل البلاد ليلة الخامسة من جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين(*)،

(*) انظر الهامش رقم (*٣) في ص ٣٢٢.

وأحـاطـت جنـوده بـ"الرقـيقـة"، وسـار هو مع سـتـمـائة رجـل مـن أهل الرياض والخـرج، واتجـهوا إلـى "الكوت" من الناحـية الـغربيـة، وتسـور السـور، وتبعـه الجند، وكان حـرس السـور نائمين، فاسـتيـقظ رجل من الحـرس، وزجـرهم ، فأنامـوه، واتجهوا بـعـد نزولهم إلى "الكـوت" إلى البـاب الشـرقي الذي يلي السـوق، وقـتلوا من حـوله، وفتـحـوه والناس يغطون في نومهـم، ثم أمر من كان مـعه أن يصعـدوا إلى البروج التي في السور، وينْزِلوا من كان فـيها من الحرس، ومن قاتلكم فاقتـلوه، ففعلوا ما أمرهم. ولما ملك السـور والبرج، ولم يبق إلا الحصـون، أمر منادياً ينادي بأعلى صوته:

«إن الملك لله ثم لعبـدالعزيز بن عبدالرحـمن آل فيصل». فاسـتيقظ الناس على صـوت البنـادق المتبـادلة بين الجنـد وبين الجنود العـثمـانية القـابعة في الحصـــون ، واتجـه عبدالعزيز إلى بيت الشيـخ عبداللطيف الملا. ولما علم الـناس بحـقـيـقـة الأمـر سـارعـوا في آخـر لـيلهم إلى عبدالعزيز؛ يهنئونه بالفتح، ويبايعونه على السمع والطاعة، على كتاب الله وسنة رسـوله، ولـم تطلع الـشمس حـتى بايعـه جـمـيع سكان بلد "الهفـوف" قاطبة ، ثم أرسل إلى المتصرف فضيلة الشيخ أبي بكر المـلا يقـول لـه :

«إمـا أن يسلِّم ويخـرج هو ومن مـعـه من عـسـاكـر الدولة سـالمين محـمـولين إلى "العـقـيـر" ، وإلَّا هاجـمنـاهم حتى يحـكـمَ اللـه بيننـا وبينهم». فـاسـتـشار المتـصرف فـضيلة الشـيخ، فأشـار عليه بالتـسليم والخروج بالسـلامة؛ لأن سكان البـلاد لا يرغبون في بقـائكم، فحـينئذ

سلَّموا، وخرجوا من القصور إلى الخيام؛ حتى يتم تجهيزهم، ولم يمض ذلك اليوم حتى تمت البيعة من جميع سكان "الأحساء"، واستولى عبدالعزيز على القصور، وحوى الذخائر والمعدات. وفي اليوم الثاني رحلت العساكر العثمانية من "الأحساء" إلى "العقير"، ثم إلى "البحرين"، إلى غير رجعة.

وكتب الشيخ العلامة عبدالله ابن الشيخ عليٍّ آل عبدالقادر -ساكن بلد "المبرز"- لعبد العزيز كتاباً بالفتح، وضمَّنه هذه الأبيات:

وفت السعود بوعدها المضمون	وترادفت بالطائر الميمون
وعلا لواء المسلمين وعاينوا	تحقيق آمال لهم وظنون
تهنيك -يا هذا الإمام- سعادة	بالنصر والإعزاز والتمكين
فُقْت الملوك بسالةً وسياسةً	هيهات ما من مشبه وقرين
قرت بك "الأحساء" عيناً إنها	ترجو صلاح أمورها والدين

ولما وصلت العساكر إلى ميناء "البحرين" كثر اللائمون لهم، وخوَّفوهم عقوبة السلطان، فاستأجروا سفناً، ورجعوا إلى ميناء "العقير"، وكان فيه سرية من جيش عبدالعزيز، فنزل العسكر إلى "العقير" ليلاً، وهاجموا السرية، فردتهم السرية على أعقابهم، وأسرت منهم ثلاثين رجلاً، وبلغ عبدالعزيز الخبر وهو في الأحساء، فخرج إلى "العقير"، وفك الأسراء، وحمل بقية العسكر إلى "البحرين"، وكتب إلى حاكم "البحرين" وإلى المستشار السياسي الإنجليزي يلومهم، فأجابوه أن العسكر التركي خرج من "البحرين" قاصدين "البصرة"، ولا علم لنا بما كان منهم.

ورجع عبدالعـزيز إلى "الأحساء"، وأرسل عبدالرحـمن بن عبدالله ابن سويلم إلى "القطيف" في سرية، ولم يكن فيها من عسكر الترك إلا فـرقة قـليلة، فسلَّموا، وركـبـوا السـفن قاصـدين "البـصـرة"، وتسلّم عـبـدالرحـمن بن سـويلم الحـصن بما فـيـه، ومكث عـبـدالعـزيز في "الأحساء" أياماً؛ يرتب شؤونها، وجعل فـيها ابن عمـه الباسل المقدام عبدالله بن جلوي بن تركي أميراً، وأبقى عـبدالرحمن بن سويلم أميراً في "القطيف"، ورحل إلى "الرياض" بعـد ما تم له مـا أراد، ومكنه الله في البلاد، وأصلح الله به العـباد، ومحق به الفسـاد، فالحمد للـه حمداً دائماً بلا نفاد.

وهنأه الشاعر المجيد محمد بن عبدالله بن عثيمين بهذه القصيدة:

العزُّ والمجـدُ في الهندية القضب ... لا في الرسائل والتنميق والخطب
تقضي المواضي فيمضي حكمها أمما ... إن خالج الشك رأي الحاذق الأرب
وليس يبني العلا إلا ندى ووغى ... همـا المعـارج للأسنى من الرتب
ومـشـمـعل أخو عـزم يشـيـعـه ... قلب صـروم إذ مـا همَّ لم يهب
للـه طلاب أوتار أعــد لـهـــا ... سيـرا حثيثاً بعزم غيـر مؤتشب
ذاك الإمام الـذي كادت عزائـمه ... تسمو به فـوق هام النسر والقطب
عـبـدالعزيـز الذي ذلت بسطوته ... شوس الجبابر من عجم ومن عرب
ليث الليوث أخو الهيـجاء مسعرها ... السيد المنجب ابن السادة النجب
قـوم هم زينة الدنيـا وبهـجتـهـا ... وهم لهـا عـمــد ممدودة الطنب
لكن شمس ملوك الأرض قاطبة ... عـبـدالعـزيز بلا مين ولا كـذب
قاد المقـانب يكسو الجـو عثيرها ... سـماء مـرتكم من نقع مـرتكب
حتـى إذا وردت ماء "الصـراة" وقد ... صارت لواحق أقراب من السغب
قال: النزال لنا فـي الحرب شنشنة ... نمشي إليها ولو حـبواً على الركب
فسار من نفسـه في جحفل حرد ... وسار من جيشه في عسكر لجب

حــتى تســوَّر حــيطاناً وأبنيــة ... لولا القـضاء لما أدركن بالسـبب

لكنهــا عـزمـة من فــاتك بطل ... حمى بها حوزة الإسلام والعرب

فبيَّت القوم صرعى خمر نومهم ... وآخــرين سـكارى بابنة الـعنب

في ليلة شاب قبل الصبح مفرقها ... لو كان تعقل لم تملك من الرهب

ألقحتها في هزيع الليل فامتخضت ... قبل الصباح وألقت بيضة الحقب

صبَّ الإله عليـهم سـوط منتـقم ... من كف مـحتسب لله مـرتقب

في أول الليل في لهو وفي لعب ... وآخر الليل فـي ويل وفي حرب

كـانوا يعـدونهـا نحسـاً مـذممة ... والله قــدرها فــراجــة الكرب

الله أكبـر، هذا الفتح قد فـتحت ... به من الـله أبواب من الحــجب

فـتح تؤرج هذا الكون نفـحـتـه ... ويلبس الأرض زي المارح الطرب

فتح به أضحـت "الأحساء" طاهرة ... من رومها وهي فيما مر كالجنب

شكراً بني "هجر" للمقـرني فقد ... من قــبله كنتم في هـوة العطب

روم تحكم فـيكم رأي ذي سـفـه ... أحكام معتقدي التثليث والصلب

وللأعــاريب في أمـوالكم عـبث ... يمرونكم مرى ذات الصنو للحلب

وقبلـكم جن "نجد" واستطـير به ... فـمــاذه بشـفــار البـيض واليلب

ملك يؤود الرواسي حمل همـته ... لو كان يمـكن أرقته إلى الـشهب

ويركب الخطب لا يدري نواجذه ... تفتر عن ظـفر في ذاك أو شجب

إذا الملوك استلانوا الفرش واتكؤوا ... على الأرائك بين الخُـرَّد العُـرُب

ففي المواضي وفي السمر اللدان وفي الـ ... ـجود الجياد له شغل عن الطرب

يا أيهــا الملك الميــمــون طائره ... اسمع -هُديتَ- مقال الناصح الحدب

اجـعل مشـيـرك في أمر تحـاوله ... مـهــذَّبَ الرأي ذا علم وذا أدب

وقـدِّم الشرع في السـيف إنهمـا ... قوام ذا الخلق في بدئ وفي عقب

هم الدواء لأقوام إذا صعرت | خدودهم واستحقوا صولة الغضب
واستعمل العفو عمن لا نصير له | إلا الإله ففيه العز فاحتسب
واعقد مع الله عزماً للجهاد فقد | أوتيت نصراً عزيزاً فاستقم وثب
وأكرم العلماء العاملين وكن | بهم رحيماً تجده خير منقلب
واحذر أناساً أصاروا العلم مدرجة | لما يرجون من جاه ومن نشب
هذا وفي علمك المكنون جوهره | ما كان يغنيك عن تذكير محتسب
وخذ شوارد أبيات مثقَّفة | كأنها دررٌ فُصِّلن بالذهب
زَهَتْ بمدحك حتى قال قائلها: | "الله أكبر كل الحسن في العرب"
ثم الصلاة وتسليم الإله على | من خصه الله بالأسنى من الكتب
المصطفى من أروم طاب عنصرها | محمد الطاهر ابن الطاهر النسب
والآل والصحب ما ناحت مطوقة | وما حدا الرعد بالهامي من السحب

قال ابن فرج :

كانٍ حكم الأتراك حكماً عجيبا | لقى الناس منه أمراً عصيبا
قطُّ ما أمنوا هناك الدروبا | لا ترى -إن شكوتَ ظلماً- مجيبا
حاز كل من البداة نصيبا | فأدال الإله مِ الخبث طيبا

من أمان ونعمة ويسار

فغدت "نجد" دولة في الوجود | فأتتها الوفود تلو الوفود
هذه الترك في ثياب الودود | وبنو التيمس في جميل الوعود
يتبارون في صكوك العهود | ثم فازت جهودهم بعقود

لفحتها الحرب الضروس بنار

أشعلوها في الغرب حرباً ضروسا | جعلت أجمل البلاد وطيسا
وأطارت عن الجسوم الرؤوسا | ثم أفنت أموالهم والنفوسا

حالف الإنجليز فيها الروسا وفرنسا يحاربون النموسا

مع بروسا والترك والبلغار

ويلها عم في جميع البلاد من حصار مشدد وحصاد

وشعوب تنحاز للأضداد ذا لهذا وذا لذاك يعادي

وغدا "ابن السعود" بالمرصاد واقفاً لائذاً بحصن الحياد

ذكر وقعة جراب بين عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود وبين سعود بن عبدالعزيز بن متعب الرشيد

في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف أرسلت الدولة العثمانية مندوبها سليمان شفيق إلى سعود بن عبدالعزيز بن متعب بعشرة آلاف بندق وجملة من المال والذخيرة، وأمرته الدولة بمحاربة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن السعود. قال ابن فرج:

نفَّذ ابن الرشيد فيما يليه ما تقول الأتراك وما تمليه

حاصراً همَّه بثأر أبيه فأتى للقصيم لا يثنيه

أحد تقدح الضغائن فيه في "جراب" التقى بمن يبتغيه

فتلاقى البتَّار بالبتَّار

فخرج سعود بن عبدالعزيز بن متعب من "حائل" ومعه الحاضرة من أهل حائل وبادية قبيلة شمر، وخرج ابن السعود، ومعه الحاضرة من أهل الرياض وبادية مطير وجماعة من العجمان، والتقوا في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين على ماء من مياه القصيم -يسمى "جرابا"- والتحم الجيشان، فأغار المطران على رواحل ابن رشيد وخيامه ومعداته، وانتهبوها،

ووقعت الهزيمة في جند ابن رشيد. ولما رأى العجمان الذين كانوا مع عبدالعزيز بن سعود أن النصر سيحالفه ، أغاروا على رواحله ، وانتهبوها ، فكانت معدات القائدين غنيمة للبدو، وخرج القائدان منها بغير فائدة. ورجع ابن رشيد إلى وطنه، ورجع ابن سعود إلى القصيم.

قال ابن الفرج:

في "جراب" تكافأ الخصمان ... جند هذا بقدر جند الثاني

فاستمروا في جولة وطعان ... فاز "عبدالعزيز" بالرجحان

فدهته قبيلة "العجمان" ... فغدا الغنم قسمة البدوان

والأميران أصبحا في انكسار

وفي هذه الوقعة قُتل الأمير محمد بن عبدالله بن جلوي، رحمه الله تعالى.

وقعة كنزان بين الملك عبدالعزيز وقبيلة العجمان

قال ابن الفرج:

قُمْ تَعَرَّف معي إلى العجمان ... هم قبيل ينمى إلى "قحطان"

رُحَّل يقطنون في "نجران" ... ثم جاؤوا "الأحساء" منذ زمان

فأناخوا بعسفهم بجران ... شبهوهم في العرب بالألمان

في اتحاد وقوة واقتدار

ليس في البدو مثلهم من صلاب ... جعلوا الترك قبل كالألعاب

وغدوا في "الحسا" رسول خراب ... هو ذا "ابن السعود" ليس يحابي

إذا يحاسبهم أدق حساب ... أسلموه بالغدر يوم "جراب"

وأغاروا على عريب الدار

العجمان: بطن من يام بن جشم بن حاشد بن همدان، كانت مساكنهم في "نجران" ، وفي "نجران" بقايا منهم حتى الآن ، ورحلوا إلى جهات "الأحساء" في آخر القرن الثاني عشر، والدليل على ذلك أنا لم نجد لهم ذكراً في الوقائع الدائرة بين بني خالد وعرب الجزيرة، وأول ما لمع ذكرهم في الحروب السعودية في أول نشر الدعوة وهم عدة بطون آل معيظ، ومنهم آل ناجعة ، وفيهم رئاسة العجمان في بيت آل حثلين ، وأشهرهم راكان بن فلاح الفارس الشاعر المشهور ، وآل سفران ، وآل هادي ، آل لزيز، آل صالح، آل ريمة ، آل سلبة، آل حبيش، آل سليمان، آل هتلان، آل ظاعن ، آل مصدع ، آل شامر، آل خويطر، آل محفوظ ، آل عرجا، آل مفلح، آل رزق، ويمتازون بفصاحة اللسان، وحلاوة المنطق وسرعة الجواب والحمية والعصبية والفروسية والشجاعة، ويبدلون كاف الخطاب شيناً. ومنازلهم الدهناء والصمان والجوف في شمال الأحساء. قال ابن الفرج:

وأغاروا على عريب الدار

عريب الدار: خليط من البوادي كانوا يسكنون في ضواحي "الكويت" التي يحكمها مبارك بن صباح، أغار عليهم العجمان، وانتهبوهم، فكتب ابن صباح إلى عبدالعزيز بن عبدالرحمن؛ يستعديه عليهم، ويطلب منه تأديبهم ورد ما أخذوا. قال ابن الفرج:

فأتاها "مبارك بن صباح" ملقيا في الجراب باقي القداح
بينما "ابن السعود" دامي الجراح يا بُنَي، العجمان جاؤوا مراحي
ثم نالوا من ماله المستباح «الغياثَ ، "الغياثَ» فاسمع صياحي

يا بُنَي، انتقم من الفجَّار

ومراد ابن صباح بذلك إشعال حرب عاجلة بين ابن السعود والعجمان قبل أن تندمل جراحه، ويستعيد قواه بعد وقعة "جراب"، ولم ير عبدالعزيز بداً من غزوهم.

فانتقى من جموعه شجعانا	زمن الصيف يطلب العجمانا
فانتحوا في "الحساء" عنه مكانا	فاقتفاهم وقد أتوا "كنزانا"
في ظلام فكان ما قد كانا	كسروا جمعه وإنَّ الحصانا

ليس يخلو من كبوة وعثار

خرج عبدالعزيز بن عبدالرحمن بجيشه مؤلفاً من حاضرة نجد وقبيلة سبيع؛ يطلب العجمان، فانحازوا إلى جهة "الأحساء"، فوجه بجيشه إلى "الأحساء "، فوصلها في رجب سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف في حمارة القيظ ، ونزل العجمان "كنزان" ، وهو ماء قريب من قرية "الكلابية" ومدينة "جواثى" في شرقي "الأحساء" ، وترددت بينه وبينهم الرسل في رد المنهوبات. فلم يجيبوا إلى ما طلب منهم.

فلما كانت ليلة النصف من شعبان عبأ جموعه ، وفيهم الكثير من أهل "الأحساء" ، وبيَّتَ العجمانَ، فلما أحسوا بالغارة أخرجوا نساءهم وأطفالهم من البيوت، وأبعدوهم عنها، وكمن الرجال في المتاريس، وصبَّت الغارة نيرانها على البيوت الخالية، وهاجم العجمان الجيش من خلفه؛ فارتبك الجيش، ولم يدر عن عدوه من أمامه أو خلفه، وجعل الجيش يقتل بعضه بعضا، ووقعت الهزيمة، وقُتلَ أخو الملك سعد بن عبدالرحمن، وجُرح الملك عبدالعزيز، وتعقبوا الجيش المنهزم، وقُتِلَ من أهل "الأحساء" ثلاثمائة رجل، ومن أهل نجد ناس كثير.

ورجع عبدالعزيز إلى "الكوت" في "الأحساء"، وانتشر العجمان في النخيل والقرى، وجعل عبدالعزيز يؤلف السرايا وحاضرة أهل "الأحساء" لمطاردتهم ، وأرسل إلى والده عبدالرحمن ؛ يستمده . وفي آخر شهر رمضان وصلت النجدات، فجاء الأمير محمد بن عبدالرحمن -أخو الملك عبدالعزيز- بجيوش من حاضرة "نجد" وباديتها، وكثرت الوقائع بين الفريقين، واستمرت الحرب على أشدها إلى منتصف ذي القعدة. ثم حوَّل عبدالعزيز معسكره إلى جبل "القارة"، ونصب المدفع على قُلَّة الجبل، فجعل يرمي معسكر العجمان في جبل "البريجا" رميا متتابعاً، فأكثر فيهم القتل؛ فارتحلوا هاربين إلى جهة "الكويت" وكان مبارك الصباح قد أرسل ابنه سالم مداداً لعبدالعزيز في ظاهر الأمر، ولما رحل العجمان من "الأحساء" كتب مبارك لابنه سالم أن يكتب لهم بالتوجه إلى "الكويت"؛ لإيوائهم ومواساتهم؛ فغضب عبدالعزيز غضباً شديداً لتلون مبارك والتواء سياسته وخداعه، وبينما عبدالعزيز آل سعود في سورة غضبه جاءه الخبر بموت مبارك الصباح، فترحَّم عليه، واستغفر له. وفي مدة اشتغال عبدالعزيز بمطاردة العجمان ومحاربتهم جاءت الأخبار إليه أن سعود بن عبدالعزيز بن متعب قد تجهز، وخرج من بلده؛ يريد مهاجمة القصيم، وخرج الشريف عبدالله ابن الشريف حسين لمهاجمة "نجد"، فلم يفت ذلك في عضد الملك عبدالعزيز، ولم تلن قناته لعدوه، بل زاده ذلك حماسة وبسالة، حتى هزم عدوه، وخضد شوكته، وطرده من البلاد.

أما سعود بن عبدالعزيز بن رشيد فقد وصل القصيم، فهب أهله لمحاربته، حتى رجع عنهم خائباً. ولما علم الشريف عبدالله بخيبة ابن

الرشيد رجع إلى مكة، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً.

ولما وضعت الحرب أوزارها، واطمأنَّ الناس توجه ابن سعود من "الأحساء" إلى "القطيف"، ثم رجع إلى وطنه "الرياض" مؤيداً منصوراً. أما العجمان فذهبوا إلى "الكويت"، واستقروا فيها إلى أن رجعوا إلى طاعة الملك عبدالعزيز، وطلبوا منه الأمان، فأمَّنهم، فرجعوا إلى ديارهم.

ذكر تحضير البادية

قال ابن فرج :

مَثَلُ البدو كل حين وآن	في جميع الأمصار والبلدان
كسراب يلوح للظمآن	فتذكَّر ما جاء في القرآن
ميلهم في الحروب كالميزان	لقويِّ الجنود والأعوان

ثم لا يصبرون للانتظار

هم كما قلت سابقاً كالقرلي	لا ينال المعروف منهم محلا
كَثُرَ النيل منك أو هو قلاًّ	ليس يرعون في المطامع إلاًّ
يتولى هذا وذا يتخلى	يأخذون الظروف كالماء شكلى

وردة تبيع الرياح الذواري

بيئة العيش أثرت في الطباع	فهم في تقلب وامتناع
دائماً في تنقل في البقاع	من حضيض إلى عالي البقاع
همهم في تتبع الأطماع	أين حلوا في سائر الأصقاع

فهمو دائماً على الأكوار

غير أن الإمام هو الحكيم	بطباع البدو الجفاة عليم
لم يرد وضع حالة لا تدوم	ربما تحدث العداة الخصوم

ردُّ فعل تضيع فيه الحلوم وشؤون البداة لا تستقيم
قبل تقييدها بقيد الجدار
فدعاهم إلى بناء الدور راغباً في إقامة التحضيري
واقتناء المحراث بعد البعير
مستعيناً بالوعظ والتذكير فاستجابوا برغبة وسرور

وبلغت قرى البدو المتحضرين نحو مائتي قرية، أهمها: الغطغط، والداهنة، وساجر ، ونفي وهذه لقبيلة عتيبة ، والأرطاوية، ومبايض، وفريثان، والقرية العليا، والقرية السفلى لقبيلة مطير ، والهياثم، والرين لقبيلة قحطان ، ومشيرفة للدواسر ، والصرار، وعريعرة، وحنيذ، ودليم، لقبيلة العجمان ، ودخنة، وقبة لقبيلة حرب ، وثاج، والحناءه للعوازم ، والشباك لقبيلة آل مرة، وعين دار لقبيلة بني هاجر ، والأجفر لقبيلة شمر .

ذكر وقعة تربة لجيش عبدالعزيز آل سعود على عبدالله بن حسين الشريف

وادي تربة أو وادي سبيع : هو أحد الأودية الرئيسة الستة التي تجتمع فيها مياه الشعبان المنحدرة من الأمطار الهاطلة على السفوح الشرقية من جبال السراة ،حيث تقوم على جانبيه بلدان البقوم التي أهمها تربة المشهورة ، وتقيم في هذا الوادي قبيلة سبيع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن همدان ، وكان السبعان والبقوم قد لبوا داعي التوحيد أيام آل سعود الأولين، ورؤساؤهم كانوا من الشرفاء أولاد لؤي، ونشأت بينهم وبين آل سعود وأهل نجد صلات ودٍّ قوية، لم تغيرها الأيام والليالي.

فلما قام عبدالعزيز بن عبدالرحمن بدعوته أجابه عدد غير قليل من هاتين القبيلتين؛ فأراد الشريف حسين بن علي - أمير مكة المكرمة - سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية بسط نفوذه على هذه المقاطعة؛ فأرسل حمود بن زيد معه ألف مقاتل، فالتقى بالشريف خالد في خامس وعشرين من شعبان سنة ست وثلاثين في "حوقان"، فهزمهم الإخوان، وشتتوا شملهم. ثم عاد الشريف حمود بحملة أخرى، فالتقى بالشريف خالد مع الإخوان في "جبار" في سبعة عشر رمضان، وانهزم فيها الشريف حمود. ثم جهز الشريفُ حسين الشريفَ شاكرَ بن زيد، ومعه ألف جندي نظامي وخمسة آلاف من رجال "عتيبة" الموالين للشريف حسين، ومن بني سعد وهذيل وبني سفيان، ومعه أربعة مدافع وست رشاشات. وكانت قوة الإخوان ألف وخمسمائة مقاتل من أهل "الخرمة" و"سبيع"، وخمسمائة من أهل "الغطغط"، ومائتين وخمسين من أهل "الرين". وسار شاكر يريد احتلال "الخرمة"، ووصل آبار "الحنو"، فهجم عليه الإخوان ليلاً، وشتتوا شمله، وفر ببقية جنده إلى "مران"، وذلك في تاسع ذي الحجة سنة ست وثلاثين.

ولما فرغ الأمير عبدالله ابن الشريف حسين من حصار مدينة رسول الله ﷺ أراد أن يزحف بقواته إلى "الخرمة"، ومعه العساكر النظامية وقوات من الحضر وعشرة مدافع وعشرون رشاشة وعسكر في "عشيرة"، ثم سار منها، واحتل "تربة" بعد معركة دامت ساعتين ونصف .

ولما علم عبدالعزيز بن عبدالرحمن بمسير الشريف عبدالله إلى تلك الجهة جهز حملة من الإخوان المقيمين في "نجد"، عدد رجالها ألف

ومـائتان، يقـودها سلطان بن بجـاد بن حـميـد من عـتـيبـة. ولما وصلوا "القرين" -وهو ماء بين تربة والخرمة- أرسلوا جواسـيسهم؛ لسبر مواقع العـدو، وعدد فـرق معـسكر الشريف. ولما وصلت إليـهم جواسـيسـهم جعلوا جـيشهم ثلاث فـرق على كل فرقة أمـير، ووجهوا كل فـرقة إلى جهة من جهـات المعسكر وساروا ليلهم على أقدامهم. وكـان الأمير بعد احتلاله "تـربة" ظن أنه خضد شوكـة الإخوان وألقى الرعب في قلوبهم، فنام ملء عـينيه، فلم يوقظـه إلا تهليل الإخوان وتكبـيرهم، فـعجـز عن استـجمـاع قوته، وفـرَّ الكثـيرون من جنده طالبين النجـاة وتمكن الأمـير عبدالله من فرسه، فركبه، وهرب، ولم يقف إلا عند "الأخيضر".

وتمزقت قوة الأشـراف كل ممزق، وحصد الـله في هذه الوقعة أكـثر الضباط الذين اشتركـوا في حصار مدينة الرسول ﷺ، ويروى أن عدد القتـلى في هذه الوقعـة نحو خـمسة آلاف رجل. وكـان ذلك في أربع وعشرين من شعبان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف.

ذكر فتح بلد حائل مركز إمارة آل رشيد

لما عجـز الشريف حـسين عن مقـاومة عـبدالعـزيز بن عبدالـرحمن السـعـود رأى أن يجعل سـعـود بن عـبـدالعزيـز بن متـعب في وجـه عـبدالـعزيز بن سـعـود؛ لعله أن يكفـيـه أمـره، فأمـده بالمال والسـلاح والذخيرة، وكان سعود بن عبدالعـزيز بن متعب قد عقد صلحاً مع ابن سـعـود، ودخل الكثـير من قـبـيلة "شـمـر" في طاعة عـبـدالعـزيز بن عبدالرحمن، وتعلموا مبادئ التوحيد، فتخلوا عن سعود بن عبدالعزيز ابن متعب. ولما عـرف ذلك منهم كتب إلى عبدالعزيز بن عـبدالرحمن

السعود يقول: إني تسرعت إلى إجابة دعوة الشريف حسين، وقد ندمت على ذلك، ونرغب في تجديد عقد الصلح. فجددوا عقد الصلح. ولم تطل مدة سعود بن عبدالعزيز بن متعب بعد ذلك؛ فقد قتله ابن عمه محمد بن عبدالله بن طلال غيلة(*١)، وتولى الإمارة في "حائل" أخوه عبدالله بن متعب بن عبدالعزيز(*٢).

وعلى أثر ذلك رأى عبدالعزيز بن سعود أن إمارة "حائل" لا تستقر على حال، ورأى من الصالح للمسلمين توحيد المملكة وجمع كلمة المسلمين تحت راية واحدة؛ فجهز الجيوش لفتح "حائل"، وأرسل أخاه محمد بن عبدالرحمن في طائفة من الجيش، وأمره بتطويق مدينة "حائل"، وحصرها، وأمر ابنه سعوداً أن يغير على القبائل الموالية لآل الرشيد، وكان محمد بن طلال الرشيد مقيماً في "جوف آل عمرو"، فجاء مسرعاً إلى نجدة أهل "حائل". ولما سمع عبدالله بن متعب بذلك علم أن محمد بن طلال سيقتله غيلة؛ ليستبد بأمر "حائل"، فهرب إلى معسكر سعود بن عبدالعزيز، فقابله بالإكرام، ورحل معه إلى والده عبدالعزيز، ودخل محمد بن طلال مدينة "حائل" وتولى أمر الحرب، وكان باسلاً شجاعاً، فأرسل إليه عبدالعزيز بن عبدالرحمن فيصلَ الدويش في جمع من الإخوان، فقاتلهم قتالاً شديداً في الموضع المسمى "الجثامية"، ثم عاد إلى "حائل".

(*١) الصواب أن الذي اغتال سعود بن عبدالعزيز بن متعب هو عبدالله بن طلال بن نايف.
(انظر: ابن بسام، عبدالله بن محمد، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، حوادث سنة ١٣٣٨هـ. الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، جـ١، ص ٢٥٤).

(*٢) عبدالله بن عبدالعزيز بن متعب بن عبدالله ليس أخاً لسلفه، بل ابن أخيه.

وفي محرم سنة أربعين وثلاثمائة وألف سار عبدالعزيز السعود في الجيوش بنفسه، وشدَّد الحصار على "حائل"، وكتب لأهلها إنذارات، فكتب محمد بن طلال إلى السير برسي كوكس -ممثل بريطانيا في العراق- بالتوسط في الصلح، فرفض عبدالعزيز بن سعود كل مفاوضة بهذا الخصوص، وشدّد عبدالعزيز الحصار على أهل "حائل"، حتى كادوا أن يهلكوا جوعاً، فأذعنوا بالتسليم، فدخلها عبدالعزيز فاتحاً، وتحصّن محمد بن طلال في القصر، وذلك في صفر سنة أربعين وثلاثمائة وألف هجرية، وفرَّق الأطعمة واللباس على جميع سكان "حائل"، وأمَّر فيها إبراهيم السبهان، وجعل فيها فرقة من المرابطين تحت قيادة الأمير المظفر عبدالعزيز بن مساعد ابن جلوي. ثم بعد مدة وجيزة كان الأمير عبدالعزيز بن مساعد أميرا عاماً على حائل وملحقاتها إلى حين كتابة التاريخ، وكان محمود السيرة مظفراً في مغازيه. ثم سلَّم محمد بن طلال نفسه لعبد العزيز بن سعود.

ذكر فتح مدينة أبها عا صمة مقاطعة عسير

قال ابن الفرج :

إن "أبها" مدينة في "عسير" ... دينت في حمى "سعود" الكبير
وتؤدي الزكاة للمأمور ... جعلوا "عائضاً " لها كالأمير
وتولى بنوه ملك الأمور ... بالتوالي حتى الأمير الأخير

"حسن" حيث عاث بالأضرار

فشكاه إلى الإمام الأهالي ... فنهاه بألين الأقوال
فعصى جامعاً جموع القتال ... مستعزاً بشامخات الجبال
ووعود "الحسين" بالأموال ... ثم لما دهاه جيش النكال

لاذ من "حجلة" بذل الفرار

مقاطعة عسير تمتد من زهران إلى ظهران، وقيل إنها من التيه -وهي عقبة مشهورة - شمالاً إلى تمنية جنوباً ، وهو جبل عظيم ، وبين الحدين مسيرة ثلاث وعشرين ساعة بالمشي السريع، ومن الشرق إلى الغرب مثل ذلك. ويسكنها مجموعة من القبائل التي ترجع أصولها إلى "أسلم" من الأزد ، ومركزها "أبها" ، وكانت مركزاً لحكم آل عايض وللإدارة العثمانية إلى حين زوالها، وكان اسمها في القديم "مناظر". وبقي هذا الاسم على حي من أحياء المدينة. وترتفع عن سطح البحر سبعة آلاف قدم، وحولها من قبائل العرب: بنو مغيد، وبنو دليم ، وبنو مالك ، وبنو زيد ، وبنو بالأسمر ، وبنو بالأحمر . وفي هذه الناحية بنو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب ابن أمية بن عبد مناف.

والرئاسة لآل عايض ، وكان آخرهم حسن بن علي آل عايض، وكان ظالماً مستبداً؛ فنفرت منه القبائل، وأرسلت وفودها شاكية إلى الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، فبعث لحسن بن علي ستة من العلماء؛ يعظونه، ويأمرونه بالعدل والعمل بكتاب الله وسنة رسول الله . فأبى الأمير حسن توسط العلماء ، فأرسل الإمام عبدالعزيز ابن عمه عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، ومعه ألفان من الجنود، وأمره أن يدعو ابن عايض إلى السلم، ويكون كما كانت أجداده مع آل سعود السابقين.

وفي شعبان سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف وصل عبدالعزيز بن مساعد "أبها" ، فخرج إليه حسن بن علي بن عايض بجنوده، فالتحموا بموضع يسمى "حجلة" بين "أبها" و"خميس مشيط"،

واقتتلوا قتالاً شـديداً، وكانت الهزيمة على ابن عايض وجنوده، ودخل الأمير عبدالعـزيز بن مساعد المدينة فاتحاً مظفراً، فاسـتولى عليها وعلى السـراة وجمـيع النواحي التابعـة لها. ورجع الأمـير حـسن وابن عـمه محمد إلـى الأمير عبدالعزيز بن مـساعد مستسلمين؛ فـأمنهما، وبعث بهما إلى الإمام عبدالعزيز في بلد "الرياض"، وأقاموا بها شهراً، فأعطاه الإمـام عبـدالعزيز خـمسـة وستين ألف ريال، وفـرض له ولأهل بيتـه مرتبات شـهرية. ورجع حسن وابن عمه إلى "أبهـا"، وجعل الإمام في "أبها" أميراً من غير آل عايض.

ثم إن حسن بن علي استأذن الأمير في الـسفر إلى "حرملة"؛ ليجيئ بعائلته، فأذن لـه. ولما استقر فيها أظهـر العصيان، ومشى بقوة جـمعها إلى "أبها"، وحصر الأمير عشرة أيام حتى اضطره إلى التسليم، فأسره، وسجنه في "خميس مشيط".

وبعـد مضي شـهرين أرسل الإمـام عبـدالعزيز بن عـبدالرحـمن آل سعـود جيشاً بقـيادة ابنه فيصل فـيه ستة آلاف من أهالي "نجـد" وأربعة آلاف من قحطان وزهران . ولما قرب الجيش من أبها فر منها الحسن بن عايض ومن مـعه ، وتحصنوا في "حرمـلة"، ودخل الأمير فيـصل مدينة "أبهـا"، وأمن النـاس ، وأرسل سـرية تحـاصـر الحـسن في "حـرملة"، وكانت في رأس جـبل لا يوصل إليها إلا بمـشقة ومن طرق لا يعلمـها إلا أهل القرية، فـبذل الجيش الـسعودي مجهـوداً كبيـراً في فتح طريق يوصل إليهـا ، حتى وصلوا إليهـا ، وحينما أحس الأمـيـر حسن بذلك هـرب منهـا ، وهـرب معه جـميع من كـان معه ، وهرب مـعه جـميع

أهلها، ودخلها الجيش، فوجدها خالية، فهدم قصورها وحصونها. وعين الأمير فيصل في "أبها" أميراً، وجعل فيها خمسمائة رجل من الجند، ثم رجع إلى "الرياض" في إحدى وعشرين من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية.

ذكر فتح مكة المكرمة زادها الله شرفا

قد استحكم العداء في نفس الشريف حسين للإمام عبدالعزيز آل سعود ولجميع أهل "نجد" كافة، فقرر منع السعوديين من حج بيت الله الحرام، والحج أحد أركان الإسلام، ولا بد لكل مسلم من الحج. ولم يرد الإمام عبدالعزيز غزو الشريف حسين في "مكة" المحرمة إلا بعد أن يعلن للملأ الإسلامي موقف الحسين العدائي. ولما تحقق موقف الحسين عند كافة المسلمين في جميع أنحاء الدنيا عقد الإمام عبدالعزيز مؤتمراً في "الرياض"، جمع فيه العلماء والإخوان برئاسة والده عبدالرحمن بن فيصل، وتباحثوا في الحالة، وتقرر فيه وجوب جهاد الحسين، فتجهز من الإخوان ثلاثة آلاف مقاتلاً بقيادة الشريف خالد ابن منصور بن لؤي وسلطان بن بجاد رئيس قبيلة عتيبة ، وتوجهوا إلى "الطائف"، ووصلوا إليه في صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وألف. وكان في الطائف قوة من الجنود النظامية، فما كان إلا جولات يسيرة حتى ولت الجنود النظامية الأدبار، ودخل الإخوان مدينة "الطائف" فجر اليوم السابع من صفر.

ولما بلغ ذلك الشريف حسين ، وهو في مكة ، أرسل ألفاً وثلاثمائة من البدو والعساكر النظامية بقيادة الأمير علي بن الحسين، وعسكروا

في "الهدا"، وهنـاك وافـاهم الإخوان ، ودارت بينهم معـركة أدت إلى انهـزام جند الأميـر علي بن الحسين، وهرب الأمـير علي إلـى "جدة"، وترك الطريق مفتـوحاً إلى "مكة"، فتوقف الإخوان عن التقـدم احتراماً للبيت الحرام.

ولما بلغ أهل مكة خـبر انهـزام الأمير علي استولى عليـهم الرعب، فهـرب أكثر الأقوياء إلى "جـدة"، واجتمع رأي أهل الحل والعـقد من أهل "مكة" على أن يطلبـوا من الشـريف حـسين النزول لابنه علي عن عرش الحجـاز؛ ليتمكنوا من عقـد صلح مع الإمام عبدالعـزيز، فامتنع الشريف حسين من ذلك، فألحـوا في المطالبة، ولـم يجد الحسين بدأً من إجابتـهم، فتنازل عـن عرش الحجـاز لابنه علي، وقرر الحـزب الوطني مبـايعة علي بن الحـسين ملكاً دستـورياً للحجـاز، وذلك في رابع ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وألف.

وفي اليوم الثـاني خرج الشـريف حسين من مكة إلى جـدة، وأخرج معه عـدة صفائح مملوءة ذهباً، ثم رحل من جدة، وودع الحـجاز وداعاً لا لقـاء بعـده. وقد رثاه، ووبَّخـه الأسـتاذ خـيـر الدين الزركلي بهـذه القصيدة التاريخية :

صـبـــر العظيـم على العـظيم	جـــبــــار زمـــزم والحطـيمِ
إن القـــضـــاء إذا تـسلـط	ضـاع فـيــه حـجـا الحكيم
والنفس جـامـحـة فــخــذ	مـا اسـتـطعت منهـا بالشـكيم
انهض فـقـد طلع الصبـاح	ولاح مــــحـــمَّـــر الأديم
ألـقِ الســـلام عـلى الطـلول	وحي شــاخـصــة الـرسـوم
ودعْ قـــصـــور "أبي نمـي"	فلـست فـــيـــهـــا بالمقــيم

راعـتك رائعـة الملوك … وبؤت بـالخطب الجسـيم
سـهم رمـاك الأقـربون … به فـغلغل في الصـميم
لم يُجْـدك الحـذر الطويل … من الموالي والخصـوم
أيـام كـنـت تسـيء ظنك … بـالرضـيع والـفطيم
مـا كنت تحـفل بالنصيح … وكنتَ أحـفى بالنمـوم
ريع الكرام بقـصرك العـا … لي فـذق روع الكريم
اسـمع أنين القبـو ويح الـ … قبـو من حنق كظيم
أعـددتَ للأحـرار فيـه … عـقـابَ منتقم ظلوم
طال انقـيادك للخـصوم … وأنت أدرى بـالخصـيم
عـجـباً لمن طلب الخلافة … والخلافة في النجـوم!
تلك التي ذهبت مع الأيام … أيام قـبل ذوي سليم
أو لست أعـجب للزعـيم … يفـوته سـهر الزعـيم
الجـامع المتناقـضـات … من الغـرائز والفهـوم!
الغـافل اليـقظ الحـريص … البـاذل العـاني الرحيمَ
الصـادق الظن الصحـيح … الفـاسد الرأي السقيم
الطيب النفس الأنيس … السيئ الخلق السؤوم
يا نـاظم العـقد النثير … يا نـاثر العـقد النظيم
لم ألف قبلك هـادمـاً … مـا كـان يبني من أطوم
كـانتَ تخومك لا تنال … فهل حميت حمى التخوم؟!
هذا وليدك في "الرقـيم" … يعـيث في أهل "الرقـيم"
يحبو "يهوذا" ما حبوت … وليس غـيركَ من ملوم
العرب قومك - يا حسين - … وأنت منهم في الصميم

كم علَّموك فما علمت — وحاولوا بك من مروم
هلا اقتديت وأنت تشهد — بالفتى "عبدالكريم"
المستعز بقومه — والمستبد على الغشوم
التارك الأسبان — طائشة المدارك والحلوم
رفع العقيرة في الجموع — وأنت لاهٍ في النعيم
ونفى الهموم عن الربوع — وأنت تعبث بالهموم
وشفى الصدور من الكلوم — وأنت كنت من الكلوم
ماذا ادخرت لمثل يومك — والنذير نذير شوم؟
أعددت خمساً سابحات — في الفضاء بلا رجوم!
وسفائننا مرُّ النسيم — يحيلهن إلى الهشيم!
ومدارساً ما كان ينقص — حسنهن سوى العلوم!
أعددت أجناداً وما — عوَّدْتَها صد القروم!
يا عبرة لذوي البصائر — في الحميد وفي الذميم
قل للذين سيخلفونك — من عدو أو حميم:
شرُّ الممالك ما يساس — سياسة البغي الوخيم
ما في العروش على الجهالة — والغباء بمستقيم
أترى ينم "ابن السعود" — إذا استوى عن طيب خيم
فيؤلف الوحدات طيِّـ — ـبة المنابت والأروم
ويهيب بالآحاد يوقظها — وبالحشد الجسيم
أو يستبد كما استبد — مجانب السنن القويم
فيبيت يجرع ما تجرَّ — عه سواه من سموم
ما كان والله "الحسين" — الشيخ بالشيخ النؤوم

لكــن من خــــاف الهــــزيم   رمــتــه صــاعــقــة الهــزيم
من حــاد عن شــرك العمــوم   اصطـاده شـــرك الغــمــــوم
طلــب الســـــلامـــــة بالـونى   فــــإذا بـه غـــيـــر الـسلـيم

ولما تنازل الحسين عن عرش الحجاز، ونودي بـابنه علي ملكاً على الحجاز اجتمع أعضاء مجلس الوزراء، وقرروا المبادرة بإخراج الحسين من الحجاز ومفـاوضة السلطان عبدالعزيز بن عبـدالرحمن السعود في أمر الصلح.

وفي يوم الخـمـيس عـاشر ربيـع أول سنة ثلاث وأربعين وثلاثمـائة وألف سافر الحسين إلى "جدة"، وظل بهـا إلى يوم أربعة عشر من شهر ربيع الأول، ثم سافر مع عائلته إلى "العقبة". ودخل الملك الجديد علي ابن الحـسين "مكة" المشـرفـة بعد سـفـر والده، فـوجد أهلهـا في أشـد حالات الخوف والهلع، فاطمأنوا لما يتـرقبون من إجراء صلح بينه وبين السلطان عبدالعزيز، وقد كـتـب الملك علي للسلطان عبدالعزيز؛ يطلب المفاوضة في الصلح وتقريـر شروطه، فرد عليه عبدالعزيز برقـياً يخبره فيـه بأنه لا صلح ما دام أبناء الحـسين يتوارثون الملك في الحـجاز، وأن مصير الحجـاز يجب أن يقرره العالم الإسلامي. وعند ذلك أيقن الملك على أن لا طاقـة له على المقاومـة في "مكة"؛ لأن جـيشـه لا يزيد على أربعمائة جندي، فما وسـعه إلا أن يترك "مكة" ليلاً على حين غفلة من أهلها، فـخرج ليلة الأربعاء سـتة عشـر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وألف .

وكانت ولاية الأشراف للإمـارة بمكة المشرفة -وهم آل أبي نمي- من سنة ثلاث وخـمـسين وسـتمـائة هجــرية . ولم يكونوا مـسـتـقلين اسـتــقــلالاً تـامــاً ، بـل يعـين القـائم منـهم من قـبـل السـلاطين المسـلمين، ولم تخـل سـنة مـن سـني ولايتـهـم مــن الفتن واختـلال الأمـن في مكـة والطـرق المـؤديـة إليهـا.

ولما انتشر الخبر بمغادرة الملك علي انهلعت القلوب ووقف كل رجل حـيال داره يـفكر في أمره. ولمـا وصلت الأخبـار بالقـائديْن خـالد بن منصـور بن لؤي وسلطان بن بجـاد ، رحلا، ودخـلا مكة بجـيشـهمـا محـرميْن بالعمـرة وذلك يوم الخميـس سابع عشـر ربيع الأول من عام ثلاث وأربعين وثلاثمـائة وألف، وأقبـلوا إلى المسجـد الحرام، وطافـوا بالبـيت وسـعـوا بين الصـفـا والمروة، وحـلقـوا رؤوسـهم، وحلوا من إحرامهم، وأقبلوا إلى دار الحكومة وقصور الحسين؛ فاحتلوها، وصعد القائدان إلى المكان الـذي كان يجلس فيـه الحسين، فتـربعا فيـه، وأقبل عليهما أهل مكة يعلنون الطاعة للسلطان عبدالعزيز آل سعود.

ولم يسـفك دم رجل واحـد، ولانهـب لأحـد شيء، ولم يكن أهل مكة يتوقـعون ذلك، وكان ذلك بحسب الأوامـر الصادرة من السلطان عـبدالـعزيز المشـددة صـيـانةً لحرمـة مكة التي حـرَّمـهـا الله يوم خلق السـمـوات والأرض، واطمـأن الناس على أرواحـهم وأمـوالهم. ولما استقر المـقام بالقائدين كتب خالد بن لؤي إلى جمـاعة الحزب الوطني الحـجـازي كـتـاباً مـشـفـوعـاً بكتـاب من السـلطان عـبـدالعـزيز بن عبدالرحمن، جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود إلى كافة من يراه من إخواننا أهل مكة وجدة وتوابعها من الأشراف والأعيان والسكان والمجاورين، وفقنا الله وإياهم لما يحب ويرضى، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ولكم عهد الله وميثاقه على دمائكم وأموالكم، وأن تحرموا بحرمة هذا البيت الذي حرَّمه الله على لسان خليله إبراهيم ونبيه محمد ﷺ، وألا نعاملكم بعمل تكرهونه، وألاَّ يمضيَ فيكم دقيق ولا جليل إلا بمحكم الشرع، وأن نبذل جهدنا وجدَّنا فيما يؤمِّن هذا الحرم الشريف الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وألَّا نولي عليكم من تكرهونه، وألَّا نعاملكم معاملة الملك والجبروت ، بل نعاملكم معاملة النصح والسكينة والراحة... - إلى آخره - في ٢٢ صفر سنة ثلاث وأربعين » .

ولما تلقى الحزب الوطني هذا الكتاب كتبوا إلى خالد بن منصور بطلب هدنة، حتى يتقرر مصير الحجاز، وأجابهم الأمير خالد بكتاب يتضمن أن أمر ذلك عند السلطان عبدالعزيز، فأرسلوا إليه وفداً بقصد التفاهم ، فقطع عليهم البحث بقوله: أنتم مخيرون بين ثلاثة أمور : بين إخراج الملك علي من الحجاز، أو إرساله إلينا، أو مساعدة الجيش في دخول "جدة". وحينئذ انقطع أمل الحكومة الحجازية في المفاهمة مع السلطان عبدالعزيز، ونظموا خطوط الدفاع عن "جدة"، فنُصبت الأسلاك الشائكة، وبُثت الألغام.

وعلى أثر ذلك تجهز السلطان عبدالعزيز من "الرياض"، ووصل "مكة" المشرفة مساء الخميس سابع جمادى الأولى سنة ثلاث

وأربعين، ودخلها محرماً بالعمرة، واستقبله أهل "مكة" بالترحيب. وبعد أن استراح قليلاً ركب مع بعض حاشيته خيولهم، ولما وصلوا "باب السلام" ترجلوا، ودخلوا المسجد، وطافوا بالبيت، وسعوا بين الصفا والمروة وحلقوا، وحلوا من إحرامهم، وجلس السلطان للمسلِّمين والمهنئين.

ولما تم له فتح "مكة" المشرفة، واستقر الأمن في ربوعها من يوم وصوله وجه الجيوش والعتاد الحربي إلى "جدة"، ووجه ابنه الأمير محمد بن عبدالعزيز؛ لتسلم المدينة المنورة، وطوَّق جدة بالحصار إلا من جهة البحر، وأخرج الشريف علي جنوده لدفع الجيوش السعودية، فطردهم الجيش السعودي، وهزمهم شر هزيمة، ولم يخرجوا بعدها. وامتد الحصار من جمادى الثانية سنة ثلاث وأربعين إلى جمادى الثانية سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف. وفي اليوم السادس من الشهر المذكور اضطر الشريف علي إلى تسليم "جدة"، ورحل عنها إلى العراق . وفي تاسع عشر من جمادى الأولى سلَّمت حامية المدينة، ودخلتها الجيوش السعودية معلنين الأمان والاطمئنان. وبذلك تم فتح الحجاز بأجمعه، ولله الحمد والمنة.

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الثانية من هذه السنة بعث أهل "مكة" وفداً إلى السلطان عبدالعزيز ، وهو في مكة، ومعهم كتاب، هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. لحضرة صاحب العظمة الإمام العادل عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود أيده الله ، السلام

عليكم ورحمة الله وبركاته. المعروض إلى عظمة السلطان الموفق المعان أنه قد اجتمع الداعون الموقعون أدناه من أهل الحل والعقد بمكة المكرمة على تقريرالبيعة، راجين أن ينزل منكم منزل القبول، طالبين تعيين وقت عقد البيعة عند البيت العظيم».

وأرفقوه بصك البيعة، وهذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمدلله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. نبايعك - يا عظمة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - على أن تكون ملكاً على الحجاز على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- والسلف الصالح والأئمة الأربعة رحمهم الله . والحجاز للحجازيين هم الذين يديرون شؤونه، وأن تكون "مكة" المكرمة عاصمة الحجاز، والحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم».

وعلى أثر ذلك عيَّن السلطان عبدالعزيز يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر جمادى الثانية لعقد البيعة عند باب الصفا" خارج المسجد الحرام. وبعد صلاة الجمعة وصل السلطان عبدالعزيز ذلك المحل، واعتلى منصة الخطابة الشيخ عبدالملك مرداد، وقال:

«أحمد رب هذا البيت على ما أنعم به وتكرم؛ فقد منَّ علينا بنعم لا تحصى ومنن لا تستقصى، حيث أبدل خوفنا أمنا، وشدتنا رخاء، وانقشعت عنا غمة الحرب ، وساد في هذه الربوع السلم التام . ولقد توحدت الكلمة وأجمع الرأي على مبايعة السلطان عبدالعزيز آل فيصل آل سعود بالملك علينا، وتفضل -حفظه الله- بقبول هذه

البيعة منا بعد أن طلبناه ذلك، وإني أتلو عليكم -أيها الإخوان الحاضرون- نص وثيقة البيعة التي جرى الاتفاق عليها».

وبعد قراءة نص البيعة تقدم الناس أفراداً وجماعات يبايعون الملك، ويعاهدونه على السمع والطاعة. وأطلقت المدافع من "قلعة جياد" إيذاناً بتمام البيعة.

وبعد انتهاء البيعة سار جلالة الملك إلى البيت، وطاف به، وصلى ركعتين خلف المقام، وحمد الله، وأثنى عليه، وسأله التوفيق والإعانة على القيام بأعباء ما كلفه.

وفي سابع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف صدر أمر جلالة الملك بأن يطلق على جميع المملكة ، اسم "المملكة العربية السعودية"، وأقيمت الاحتفالات في جميع المدن بذلك.

ذكر اعتداء إمام اليمن على بعض المراكز في عسير وتسيير الجنود لتأديب المعتدين

في سابع رمضان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف علم جلالة الملك عبدالعزيز أن الجنود اليمنية قد احتلت مركز "المكرمي" سادة نجران ، فأمر جيشه بالاستعداد للحرب. وبعد فشل المفاوضات مع الإمام يحيى رأى الملك ردَّ المعتدين بالقوة.

وفي سادس ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة سار الأمير سعود بن عبدالعزيز في طائفة من الجيش وسار فيصل بن سعد بن عبدالرحمن بن فيصل في طائفة إلى "باقم"، وسار الأمير خالد بن

محمد بن عبدالرحمن بن فيصل إلى "صعدة" وأمر أمير "تهامة" حمد الشويعر بالتقدم إلى "حرض"، وأرسل ابنه الأمير فيصل بقوة على الساحل إلى "تهامة"، ولم تمض إلا بضعة أيام حتى استولت جنود الملك على كثير من البلاد اليمنية، وأبرق الإمام يحيى إلى جميع الدول الإسلامية يناشدهم الوساطة لإيقاف الحرب، فبادر المؤتمر الإسلامي بانتداب وفد من قبله مكون من: الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي بفلسطين ، وصاحب الدولة هاشم الأتاسي رئيس الوزارة السورية ، ومحمد علي علوبة وزير الأوقاف المصرية ، والأمير شكيب أرسلان، ووصل هذا الوفد إلى جدة في اليوم الثاني من محرم سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف، وفي ذلك اليوم نفسه وردت إلى جلالة الملك عبدالعزيز برقية من الإمام يحيى بطلب كف القتال، وأنه على استعداد لقبول شروط الصلح، فوافق الملك على شروط، أهمها: إخلاء "نجران" من القوة اليمنية، وتخلية الجبال، وفك الرهائن السجناء، وتسليمه للأدارسة. فتلكأ يحيى في قبول ذلك، ومضت جنود الملك في تقدمها، حتى استولى الأمير فيصل بن عبدالعزيز على مدينة "الحديدة" التي تعد مرفأ اليمن الأكبر، وذلك يوم السبت اثنين وعشرين محرم، واستولت على بلدة "الطائف"، و"بيت الفقيه"، و"الزيدية"، و"القطيعة"، وقدّمت له قبائل الزرانيق الطاعة ، فلم يسع الإمام يحيى إلا الرضوخ لقبول الشروط وتنفيذها ، فأخلى الجبال ، وفك الرهائن ، وعندئذ أمر جلالة الملك جيوشه بالاحتفاظ بالأماكن التي احتلتها وتوقيف القتال في جميع الجهات ، وسلَّم السيد الحسن الإدريسي، ومعه من عائلات الأدارسة نحو من ثلاثمائة نفس ،

وتسلَّمهم الأمير فيصل، فأكرم مثواهم. وحضر وفد من الإمام يحيى برئاسة عبدالله بن الوزير، ووقعت معاهدة بين الحكومتين، وصُدِّق عليها في سابع ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف، وساد السلام في تلك الربوع إلى يومنا هذا ؛ ربيع الثاني سنة ١٣٧٩هـ. ولله الحمد والمنة .

ذكر الاعتداء على الملك عبدالعزيز في المطاف يوم عيد الأضحى

في الساعة الواحدة من صباح يوم الجمعة عاشر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف شرع الملك عبدالعزيز ومعه ابنه الأكبر سعود ورجال حاشيتهما وحرسهما وثلة من الشرطة -وكان الحرس والشرطة من أمامهما وخلفهما وكان البيت على يسارهما- شرعا في الطواف . وبعد انتهاء الشوط الرابع التزم الملك الحجر الأسود ، ثم تقدم في سيره إلى أن حاذى باب الكعبة ، وإذا برجل يخرج من حجر إسماعيل منتضياً خنجره وهو يصيح بكلام غير مفهوم، وقابل أفراد الشرطة، فتلقاه رجل منهم؛ ليمسكه، فطعنه، وأمسكه آخر، فطعنه أيضاً، وفي هذه اللحظة جاء أخ للمجرم من خلف الموكب مما يلي الحجر اليماني ، فتلقاه عبدالله البرقاوي أحد رجال الحرس الملكي ، فأطلق عليه البندق فأرداه قتيلاً، أما الأول فإنه تقدم إلى الأمير سعود، وأهوى إليه بخنجره ، وأصابه منها خدش ، فعاجله حارس الأمير - المسمى خير الله- بطلقة من الرصاص، فأرداه قتيلاً، وفر الثالث هارباً، فرماه الحرس حتى سقط، ثم مات. وأمر الملك بإغلاق أبواب المسجد؛

لئلا يهرب الناس، ويشيع خبر الحادث، ويقع الاضطراب في الحجاج. وبعد أن سلَّم الله الملك وابنه سعوداً، وأهلك المعتدين أكمل الملك طوافه وسعيه، وحل من إحرامه، ورجع إلى "منى"، وأطمأن الناس، وهرعوا إلى سرادق الملك للتهنئة بالسلامة.

وبعد التحقيق والتدقيق تبين أن المجرمين من أفراد جيش الإمام يحيى، وقد أرسل إلى الملك وفداً للتهنئة والاعتذار أن ذلك لم يكن عن علمه، فقبل عذره، واشتدت نقمة الشعوب الإسلامية وسخطها على الذين لم يحترموا البيت الحرام ولا الشهر الحرام واليوم الحرام. وحسبنا الله، ونعم الوكيل.

وقعة السبلة وما جرى بعدها

سابقة : كان فيصل الدويش -رئيس قبيلة مطير- وسلطان بن بجاد -أحد رؤساء قبيلة عتيبة- من أكبر القواد في الجيش السعودي، وقد حالفهم النصر في جميع المعارك التي يقودانها؛ لما قدَّره الله وقضاه للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل من الظهور وقوة السلطان واتساع الملك، الذي كان فيه الخير والسعادة لعامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؛ فأمن في ذلك حجاج بيت الله الحرام على دمائهم وأموالهم بما لم يسبق له مثيل إلا في أيام الخلفاء الراشدين، أو في زمان جده سعود بن عبدالعزيز الأول حين امتد سلطانه على الحرمين وجزيرة العرب، فظن هؤلاء الأغبياء أنهم أحق بالسلطان والنفوذ وتدبير الملك من عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وظنوا أن شوكتهم أقوى من شوكته ورهبتهم في صدور الناس أشد من رهبته؛ فسولت لهم

النفوس الخروج من طاعته، وبثوا في أتباعهم أن عبدالعزيز خالف الشريعة، وأبرم معاهدات مع الدول أعداء الله ورسوله، واستعمل الآلات الحديثة كاللاسلكي، وركب السيارات بدل الخيل مراكب الأنبياء والصحابة وانضم إليهم ابن مشهور بمن تبعه من قبيلة عنزة، وكتبوا إلى ضيدان بن حثلين رئيس قبيلة العجمان ، وأجابهم بالموافقة على رأيهم، إلا أنه لم يظهر للملك عداء ولا مخالفة، وأخذوا يعدون العدة للقيام بثورة داخلية واسعة النطاق، فجمعوا جموعهم في روضة في نجد، تسمى "السبلة".

ولما علم بذلك الملك عبدالعزيز أرسل إليهم بعثة من العلماء ليكشفوا لهم الشُّبه التي استولت على نفوسهم في الأمور التي نقموها، ويقررون لهم الحق بالكتاب والسنة فلم يقبلوا، وأجابوا العلماء بأنكم نافقتم، وتابعتم عبدالعزيز لأجل الدنيا. ولما علم الملك بذلك أيس من ردهم إلا بالحرب والقتال، ويجري عليهم حكم البغاة. وأمر بتعبئة جيش من حاضرة نجد، وسار بهم إلى "بريدة"، وعسكر فيها، وسيَّر جيشاً بقيادة ابنه الأكبر سعود إلى مكان يقال له: "السنبقية"، وظل في "بريدة" إلى عيد الفطر سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف ثم أرسل إلى فيصل الدويش وسلطان بن بجاد، فدعاهم إلى الطاعة ولزوم الجماعة، فجاءه فيصل الدويش وحده، وأظهر له الطاعة، وطلب منه العفو عن كل من كان معه، فأجابه الملك إلى ذلك. ولكن مجيء الدويش لم يكن لهذا الغرض، ولكنه جاء؛ ليسبر قوة الملك ومراكز الجيش، وقال للملك : سنأتيك بعد شروق الشمس.

وكان عبدالعزيز قد أرسل جواسيس؛ ليطلعوه على ما يدبرون من الأمر، فجاء الجواسيس، وأخبروه أن فيصلاً لما رجع إلى قومه قال لهم: إن عبدالعزيز ليس معه من الجند من يكافئكم، وإنما معه شرذمة قليلة من الحضر لا علم لهم بالقتال، فتهيؤوا لقتاله والقضاء عليه، فسوف تكون المملكة لنا.

ولما طلعت الشمس ولم يرجع فيصل الدويش إلى الملك عبدالعزيز عرف أنهم محاربوه لا محالة، فأمر جنده بالاستعداد، وجعل ابنه سعوداً قائد الميمنة، وأخاه محمد قائد الميسرة. وفي صبيحة يوم السبت تاسع عشر شوال سنة ١٣٤٧هـ أمر جنده بالمسير لقتال العصاة والبغاة، وقد تمالأ أنجال الملك وإخوانه وأبناء عمه على منعه من مباشرة القتال بنفسه، ولكن لم يقدروا على مصارحته بذلك، فلما ركب الفرسان دعا بفرسه، وأُحضرت بين يديه، ولما همَّ بالركوب أحدقوا به، وحلفوا الإيمان المغلظة عن عدم ركوبه، وأنهم سيكفونه ذلك إن شاء الله ، وبعد أخذ ورد أجاب طلبهم، وأمرهم بالمسير والتوكل على الله تعالى ، ثم ذهب إلى ربوة، وأحرم بركعتين، وجعل يتضرع إلى الله تعالى ، ويسأله النصر.

ولما تراءى الجمعان أطلق الجيش السعودي رصاصهم فهيَّأه الله لإصابة الهدف، فأباد الصف الأول بأجمعه، وجُرح فيصل الدويش جرحاً أثخنه، وعُقر فرسه، وعُقر من خيل البغاة معظمها. فلما رأى البغاة ذلك عرفوا أن الله قد أذلهم وسلبهم العز والكرامة، فانهزموا لا يلوي أحد على أحد ، ولم يقتل من الجيش السعودي إلا نفر قليل ،

وفر فيصل الدويش وسلطان بن بجاد إلى "الأرطاوية". وجاء البشير إلى الملك عبدالعزيز، فخر لله ساجداً وأكثر الدعاء والحمد. وحينما وصل الدويش "الأرطاوية" جهز النساء والأطفال إلى الملك؛ يسألونه العفو والصفح. ولما رآهم الملك يبكون بكى لبكائهم، وأصدر أمره بالعفو عن فيصل الدويش وعن ابنه عبدالعزيز، وكذا فعل سلطان بن بجاد، فقد كتب للملك في طلب العفو، فأجابه الملك على شرط أن يسلِّم نفسه فسلم نفسه، فسجنه الملك حتى مات.

ذكر ما حدث بين أمير المنطقة الشرقية عبدالله بن جلوي وبين العجمان وما تلا ذلك من الحوادث

كان ضيدان بن حثلين -رئيس قبيلة العجمان- ثالثة الأثافي، وكان من المتآمرين ضد الملك عبدالعزيز، وكانت الرسل تتردد بينه وبين الدويش، إلا أنه لم يحضر وقعة "السبلة" ولا أحد من قبيلته. وكان أمير المنطقة الشرقية عبدالله بن جلوي بن تركي يعرف دخيلة نفسه، فجهَّز ابنه فهداً في سرية، ومعه نايف أبو الكلاب -أحد أفراد أسرة الحثلين- إلى "الصرار" هجرة ضيدان بن حثلين ؛ للقبض على ضيدان؛ لإطفاء جمرة البغاة والقضاء عليهم . فسار فهد بن عبدالله في ذي القعدة سنة سبع وأربعين، ونزل على بعد مسيرة أربع ساعات من "الصرار"، وأرسل إلى ضيدان كتاباً يقول فيه : إنه يريد الغزو على بعض القبائل المتمردة ، ويرغب في مقابلته لمشاورته والأخذ برأيه، فكتب له ضيدان يدعوه لدخول "الصرار" للضيافة والمشاورة ، فأبى إلا

أن يأتيه بنفسه. فاستشار ضيدان بعض جلسائه، فأشاروا عليه بعدم مقابلته، فأجابهم: إني لم أدخل في الفتنة، ولا أحب إظهار المخالفة. وخرج من "الصرار" مع خمسة رجال على خيولهم، وقدموا على فهد. وبعد تناول القهوة دعاهم رجل من خاصة فهد لتناول القهوة في خيمة خاصة، ولما استقروا فيها أمر فهد بتقييدهم بالحديد لإرسالهم إلى والده، وبقوا مكبلين بالحديد بقية يومهم. ولما جاء العشاء ولم يرجع ضيدان إلى بلده أيقن قومه بالشر ، فخرجوا على بكرة أبيهم لمهاجمة فهد ، وفك ضيدان بالقوة ، ولما قربوا من السرية أحاطوا بها ، وأطلقوا عليها الرصاص ، وحينئذ أمر فهد بن عبدالله بقتل ضيدان ومن معه ، فضُربت أعناقهم ، والتحم الفريقان ، فيقال : إن نايف ابن حثلين والذين معه من العجمان خرجوا مع فهد من "الأحساء" حين علموا بقتل ضيدان تمكنوا من قتل فهد بن عبدالله بن جلوي ، وتحيزوا إلى قومهم وقضوا على تلك السرية، وأخذوا جميع معداتها وذخائرها وأسلحتها، واقتسموها. وانضم نايف أبا الكلاب إلى قبيلة العجمان ، وتزعمها ، ثم غادروا هجرتهم "الصرار"، وساروا إلى جهة الشمال ، وكان الملك عبدالعزيز قد سافر إلى "مكة" لحضور موسم الحج.

وحينما بلغ فيصل الدويش خبر الحادث، وقد عادت إليه صحته، واندملت جراحه بادر إلى نقض العهد، وسار هو وابنه ومن أطاعه من قبيلة مطير إلى العجمان، وانضم إليهم، وجاءهم -أيضاً- ابن مشهور في جماعته من عنزة، ولما اجتمعوا عقدوا العزم على احتلال

"الأحساء" والمدن الساحلية كالجبيل والقطيف، وساروا متجهين لتنفيذ خطتـهم، وفي طريقهم قـيل لهم: إن أحـياء من قـبيلة العـوازم نازلون على مـاء يقـال له: رضى، فطمـعـوا في أخذهم والـتقـوي بأمـوالهم، فـساروا إليـهم وصبـحـوهم وهم غارون لا يعلمـون بهم، فـهبُّـوا في وجوههم مدافـعين عن أموالهم وأهليهم، وأنزل الله عليـهم النصر من السمـاء، فقـتلوهم بالرصاص والسـيوف والسكاكين وعـمد البـيوت وبالحجـارة، وقتلوا حـملة الرايات، وأخـذها العوازم، وهزمـوهم شر هزيمة لا ينمحي عارها. وكانت هذه أكبر وأفحش في نفوسهم من كل شيء؛ لأنهم يرون أن العـوازم لا يكافـئونهم في الشـرف والشـجاعـة والعدد والعدة. وفقدوا بذلك اعتزازهم بأنفسهم ومكانتهم الرفيعة عند الناس، وأمَّن الله البلاد من شرهم.

وبعد مدة لا تزيد على شهرين أرادوا أن يستعيدوا شرفهم وحسن سمعتهـم وهيبتهم التي هزت جزيرة العرب والعراق والشام، فـجمعوا فلولهم، وكانت الـعوازم تترقب غـزوهم، فاجتـمعوا على مـاء يسمى "نقـير"، فـسار العـجمـان والدويش وابن مشـهور إليـهم في "نقيـر"، وأغاروا عليهم، فهزمهم العوازم شـر هزيمة، وقتلوا كثيراً من رجالهم، فعادوا خائبين.

ولما يئسوا من بسط نفوذهم في المنطقة الشرقية اتجهت أنظارهم إلى الغزو في الجهة الشمالية في جهـات شمر وعنزة، فانتقى فيصل الدويش البقيـة الباقية من أهل النجدة والفـروسية والشجاعـة من مطير، وكذلك فعل نايف أبا الكلاب، فـانتقى من قبيلة العـجمان من يثق بشجـاعتهم،

فاجتمع منهم ستمائة فارس، وقائدهم عبدالعزيز بن فيصل الدويش، فأغاروا، وأخذوا شيئًا من الإبل، وانصرفوا. فجاء الخبر أمير حائل عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي بن تركي، فخرج في سرية، وعرف أن قفولهم وطريقهم لا يكون إلا على ماء يسمى "أم رضمة"، فنزل عليه، فبينما هو في انتظارهم وردوا في يوم صائف، وقد تعالى النهار، وهم في أشد الحاجة إلى الماء، فثار في وجوههم، وأطلق عليهم النار فقتلهم، وقتل قائدهم، ولم ينج منهم إلا الشريد، وخضد الله شوكتهم. وعرف الدويش وزميله نايف أبا الكلاب أنهم إذا قبض عليهم الملك عبدالعزيز بعد هذا الغدر الشائن أن مصيرهم الموت لا محالة، فذهبوا كلاجئين إلى ملك العراق؛ ليحتموا بالدولة الإنجليزية، وكان أكبر أسباب الخلف بين الملك عبدالعزيز وفيصل الدويش هو غارة الدويش على مركز "البصية" في الحدود بين المملكة العربية السعودية والمملكة العراقية، وما كادوا يصلون إلى العراق حتى قبضت عليهم الحكومة الإنجليزية، وكتبت إلى الملك عبدالعزيز بتسليمهم إليه، وسار جلالة الملك إلى "خبارى وضحا" في جهة الكويت.

وفي يوم الإثنين عشرين شعبان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وألف نزلت طائرة المعتمدين السياسيين في الخليج العربي والمعتمد السياسي في الكويت ومعاون قائد الطيران بالعراق عند سرادق الملك عبدالعزيز، واستمرت بينهم المفاوضات إلى يوم سابع وعشرين من شعبان تقرر بمقتضاها أن تطرد الحكومة العراقية اللاجئين من قبائل العجمان ومطير من الأراضي العراقية حتى تدخلهم حدود نجد، وأن

تُحضر طائرة بريطانية الدويش ورفيقه نايف أبا الكلاب وابن لامي إلى الملك عبدالعزيز.

وفي صباح يوم الثلاثاء ثامن وعشرين شعبان عادت إحدى الطائرات البريطانية إلى جلالة الملك بالدويش وزميليه، وسلموهم إليه. ولما استقر بهم المكان قال الملك للدويش: أما تخاف الله، ما الذي حملك على هذه المخازي؟! فأجاب بالبكاء والاستغفار، وقال: لا أعظم من هذا الخزي أمام أهل "نجد". وأمر الملك بسجنهم في "الرياض"، فذهبوا بهم إلى الرياض وماتوا في سجنهم، وأراح الله الملك والمسلمين منهم، واستقر الأمن في جميع أنحاء المملكة إلى يومنا هذا ؛ عام التاسع والسبعين وثلاثمائة وألف، تسير القوافل من الشام إلى اليمن ومن كل جهة لا تخشى إلا الله. ولله الحمد والمنة.

ذكر أخذ البيعة بولاية العهد لسمو الأمير سعود بن عبدالعزيز

بعد أن استقرت الأحوال في البلاد، وأمنت من الفتن أمر الملك عبدالعزيز باجتماع مجلس الشورى لاختيار من يصلح لولاية العهد، فاجتمعوا، واتخذوا القرار الآتي:

الحمد لله لا إله إلا هو ، مصرف الأمور ؛ فلا معقب لحكمه ، ومدبر الكائنات؛ فلا راد لقضائه، نحمده على ما أنعم به علينا من نعمة الإسلام الذي جعله دين صفوته من بريته، وخص به من استخلصه من أهل طاعته، وأقامه نبراساً نهتدي به، ونستنير. أما بعد، فإن حضرة صاحب الجلالة ملكنا العادل الموفق لنصر السنة

عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية -أيده الله ، وأطال في عمره، وأدام تأييده ونصره، ووفقه لطاعته ومرضاته - لما رأى بعين حكمته الساهرة على راحة رعاياه، والعاملة على تثبيت دعائم هذا الملك العربي الوطيد، وتشييد أركانه، وإدامة تسلسله، ويسير في ذلك على المنهاج الذي سار عليه خلفاء المسلمين وملوكهم أن يعقد البيعة بولاية العهد لمن كان مستجمعاً للشروط الشرعية المرعية.

هذا، ولما كان حضرة صاحب السمو الملكي سعود -نجل صاحب الجلالة الأكبر - قد تحلَّى بكافة الأوصاف الشرعية الواجب توفرها في من يخلف ولي الأمر أمد الله في عمره ، وقد اشتهرت صفاته الممتازة بين الجميع ؛ فإننا عملاً بالمأثور نبايعه ولياً لعهد المملكة العربية السعودية ، نبايعه على السمع والطاعة على كتاب الله وسنة رسوله ، ونسأل الله له الهداية والتوفيق، وقد أخذنا هذه البيعة على أنفسنا، وعلّقناها في أعناقنا ، ونشهد الله على ذلك وهو خير الشاهدين . وقد تم ذلك في يوم الخميس المبارك الموافق سادس عشر محرم من العام الثاني والخمسين وثلاثمائة وألف هجرية.

رئيس مجلس الوكلاء	**رئيس القضاة**	**عضو التدقيقات**
فيصل	الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ	محمد المرزوقي

قاضي مكة المكرمة

أحمد قاري

أعضاء مجلس الوكلاء ومجلس الشورى

يوسف ياسين، فؤاد حمزة، عبدالله السليمان الحمدان، عبدالله المحمد الفضل، صالح شطا، محمد شرف رضا، عبدالله الشيبي، عبدالوهاب نائب الحرم، محمد المغيربي، عبدالوهاب عطار، أحمد إبراهيم الغزاوي، عبدالله الجفالي، حسين بن عبدالله باسلامة».

ورفعوه إلى جلالة الملك، فوافق عليه، وأبرق إلى سمو الأمير سعود برقم ٢٧٥ وتاريخ ١٨ محرم سنة ١٣٥٢هـ برقية، هذا نصها:

«الرياض - الابن سعود

لقد أحطت علماً بما ذكرت، أما من قبل ولاية العهد فأرجو من الله أن يوفقك للخير ، تفهم أنا والناس جميعاً لا نعز أحداً ، ولا نذل أحداً ، وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى ، ومن التجأ إليه نجا ، ومن اغتر بغيره -والعياذ بالله- هلك. موقفك اليوم غيره بالأمس، فينبغي أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور:

أولاً: نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك وديدنك إعلاء كلمة الله ونصر دينه، وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه في أوقات فراغك، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة، وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك على برهان وبصيرة في الأمر وصدق في العزيمة، ولا يصلح مع الله إلا الصدق.

ثانياً: عليك أن تجد وتجتهد في النظر في شؤون الذين سيوليك الله

أمرهم بالنصح سراً وعلانية، والعدل في المحب والمبغض، وتحكيم هذه الشريعة في الدقيق والجليل، والقيام بخدمتها ظاهراً وباطناً، ولا تأخذك في الله لومة لائم.

ثالثاً : عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامة وفي أمر أسرتك خاصة؛ اجعل كبيرهم لك أباً، ومتوسطهم لك أخاً، وصغيرهم ولداً. وأَقِلْ عثرتهم، وانصح لهم، واقضِ لوازمهم بقدر إمكانك.

فإذا فهمت وصيتي، ولازمت الصدق والإخلاص في العمل فأبشر بالخير. وأوصيك بعلماء المسلمين خيراً، احرص على توقيرهم، ومجالستهم، وأخذ نصحهم، واحرص على تعليم العلم؛ لأن الناس ليسوا بشيء إلا بالله ثم العلم ومعرفة عقيدة التوحيد . واحفظ الله يحفظك . وهذه مقدمة نصيحتي إليك ، والباقي يصلك إن شاء الله ، سيبايعك الناس في الحجاز يوم الإثنين، وسيقبل البيعة عنك أخوك فيصل، وسيصل هو وأفراد الأسرة لتبليغك بيعة أهل الحجاز، وليبايعوك عن أنفسهم، وأرجو من الله أن يوفقك للخير».

وفي يوم الإثنين المذكور بايع أهل الحجاز، وأخذ البيعة الأمير فيصل، وبايع أهل الرياض الأمير سعود نفسه، وأهل الأحساء الأمير عبدالله بن جلوي نيابة عن ولي العهد، وكل أهل بلد بايعوا أميرهم بالنيابة عن ولي العهد، وأقيمت الاحتفالات في كل بلاد ، ومُدَّت الموائد للناس ، ورفعت التهاني لسمو الأمير سعود ، ومما قيل في هذه المناسبة قصيدة للشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد رحمه الله ، وهي هذه:

ابسط يميناً نشت في الجود والكرم لبيعة عقدت في الحل والحرم

ولاية ما انقادت أزمَّتُها إلا إليك وقد جاءتك من أمم

فقلت للناس: إن الأَمر متَّسق وقد أحيط بعهد غير منفصم

لا تحسبوا أنها غوغا يدبرها جلف من البدو أو علج من العجم

هذي يقوم بها شَهْم أسنَّته من حين نشأته ممزوجة بدم

يا بن أفضل موجود بطلعته في عصرنا من سراة الناس والأمم

جئنا نُهنيك باليوم الذي طلعت لك السعود على الأنجاد والتهم

الله سَرْبَلَكم بالملك مصلحة للعالمين بحفظ الدين والذمم

فمن رُبى بلد الزيتون دان لكم إلى "عمان" ومن "شار" إلى "نقم"

فإنِ مدحت ففخر لا أعاب به كأول المدح في غسان أو لخم

أبناء ذروة هذا الملك قد فرعوا سنامه بسنان غير متهم

قاموا على نور حق يُستضاء به كطالع البدر يجلو غيهب الظلم

هذا "سعود " بدا بالسعد طالعه ما يختفي عن جميع الناس كالعلم

أتت له زُمَر من كل ناحية تحدى إليه بنات الأينق الرسم

أكرِمْ بها بيعةً تمت لصاحبها تدوم في حلل الأفراح والنعم!

هذا اليقين الذي كنا نؤمله انظر ترى لمحا في أول الكلم

ثم الصلاة على الهادي وشيعته ما غرَّد الطير في الأجزاع من" إضم"

وقال مؤلف هذا الكتاب في هذه المناسبة :

بدا طالعُ الإقبال يتبعه السعدُ غداة "سعود" الملك تم له العهدُ

فثغر الهدى والمجد يبسم بالهنا ووجه عدو الله بالذل يسود

لك الشكر -يا ألله- وطدت ملكنا وجددت ذا الإحسان، ربي لك الحمد

جمعت أمور المسلمين على الذي به تفتح الخيرات والشر ينسدّ

مـبارك مـيـمـون النقيـبـة باسل ... ضحوك إذا ما الباس بالناس يشتد

يرى الهول هوناً من عظيم حفاظه ... مضى من مضاه السيف والفرس الورد

يداه : يد تندي نـوالا على الورى ... فـسـائلـه المعـروف لـيس له رد

وأخرى أسالت بالفرند دم العدى ... وليس بغـير الشر ذو الشـر يرتد

حلـيم إذا مـــا الحلم زين أهـلـه ... لطيف وفي الهيجاء فالصارم الصلد

خـلافـته زال الخـلاف بعـقـدها ... وأكـــدها فــينا المحــبـــة والود

فيا بن مليـك العرب والأوحد الذي ... به عز حزب اللـه وانخذل الضد

أعـاد لأبنـاء العـروبة مــجـدها ... ونالت فـخـاراً لا يـحـد له حـد

ليــهنك إذ نلنـا الهناء ببـــيـعـــة ... تقلدها الناشي ومن ضـمه المهـد

فراع بحسن العـطف منك رعية ... جـميل رجـاها في جنابك ممتـد

فأنت "سعود" لـيس سعدك واحداً ... ففي كل يوم منك يبـدو لنا سعد

ودونك من أرض "المبـرز" مدحـة ... يفـوح لهـا من نشـر عليـاكم ند

مـؤلفـهـا مَنْ حــبُّكم في فـؤاده ... مكين وعن رؤياك قد عاقه البعد

وذاك "ابن عبدالقادر" المخلص الذي ... إلى الخزرج الأنصار يسـمو به الجد

وخزرج للأزد بن كهـلان ينتمي ... وحسبي إلى قـحطان إذ ينتهي العد

ودُمْ بأمان الله فـي عيشـة الرضا ... تدوم مع التمكين ما قـهقه الرعد

تحـــوط ذمـار المسلـمين بهـمَّـــة ... يكلِّلـهـا النـصـر المؤيد والمجـــد

عليكم سلام الله مـا هبت الصبا ... وما اخضرت الأعشاب والبان والرند

ومـا قال مـسرور الفـؤاد ببـيعـة ... "بدا طالع الإقبـال يتبعه السـعـد"

وفي هذا المعنى قـصائد كـثيرة، ومن ذلك العـهـد والمملكة العربيـة السـعـودية تتقـدم من حسن إلى أحـسن ، قد عـمَّهـا الأمن، وشملهـا

العـدل، واتسع الرزق، وكـثرت مـوارده، وعم اليـسـار معظـم طبقـات الشعب؛ بما أجـرى الله في جهات "الأحـساء" من منابع الزيت، ببـركة هذا الملك المصلح، فقـد طبّق في مملكته الأحكام الشـرعية التي جـاء بها القـرآن، ونطقت بها سنة النبي الكـريم محمـد بن عبـدالله ﷺ، فقُـتل القاتل، وقطع يد السارق، وجلد شـارب الخمر، ورجم الزاني المحصن، وشدّد العـقاب على المفسـدين والعابثين بالأمن، فنعـمت البلاد بأمن لم تكن تحلم به، ولم يحصل لغيرها من رعايا الدول الكبيرة المتمدنة، وأقام الدليل الواضح على أن شـريعة الإسـلام هي الشـريعة الكفـيلة بسعـادة البشر في كل زمان ومكان، فجزاه الله عن المسلمين خيراً.

ذكر وفاة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي رحمه الله وعفا عنه بمنِّه

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(*). في اليوم الثالث من شهر ربيع الأول ، في الساعة الثالثة ، عام ثلاث وسبعين وثلاثمـائة وألف هجـرية توفي جـلالة الملك عـبدالعـزيز بقـصـره بمدينة "الطائف" بحضـرة ولي عهده ابنه سعود ، وابنه فـيصل وحاشيـته ، وبعد تجهيـزه والصلاة عليه نُقل جثمـانه بالطائرة إلى مدينة "الرياض"، وصُلِّي عليه في الرياض أيضاً ، ودُفن في مقـابر آبائه الكرام ، ولـم تغرب شمس ذلك اليوم حتى عمَّ نبأ وفاته جميع الأرض ، وعمّ الحزن جميع المسلمين في مـشارق الأرض ومـغـاربها ؛ وذلك لأنه الملك الـوحيـد الذي حكَّم الشريعـة في جميع الأمـور صغـيرها وكبـيرها ، وهـي الدستور الوحـيد

(*) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦-٢٧.

المقدس في بلاده، ولما قام به من تأمين حجاج بيت الله الحرام والسهر على راحتهم ورفاهيتهم، وأقرَّ زعماء الغرب وساستها وكتابها بكمال صفاته الكريمة، ودماثته، وقوة عقله وذكائه، فلم يستطع أكبر سياسي منهم أن يغلبه على شيء من أمره، أو يخدعه بدهائه ومكره، وقد صرح الكثير من كبارهم أن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود من الرجال الأفذاذ الذين لا يوجدون إلا في أوقات نادرة، وكان ملكاً مهاباً وهَّاباً، وشجاعاً باسلا حازما، منفّذاً لأحكام الشريعة، لا يحابي في ذلك أحداً ولو كان ولده أو أخصَّ الناس به، وكان موفقاً في جميع تصرفاته؛ كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق، وصولاً للرحم، لم يعاقب أحداً من قرابته ولو عظمت إساءته إليه. فانهالت التعازي من جميع أنحاء المعمورة إلى خليفته وولي عهده الملك سعود، ونُظمت المراثي من شعراء الشام ومصر والمغرب واليمن والحبشة وزنجبار والعراق والمملكة العربية السعودية وعمان والبحرين. ونرجو من المطلعين عليها أن يجمعوها ويطبعوها، والشعر ديوان العرب يحفظ مجدهم للأجيال القادمة.

وقد ظفرنا من تلك المراثي بمرثية من نظم الأمير الكريم الشيخ أحمد ابن الأمير الشيخ محمد بن عيسى بن علي بن خليفة في الملك الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود :

... .	واستلهموا السلوان عن فقدانه
.. .. على الضريح فإنه	قبر يضيء المجد من أركانَهَ
ذا قبر ضرغام الجزيرة فاقرؤوا	سيَراً له كُتبَتْ بحدِّ سنانه
هذا الذي نشر الوئام وهللت	مَن فضله الدَنيا ومن إحسانه
إن تسألوني -يا رفاق- فإنه	قد مات بعد السبق في ميدانه

إن ... غسّلتْه وإنها | لَفَّتْه بعد الموت في أكفانه
وسرت به نحو الخلود لعالم | ما دبّت الأحقاد في إنسانه
سارت به والطهر ملء ركابه | وشذا الفخار يفوح من أردانه
بكت المكارم يوم شُيِّع نعشُه | وتهاوت العليا على جثمانه
واشتد في قلب الطبيعة هاتف | شاجي الدويِّ يرنّ في أكوانه
نوحوا على بطل العروبة واندبوا | نسراً رماه البين عن طيرانه
وارتدت الأعراس محض كآبة | والطير صبَّ الحزن في ألحانه
مات الإمام وكيف أصبح نازحاً | عن عرشه السامي وعن تيجانه؟
"عبدالعزيز" فتى الملاحم والوغى | من فاز بالإكليل عن أقرانه
هو ملهم الصحراء والبطل الذي | تكبو جياد الخيل في ميدانه
هذي البوادي قد صحت من نومها | من صوته الداعي ومن إيمانه
هو في الصحارى النائيات محارب | يطأ المخاوف والردى بجنانه
إن هب في الهيجاء في يوم الوغى | هبَّ العُلا والمجد يستبقانه
أحيا تراث المسلمين بعهده | وأقام ركن المجد في سلطانه
وأعاد بالسيف الصقيل لقومه | ما تعجز الأبطال عن إتيانه
لم يحتفل بحضارة الغرب التي | قد سار منها الغرب في طغيانه
كانت عقيدته ومنهج حكمه | ما قاله الرحمن في قرآنه
أين (الأُربا)(*) من حصافة رأيه | فالغرب يعجز عن نباهة شانه
هو إن سرى نحو الجهاد سرى على | قبس من الإيمان في وجدانه
فيرى على ظهر الجواد ملثّماً | متقدِّماً أبداً على فرسانه
والسيف في يده يلوح كأنه | برق يكل الطرف من لمعانه
ملك أقام على الهداية عرشه | وبنى فكان العز في بنيانه

(*) يقصد (أوربا) .

ما قيل يوماً: ظالم في حكمه أبداً فإن العدل في ميزانه
قد عاش في الدنيا تقيّاً خاشعاً ومضى وذكر الله فوق لسانه
الشرق مهد الملهمين وملعب لفوارس جلبت لصون كيانه
إن العباقرة الألى ساسوا الدنا خفقت قلوعهم على خلجانه
والمنشدون على اختلاف نبوغهم غنت مزاهرهم على كثبانه
هو مهبط الوحي القديم وموطن روح الوفاق تدب في سكانه

وقد ألَّف الكُتَّاب في تاريخ حياته وسيرته وفتوحاته وإصلاحاته مؤلفات كثيرة، ومما اطلعنا عليه تاريخ أمين الريحاني، وقلب الجزيرة لفؤاد حمزة، وكتاب الجزيرة لحافظ وهبة، وكتاب الملك العادل للسيد عبد الحميد الخطيب.

وكتب الكُتَّاب الكبار في المجلات الشهيرة مقالات مسهبة عن هذا الملك الجليل، فمنها ما كتبه وديع فلسطين، فقال:

«ليس بين الملوك المعاصرين ملك كعبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود؛ كان ذا هدف وغاية منذ أيامه الباكرة، أما هدفه فهو توحيد الجزيرة العربية ونشر الأمن والنظام فيها، وقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً شهد له به الأعداء، وأما غايته فهو أن يرقِّي بلاده؛ حتى يجعلها في الرعيل الأول من الدول الاقتصادية المنيعة، وقد خطا في هذا المضمار خطوات واسعة، أهمها كشف منابع الزيت في إقليم "الأحساء" وما ترتب على ذلك من نهضة شملت الصحارى الجدب، فجعلت الذهب أسوده وأصفره يسيل في جزيرة العرب، وهي اليوم تتطلع إلى الذهب الأبيض وهو القطن. إن عبدالعزيز لم يتعلم ثقافة

غير ثقافة القـرآن، ولـم يتعلـم من الفنون إلا فنون الكرّ والفرّ، ولـم يترك بلاده إلا مـرتين : أولاهمـا إلى البحـيـرة المرة، حيث اجـتـمع برئيس الولايات المتــحـدة (روزفلت) ورئيـس وزراء بريطانيـا (تـشـرشل)، وثانيتـهما حين زار مصـر، وصار ضيفـاً كريماً. وصار عبـدالعزيز ملكاً على بلاده ثلاثاً وخمسين سنة، وصان لبلاده استقلالها».

وقد سُجِّل تاريخ ابن سعود بأقلام أكابر الكُتَّاب أمثال (مستر ونج)، و(فيلبي) ، و(جورج خير الله)، و(توتشل) ، وسيقال : إن أعظم عمل أقـدم عليه الملك الـسعـودي هو استـخـراج الزيت من باطن الأرض ، فصـارت المملكة العربيـة السعـودية الدولة الثالثـة المنتـجـة للزيت في العالم ، ووقف في مواقف الكرامـة ، رجلاً لا يهاب أحداً ، ووقف في موقف الشـهامة أريحيـاً ، لا يضـارع ، فتح بابـه للاجئين السيـاسيين ، وأبى أن يسلـم واحداً منهم ، وأبرز أولئك اللاجئين اليوم : رشيد عالي الكيلاني بطل الثورة العراقيـة ، والدكتور أمين رويحة . وكان ملكاً من هامـته إلى قـدمه ، وصـار ساسـة العـالم يسعـون إليه خـاطبين الود ، فيستقبل في قصره ملوكاً وأمراء وزعماء في المواسم وغير المواسم .

ذهب الملك الذي ليس له فـي التاريخ الحـديث مثيـل، حقّق أحـلام شبـابه، وظل حتى ودع الدنيا وفـياً للرسالـة التي كابد المشاق في سـبيل أدائهـا، وترك وراءه أمة عـربيـة مكلومـة بمصابه، تشـاركـها أسـاها أمم العروبة جمعاً، وأمم ما وراء البحار.

وكان له -رحـمه الله- جملة من الأولاد، أكـبرهم ولي عهـده جلالة الملك سعود، وولي عـهد سعود ووزير الخارجـية الأمير فيـصل، والأمير محـمـد، والأميـر خـالد ، والأمير عـبدالله ، والأمـير سلطان ، والأمـير

ناصر، والأمير بندر، والأمير مساعد، والأمير متعب، والأمير سلمان، والأمير مشعل، والأمير عبدالمحسن، والأمير فهد، والأمير مشاري، والأمير طلال، والأمير فوّاز، والأمير عبدالرحمن، والأمير نواف، والأمير عبدالإله، والأمير بدر، والأمير نايف، والأمير ثامر، والأمير عبدالمجيد، والأمير ممدوح، والأمير مشهور، ونسأل الله أن يجعل الخير فيهم وفي أعقابهم إلى يوم القيامة، ويجعلهم من أنصار دينه وإعلاء كلمة التوحيد، ورحم الله والدهم، وأسكنه الجنة برحمته.

ذكر ولاية جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز

على أثر وفاة الملك عبدالعزيز بايع الناس عامة جلالة الملك سعود، ولم يتخلف عنها أحد، وجعل ولي عهده أخاه فيصلاً، وكان الملك سعود -حفظه الله- السلوانة الكبرى والبلسم الشافي لذلك الجرح الدامي، فضمَّد جراح المسلمين بما أسدى إليهم من المعروف، وساوى فيه بين الشريف والمشروف، فقام برحلات عامة إلى جميع مدن المملكة وقراها وبواديها، وأسبغ العطاء على جميع الفقراء والضعفاء، وساعد المنكوبين، وفرّج كرب المكروبين، وقضى كثيراً من دين المدينين، وإذا كانت المدينة أو القرية محتاجة إلى شيء من الإصلاح، أو بناء مسجد، أو إجراء ماء، أو بناء مدرسة لم يفارقها حتى يأمر بإصلاح ما تحتاج إليه، وفي كل سنة يقوم بجولة في جميع أنحاء المملكة إلى عامنا هذا عام التاسع والسبعين وثلاثمائة وألف .

وأول زيارة قام بها إلى الأحساء بعد توليه الملك في سادس عشر ربيع الثاني سنة ١٣٧٤هـ ، فأقام له أهل "الأحساء" مهرجاناً عظيماً في "محاسن" في الصحراء الغربية المحاذية لبلد "المبرز"، وألقيت فيه

القصائد والخطب الترحيبية بجلالته، وفي اليوم الثاني أقام له أهل "المبرز" احتفالاً شائقاً على "عين أم السبعة" الشهيرة في الأحساء، وزُينت العين وساحاتها بأنواع الزينة والأعلام وأقواس النصر والمصابيح الكهربائية، ونُصب السرادق الفخم مطلاً على حوض العين المملوء بمائها الأزرق الصافي، فكان منظراً جميلاً خلاباً، وأنشدت في ذلك الحفل القصائد الترحيبية، ومنها هذه القصيدة لمؤلف الكتاب:

بوادرُ الخيرِ من يمناك تبتدرُ ... لا "أم سبعة" و"النيل" الذي ذكروا
ورونق الجودَ في لألاء غرتكم ... يغار منه ضياء الشمس والقمرُ
هذي "ام سبعة" يجري نهرها مرحا ... يسمو برؤياك أحقاباً ويفتخر
قد أجَّج الشوق في أحشائه لهبا ... فمنذ كان لهذا الوصل ينتظر
كأنه واصفرار الشمس يصبغه ... خدود غيد علاها الورس والخفر
"آل السعود" على حافاته نزلوا ... سعود بدر تليه الأنجم الزهر
هم الألى تشرق الدنيا ببهجتهم ... وينزل النصر عند الباس والظفر
مساعر الحرب إن طارت عجاجتها ... لا يرهبونه لقا الأعدا وإن كثروا
كم عمّروا مدناً كم دمروا دولا ... كم أرشدوا أمماً لولاهمُ كفروا

وكان -حفظه الله- قد أمر بمليوني ريال مساعدة للفلاحين في "الأحساء"، كما ساعد غيرهم في جميع أنحاء المملكة، فنظمت هذه الأبيات شكراً لإحسانه. وأنشدت بين يديه في ذلك الحفل :

لك الإحسان والمنن الجسامُ ... ومنا الشكر ما سجع الحمامُ
ملأتَ قلوبنا حباً وشوقاً ... وتم لنا بلقياك المرام
وفيت لنا بما أملى رجانا ... من النعما وعادتك التمام

ولولا ما مننت به علينا ... لكان الحرث ليس له قوام
فهذي "هجر" ترفل في حلاها ... يسير بها التقدم والنظام
وصارت جنة يعنو إليها ... طريدُ الفقرِ والقوم الكرام
فمملكة تكون لها عمادا ... تحل بها السعادة والوئام
جمعت بسالة وصفاء ذهن ... وجوداً لا يحاكيه الغمام
ترى عقبى الأمور إذا ادلهمت ... وتدرك ما يراد وما يرام
مهابتكم تقوم مقام جيش ... ويغني عنه من فيك الكلام
تقدمكم إلى العلياء ملك ... علا عزاً وأكبره الأنام
وأنت سليله وإليك تعزى ... صفاة المجد ليس بها انثلام
وقد أوتيت ما لم يؤت ملك ... عليك صلاة ربي والسلام

ولم يزل - حفظه الله - مجداً في بناء المساجد والمدارس والمستشفيات في جميع أنحاء المملكة، وبناء الموانئ، وتعبيد الطرق، وبذل المساعدات، حفظه الله، وبارك للمسلمين في عمره، وشدّ عضده بأخيه ووليِّ عهده الأمير فيصل وجميع إخوته وأنجاله وعامة أسرته الغرّ الميامين، وأيَّد بهم شريعة سيد المرسلين.

وفاة الأمير عبدالله بن جلوي رحمه الله

وفي ٥ شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف توفي أمير "الأحساء" عبدالله بن جلوي بن تركي في "الأحساء". رحمه الله، وأسكنه الجنة.

وكان -رحمه الله- نسيج وحده في الحزم والإنصاف والمساواة بين الناس، ينفذ ما تحكم به الشريعة، لا يحابي في ذلك أحداً لا قريباً ولا صديقاً، شديد النقمة على المجرمين والمفسدين، وقد وصفه العلامة الشيخ عبدالعزيز العلجي بقوله:

فتى عمَّ كلَّ الناس صادقُ عدله فما أحد إلا عن البغي أخلدا
فأدناهم أعلاهم عند حقه وأعلاهم أدناهم إن تمردا

وقد خلفه في منصبه ابنه الأكبر الأمير سعود، فحذا حذو أبيه في العدل والإنصاف والمساواة بين الناس فيما تحكم الشريعة الغراء، وقد قبض على أيدي المجرمين بيد من حديد.

نقل كرسي الإمارة إلى الدمام

وفي عام سبعين وثلاثمائة وألف أمر جلالة الملك الراحل عبدالعزيز بنقل كرسي إمارة الأمير سعود إلى مدينة "الدمام"؛ لأنها أصبحت ذات أهمية كبرى، وهو أمير المنطقة الشرقية كلها وخط الأنابيب الممتد من "الظهران" إلى "حيفا"، وعين الأمير عبدالمحسن بن عبدالله بن جلوي أميراً في "الأحساء"، وكان -حفظه الله- متحلياً بالصفات الفاضلة والأخلاق الكريمة، والعدل، والإحسان، جمّل الله بطول بقائهم البلاد، ونفع بهم العباد، وقطع بهم دابر أهل البغي والفساد، إنه سميع مجيب.

وقد تم ولله الحمد والمنة تبييض الجزء الأول من تاريخ الأحساء، في يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية. (ويليه الجزء الثاني، ويختص بالعلم والأدب في الأحساء) بقلم مؤلفه : محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر الخزرجي النجاري الأنصاري القحطاني، عفا الله عنه بمنه وكرمه.

الملاحق التي أشار إليها الشيخ
حمد الجاسر في مقدمته

١ - إضافات جغرافية من كتابي:
"بلاد العرب" و " صفة جزيرة العرب"(*)

(*) تتصل هذه الإضافات بالمقدمة الجغرافية للكتاب في الصفحات ٢٦ - ٦٨.

١ - قال الحسن بن عبدالله الأصفهاني ، المعروف بلغدة ولكذة أيضاً ، من أهل القرن الثالث الهجري في كتابه "بلاد العرب" من صفحة ٤٤ إلى ٤٦ : (نسخة حمد الجاسر الخطية)

«وأما سعد بن زيد مناة فأقصاها "يبرين" وهو بحذاء "عمان"، ينزل منهم بنو عوف بن سعد وناس من بني عوف بن كعب وأخلاط سعد، ثم هم متصلون إلى "الأحساء"، و"الأحساء" من "هجر" على ميلين، ينزلها أخلالهم، وبها سيدهم وعاملهم إبراهيم بن موسى، فإذا خرجت من "الأحساء" أتيت "الأجواف" وهي قرى ومياه ، ثم تصير إلى "بطن غر"، وهو بطن فيه مياه وقرى وعيون ، فيها ماءة ، يقال لها: ثباآت ، وماءة يقال لها : كنهل ، قال الشاعر :

تجانف عن شرائع "بطن غر" وحادبه عن السيف الكراع

وقال في كنهل:

إن لها بـ"كنهل" الكناهل حوضاً يرد ركب النواهل

ثم تخرج من "بطن غر"، وتقع في "الستار"، وفيه لهم أكثر من مائة قرية لأفناء سعد ولامرئ القيس بن زيد، ومن قراها "ثاج"، وبها سوق، قال ذو الرمة:

نحاها لـ"ثاج" نحية ثم إنه توخَّى بها العينين عيني "متالع"

و"عينا متالع" منها ، وقرية يقال لها : ملج ، وقرية يقال لها : نطاع، قال العجاج :

إن تك دهنا ظعنت عن دارها عامدة لـ "ملج" أو ستارها
فقد تصيد القلب باحورارها وكفل ينصار بانصيارها

فإذا خرجت من "الستار" وقعت في "القاعة"، فيها مياه كثيرة، وماء يقال له: العتيد، قال الشاعر:

يا حبذا "عتيد" وماؤه فكلُّ ماء حوله فداؤه

وماء يقال له: الطريفة لبني مالك بن سعد، اقتتلوا فيها هم وبنو عوف بن كعب، فصارت لبني مالك، وبها حصن، يغزوهم فيها الكدل، ولبني مالك "القصيبة" منزل العجاج وولده ، ثم لبني مالك من ناحية "طويلع" قريتان، يقال لهما: "ثيتل" و"النباج"، ولهم بناحية اليمامة قرى كثيرة، ولهم وراء الدهناء ماءان عظيمان، يقال لهما : وسيع ودحرض، وفيهما يقول الشاعر:

شربت بماء "الدحرضين" فأصبحت زوراء تنفر عن حياضي "الديلم"

ولهم وراء الدهناء بجنب حفر سعد ماء، يقال: له البير، قال الراجز:

بـ "البير"- والله- ذياب والحفر

ولهم ببطن السيدان "الخمانية" ، وهي ماءة لبني خمان ، و"الربيعية" لبني ربيع بن الحرث، وهم مختلطون بالصعاب، والصعاب أسفل من الدو ، والسيدان هم وبنو الحرماز بن مالك في مياه كثيرة، منها : مسلحة والوفراء وكاظمة، وهم متصلون إلى "سفوان" من "يبرين"، وذلك أكثر من مسيرة شهر، وعرضهم من

"البحـرين" إلى الدهناء ووراء الدهناء عشـر وزيادة. وأما بنو عـبدالله بن دارم فليس لهم في البـادية إلا القرعاء ، وهي مـاء أسفل الصـمان ، وهي بينه وبين الدو ، ولهم غـيـرها ، وغيـر مـصنعـة لها ، يقـال لهـا : الخمـة بالصـمان، وكـانت القـرعـاء لرجل من بني تيم الله بن ثعلـبة، يقـال له: الأقرع، وبجنب القرعاء "لصافه"، وفي القرعاء يقول ابن المقدم الضبي:

بكى فلك "القـرعاء" من لؤم أهلهـا ... ومـا قـابلتـهـا من ثـنايا الموارد
يلوح خطام اللؤم فـوق أنوفـهم ... كما لاح في ورق الحمام القلائد

ثم بجنبـها من مـا يلي فلجأ "لصـاف"، وهي لنهشل، وفـيهـا يقول الراجــز:

يا ليـت عـنا وبنـــي منـــــاف ... والنـهشـــليين عـلى "لصاف"
قد ارتمينا حجري قذاف

ولهم يقول أبو مهوش الأسدي:

قد كنت أحـسبكم أسود خفية ... فإذا "لصاف" بها يبيض الحمر

وليس لبني نهـشل غـيرها وغـيـر القمـميـة ، وهي ببطن فلج فـوق الحفـر، وفي ناحيـة الدو مـاءة عظيمة يقال لها: الرمـادة، لبني فقيم بن جـرير ولبني مناف بـن دارم، ثم بين طويلع والرمـادة مـاءة يقـال لهـا: قنور، وهي لبني مناف بن دارم، ومـاءة ملحة تسـمى "نيرة"، قـريبة من الشَّـيِّطين لهم أيضـاً، ولبني فقـيم ماءة قـريبة من "طويلع"، يقـال لها: الجرباء، وفيها يقول الشاعر:

ظلت على "الجرباء" ذات القود

وقال ذو الرمة في "الرمادة":

أخرقاء هل قيظ الرمال راجع   ليـــاليــه أو أيامــهـــن الصــوالح

والقرعاء واللهابة ولصاف وطويلـع وما حولهن يسمين "الشاجنة"، وهو في أسافل الصمان، قال ذو الرمة:

أتتنــا بريــا برقـــة شــــاجنية   حشاشات أنفاس الرياح الزواحف».

٢ - وقال أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (المتوفى سنة ٣٣٤هـ تقريباً) في كتاب "صفة جزيرة العرب" ص ١٣٦ (طبعة الشيخ محمد ابن بليهد" -رحمه الله- في مصر سنة ١٣٧٣هـ):

البحرين ونواحيها

«عن أبي مالك أحمد بن محمد بن سهل بن صباح اليشكري، وكان قد سكن هذه المواضع، ونجعها، ورعاها، وسافر فيها، وكان بها خبيراً.

مدينة البحرين العظمى "هجر"، وهي سوق بني محارب من عبدالقيس، ومنازلها ما دار بها من قرى البحرين. فـ"القطيف" موضع نخل وقرية عظيمة الشأن ، وهي ساحل ، وساكنها جذيمة من عبدالقيس ، سيدهم ابن مسمار[1] ورهطه . ثم "العقير" من دونه ، وهو ساحل وقرية دون "القطيف" من العطف، وبه نخل، ويسكنها العرب من بني محارب. ثم "السيف" سيف البحر، وهو من "أوال" على يوم. "وأوال" جزيرة في وسط البحر مسيرة يوم في يوم، وفيها جميع الحيوان كله إلا السباع. ثم "الستار" تعرف بستار البحرين، وهو منادي بني تميم فيه متصلة البيضاء، وكان بها نخل وسكن. و"الفطح" وهو طريق بين الستار والبحر إلى البصرة، ومن المياه المتصلات معقلات، ثم خمس، ثم معقلا "طويلع" - وهو عن يمين سنام -، ثم "كاظمة" البحور ساحل، وفيها يقول فروة الأسدي :

عدتهن المخاوف عن "سنيح" وعن رمل "النقار" فهن زور

(١) انظر عن "ابن مسمار" الوارد ذكره في كلام الهمداني ما يأتي في الملحق الثالث.

هي "النقار"، وهي الجفار، وهي الحظائر حظائر مدرك.

ضمنت لهن أن يهجرن "نجدا"   وأن يحللن "كاظمة" البحور

ثم "رحلية" إلى البصرة، ومن مياه ستار البحرين: ثيتل والنباح والنباج والنباك، وكل فيه نخل كثير وماء، يقال له: قطر.

ثم ترجع إلى البحرين ، فـ"الأحساء" منازل ودور لبني تميم ، ثم لسعد من بني تميم ، وكان سوقها على كثيب يسمى الجرعاء ، تتبايع عليه العرب ، وعن يمين البحرين ودونها "يبرين" ، و"الخن" موضع فيه نخل كثير لبني ودعة ، و"يبرين" نخل وحصون وعيون جارية وغير جارية وسباخ .

والبحرين إنما سُمِّيت البحرين من أجل نهرها محلم ولنهر عين الجريب».

٢ - الـولاة العيـونيـون(*)

(*) تتناول الإضافات هنا ما يأتي:

١ - ترجمة ابن المقرب. وسيأتي ترجمة المؤلف له في القسم الثاني. ص ٥١٧-٥٢٩.

٢ - ولاية العيونيين. وقد عرض لها المؤلف في القسم الأول، ص ١٧٩-٢٠٨.

٣ - ولاة القرامطة. وقد عرض لهم المؤلف في القسم الأول، ص ١٥٧-١٧٩.

٢- الـولاة العيـونيـون

كما جاء تاريخ في مخطوط مجهول المؤلف ، موجود في دار الكتب المصرية (المكتبة التيمورية ، رقم ٦٣٧، تاريخ)

هذا المخطوط في التراجم، وجلّ من تُرجِموا فيه من الشيعة، ويظهر أن مؤلفه شيعي، إذ أورد فيه من شعره قوله:

قل للـمطايا إذا أبلغـتـني حـسنا	أجـارك الـله من شـد وتـرحـال
ترعين سوما ونفشا في حمى حسن	رعي الجـوازي وآرام بذي صنال

ووالد المؤلف كـان رحـالة، فـقـد جـاء إلى المدينة قـادمـاً من الهند (الورقة ٤٠١)، والمؤلف من أهل القرن العاشر الهجري، وكان في سنة ٩٧٨هـ في مـدينة "أحـمـد أنكر" فـي الهند (الورقـة ٤٣٩)، قـال في الورقة ٣٥٨ :

ترجمة ابن المقرب

الأمـير الكبـير جـمال الدين أبو عـبـدالله علي بن مقـرب العيـوني البحراني، فريد دهره، وهو المتقدم على مـتقدمي عصره، حسن السبك في شعره، جزل الألفاظ في كلمه، كثير الأمثال في نظمه، ولم يتكسب بالشـعر لعطايا، ولم يمتـدح ذا(*) ثروة في البـرايا، وإنما كـان مديحـه أكثـره في أهل بيتـه وعـشيرته ، وهم ملوك البحرين كمـا سيأتي ، وله فـيهم المدائح ، والمعـاتبـات والنصائح . ثم إنه لما لـم ينجع بهم النصح

(*) في الأصل : ذي.

هاجر من هجرهم، واستبدل من قربهم بهجرهم؛ يقصد العراق، ومدح الخليفة الناصر لدين الله بقصيدة أولها:

أرتها المآقي ما تكنّ الجوانح فبُحْ فالمعاني بالصبابة بائح

ثم إنه قصد ديار بكر للقاء الملك الأشرف بن العادل، فلما بلغ "الموصل" خُبِّر أن الأشرف نهض هو وإخوته وجنوده إلى لقاء الإفرنج، وأنه نازل "دمياط"، فامتدح والي "الموصل" بدر الدين لؤلؤ، وكان ذلك سنة ٦١٨هـ ، ورجع من "الموصل".

العيونيون

ابتداء تملكهم مملكة البحرين :

وهي ثلاث مدن : هجر وهي الحساء ، وأوال وهي البحرين ، والخط وهي القطيف . فملخصه أن عبدالله بن علي كاتَب السلطان ملك شاه السلجوقي ووزيره نظام الملك، وشرح أحواله وأحوال القرامطة، وأنه يريد إقامة الدولة العباسية والجلالية ؛ يريد السلطان ملك شاه ، فوافق ذلك منهم القبول ، فأرسلوا من الجند سبعة آلاف عليها أكسك سلار - الملقب أرتق بك - (المتقدم ذكره في حرف الهمزة) ، فاستولوا على ملك "الأحساء" في سنة سبع وستين وأربعمائة. فلما رجع أرتق إلى الديوان، وأخبر بذلك خرج بذلك توقيع، وفي ذلك يقول ابن مقرب في القصيدة الميمية قوله:

وجمعنا في مئين أربع قصرت عدا ولكنها أعلى الورى قدما

وهذه القصيدة مشتملة على تواريخ جمة تركناها إيثاراً للاختصار، وإحالة عليها؛ فإنها مسطورة في ديوانه المشروح.

إذا تقرر ذلك فأول من ملك تلك الديار:

١ - عبدالله بن علي بن محمد بن إبراهيم.

وبقي بها لم يكن فيها منازعاً، واجتمع له ملك البحرين - كما سيأتي - إلى أن توفي، وكان ملكه من إخراجه القرامطة ستون سنة.

ثم ملك:

٢ - الفضل بن عبدالله بن علي.

"أوال" و"القطيف" في زمان أبيه، وكان مدة ملكه سبع سنين، وقتل في "تاروت"، قتله خدام له.

ثم ملك:

٣ - الأمير أبو سنان محمد بن الفضل بن عبدالله.

بعد جده، وملك "القطيف" و"أوال" ثمان عشرة سنة وزيادة، ثم قتله أبو المنصور وأبو علي، وهما عماه.

ثم ملك:

٤ - أبو الحسين:

وبقي في "القطيف" و"أوال" مدة إحدى عشرة سنة،وتوفي وأولاده صغار.

ثم ملك بعده:

٥ - عزيز بن مقلد المكنى بـ"التراكي".

ومدة ملكه سبع سنين، وكان مجيء باكرزا -ملك قيس- إلى

"أوال" في أيامه ثالث عشر جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وخمسمائة، فنهبها، وخرج بعد أن بقي فيها مدة، ثم قُتِلَ عزيز، قتله ابن عمه.

٦ - هجرس بن محمد بن عبدالله.

وكان مدة ملكه سنة واحدة، ثم توفي.

٧ - شكر بن أبي الحسن بن عبدالله بن علي.

وكان مدة ملكه ثمان عشرة سنة ، وكان في زمانه تأتي عساكر باكرزا [١] إلى "أوال" مراراً كثيرة، وتوفي.

ثم ملك بعده أخوه:

٨ - علي بن الحسين بن عبدالله بن علي بن الحسن

"أوال" من باكرزا[٢] بعد مدة قليلة، رجع باكرزا بعساكره، وانحدر من ناحية "سترة"، فالتقيا عسكر علي بن الحسن، وكان أمير العسكر أخوه الزير، فظفر الزير بعسكر باكرزا، فقتل منهم خلق كثير، وأسر أخا كسر الملك، واسمه نمسار، وكان هذا كثير العسكر.

ثم بعد ذلك عبر الزير إلى "القطيف"، وبعد مدة جاء الأمير وأخوه الزير إلى "أوال"، فدخل المسجد المعروف بسبسب من صدد، فقتل الزير أخاه الأمير علي بن الحسن.

ثم بعده ملك:

---

(١) كذا، وفي شرح ديوان ابن المقرب: باكرزاز.

(٢) كذا، وفي شرح ديوان ابن المقرب: باكرزاز بن سعد بن قيصر.

٩ - **الزير.**

وكان مدة ملكه سنتين وأشهر.

ثم دخل محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل في "أوال" في الليل، وأصاب الأمير الزير سهم، فمات، وكان راميَها رجل أعجمي.

ثم ملك بعده :

١٠ - **محمد بن أحمد بن الفضل**

دون سنة، فخرج مختاراً.

ثم إن أهل "القطيف" ملَّكوا عليهم رجلاً وهو النقيب العلوي ، فملك مقدار أربعين يوماً ، وبعد ذلك استقال منها.

وملَّكوا عليهم بعده رجلاً يقال له : مسيب ، وهو من بيت عبدالله ، فبقي مدة شهرين.

ثم ملك:

١١ - **حسن بن شكر بن أبي عبدالله.**

وبقي مدة ثلاث سنوات وزيادة.

ثم قتله شكر وأخوه عبدالله بن منصور، وملك "القطيف" مدة سبع سنين، وجذب عساكر شاه بن باكرزا، وكانت الوقعة في "البحرين"، وهذه الوقعة تعرف بوقعة ابن الحناس وزير الأمير عبدالله ، فخافت أهل "أوال" من ولد باكرزا أن يعود إليهم بالعساكر ؛ فعبروا على "القطيف".

١٢ - ثم إن **محمد بن أحمد الفضل** جاء إلى "القطيف"، وملكها، وخرج منها عبدالله بن منصور، وراح إلى أخيه في "الأحساء".

وكان مُلْك محمد بن أبي سنان بها ثمان عشر سنة، وكان وزيره في مدة ملكه الحاج علي بن الفارس الكازروني.

ثم إن الأمير محمد قتله أصهاره من العماير.

وملك بعده:

١٣ - غرير بن الحسن بن شكر.

وبقي الملك بيده سنة.

١٤ - ثم إن الأمير **فضل بن محمد بن أحمد** استعان بديوان الخلافة، وجاء إلى "القطيف"، وحاربها، وقتل غريرا، وملكها، وبقي فيها مدة عشر سنين وزيادة.

وفي زمانه استقر الصلح بينه وبين ملك قيس غياث الدين شاه بن تاج الدين جمشيد، وكتب بينهما كتاباً، وعهداً على أن تكون جزيرة "أكل" ومقاسمها وخراجها وبرها وبحرها وما يتعلق بها وجزيرة "الجارم" وما يتعلق بها، وجزيرة "الطيور"، وهي تواره وقثان وحرم المربعة ما خلا مائتي خلدة، وما في بحر الحورة وظهرها سماهيج وجميع عسكر السمك إلى ساحل بني المروان وخمسمائة دينار في كل سنة لملك قيس خاصة. وأن يكون الخراج والمقاسم والخاصة والحلقة وطراز الغاصة والطير والطيارات والعشور بين ملك قيس وملك العرب نصفين. وأن يكون لملك قيس من مقاسم تاروت الحسيني والحساسي ومقسم القصر، ومن مقاسم القطيف بستان القصر وبستان المشعري ودالية الدار والدار والفايدية ونصف طراز الغاصة الذين هم

ليسوا من أهل القطيف، وخمسة وثلاثون بهارا من الخراج لملك قيس، زيادة على النصف، عوض بستان المصفاة التي بالأحساء. فلم يزل عمال قيس يقبضون ذلك من "البحرين" إلى(*) ثم إن العماير حاربوا الأمير الفضل بن محمد، وملكوا (*) بعد أن أخرج فضل من البلد.

١٥ - وبقي الملك بيد مقلد.

وتوفي، وملك بعده:

١٦ - فاضل بن معن.

ثلاث سنين، وملك بعده أخوه:

١٧ - جعفر بن معن.

غدرا، فأحبه الناس، وبقي ملكه شهراً. ثم إن المساعيد حاربوه، فأطلعوه من البلد قهراً، وملك بعده:

١٨ - الأمير محمد بن مسعود وأخوه حسن وحسين.

مدة سنتين ونصف، وبعد ذلك حاربهم الأمير منصور بن علي، وأخرجهم من البلد قهراً، وملك بعده:

١٩ - الأمير منصور.

وكان مدة ملكه ثلاث سنين ونصف، وفي زمانه ملك أبو المظفر الهرموزي، والتجأ به قيس في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وستمائة، وأنفذ نوابه إلى البحرين، وكان يقبضون القواعد التي كانت لملك قيس بالبحرين إلى أن جرى عليها العهد في زمان الأمير الفضل ابن محمد إلى أن وصل السلطان إلى قيس، وأخرجوا أبا المظفر وأصحابه قهراً، وملكوا جزيرة قيس ومضافاتها. وبعد ذلك أنفذ

(*) بياض في الأصل.

السلطان شهاب الدين خسرو العسي عاملاً، ونجيب الدين عثمان مشرفاً إلى "أوال"، فكان يقبض السلطان القواعد التي إلى أعمال قيس وأنا النظر [1] ذلك [1] إلى أن وقع بين الأمير الأعظم وعبد محمد بن محمد إلى "أوال" [1] وقبضه. ثم إن الأمير منصور بن علي بن [1] العادة، فجاء إليه الأمير محمد بن محمد، وركب [1] غدراً.

ثم ملك :

٢٠ - الأمير محمد بن محمد .

وبقي [1] "أوال" خمس سنين وخمسة أشهر، وفي "القطيف" ثلاث سنين ، [1] ثلاث سنين وخمسة أشهر ، ثم إن عساكر السلطان [1] "القطيف" في سنة ست وعشرين وستمائة، فكسرهم محمد بن محمد، وعبر، وسكن فيها، وذلك سنة ثلاثين وستمائة، فبعد وصوله بسبعة أشهر جاء عسكر السلطان إلى "أوال" هم وجملة العرب في سنة ثلاثين وستمائة، فكسرهم محمد بن محمد، وبقي في "أوال" بعد عسكرهم إلى سنة ست وثلاثين وستمائة، وجاء إلى "أوال" عسكر السلطان المنصور خلَّد الله دولته ، والتقوا من ناحية المغرب ، والتقوا وإياهم ، وكان الظفر للعسكر المنصور وعسكر السلطان ، فقتلوا محمداً.

وملك السلطان الأعظم -خلّد الله ملكه- في سنة ست وثلاثين وستمائة.

قلت: قد عرفت ما تقدم أن هذه الأقطار كانت تحت يد القرامطة.

---

(١) البياض في هذه الصفحة بياض في الأصل.

فأولهم :

الحسين :

تولى سنة تسع وثمانين ومائتين، وقتله غلامه سنة ٣٠٢هـ.

وملك بعده ولده:

أبو طاهر :

وهو أصغر أولاده، ومات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

وملك بعده أخوه:

أبو القاسم سعيد وإسحاق ويعقوب ويوسف .

وكان الأمر بينهم ، ومات سعيد سنة ٣٦٦هـ ، ومات يوسف سنة ٣٩٦هـ، وعقد الأمر بينهم لتسعة، وكان الأمر بينهم شركة، وسموا السادة ، وكانت كلمتهم واحدة ، وآراؤهم متفقة . وما زال القرامطة بعد ذلك يتوارثون ملك البحرين ، كلما هلك واحد ملك بعده آخر إلى أن ضعف أمرهم، فخرج عليهم في "أوال" رجل يقال له : أبو البهلول واسمه عوَّام بن محمد ، وأخذها منهم سنة [1] ، ثم انتزع يحيى بن عباس منهم "القطيف" سنة [1] ، وبقي ملكه في "الأحساء" إلى سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، ثم ملكها عبدالله كما سبق ذكره ، ولم تزل هذه الممالك بيد العيونيين المذكورين إلى [1]

---

(١) هنا بياض في الأصل ، ورقة كاملة.

تابع ترجمة ابن المقرب

ثم بعد أن أورد عدداً من قصائد الشاعر ابن مقرب قال:

«وكانت وفـاته بقرية بساحل الـبحر العمـاني، سنة مررنا عليـها في ذهابنا من الهنـد إلى "هرمز" يقال لها: طيـوي بالمهملة والمثناتين بينهما واو ، فلما نزلها سماها "طيبى" بالموحدة». انتهى.

٣ - من أخبار البحرين (الأحساء)



من أخبار البحرين (الأحساء)

(نقلاً عن نسخة من شرح ديوان ابن مقرب، كتبها ناصر بن حمد ابن لاحق سنة ١١٩٤هـ لشيخه الشيخ صالح العتيقي من علماء المجمعة في نجد ، والنسخة يملكها الأستاذ الشيخ محمد صادق ابن الشيخ ماجد الكردي مدير البعثات العلمية السعودية في الإسكندرية).

بنو العياش، بنو العريان، بنو مسمار(*)

قال ابن المقرب:

إني لأخشى أن تلاقوا مثلما　　لاقى بنو العياش والعريان

كرهوا الجلاء عن الديار فأهلكوا　　بالسيف عن عرض وبالنيران

يعني بالعياش: عياش بن سعيد -رئيس بني محارب - كان منزله بالجبل المعروف بـ "الشبعان" من جبال "هجر" ، وهو في وسطها ، تحف به أنهارها وبساتينها. والعريان: رئيس بني مالك، وهو العريان بن إبراهيم بن الزحاف بن العريان بن مورق بن رجا بن بشر بن صهبان بن الحارث بن وهب بن عضبة بن كعب بن عامر بن معاوية بن عبدالله بن مالك بن عامر بن الحارث. وذلك أن عبدالقيس حين اختلفت كلمتهم، وكثرت بينهم الحروب ضعفوا، ووهنوا، ووهن أمرهم بالبحرين، فوثب القرمطي وهو أبو سعيد الحسن بن بهرام بن بهرشت على "القطيف"، وهو يومئذ ضامن مكوسها وضامن فرضتها، وكان قد جمع مالاً عظيماً استمال به قلوب الناس، وكانت رياسة "القطيف" يومئذ وملكها

(*) يتصل الحديث هنا بما ذكره المؤلف ص ١٥٩.

لبني جذيمة، وكان أولو الأمر فيهم بنو أبي الحسن علي بن مسمار بن مسلم بن مدحور بن صعصعة بن مالك بن عمرو بن مخاشن بن معدي بن كليب بن عامر بن سعد بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن بكر ابن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس. وجمع جيشًا من أهلها ومن البادية ومن أهل عمان، وحارب بهم أهل" القطيف"، حتى ملكها بعد أن حرق "الزارة" وهي مدينتها، ودار مملكتها ، وسار حينئذ إلى "الأحساء" بجموع عظيمة ، وكان يمكن العياش وآل العريان ومنً يتعلق بهم من قوم الانتقال، فلم ينتقلوا، فحاربهم أبو سعيد حتى هزمهم وملك الأحساء. فحين استقر له الملك جمع من بها من عبدالقيس في محلة من "الأحساء" تسمى الرمادة ، وأضرمها عليهم نارًا، وقد أعد لهم الرجال بالسلاح حول تلك المحلة، فمن خرج قتله، ومن لم يخرج أكلته النار، فهلك منهم يومئذ بالحرق والقتل قوم لا يحصى عددهم، وكان فيهم من حملة القرآن خلق كثير.

حديث ملك ابن البهلول(*)

واسمه العوام بن محمد بن يوسف الزجاج

(أخذ عبدالقيس جزيرة "أوال" من القرامطة)

كان له أخ يسمى مسلمًا، ويكنى بأبي الوليد، وكان خطيب "أوال"، وهو من أهل التدين والمتظاهرين بالسنن، وكان له أخ، يسمى بجعفر، وعنَّ لهم أن يبذلوا للقرامطة عن يد جعفر بن أبي محمد بن عرهم -وهو يومئذ الناظر بجزيرة "أوال" -ثلاثة آلاف دينار على تمكينهم أن يبنوا جامعًا؛ ليجتمع إليهم الجمع والمسافرون، فإنهم نافرون من خلو البلد من جامع تصلى فيه الجمعة، وهم خائفون من انقطاعهم لذلك عنهم بالجملة، وذكروا أن هذا مما يجلب العجم إلى جزيرتهم، ويضاعف لهم الفائدة في معاملتهم ومبايعتهم. وكتب ابن عرهم إلى القرامطة بذلك، واستأذنهم فيما قالوا، فأجابوه أن يأخذ ما بذلوه، ويفسح لهم ما التمسوه، فأعطوه ما ضمنوه، وتشاغلوا ببناء الجامع. فلما تم بناؤه صعد أبو الوليد الزجاج المنبر، وخطب للخليفة القائم بأمر الله [1]، وصلى الجمعة، فقال من يهوى القرامطة: هذه سنة وبدعة قد أحدثها الزجاج بالحيلة والخداع، ويجب أن يمنعوا الخطبة، ويمنعوا من الصلاة الجامعة . فلما خوطبوا على ذلك قالوا : ما بذلنا ما بذلناه وسلَّمنا من أموالنا ما سلمناه إلا لهذا الأمر، ولأجل هذا الدين؛ قصدًا لاستجلاب العجم إلينا، وإرغابهم في معاملاتنا؛ فإن كرهتموه فردوا ما

(*) يتصل الحديث هنا بما ذكره المؤلف. ص١٧٨-١٧٩.

(١) تولى الخلافة في ذي الحجة سنة ٤٢٢هـ، وتوفي في شعبان سنة ٤٦٧هـ.

أخذتموه، فنحن نمسك عما قصدناه، وإن نقصت به معيشتنا، ونقصت به فائدتنا.

وكوتب القرامطة بالحال، فأجابوا ألاَّ يُعْتَرضوا في مذهبهم، ولا يمنعوا من خطبتهم. فجروا على سنتهم، وصار ما فعلوه السوق الكبيرة والميرة الكثيرة؛ لأن تلك النواحي إلى ذلك مائلون، وبه متدينون.

واتفق أن اعترض المخالفون لهذا المذهب أبا الوليد ابن الزجاج، ومنعوه من الخطبة، وقالوا له: الذي كنت تخطب له قد بطل، وصارت الخطبة بالعراق للمستنصر بالله[1] صاحب مصر ، ويجب أن تكون الخطبة له دون من بطل حكمه، فامتنع من ذلك. وأنفذ أبو البهلول إلى القرامطة هدية قرنها بالمسألة لهم في إجرائهم على رسمهم من غير تغيير ومعينًا لهم، وكتب إلى القرامطة بما يحسن فعلهم، ويبلغهم أملهم.

ومضت على ذلك مديدة، وأبو البهلول يزيد أمره، وينمو، ويقوى ويعلو. وكتب إلى ابن عرهم بتقسيط بعضه على أهل البلد، ويحمله إليهم فلحسن سيرته فيهم وجميل طريقته معهم استدعى أبو البهلول ومن يجري مجراه، وأطلعهم على ما ورد عليه، ووافقهم على النفور عليه إذا خاطبهم بالتقسيط المتقدم، ومنع جانبهم منه؛ حتى يجعل لذلك سببًا يعتذر به، ففعلوا، وكتب إلى القرامطة باضطراب القوم عليه، وأنه لم يمكنه مخاشنتهم، فكفَّ عنهم. ويشير بالاضطراب عما طلب منهم؛ فغاضهم فعله وفعلهم، وأنفذوا بمن عزله، وتولى عليهم

(١) تولى الحكم سنة ٤٢٧هـ، وتوفي سنة ٤٧٨هـ.

بدله، وأمروه بالقبض علـى من حال ومصادرتهم على ما أقـدموا عليه من عصـيانهم، واستعـملوا من امتناعهم، فـجمع أبو البهلول عشـيرته وأقاربه ومن أنس إليه ووثق به من متـقدمي البلد، وعرفهم ما ورد أبي العريان، فـأدخلوه فيما فـعلتموه، وكـان ابن أبي العريان متقـدمًا على "أوال" من ذوي العشـائر والأصحـاب، فقـالوا له: افعل مـا ترى، وقد رددنا أمرنا إليك، وعـولّنا فيه عليـك، فقم بهم إليه. وحكى له مـثل ما حكى لهم، وقال: هؤلاء القوم قد حضروا، وسمعوا لي، وأطاعوا، فلا أصلح لذاك إلا أن تدخل فـيـه معي، ويكون يـدي ويدك، فإن فـعلت تعاضدنا، وتساندنا، وحمينا أنفسنا وأموالنا.

كل هذا ومـبنى القول عـلى ألَّا يطيعـوا القـرامطة إلا بعد إعـادة ابن عـرهم، وأن يحـفظوا نفـوسـهم من الناظر مكانه، فـحـالفـهم ابن أبي العريان عـلى ذلك، وأخذ هو وابن أبي العـريان في استدعـاء متـقدمي الضياع والسواد وإظهارهم على ما فعلوه وإدخالهم، وقال لهم: الخراج موقـوف على أربابه، وغيـر مأخوذ من أصـحابه؛ فـإن رجع ابن عرهم سُلِّم إليه، وإلا فليفر كل منكم بما عليه. فسُرُّوا بهذا القول، وكان أكبر الأسباب في اتسـاق الأمر، وحصل معهـما نحواً من ثلاثين ألف رجل. وعرف الوالي الجديد مـا تم من ذلك؛ فجمع إليه من يتـعلق به، واعتزم القبض على ابن أبي العريان وعلى أبي البهلول بغتةً، فعاجلاه بالرجال، وزاحفاه القتـال، فهرب إلى الشدات، وانصرف عنهما بعـد ما قتلا من أصحابه عدة، فكتب إلى القـرامطة ثانيًا: لا نعود إلى الطاعة، ولا نرجع إلى الموافقـة عن المخالفـة إلا بعد رد ابن عرهم إلينا ونظـره علينا. فورد

الجواب إليهـما بالصعب الأشد، وبأن لا سبـيل لابن عرهم إلى العود، وأن العساكر تجيئهم ، وتتحكم فيهم.

وأنفذ أبو عبدالله بن شنبر -وزير القرامطة- بعض أولاده إلى "عمان" بحمل مال وسلاح من هناك، وعرف أبو البهلول وابن أبي العريان ذلك، فكمنا له في عوده من "عمان"، فقتلاه، وقـتلا أربعين رجلاً معه صبراً بين أيديهما، وأخذا ما صحـبه، وكان خمسة آلاف دينـار وثلاثة آلاف رمح، ففرقاه في رجـالهما. وبلغ ابن شنبر ما جرى، فـعدل إلى مكاتبة ابن أبي العريان سـراً، وبذل له البذل الجـزيل، ووعده الوعـد الجميـل، وأن يوليه الجزيرة، ويمكِّنه مـنها؛ فمـال ابن أبي العريان إلى ذلك، وأجـاب بالسمع والطاعة، ولا يجتاز الجماعة، وأشـار بإنفاذ عسكر في البحر إلى الجزيرة، فـإذا قـرب منهـا وثب هو على أبي البـهلول، وقـتله. وقـال لأصـحـابه وعشيرته: هذا الذي نحن فيـه أمر لا يتم، وما لنا بالقرامطة قدرة، ولا في إزالة ملكهم حيلة، ويجب أن ندبِّر أمرنا بغير ما دبَّرناه، ونعجِّل بتلافي ما فرضناه، فـقالوا له: الأمر إليك، ونحن مـعك. وابتدأ معهم في فـسخ ما سفر ونقض ما استمـر. وعرف أبو البهلول الحال، فانزعج، وجمع أهله، وأطلعهـم عليها، وقـال لهم: ما لنا قـدرة على ابن أبي العريـان إلا بوجه لطيف؛ لأنه أقوى جـانبًا منا وأكثـر رجالاً، وهو أن تترصدوا منه فـرصة تنتهزونهـا في قتله، فهو آكلنا ومتقـرِّب بنا. وقرر مع ابن أبي العريان ابن عم أبي القاسم قتله، وتفرقوا على ذلك، وعرف علـى كونـه في عـين -تسمى أبو زيدان- يغـتسل فيـها ومن معـه،ومعه غـلام، فقتلاه، وقـتلا غلامه وقت عتمة، وتأخر ابن أبي العـريان عن أهله وأصحابه، فانبثوا في طلبه، فوجدوه مقتولاً، فساروا، وجاؤوا إلى أبي البهلول، واتهموه بقتله،

وطالبوه بدمه ، فحلَف لهم أربعين يميناً أنه ما قتله، وأرضى وجوههم بما كان له، فأعرضوا عنه ، ورضوا.

وجاء أبو عبدالله بن شنبر على ما استقر بينه وبين ابن أبي العريان في مائة وثمانين شداة، فيها من عامر ربيعة عدد كثير، وجمع أبو البهلول الشذات، ونزل على حاله. فلما التقى الفريقان، وكانت شذات أبي الهول مائة قطعة قد شحنها بالرجال، وكان عند نزوله إلى الشذات قد وقع من على الفرس، فانكسرت ساقه، واجتهد به أخوه أن يرجع، فلم يرجع، وتقدم بأن ترفع الأعلام، وتضرب الدبادب والبوقات. واتفق من اتفاق السوء لابن شنبر أن حطَّ معه في الشذات خمسمائة فرس أكثرها لعامر بن ربيعة تصورا منه دخول البلد من غير حرب، ولم يشعر بما حدث لابن أبي العريان وتجدد، فلما سمعت الخيل صوت الدبادب والبوقات، ورأت المطارد والأعلام، وهي خيل بدوية؛ نفرت، فغرقت بعض الشدات، ووقع العرب إلى البحر، وهرب ابن شنبر إلى الساحل، واستولى أبو البهلول على بقية الشذات، وأخذ نحواً من مائتي فرس وشيئًا كثيراً من السلاح، واستأمن إليه من كان فيها من أهل السواد، وحلفوا ان ابن شنبر أخذهم قهراً لا إيثاراً، وقسراً لا اختياراً، وظفر بأربعين رجلاً من أصحاب القرامطة، فقتلهم، وعاد، وقد ثبت قدمه، وقوي أمره، وتمِ غرضه، وانتظمت حاله، وردَّ إلى أخيه أبي الوليد وزارته، وكاتَب الديوان ، وكان كتابه إلى ابن أبي منصور يوسف صاحب ديوان الخلافة ؛ يطلب العون والمدد على القرامطة؛ ليصير إليه ملك البحرين، ويزيل دولة القرامطة، ويقيم الخطبة للدولة العباسية.

حديث ملك عبدالله بن علي البلاد(*١)

وهلاك عامر بن ربيعة ، ومكـاتبة زين الدين للسلطان والسلطان يومئذ ملك شـاه بويه ، والوزير يومئـذ نظام الملك ، وشـرح أحواله وأحـوال القـرامطة ، وأنه يريد إقامـة الدعوة الـعبـاسيـة والجلاليـة ، ويظهر لهـا الخطبة "بالأحساء" ، ويميت سنن القرامطة ، وإجابته إياه إلى ذلك .

وذلك أنه لما طالت الحرب بين عبـدالله بن علي وبين القرامطة واليمن وعامر بن ربيعة بعد إرساله(*٢) إلى الديوان بما تقدم ذكره بعث السلطان إليه من الجند سـبعة آلاف فارس، وسار بهم أكـسك سلار الملقب بأرتق بك مقطع "حلوان" وأكوارها ، وفي نفسه يومئذ من "القطيف" وما جرى لكجكينا من ابن عباس ونهب مـعسكره ورجوعه بما لا يحب. ونزل في طريقـه بالبصرة، فـخَسَفَ بهـا أصحـابه، ونهبـوا، ورعوا ما مـروا به من زروعـها، وغُلِّقت الأسـواق فيـها والدروس والدروب، وسُـدَّت أبواب الدور، وأقامـوا ثلاثة أيام لا يخرجـون يسقـون من الماء، فخـرج إليه من خاطبـه على فعله، وسـأله الرجوع إلى مـا هو الأليق به، فقـال: ما يمكنني المسير إلى "الأحسـاء" وتلك الأعمال إلا أن تعطوني على ما عندي ألف جمل، وخمـسمائة ألف منّاً دقيـقًا، ومثلها شـعيرًا، ومثلهـا تمرًا، وعشرة آلاف دينار أُفَرِّقـها دون أصحـابي، فأُعْطي من ذلك مـا قنع به، واستنزل عن الباقي، وسار منها في رجب، وقـال: ابتدئ "بالقطيف". فلما وصلها لحق يحـيى بن عبـاس فـدخلها، وانتـقل إلى جـزيرة "أوال"، فسـار إلى "الأحسـاء"، فنهب مـا ظفر به، وحـاصرها مع عـبدالله بن علـي، وصار يغزو العـرب، ويأخذهم؛ حتى بعدت العـرب، وانهزمت عامر ربيـعة لما

(*١) يتصل الحديث هنا بما ذكره المؤلف، ص ١٧٩-١٨٢.

(* ٢) في الأصل : رسله.

علموا بوصوله. فلما مضت له مدة على الحصار راسلته القرامطة واليمن على مال كثير يدفعونه إليه، فقبل منهم، وهم قد امتنعوا منه، وقلَّ عليهم الزاد، وما بقوا يجدون غير التمر، ولا يجدون غير السمك، وهما غالب أقوات أهل البحرين، واللحم ارتفع عنهم، وفنيت البقر، والحنطة في ذلك الوقت قليلة؛ لانقطاع زرعها [1].

وهؤلاء تندفع عنهم، وتمهلهم مقدار شهر أو أقل؛ ليتفسحوا، ويطمئنوا، ويتشاغلوا بتقسيط المال على من له ضيعة وملك ومعيشة، وسلموا إلينا رهنًا على ذلك ثلاثة عشر رجلاً منهم، فرحل أكسك سلار يومئذ عنهم، فخرجوا إلى أمكنة لهم كانوا يجعلون بها الطعام لما خافوا، وما بقوا يقدرون على رفعه من آبار ومغارات ومكانات خافية في بساتينهم، واحتملوها إلى البلد، وتقووا بها. فلما رأى أكسك سلار ذلك منهم علم أنهم قد مكروا به، فرجع إليهم، فوجدهم غادرين على أشد ما كانوا فيه من الخلاف، فقتل بعض الرهائن، واحتبس بعضًا مما رأى فيه رأيًا منعه من قتله، وما فعلوا ذلك إلا لأنهم عرفوا أن العجم قد قابلها وقت الحر، ولا تقدر أن تقيم في تلك الأرض مع نفاد الزاد وقلة المأكول، وعرف -أيضًا- أكسك سلار من نفسه وأصحابه ذلك، وأنه قد أخرب البلاد وأعمالها وسوادها، ولم يبق فيه من الزروع شيئًا، وأن أصحابه ما بقوا يحتملون المقام، وطلبوا بيوتهم، وقاسوا من الحر مقاساة عظيمة، فشاور عبدالله بن علي في أمره، فقال: تجعل عندي مائتي فارس، وتمضي لشأنك؛ فنحن نقضي الحاجة إن شاء الله. ففعل، وجعل عنده مائتي فارس مع أخيه البقوش، وعاد بمن معه من

---

(١) هنا انقطاع في الكلام.

"البصرة"، وقد أخذ في طريقه من العرب أموالاً كثيرة يتقوى بها، وكل ذلك من عائذ وقباث، والأحلاف ما سلموا إلا على خيولهم، وكان سيرهم إلى "الأحساء" في سنة سبع وستين وأربعمائة.

فلما بلغ أكسك سلار إلى الديوان خدم، وذكر ما فعله في حرب "الأحساء"، وما رزقه الله عليهم من المعونة والنصر، وأنه بنية العود، وأخذ "الأحساء" ومن فيها بغير توقيف، وأنهى إلى الخليفة ذلك، فأخرج إليه توقيع قرئ عليه، وانصرف بعد ذلك.

مضمون نسخة التوقيع: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله المتوحد بالجمال والبهاء، المتفرد بالقدرة والكبرياء، المنجي من غياهب الشرك بأنوار الحق، المختار لرسالته ودينه أكرم خلقه محتداً وأصلاً وأشرفهم درجة ومحلاً النبي العربي سيد الأنبياء وخاتم الأصفياء صلى الله عليه وآله ، أرسله بالهدى ودين الحق ؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. والحمد لله الذي عضد الإسلام بالخلفاء الراشدين من بني العباس المهديين، الذين أزال الله بهم البدع والمنكر، وجعل ولاءهم سبيل النجاة يوم الفزع الأكبر، وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله، فقال -عز من قائل-: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾(*١). حتى أصار إلى أمير المؤمنين شرف الإمامة إرثه بالوجوب أصاب قلوب أهل الزيغ في أيامه الهلع والوجوب، وغدت رايات أوليائه حيث أمّت منصورة ظاهرة، وأمداد الفتوح إليهم متقاطرة متناظرة، والله يمتع أمير المؤمنين بالنعمة، ولا يخلي دولته من حميد مساعيه، ففي الأثر (*٢)

(*١) سورة النساء، الآية: ٥٩ .

(*٢) لم نقف على هذا الحديث في كتب الصحاح والسنن.

أن رسـول الله -صلى الله عليـه وسلم- قـال: أتاني جـبـريل -عليـه السلام- عـليه قبـاء أسود وفي وسطه كـالخنجر، فـقلت: يا جبـرئيل، رئاستهم في من تكون؟ فقال: في ولد العـباس بن عبدالمطلب. فقلت: يا جبـرئيل، أتباعهم ممن يكون؟ فـقال لي: من أهل خراسان أصـحاب المناطق، ومن وراء دهاقنة الصغد وترك التوغر، وأهل الخناجر من أهل الجبال. قلت: يا جبرئيل، أي شيء تملك ولد العباس؟ فقال: يا محمد، تملك ولد العـباس المدر والعرب والأحـمر والأصـفر والمروة والمشـعر والصفا والمنحر والقبة والمفخر والسرير والدنيا إلى المحشر. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وليعلم أن تويك بن أكـسب الوقوف على خدمته، والامـتثـال على طاعـته، والإحـمـاد في مسـاعـيه في جـهـاد المبطلين والقرامطة الملحدين، وليسـتنفر معه متجارة لله -تعالى- فـي استئصال ذكرهم، وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم، قال -تعالى-: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾(*). وليعتمد إحماد السريرة والسيرة فـيما يفتحه من الأعمال، وليقدم أمدًا بعيدًا، ويحذِّركم الله نفسه، والله رؤوف بالعباد».

فـقام، وقـبَّل الأرض، وشكر، ودعا، وانصـرف، وحمل إليـه أنزال وشيء من الثياب وفـرس بمركوب مغموس ومنحـوق بثلاث شدات، سأله تشريفًـا وإكرامًا رغب فيه، وحـضر لأجله. وانحدر إلى "واسط" بعزم الائتمام إلى "البـصرة"، فلقيه الرسول من أخيـه المقيم مع عبدالله ابن علي "بالأحـسـاء" بكتب تتضـمن أن القـرامطة واليـمن إلى عامـر ربيـعة ، وجـاءهم منـه خلق كـثيـر، وسـاروا في عدد لا يحـصى، ولا

(*) سورة التوبة، الآية: ١٤ .

يلتقى، ورأينا أمرًا عـجزنا، وأُقهرنا، فبـرزنا إليهم مستشـعرين بالخوف راهبين من كثرتهم مع قلة عددنا؛ لأنا لا نبلغ منهم سـهمًا من خمسين سهـمًا، فـبدأنا بعـامر ربيعـة، فهـزمناهم، وملنا على القرامطـة واليمن فقاتلناهم، حتى قُتلَ منهم خلقًا كثـيرًا لا يحصى عدده، وكانت الوقعة بيننا وبينهـم بالمكان الذي يعـرف بما بين الرجلتين(*)، وقتلنـاهم حتى أدخلناهم القـصر، فـعند ذلك أذعنوا، وذلوا، والأمـان التـمسـوا على أنفسـهم. وقد أجابـهم عبدالله بن علي إلى ذلـك ، وذلك بعد أن أتى القتل على جـمهـورهم، وقد ملك عبـدالله بن علي القصـر، وضربت الدبادب والبوقات، وصـعده، ولـم يمكِّن العجم من الصعود مـعه، وقد خطب المشائخ والرؤساء [1].

ولذلك قـبل المال على أنـه للدولة العـبـاسـية، وذلـك في سنة تسع وستين وأربعمائة.

(*) ذكر المؤلف آل عبد القادر فيما تقدم ص ١٨١ : أن الموضع يعرف بـ "الرحـلين".

(١) الكلام هنا غـير مـتصل بما بعـده. وكذا وقع تحـريف في نص مرسـوم أكسـك سلار، ويمكن تصحيحه بمقابلته بما تقدم ص ١٨٠.

حديث قتل عامر ربيعة بالأحساء(*) وسبي نسائهم وذراريهم وأخذ أموالهم

ذكر أهل العلم بذلك أنه لما تولى عبدالله بن علي "الأحساء"، وسارت عنهم العجم، وبقيت معه منهم بقية قليلة، وكان عبدالله بن علي حين ملك أقر القرامطة واليمن بالبلد، ولم يخرجهم منها، ولا قتل أحدًا منهم، فبعث القرامطة واليمن إلى عامر ربيعة، وأطمعوهم بالبلد، فأقبلوا في خلق كثير، وحلوا عليها وأرسلوا إلى عبدالله بن علي، فطلبوا منه أن يعيد لهم ما كان على عهد بقية القرامطة واليمن، فامتنع من ذلك، فاجتمعوا، ولبسوا السلاح، وجففوا الخيل، وساقوا النعم قدامهم، وخرج إليهم عبدالله بن علي ومن معه، والتقوا بين النهرين: محلم وسليسل. وقد قدَّمت عامر ربيعة الإبل، وأقبلت الفرسان والرجالة تسوقها من ورائها، ويحملونها على أصحاب عبدالله ابن علي؛ لتدوسهم، فلما أقبلت، وصار أولها في نهر "محلم" أمر عبدالله بن علي بضرب الدبادب والطبول والبوقات، وأمر أهل الخيل أن يزحفوا عليها، وأمر العجم أن يرشقوها بالنشاب، وأن يضربوا وجوه الإبل ، ففعلوا ذلك، فرجعت الإبل على عامر ربيعة ، فداستهم، وحمل عليهم عبدالله بن علي وأصحابه بالخيل والرجال من كل ناحية، فلم يُفْلت منهم صغيرًا ولا كبيرًا غير الرئيس وهو أحمد بن مسعر ، وغير أَبي فراس ابن الشباس كان نازلاً فيهم ، وكان أحمد بن مسعر على فرس له شقراء جواد، فحصل هو أبو فراس في "حلة المنفتق"

(*) ذكر الحادثةَ المؤلفُ باختصار، ص ١٨٣-١٨٤.

-المقاربة للبصرة- على صورة قبيحة من المرض وسوء الحال، فمنَّ عبدالله بن علي على الحرم والذراري، وخلى سبيلهم، ولم يمكِّن العجم منهم، وحصل له من غنائمهم أربعة آلاف ناقة، فيها فحولها ورعاتها، وأخذ من الخيل إرادته، وترك بقية المغنم للعجم وللعساكر، وذلك في سنة سبعين وأربعمائة.

الخبر الذي حدا أكسك سلار على الابتداء بالقطيف عند انحداره من البصرة إلى الأحساء في نصرة عبدالله بن علي(*)

إنما كان ذلك غضبًا لكجكينا أحد حجَّاب السلطان جلال الدين، صاحب الدولة ملك شاه شاه بن بويه؛ لأنه كان وصل إلى "القطيف" في عسكر أكثره العرب، فهُزِم عسكره، ونهب رحله على زمان يحيى ابن عباس الجذمي . وسبب ذلك أنه رجل علوي يعرف بابن الزراد، يخدم كجكينا أحد حجاب السلطان، واتفق له أنه انحدر إلى "البصرة"، فلقيه بها رجال من أهل "القطيف" من أصحاب الأمير يحيى بن عباس صاحب القطيف وجزيرة أوال، فجرى بينهم وبينه الحديث، فقالوا: لو أن السلطان يدفع إلى صاحبنا مائتي فارس من العرب كان يأخذ مدينة "الأحساء" بها وبمن معه. وكان يخطب بها للسلطان، ويحمل إليه من الأموال من أعمالها كل سنة حملاً كثيرًا، فقال لهم ابن الزراد: أنا أفعل هذا، وأقوم به. واعتضد برجل بدوي يقال له : غداف من أصحاب ابن مهارش العقيلي، ومضى معهم إلى "القطيف"، واجتمعوا مع ابن عباس، وضمن لهم ذلك، وأنفذ ابن الزراد كتبه إلى السلطان جلال الدولة وإلى نظام الملك، وعاد، فلم يكن منه ما ضمنه حتى أطمعه أنه استولى على تلك النواحي بهذه الحجة، وهوّن عنده ذلك. وشرع كجكينا لذلك، فكتب إليه بأن يتلقاه أصحابه في "البصرة"، ويسيرون في خدمته إلى أن يصل إليه،

(*) لم يذكر المؤلف تعليلاً لابتدائه بالقطيف عند حديثه عنه ص ١٧٩.

ويجتمعان على التدبير . وعاد ابن الزراد هذا إلى "القطيف" ، ثم رجع، وجاء إلى "بغداد"، وجاء سعد الدولة الكواهري معه على هذه القاعدة لمعاونته ومعاونة خطلخ على "الكوفة" وبني خفاجة، وانحدروا على أن يلحق بهم سعد الدولة بقيم البصرة؛ لتسمع العرب بكونه هناك، فيحترمونهم، ويخدمونه لقربه ولقرب عسكره منهم. ووصلوا إلى "واسط"، وجاءهم غداف البدوي بمكاتبة تقدمت منهم إليه، واجتمعا، وتحالفا، وتعاهدا على أن يكون المغنم مقسومًا على أحد عشر سهمًا: سهم للخليفة، وسهم للسلطان، وسهم لنظام الملك وسعد الكواهري . والبقية أربعة أسهم لكجكينا، وأربعة لأصحاب مهارش. وأقاموا مدة.

فلما عرفوا حصول سعد الدولة بـ"واسط" بنية الائتمام للبصرة خرجوا منها بعد أن وقع بينهم وبين الأشراف من وجوه ربيعة هوشة، واعتدوا في أربعمائة فارس من العرب والعجم سوى أتباعهم، وحصلوا مع غداف وجماعته وقد ترددوا الشهر استظهارًا لقطع الطريق إلى "القطيف"، وساروا حتى وصلوا موضعًا يعرف بـ"جبل سنام"، وهم يتوقعون أن المنتفق يسيرون معهم، وكانوا راسلوهم، فوعدوهم وهم منهم على ثقة ، فحين وصلوا "جبل سنام" قيل لهم : إن بطنًا من العرب يعرف بقيس وقباث قد نزلوا على طريقهم طمعًا فيهم؛ فتحقق عندهم الخوف منهم ومن غدر البدو الذين معهم، وطال مقامهم في الطريق حتى بلغت القوصرة من التمر خمسة دنانير وسبعة وأقل وأكثر، وكذلك الشعير والذرة بالأشياء المتقاربة، وخافوا من قيس وقباث أن يقصدوهم، فاجتمعوا، وسروا ليلاً ومعهم الدليل، فوصلوا بعد يومين إلى قباث وقيس، فقاتلوهم يومهم، فلم يظفروا بهم. فعملوا حيلة بأن

جعلوا منجنيقاتهم وثقلهم وراء تلٍّ، وأمروا بضرب الطبول وضرب البوقات ونشر الأعلام، حتى كأنهم نجدة قد وصلت، فغنموا أموالهم وحلتهم، وأجار كجكينا النساء والثقل، وسيَّرهن إلى أهلهن في ظعنهن وجمالهن، فشكرت له قيس وقباث ذلك، وأرسلوا إليهم بعد أن ساروا يومين؛ يشكرونهم، ويعرضون عليهم الخدمة والمسير معهم، ويطلبون منهم الخلع، فبذلوا لهم ما التمسوه، وشكروا لهم ما قالوا، ووعدوهم ما طمعوا فيه ورجوه، وتعاهدوا، وتواثقوا، وجاء متقدمهم في نحو ثلاثمائة راكب على المطايا وفي أيديهم الحراب، وجعلوا عليه وعلى نيف وعشرين من أصحابه وعلى صاحب ابن مهارش وخمسة رجال كانوا معه، وضمنوا لهم رد أموالهم بعد فراغهم من قصدهم، ورجوعهم إلى "البصرة"، وساروا معهم يبتاعون منهم التمر والذرة بالثمن الذي يريدونه ويطلبونه من غير مقاولة ولا مراجعة إلى أن صاروا من "القطيف" على أربعة فراسخ، وراسلوا ابن عباس بوصولهم، فوجدوه -بخلاف ما قيل لهم- نافرًا مما ذكروا؛ فعلموا أن ابن الزراد قد كذبهم، وعاد جواب ابن عباس إليهم بأن الذي استقر مع هذا الغلام -يعني ابن الزراد- أن ينفذ إلى السلطان بمائتي فارس من العجم أكون متقدمهم وزعيمهم، أصرفهم على رأيي، وأجريهم مجرى جندي. وأما صاحب طبل وأعلام فلا، ولست آنس إلى مخالطتك ومشاركتك أيها الحاجب يعني كجكينا ، ولا آمن الاجتماع معك ، ولا الالتقاء بك ؛ وقد فعلت في بني قيس وقباث ما أفسدت به نيات العرب عليك وعلي ، وكسرت عرضي ، وحصلت ههنا كالسبع الذي في الأجمة وحولها الأعداء ، ولا يمكنك المقام ولا العود ؛ فإنْ أنت سلَّمت

إلي مما معك من الجند ورجعتَ رددْتُك إلى البصرة سليمًا، وقصدتُ أنا "الأحساء" وأعمالها، وأخذتها، وأقمت الخطبة بها، وجمعتُ أموالها، وبعثتُ بها إلى السلطان، ووفيتُ بما ضمنته فيها. وإن أبيتَ ذلك، وأردتَ أن تكون أنت المقدَّم فهذه البرية بين يديك، فامض كيف شئت.

وجرت بينه وبينه مراسلات إلى أن لبسوا السلاح، وقصدوه، وجرت بينهم وبينه حرب قُتِلَ فيها أخوه وأبوه وجماعة من هؤلاء وهؤلاء، وذلك في يوم الأربعاء، ورجعوا غانمين مستظهرين ذلك اليوم بعد أن أيقنوا بالهلاك؛ لكثرة من خرج من عساكر "القطيف". وباكروا القتال يوم الخميس، فوردت عليهم الرسائل بالرغائب والتلطف مخادعة لهم ومخاتلة لم ينته علمهم إليها، وشرع ابن عباس في الحديث مع قيس وقباث، ومنعهم، ومنَّاهم على أن يغدروا بهم، ففعلوا ذلك بكرة يوم الجمعة، فأخذوا جمالهم التي أخذوها منهم وقد حملوا عليها زادهم وأثقالهم، وأخذوا -أيضًا- جمالهم التي كانوا خرجوا عليها من "البصرة" وجميع ما عليها من زاد وقماش، فبلغ الأعاجم ذلك، فساروا وراءهم، وخرج أهل "القطيف" إلى معسكرهم، فنهبوه، وأخذوه، ولم يظفروا هم بالعرب، ولا كان لهم من خوف ابن عباس، فرجع. فأتاهم شبانة أبو الشبانات فأقام معهم، ولولاه ماتوا جوعًا وعطشًا، فعمد رئيسهم كجكينا، فخلع على شبانة وأصحابه، وطيَّب نفسه، ووعدهم، ومنَّاهم، وطلب منه ومن أصحابه، إحضار الزاد؛ ليشتروا منهم كيف اقترحوا، فأرسل شبانة ولده إلى أصحابه، فاجتمعوا بهم، فصاروا يشترون الجلة التمر بثلاثين دينارًا أو ثوب ديباج يساوي

أكثر من الثلاثـين، ويشترون منهم البعير بفـرس؛ لأن الجمال أقوى من الخيل، ولا عندهم زاد للخيل. فغنمـوا منهم غنائم كثيرة، وساروا على أقـبح حـال ، وأسوئـه ، حتى بلـغوا البـصـرة على هذه الصـورة بعـد الإشفـاء على الهلاك ، وذلك في سنة ثمان وسـتين وأربعمائة ، والأمـير عبدالله بن علي قد أشفى على ملك الأحساء [١].

(١) ابن عباس المذكور في هذا الخبر هو ابن عياش.

حديث القاروتي وجيوشه الذين سار بهم إلى الأحساء يريد مَلِكها علي بن عبدالله بن علي(*١)

وذلك أن ملكًا من ملوك العجم - كان قاضي بلاد "قاروت"- قد خرج يريد "الأحساء" في جيش، وكان قد سبقه إليها ملك آخر في عسكر عظيم عن طريق "البصرة" من جهة "خمار تكين"، وقد نقل اسمه إلى تلك الأعمال بعد أن أُبْعِد(*٢) أكسك سلار إلى الشام، وخدم هذا القاضي الديوان.

فلما وصلت الجيوش مع الأمراء "الأحساء" قلَّب الأمير عبدالله بن علي الرأي بطنًا وظهرًا، فلم يجد غير استقبالهم بإظهار الطاعة والتجمل في الأموال والأفعال معهم، إلا أنه لم ينزلهم عنده في القصر، بل أقام لهم الأنزال أيامًا، وبعث إلى متقدميهم وأمرائهم، وأشار عليهم بالمسير إلى "عمان"، ورغَّبهم في ملكها ،وهوَّنه عليهم، ووصف لهم كثرة ما بها من الذهب والفضة ومن ثياب الإبريسم والكتان والمتاعات، وأكثر، ورغبوا في ملكها وطلبوا منه الأدلاء ، فبعث إلى قوم من بني خارجة ، ممن يسكنون الرمل الذي بين عمان والبحرين ، فجاؤوه ، فتقدم إليهم بأن يسيروا معهم، ويدلوهم على الطريق إليها، وقد أسرَّ إليهم بأن إذا توسطتم بهم الرمل، ونفد ماؤهم، فأنزلوهم على غير ماء، واثبتوا بهم في ذلك المكان، فإذا ذهب شطر من الليل بحيث لا يرونكم فامضوا، واتركوهم. فامتثلوا ما تقدَّم به إليهم سرًا، فحين توسطوا بهم في الرمل ذهبوا، وتركوهم، فهلكوا جميعًا، ولم يسلم منهم إلا شخص واحد بلغ به فرسه "الأحساء" وهو لا يدري أين هو ذاهب، فسلم هو وحده من ذلك الجمع الغفير، وذلك في سنة أربع وسبعين وأربعمائة.

(*١) لم يعرض للحادثة المؤلف في حديثه عن عبد الله بن علي العيوني، ص١٧٩-١٨٤.

(*٢) في الأصل : أن بعد.

حديث العجم الذين سار بهم ركن الدين والدولة يطلب البقوش الذي كان قتله عبدالله بن علي(*)

كان البقوش -الذي هو أمير المائتي فارس الذي لزمها عبدالله بن علي من السبعة الآلاف الذين جاؤوا لنصرته من الديوان- همَّ بمنازعة عبدالله بن علي الملك، فقتله عبدالله في السجن، فسار ركن الدين في ألفي فارس، وقصد "الأحساء"، فأقام محاصرًا لها حولاً كاملاً، وأمدته أهل "الأحساء" بعض رغبة وبعض رهبة، ولم يبق عند عبدالله ابن علي غير أهل بيته (آل إبراهيم) ونفر قليل من أصحابه وخواصه وأرباب دولته ووجوه عشيرته، فنزلوا جميعًا القصر . فبعد الحول لم يبق له طمع في الملك، فراسل في الصلح، فصالحه عبدالله بن علي، ورحل عن البلاد بمن معه، وسار عنده خلق لا يحصى من أهل البلد ممن كان قاتل معه ؛ خوفًا أن يعاقبهم عبدالله ابن علي بما فعلوا من خذلانه وعون العجم عليه ، فنادى لهم بالأمان ، وطيَّب قلوبهم . وبذلك السبب استرد أملاكًا كثيرة ممن كان قد أقطع رجالاً من وجوه البلد حين ملكه، وصفح عن ذلك الذنب، واحتجب بعد ذلك عنهم، وتحفظ منهم.

(*١) لم يعرض المؤلف لهذه الحادثة عند حديثه عن عبد الله بن علي العيوني، ص١٧٩-١٨٤.

وقعة ناظرة في عهد عبدالله بن علي [1](*)

العكروت رجل من أهل "أوال" كانت فيه شجاعة. وابن عباس هو زكريا بن يحيى بن عباس. وذلك أن زكريا بن يحيى بن عباس حين قَتل أخاه الحسن بن يحيى جهّز سرية، وسار بها إلى "الأحساء"، فلما بلغ قرية من سوادها -تسمى ناظرة- حلَّ هناك، وأغارت خيله، فأتى الصريخُ عبدَالله بن علي، فركب، وخرج بمن معه أولاده وأولاد أولاده وأهل بيته وبني عمه وجنوده وأهل بلاده، فالتقوا هناك، فهُزمت سرية ابن يحيى، ونُهب رحله، وانهزم. وتبعه عبدالله بن علي يأخذ خيله في ألف فارس وأكثر من ذلك، حتى بلغ "القطيف"، فلم يطمع زكريا أن "القطيف" تمنعه، فعبر إلى جزيرة "أوال"، فتبعه الفضل بن عبدالله بن علي، فقاتله بمن معه، حتى قَتل الأمير فضل رجلاً كان يقال له: العكروت أشجع أصحاب زكريا ، فانهزم حينئذ زكريا ، وركب البحر، وخرج منه إلى "العقير"، واجتمع بقوم من البادية، فأقام معهم أيامًا حتى حشد حشداً كثيراً، وجنّد جنوداً من العرب، وأغار بهم على "القطيف"، فلقيه عبدالله بن علي ، فحمل على جموعه ، فهزمها ، وقَتل حينئذ زكريا بن يحيى، واستقر ملك البحرين جميعًا في يد عبدالله بن علي.

---

(١) العنوان ليس في الأصل، ويلاحظ ان اسم (ابن عباس) ورد هكذا بالسين المهملة، وهو في الشرح المطبوع (ابن عياش) بالمثناة والشين المعجمة، وهو الصواب.

(*) عرض المؤلف هذه الوقعة ص ١٨٢-١٨٣.

وقعة بني مالك
في عهد الأمير محمد بن أبي الحسين
ابن أبي سنان بن الفضل(*)

قال ابن مقرب يمدحه سنة ٥٩٩هـ :

فسائلْ به في الحرب أبناء مالك   وما حاضر في علمه مثل غائب

بنو مالك: قبيلة من قبائل طيء، عظيمة ذات بأس ونجدة، وكان قد أغار عليهم، وأوقع بهم وقعة عظيمة، أخذ فيها الأموال، وملك الحريم. وكانت بنو مالك هؤلاء جمرة من جمرات العرب، ثم هلكوا بعد إيقاعه بهم بسنوات، وكان سبب هلاكهم أن أرضهم أجدبت، وتتابع عليهم الجدب، فساروا يطلبون النجعة من بلد العراق، فأصابهم برد شديد، وهبَّت عليهم ريح بليل، فقتلت جميع المواشي من خيل وإبل وغنم، ومات أكثرهم، وسارت بقيتهم بعد أن أصبحوا، فلم يصل إلى العراق من بقيتهم إلا القليل، وافترقوا في قرى العراق، ولم يبق لهم جماعة يرجعون إليها، وذلك في سنة سبع وستمائة.

(*) عرض المؤلف هذه الوقعة ص ١٩٠-١٩٢ .

يوم صفوى
في عهد الأمير محمد بن أبي الحسين
ابن أبي سنان بن الفضل(*١)

قال ابن المقرب :

لما أتت أهل "القطيف" بجحفل   مثل الأسود بحافتي خفان

في آل جحاف وآل شبانة   متوقد كتوقد النيران

نزلوا على "صفواء" صبحا وابتنوا   فيها القباب وأيقنوا بأمان

كان من حديث "صفوى" -وهي أرض بالقطيف من البحرين- أنه لما ملك الأمير الحسن بن شكر بن الحسن بن عبدالله بن علي بعد خروج محمد بن أبي الحسين منها وتركه لها، ومضت له مديدة، رجع الأمير محمد بن أبي الحسين(*٢) يحل عليها في القيظ وعنده عميرة بن سنان من بني عقيلة وشرذمة قليلة من القديمات، فنزلوا على "صفوى"، فإن الأمير محمد بن غفلة بن شكر وأولاد شبانة فالشبانات أخواله ، وانضاف إليهم عمران بن جحاف وهو يومئذ شيخ للجحاجفة ، وكان فارسًا مشهورًا، وكان عنده يومئذ والده الأمير طريفة بن شبانة، وتبعته للجحاجفة، وقد أمكنهم الأمير الحسن بن شكر من البلاد، وأقطعهم، وأكثر أموالهم وأملاكهم، حين نزل الأمير محمد بن أبي الحسين وعميرة ابن سنان ومن معهما على "صفوى" أنكر ذلك خوفًا منه، وأنكرت أولاد شبانة وأولاد جحاف؛ فجمع على ذلك الأمير الحسن بن شكر عساكر "القطيف" فرسانها ورجالها وعجمها، وأظهر العدد والسلاح، واستنفر

(*١) لم يتحدث المؤلف عنه عند حديثه عن محمد بن أبي الحسين، ص١٨٩-١٩٤.
(*٢) في الأصل : محمد بن الحسين.

آل شبانة وآل جحاف جميع من يتبعهم من القديمات ومن ينزل عليهم من جار ونزيل وخادم، وأقبلوا مثل السيل؛ ليدفعوا محمد بن أبي الحسين وعميرة بن سنان عن ذلك المنزل، ولينهبوا بيوتهم.

فلما بلغوا "صفوى" خرج إليهم عميرة بجمع من عنده، ولم يكن كثيراً، وقد أخرجت الشبانات والجحاجفة (*١) جملاً، وجعلت عليه قبة وثياباً، وجعلوا في القبة طريفة بنت شبانة(*٢)، فجرى بينهم طراد وشيء من القتال، والأمير محمد بن أبي الحسين موثوق عن القتال في "الحلة"، فلم يكن لأصحاب الأمير محمد بن أبي الحسين وأصحاب عميرة بن سنان بما أتاهم من الجموع طاقة؛ فولوا منهزمين، حتى خرجوا من "الحلة". ووردت أهل "القطيف" ومن معهم أول "الحلة"، وصار فيها النهب. فلما رآهم الأمير محمد قد بلغوا "الحلة" قال للذين تكفلوا بلزومه: اتركوني فترة. فاعتزى، وصاح صيحة هائلة إن كاد أن ينصرع في الأرض، وحمل عليهم حملة لم يثبت منها غير أولاد شبانة، فضاربهم، وضاربوه، حتى استوثقوا، واستوثق البدوي والحضري، ولم يكن يعطف كل ساعة غير أولاد شبانة.

وكان فيمن ذكر ذلك اليوم زيد بن عقبة الحارثي، ومن أصحاب ابن أبي الحسين محمد بن أبي عميرة بن سنان. ولم يزل الأمير يطردهم، حتى دفعهم عن الجمل الذي عليه الهودج، وأخذه وعليه المرأة، ودفعها إلى أصحابه، وقد تراجع إليه بعض منهم، وذلك قوله: وحوى المطامع طعامهم.

ولم يقف منهزمهم إلى أن بلغوا البلد، فبلغت القتلى والأسرى ذلك اليوم ما لا يحصى عدده. وبعد هذه الهزيمة نزلوا بأهليهم البلد، وحصرهم فيها، وذلك قوله: وأنزلهم بشر مكان بمعنى البلد؛ لأن البدوي ما شيء أشد عليه من نزول البلد.

(*١) في الأصل : الجحافعة.

(*٢) في الأصل : شبابة.

حالة الأحساء
في عهد عزيز بن حسن بن شكر(*)

أخذوا "الحساء" من "القطيف" إلى "محا ... ديث العيون" إلى "نقا حلوان"
و"الخط" من "صفواء" حازوها فما ... أبقوا بها شبرا إلى "الظهران"
والبحر فاستولوا على ما فيه من ... صيد إلى در إلى مرجان
وأمضّ شيء للقلوب قطائع ... بـ"المروزان" لهم و"كرزكان"

الحساء: لغة في الأحساء، والكثيب: طرفها الجنوبي، والعيون: طرفها الشمالي، والمحاريث : من أرض العيون، وحلوان: مكان بالأحساء والقطيف، والخط: هي القطيف، وصفوى : طرفها الشمالي، والظهران : طرفها الجنوبي. والمروزان وكرزكان : قريتان من سواد جزيرة "أوال".

وكان من الأمر أن الأمير عزيز بن حسن بن شكر بن علي حالف راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة -وهو يومئذ شيخ عقيل بالبحرين- على أن يقتل الأمير محمد بن أبي الحسين صاحب القطيف ، ويتولى عزيز بن حسن مكانه ، ويكون لراشد بن عميرة كل ملك السلطان في "القطيف" من أرض ونخل ، وعدة بساتين من "أوال" مسماة ، وعدة مراكب من مراكب البحرين ، مما يكون للسفر ، ومما يكون للغوص ، وعدة ألوف دنانير تكون رسمًا كل سنة ، وعددها من الثياب لراشد منه شيء معلوم ، وعليه زيادة فضة ، وأشياء غيرها ، ويفرق التالي على عشيرة راشد وأصحابه وقومه، ومن أراد له ذلك من

(*) اسمه عند المؤلف "غرير". وقد عرض له في ص ١٩٢-١٩٣.

أهل البلد؛ فقتله على ذلك الشرط، ووفى له عزيز بن الحسن بجميع ذلك، ولم يبق للسلطان في جميع بساتين "القطيف" وأرضها قليل ولا كثير. فبعد قتل راشد بن عميرة للأمير محمد بن أبي الحسين، وملك عزيز بن الحسين البلاد من بعده، سار ولد محمد بن أبي الحسين الفضل بن محمد إلى "بغداد" مستنصراً بالخليفة الناصر لدين الله، وطلب إليه أن يمدَّه بشيء من السلاح، فأمده بمنجنيقات، وبقوم يرمون عن الخرخ، وبقوم يزرفون بالنفط، فانحدر من "بغداد"، وسار إلى "القطيف"، وسار معه خاله الحسين بن المقداد بن سنان بمن تبعه من عامر وغيرها، وحاربوها معه، فحالفه قوم من أهلها، فملكها بعد حرب أشهر. فحين ملكها وثب على جميع أملاك أهلها، فصار يُقْطِع الرجل من عامر العين الجارية بما تسقي من النخل والأرض، وقسم جميع الحضور التي في البحر لصيد السمك -أيضًا- على عامر، وأقطعهم أيضًا أملاكًا من بساتين "أوال"، وقسَّم عليهم عدة مراكب من مراكب السفر وعدة مراكب من مراكب الغوص، وملكهم الغاصة التي فيها، وصاروا يتوارثون ذلك، الولد عن الولد، والحي عن الميت.

وكان أول هلاك "القطيف"، وأول خروجها من أيدي أهلها قتل الأمير محمد بن أبي الحسين، وملك الأمير عزيز بن الحسن، وتممه ملك الفضل بن محمد، وكلاهما زيَّن له ذلك قومٌ من أهل البلد، وساعدوه عليه، وهوَّنوا أمر الرعية عليه، ولو لم يزينوا ذلك لم يفعل.

حالة الأحساء
في عهد مقدم بن عزيز بن الحسن بن شكر بن علي بن عبدالله بن علي(*)

مقدمة القصيدة التي مطلعها: كم بالنهوض إلى العلا تعداني

وقال بمدينة "القطيف"بعد خروجه من "الأحساء"؛ يريد العراق من البحرين. وكان سبب قولها أنه حين خرج الأمير علي بن ماجد من "الأحساء" بعث قوم من أهل البلد إلى مقدم بن عزيز بن الحسن بن شكر بن علي بن عبدالله بن علي، فأدخلوه إلى البلد، فملكها.

وكانت السلطنة بالبحرين قد ضعفت وساء تدبير أهلها، وذلك أنهم صاروا يقدِّمون قومًا ليسوا من أهل الشرف ولا من أهل الدولة ولا القرابة لهم، ويؤخِّرون أهل قراباتهم ومن هم من أرباب الدولة، ويتحاملون عليهم، حتى زهد فيهم الصديق؛ فأبغضهم ذوو قراباتهم، وطمع فيهم العدو، فصارت العامة تقدِّم من تريد، وتؤخِّر من تريد من السلاطين. ومما بلغ من سوء تدبير ملوكها واستحواذ العامة عليهم أنه صار إذا ملك أحدهم أخرج جميع مملكته من أقاربه وبني عمه، وبقي فردًا، وكانت أموال السلطنة قد خرجت من يدي أهلها، وصارت لعدوها ولخصومها الذين هم البدو، فما بقي السلطان يقدر على مال يجتذب به جنودًا تمنعه، وتحفظ بلاده، وتدفع عنها بأس رعيته، فاجترأت الرعية، وصار كلٌّ له هوى يميل إليه، وكلٌّ يريد أن يكون الملك على يديه، وصار بعضهم يريد هلاك بعض؛ ليكون الأمر كله إليه،

(*) عرض المؤلف لشيء مما ذكر هنا في ص ١٩٩-٢٠١ .

فعند ذلك حملت القوم الذين كانوا أدخلوا مقدم بن عزيز، وملّكوه عليهم، وقالوا: لا بد أن نقبض على قوم واحدًا واحدًا من بني مرة من آل إبراهيم العيونيين أقارب أهل بيت السلطان ، وكان إذ ذاك مقدم ابن عزيز جاهلاً بالبلد وأهلها، وغير مكترث بالنسب؛ لأنه نشأ في البادية، ولم ينشأ في البلد، ولم يكن يعرف أهلها، فأجابهم إلى ذلك، فقَبَضَ على عدة رجال، وألقاهم في المطمورة، ونهب ما في خزائنهم. فأتاه قائل هذه القصيدة قبل خروجه، ولامه في ذلك، وقبّح عليه ذلك الفعل بعد أن سأله، وقال: ما ذنب هؤلاء الرجال الذين قبضتَ عليهم؟ فقال: ما قبضتُ عليهم، وإنما قبض عليهم أصحابي فلان وفلان، ومالي قدرة على خلافهم، ولا طاقة لي بمعصيتهم. فقال هذه القصيدة عند وصوله "القطيف"، وبعث بها إلى أبي علي إبراهيم بن عبدالله بن عزيز بن إبراهيم بن أبي جروان ، وكان يومئذ رأس من "بالأحساء"، وكان هو الذي أدخل مقدم بن عزيز ، وملّكه ، وجعل الخطاب فيها إلى عبد القيس؛ لأنهم جل أهل البحرين، وبهم يعرف، وإبراهيم هذا جدهم.

حالة الأحساء في عهد ماجد بن محمد بن علي(*)

كـم للعشيرة مذ تولى "ماجـد" من سابق بعتم ومن بســـتان

مذ تولى: مذ ملك. وماجد: هو ابن محمد بن علي، وذلك أنه حين ملك استخف بأهل "الأحساء" استخفافًا عظيمًا، وأخذ في سفك دمائهم واستباحة أموالهم، حتى تعدى حد الجور، ومال إلى البدو ميلاً عظيمًا، حتى بلغ من ميله إليهم ومحبته لهم أن أعطاهم جميع مال السلطنة من مال وعقار وكراع ولامة حرب، وأكثر أملاك أهل البدو وجميع خيولهم والمشهور من سلاحهم، حتى بلغ من ميله إلى البدو ومحبته لهم ما حُكي عنه أنه سمع في ذات يوم رغاء بعير، فقال: اللهم، وحيّ راكبه. فقال له بعض من بحضرته: أتعرف راكبه؟ فقال: أعرف أنه بدوي.

وكان قد قرَّب عدة رجال من أوباش أهل "الأحساء" وآخرين منهم يعرفون بقلة النخوة والحمية وعظم الحمق، فصار الرجل منهم يبيع البستان من بساتين أهل "الأحساء" الذي يساوي مائتي دينار أو أقل أو أكثر على البدوي بدينار وبدينارين وبثوب وبجزور وما أشبه ذلك، فلا يُعْترض عليه، ولا يُسْأَل عما فعل، ويُمضى البيع. وربما استغاث الرجل حين يباع بستانه، فيستخف به، ويناله من الهوان أعظم من قيمة البستان. وربما صار أهل البلد تشتري ثلاثمائة فرس وأربعمائة فرس وأقل وأكثر على أنهم يركبونها، وتقوى بها البلد، فإذا أكمل شراؤهم لها وثب عليهم، فما يحول الحول إلا وقد أعطاها البدو، وفعل ذلك

(*) لم يعرض له المؤلف.

مراراً عدة، فلم يزل ذلك دأبه ودأب أصحابه في أهل البلد مدة عشر سنين، حتى بعث أهل "الأحساء" إلى الأمير علي بن الحسين بن عبدالله بن علي، فسار إليهم، فأدخلوه البلد، وحاصروا ماجد بن محمد في الكوت، حتى أخرجوه منها، وملكها علي بن علي(*)، وكان سببًا لاستخفافه بالرعية وإعطاء البلد البدو وأملاكهم وخيلهم وسلاحهم، مع ميل الأمير إلى هؤلاء الرجال.

والله ما نَحَسَ البلاد سواكم   لا بالعدى انتحست ولا السلطان

(*) لعل فيه سقطا، صوابه : علي بن الحسين بن عبد الله بن علي.

٤ - ترجمتا

١ - أكسك سلار ، القائد(*١)

٢ - ابن المقرب، الشاعر(*٢)

(*١) أورد المؤلف ذكره عند حديثه عن ثورة عبد الله العيوني على القرامطة، ص ١٧٩-١٨١.

(*٢) ستأتي ترجمة المؤلف له في القسم الثاني، ص ٥١٧-٥٢٩. وكان المؤلف قد ذكر شعره في حديثه عن دولة العيونيين.

أكسك سلار

هو قائد الجيش الذي أرسله الخليفة العباسي لنجدة عبدالله بن علي العيوني ، حينما ثار القرامطة (انظر ص ١٧٩ من هذا الكتاب وما ورد في الملحق الثالث) قال ابن خلكان في كتاب "وفيات الأعيان" ج١، ص١٧١، طبعة الأستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد ، سنة ١٣٦٧هـ :

«أُرْتُق بن أَكْسَب، جد الملوك الأرتقية :

هو رجل من التركمان، تغلَّب على حلوان والجبل، ثم صار إلى الشام؛ مفارقًا لفخر الدولة أبي نصر محمد بن جهير، خائفًا من السلطان محمد بن ملكشاه، وذلك في سنة ثمان أو تسع وأربعين وأربعمائة، وملك القدس من جهة تاج الدولة تتش السلجوقي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، ولما توفي أرتق في التأريخ المذكور فيه تولاه بعده ولداه سكمان وايلغازي ابنا أرتق، ولم يزالا به حتى قصدهما الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش الآتي ذكره -إن شاء الله تعالى- من مصر بالعساكر، وأخذه منهما في شوال سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، وتوجها إلى بلاد الجزيرة الفراتية وملكا ديار بكر، وصاحب قلعة "ماردين" الآن من أولاده، وملك ولده نجم الدين إيلغازي مدينة "ماردين" سنة إحدى وخمسمائة، وكان ولاه السلطان محمد شحنكية بغداد، وتوفي سكمان بن أرتق بعلة الخوانيق في طريق الفرات بين طرابلس والقدس سنة ثمان وتسعين وأربعمائة.

وكان أرتق رجلاً شهمًا، ذا عزمة وسعادة، وجد واجتهاد، وتوفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة، رحمه الله تعالى.

وهو بضم الهمزة، وسكون الراء، وضم التاء المثناة من فوقها، وبعدها قاف.

وأَكْسَب بفتح الهمزة، وسكون الكاف، وفتح السين المهملة، وبعدها باء موحدة.

وقيل : هو أكسك بالكاف بدل الباء. والله أعلم».

ابن المقرب

ورد اسم هذا الشاعر مرات كثيرة في هذا الكتاب، وقد وعد المؤلف الفاضل بأن يورد ترجمته في القسم الثاني من هذا الكتاب، غير أننا رأينا أن نورد أوفى ترجمة وأقدم ترجمة اطلعنا عليها للشاعر المذكور، في هذا الجزء؛ ليكون لدى القارئ معرفة بعصره.

قال الحافظ المنذري في كتابه "التكملة، لوفيات النقلة" - نسخة دار الكتب المصرية المخطوطة - في ذكر وفيات سنة ٦٢٩هـ:

«ويقال[1] أبو الحسن علي بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عَزيز بن ضَبَّار بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم الربيعي العُيُوني البحراني الأحسائي، الشاعر بالبحرين، ومولده في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بالأحساء من بلاد البحرين . وقيل : إنه توفي في رجب من هذه السنة. قدم "بغداد"، وحدَّث بها بشيء من شعره، كتب عنه غير واحد من الفضلاء ودخل "الموصل" أيضًا، ومدح ملكها، وأقبل عليه أهل البلد أيضًا ، وكان شاعراً مجيداً مليح الشعر، وقيل: إنه من بكر بن وائل.

وعَزِيز : بفتح العين المهملة ، وكسر الزاي ، وبعدها ياء - آخر الحروف - ساكنة وزاي.

وضَبَّار: بفتح الضاد المعجمة، وتشديد الباء الموحدة وفتحها، وبعد الألف راء مهملة.

(١) بدأ الكلام بجملة: "ويقال"؛ مما يدل على أن وفاته في سنة ٦٢٩هـ ليست ثابتة.

والعُيُون: بضم العين المهملة، والياء آخر الحروف، جمع عين، وهي ناحية بالبحرين.

والعيون -أيضًا-: موضع قرب "واسط".

والعيون -أيضًا-: مدينة بالأندلس، يقال لها: جبل العيون.

والبَحْراني: بفتح الباء الموحدة، وسكون الحاء المهملة، وبعد الألف نون وياء النسبة.

والأحساء: ممدود الهمزة، وسكون الحاء، وفتح السين المهملة.

وفي بلاد العرب مواضع تسمى "الأحساء" غير هذا أيضًا». انتهى.

خبر قرامطة البحرين ودولة بني الجنابي فيها، وذكر المتغلبين بالبحرين من العرب بعد القرامطة(*)
(نقلا عن تاريخ العلامة ابن خلدون)

(*) ذكر المؤلف خبر القرامطة في ص ١٥٧ - ١٧٩.

قال ابن خلدون في كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر" (ج٤ ص٨٨ إلى ٩٢، الطبعة الأولى) :

خبر قرامطة البحرين ودولة بني الجنابي فيها

وفي سنة إحدى وثمانين[*١] جاء إلى "القطيف" من البحرين رجل تسمى بيحيى بن المهدي، وزعم أنه رسول من المهدي وأنه قد قرب خروجه، وقصد من أهل "القطيف" علي بن المعلى بن أحمد الدبادي، وكان متغاليًا في التشيع، فجمع الشيعة، وأقرأهم كتاب المهدي، وشيّع الخبر في سائر قرى البحرين، فأجابوا كلهم، وفيهم أبو سعيد الجنابي، واسمه الحسن بن بهرام، وكان من عظمائهم.

ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدة، ورجع بكتاب المهدي؛ يشكرهم على إجابتهم، ويأمرهم أن يدفعوا ليحيى ستة دنانير وثلاثين[*٢] عن كل رجل، فدفعوها.

ثم غاب، وجاء بكتاب آخر؛ يدفعوا إليه خُمْس أموالهم، فدفعوا. وقام يتردد في قبائل قيس.

ثم أظهر أبو سعيد الجنابي الدعوة بالبحرين سنة ثلاث وثمانين، واجتمع إليه القرامطة والأعراب ، وسار إلى "القطيف" طالبًا "البصرة"، وكان عليها أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي ، فأدار السور على "البصرة"، وبعث المعتمد عن ابن عمر الغنوي[*٣] وكان على فارس ،

(*١) ومائتين. (*٢) الذي ذكره المؤلف ص ١٥٧ : ستة دنانير وثلثي دينار.
(*٣) الذي ذكره المؤلف ص ١٥٨ : وبعث المعتضدُ العباسَ بن عمرو الغنوي.

فأقطعه اليمامة والبحرين، وضم إليه ألفين من المقاتلة، وسيَّره إلى "البصرة"، فاحتشد، وخرج للقاء الجنابي ومن معه، ورجع عنه عند اللقاء بنو ضبة، فانهزم، وأسره الجنابي، واحتوى على معسكره، وحرق الأسرى بالنار، ثم مَنَّ عليه، وأطلقه، وسار إلى "الأبلة"، ومنها إلى "بغداد". وعاد أبو سعيد إلى "هجر"، فملكها، وأمنها. واضطربت "البصرة" للهزيمة، وهمَّ أهلها بالارتحال، فمنعهم الواثقي.

ومن كتاب ابن سعيد في خبر قرامطة البحرين ملخصًا من كلام الطبري، فلعله كما ذكره قال:

كان ابتداء أمر القرامطة سنة ثمان وثلاثمائة (*)، فنقل الكلام. وكان أبو سعيد عهد لابنه الأكبر سعيد، فقام [1] به، وثار به أخوه الأصغر أبو الطاهر سليمان، فقتله، وقام بأمرهم، وبايعه العقدانية. وجاءه كتاب عبيد الله المهدي بالولاية.

وفي سنة ست وثمانين وصل أبو القاسم القائم إلى مصر، واستدعى أبا طاهر القرمطي، وانتظره، فأعجله مؤنس الخادم عن انتظاره، وسار من قبل المقتدر، فهزمه، ورجع إلى المهدية. ثم سار أبو الطاهر سنة سبع إلى "البصرة"، فاستباحها، وخرَّب الجامع، وتركها خربة. ثم خرج سنة اثنتي عشرة لاعتراض الحاج، فأوقع بهم، وهزم قواد السلطان الذين كانوا معهم، وأسر أميرهم أبا الهيجاء بن حمدان، واستصفى النساء والصبيان، وترك الباقي بالبرية، فهلكوا. ثم خرج سنة أربع عشرة إلى العراق، فعاث في السواد، ودخل "الكوفة"، وفعل

(*) لعل الصواب: ثلاث وثمانين ومائتين.

(١) بياض في الأصل.

فيها أشد من "البصرة". وفي سنة أربع عشرة وقع بين العقدانية وأهل البحرين خلاف؛ فخرج أبو طاهر، وبنى مدينة "الأحساء"، وسماها "المؤمنية"، فلم تعرف إلا به، وبنى قصره وأصحابه حوله. وفي سنة خمس عشرة استولى على عمان، وهرب واليها في البحر إلى فارس.

وزحف سنة ست عشرة إلى الفرات، وعاث في بلاده. وبعث المقتدر يوسف بن أبي الساج من "أذربيجان"، وولاه "واسط"، وبعثه لحربه، فالتقوا بظاهر "الكوفة"، وهزمه أبو طاهر، وأسره، وأرجف أهل "بغداد". وسار أبو طاهر إلى "الأنبار"، وخرجت العساكر من "بغداد" لدفاعه مع مؤنس المظفر وهارون بن غريب الخال، فلم يطيقوا دفاعه، وتواقفوا، ثم تحاجزوا، وعاد مؤنس إلى "بغداد"، وسار هو إلى "الرحبة"، واستباحها ، ودوَّخ بلاد الجزيرة بسراياه ، وسار إلى "هيت" و"الكوفة"، وقاتل "الرقة"، فامتنعت عليه. وفرض الإتاوة على أعراب الجزيرة يحملونها إلى "هجر".

ودخل في دعوته جماعة من بني سليم بن منصور وبني عامر بن صعصعة، وخرج إليه هارون بن غريب الخال، فانصرف أبو طاهر إلى البرية، وظفر هارون بفريق منهم، فقتلهم، وعاد إلى "بغداد".

وفي سنة سبع عشرة هجم على مكة، وقتل كثيراً من الحاج ومن أهلها، ونهب أموالهم جميعًا، وقلع باب البيت والميزاب، وقسم كسوة البيت في أصحابه، واقتلع الحجر الأسود، وانصرف به؛ وأراد أن يجعل الحج عنده. وكتب إليه عبيد الله المهدي من "القيروان"؛ يوبخه على ذلك، ويتهدده، فكتب إليه بالعجز عن رده من الناس، ووعد برد

الحجـر، فرده سنة تسع وثلاثين؛ بعـد أن خاطبه منصـور إسمـاعيل من "القـيـروان" في رده، فـردوه. وقد كـان بجكـم -المتغـلب على الدولة ببـغـداد أيام المسـتكفي- بذل لهـم خـمسـين ألفًـا من الذهب على أن يردوه، فأبـوا، وزعموا أنهـم إنما حملوه بأمـر أمامهـم عبيـد الله، وإنما يردونه بأمـره وأمر خلـيفـته. وأقـام أبو طاهر بالبـحـرين وهو يتعـاهد العراق والشام بالغزو؛ حتى ضربت له الإتاوة ببغداد وبدمشق على بني طغج، ثم هلك أبـو طاهر سنة ثنتين وثلاثين لإحـدى وثـلاثين سنة من ملكه، ومات عن عشرة من الولد، كبيرهم سابور.

وولي أخوه الأكبر أحمد بن الحسن، واختلف بعض العقدانية عليه، ومالوا إلى ولاية سـابور بن أبي طاهر، وكاتبـوا القائم في ذلك، فـجاء جوابه بولاية الأخ أحمد، وأن يكون الولد سابور ولي عـهده ، فاستقر أحمـد في الولاية عليـهم ، وكنّـوه أبا منصور ، وهو الذي رد الحـجـر الأسود إلى مكانه كما قلناه ، ثم قـبض سابور على عمه أبي منصور ، فاعتقله بموافقـة إخوته له على ذلك، وذلك سنة ثمان وخمسين. ثم ثار بهم أخوه؛ فأخرجه من الاعتقال، وقتل سابور، ونفى إخوته وأشياعهم إلى جـزيرة "أوال". ثم هلك أبو منصـور سنة تسع وخـمـسين، يقـال: مسموماً على يـد شيعة سابور ، وولي ابنـه أبو علي الحسن بن أحمد ، ويلقب: الأعـصم، وقيل : الأغنم ، فطالت مـدته ، وعظمت وقائـعه ، ونفى جمعًا كثيراً من ولد أبي طاهر، يقال: اجتمع منهم بجزيرة "أوال" نحو من ثلاثمـائة ، وحج هذا الأعصم بنفـسه ، ولـم يتعـرض للحاج ، ولا أنكر الخطبة للمطيع.

فتنة القرامطة مع المعز العلوي

ولما استولى جوهر -قائد المعز لدين الله- على "مصر" وجعفر بن فلاح الكتامي على "دمشق" طالب الحسن بالضريبة التي كانت له على "دمشق"، فمنعوه، ونابذوه، وكتب له المعز، وأغلط عليه، ودس لشيعة أبي طاهر وبنيه أن الأمر لولده، واطلع الحسن على ذلك؛ فخلع المعزَّ سنة ثتين(*)، وخطب للمطيع العباسي في منابره، ولبس السواد، ثم زحف إلى "دمشق"، وخرج جعفر بن فلاح لحربه، فهزمه الأعصم، وقتله، وملك "دمشق". وسار إلى "مصر"، فحاصر جوهراً بها، وضيق عليه، ثم غدر به العرب، وأجفلوا، فأجفل معهم، وعاد إلى الشام، ونزل "الرملة"، وكتب إليه المعز سنة إحدى وستين بالنفي والتوبيخ، وعزله عن القرامطة، وولَّى بني أبي طاهر، فخرجوا من "أوال"، ونهبوا "الأحساء". في غيبته، وكتب إليهم الطائع العباسي بالتزام الطاعة، وأن يصالحوا ابن عمهم، ويقيموا بجزيرة "أوال"، وبعث من أحكم بينهم الصلح. ثم سار الأعصم إلى الشام، وتخطاها دون سور، فقاتلوه وراء الخنادق، وبذل جوهر المال للعرب، فافترقوا عنه، وانهزم، ونُهِبَ معسكره.

وجاء المَعز من "إفريقية"، ودخل "القاهرة" سنة ثلاث وستين، وسرح العساكر إلى الشام، فاستولوا عليه، فنهض الأعصم إليهم، فأوقع بهم، وأثخن فيهم، وانتزع ما ملكوه من الشام، وسار إلى "مصر"، وبعث المعز لدين الله ابنه عبدالله، فلقيهم على "بلبيس"، وانهزم الأعصم، وفشا القتل والأسر في أصحابه، فكانوا نحواً من ثلاثة

(*) الصواب: سنة ستين.

آلاف، ورجع الأعصم إلى "الأحساء"، واستخلص المعز بني الجراح أمراء الشام من طيئ، حتى استرجع بهم ما غلب عليه القرامطة من الشام بعد حروب وحصار.

ثم مات المعز سنة خمس وستين، وطمع الأعصم في بلاد الشام، وكان أفتكين التركي -مولى معز الدولة بن بويه- لما انتقض على أبيه بختيار، وهزمه ببغداد، سار أفتكين منهزمًا إلى "دمشق"، وكانوا مضطرين، فخرجوا إليه، وولوه عليهم، وصالح المعز إلى أن توفي، فنابذ العزيز، وبعث إليه جوهر في العساكر، فحاصره، فكتب أفتكين إلى الأعصم، واستدعاه، فجاء إلى الشام سنة ست وستين، وخرج معه أفتكين، ونازلوا "الرملة"، فملكوها من يد جوهر، وزحف إليهم. العزيز، وهزمهم، وقبض على أفتكين، ولحق الأعصم بطبرية منهزمًا، ثم ارتحل منها إلى "الأحساء"، وأنكروا ما فعله الأعصم من البيعة لبني العباس، واتفقوا على إخراج الأمر عن ولد أبي سعيد الجنابي، وقدموا رجلين منهم،وهما جعفر وإسحاق، وسار بنو أبي سعيد إلى جزيرة "أوال"، وكان بنو أبي طاهر قبلهم، فقتلوا كل من دخل إليهم من ولد أحمد بن أبي سعيد وأشياعه، ثم قام بأمر القرامطة جعفر وإسحق هذان، ورجعوا إلى دعوة العلوية ومحاربة بني [العباس] (*)، ورجعوا سنة أربع وستين إلى "الكوفة"، فملكوها، وبعث صمصام الدولة بن بويه العساكر إليهم، فهزمهم على الفرات، وقُتل منهم خلق، واتبعوهم إلى "القادسية"، ثم اختلف جعفر وإسحاق، وطمع كل منهما بالرياسة على صاحبه، وافترق أمرهم، وتلاشت دعوتهم إلى أن استولى

(*) بياض في الأصل.

الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي سنة ثمان وتسعين عليهم، وملك "الأحساء" من أيديهم، وأذهب دولتهم، وخطب للطائع، واستقرت الدولة له ولبنيه.

ذكر المتغلبين بالبحرين من العرب بعد القرامطة

كان بأعمال البحرين خلق من العرب، وكان القرامطة يستنجدونهم على أعدائهم، ويستعينون بهم في حروبهم، وربما يحاربونهم، ويقاطعونهم في بعض الأوقات. وكان أعظم قبائلهم هناك بنو ثعلب وبنو عقيل وبنو سليم، وأظهرهم في الكثرة والعزة بنو ثعلب.

ولما فشلت دولة القرامطة بالبحرين، واستحكمت العداوة بينهم وبين بني بويه بعد انقراض ملك بني الجنابي، وعظم اختلافهم عند القائم بدعوة العباسية، وكان خالصة للقرامطة، ودعاه إلى إذهاب دولتهم، فأجابه، وداخل بني مكرم -رؤساء عمان- في مثل ذلك، فأجابوه، واستولى الأصغر على البحرين، وأورثها بنيه، واستولى بنو مكرم على عمان. ثم غص بنو ثعلب بسليم، واستعانوا عليهم ببني عقيل، وطردوهم من البحرين، فساروا إلى مصر، ومنها كان دخولهم إلى "إفريقية" كما يأتي ، ثم اختلف بنو ثعلب وبنو عقيل بعد مدة ، وطردهم بنو ثعلب إلى العراق، فملكوا "الكوفة" والبلاد العراقية، وامتد ملك الأصغر، وطالت أيامه، وتغلب على الجزيرة والموصل، وحارب بني عقيل سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة برأس عين من بلاد الجزيرة ، وغص بشأنه نصير الدولة بن مروان ، صاحب ميافارقين وديار بكر ، فقام له، وجمع له الملوك من كل ناحية، فهزمه، واعتقله، ثم أطلقه،

ومـات، وبقي الملك مـتوارثًا في بـنيه في "البـحـرين" إلى أن ضـعفـوا، وتلاشوا، وانقرضت دولة بني عقيل بالجزيرة، وغلبهم عليها وعلى تلك البلاد أولياء الـدولة السلجوقية ، فتـحولوا عنها إلى "البحـرين" موطنهم الأولى ، ووجدوا بني ثعلب قد أدركهم الهرم، فغلبوا عليهم.

قال ابن سعيد: سألت أهل البـحرين حين لقيتهم بالمدينة المنورة سنة إحـدى وخمسين وستمائة عـن البحرين، فقالوا: الملك فيها لبنـي عامر ابن عوف بن عـامر بن عقيـل ، وبنـــو ثعلـــب من جملـة رعـايـاهـم ، وبنو عصفور منهم أصحاب "الأحساء".

ولنذكـر هنا نبذة في التـعريف بكاتب القـرامطة وأمصـار البحـرين وعمان لما أن ذلك من توابع أخبارهم.

الكاتب : كـان كـاتبهم أبو الـفتح الحسين بن مـحـمود ، ويعـرف بكشـاجم ، كان من أعـلام الشعـراء ، وذكره الـثعـالبي في "اليتـيمـة" والحـصري في "زهر الآداب"، وهو بغـدادي المولد. واشـتهـر بخدمـة القرامطة فيما ذكره البيهقي، وكتب لهم بعده ابنه أبو الفتح نصر، ولقبه كشاجم مثل أبيه ، وكان كاتبًا للأعصم.

البحرين: إقليم يسمى باسم مدينته. ويقال: هجر باسم مدينة أخرى ومنه كـانت حاضـرة فخـرّبهـا القرامطة، وبنوا "الأحـساء"، وصـارت حاضرة. وهذا الإقليم مسافة شهر على بحر فارس بين البصرة وعمان، شرقـيهـا بحر فارس، وغـربيهـا متـصل باليمامـة، وشمـالها البـصرة، وجنوبها بعـمان. كثـيرة المياه، ينبطونهـا على القامة والقـامتين، كثـيرة البقـل والفواكه ، مفرطة الحـر ، منهـالة الكثبان ، يغلـب الرمل عليهم

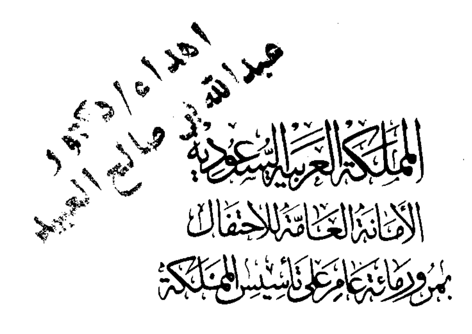
في منازلهم. وهي من الإقليم الثاني، وبعضها في الثالث. كانت في الجاهلية لعبد القيس وبكر بن وائل من ربيعة، وملكها الفرس، وعاملها من قبلهم المنذر بن ساوى التميمي، ثم صارت رياستها في صدر الإسلام لبني الجارودي. ولم يكن ولاة بني العباس ينزلون "هجر" إلى أن ملكها أبو سعيد القرمطي بعد حصار ثلاث سنين، واستباحها قتلاً وإحراقًا، ثم بنى أبو طاهر مدينة "الأحساء"، وتوالت دولة القرامطة، وغلب على البحرين بنو أبي الحسن بن ثعلب، وبعدهم بنو عامر بن عقيل.

قال ابن سعيد: والملك الآن فيهم لبني عصفور.

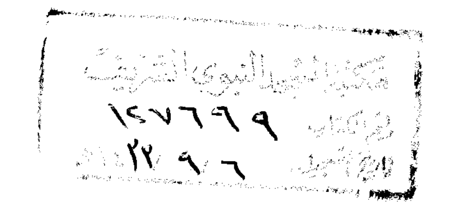
الأحساء: بناها أبو طاهر القرمطي في المائة الثالثة، وسُمِّيت بذلك لما فيها من أحساء المياه في الرمال ومراعي الإبل. وكانت للقرامطة بها دولة، وجالوا في أقطار الشام والعراق ومصر والحجاز، وملكوا الشام وعمان.

دارين: هي من بلاد البحرين، ينسب إليها الطيب، كما تنسب الرماح إلى "الخط" بجانبها، فيقال: مسك دارين، والرماح الخطية.









تحفة المستفيد

بتاريخ الأحساء في القديم والجديد

القسم الثاني

العلم والأدب في هجر

تأليف

محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري الأحسائي

١٣١٢-١٣٩١هـ

أعيد طبع هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

ⓒ الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأنصاري ، محمد بن عبد الله آل عبد القادر

تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد .- الرياض

٢٧٥ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٥-٩١-٦٦٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-٨٩-٦٦٠-٩٩٦٠ (ج ٢)

١ - الأحساء (السعودية) - تاريخ　　　أ - العنوان

ديوي ٩٥٣,١٣٣　　　٣٦٧٤ / ٢٠

رقم الإيداع : ٣٦٧٤ / ٢٠
ردمك : ٣-٨٩-٦٦٠-٩٩٦٠ (ج٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين

إن هذ الجزء يختص بالعلم والأدب في "هجر"، وهي "الأحساء" قاعدة بلاد البحرين.

وكانت "هجر" من المدن العامرة بالعلم والأدب قبل الإسلام وبعده، وفيها **جماعة من أحبار أهل الكتاب ورهبانهم**، أشهرهم:

١ - **أبو الجلد الهجري**، ذكر ابن جرير الطبري(*) -رحمه الله- في تفسير عند قول الله -عزّ وجل-: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩]. قال: «حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير عن عطاء عن رجل من أهل "البصرة" من قرائهم قال: كتب ابن عباس -رضي الله عنهما- إلى أبي الجلد - رجل من أهل "هجر"- يسأله عن البرق، فكتب إليه: كتبت إليّ تسألني عن البرق، وإنه من الماء.

وحدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا بشر بن إسماعيل عن أبي كثير، قال: كنت عند أبي الجلد إذ جاءه رسول ابن عباس -رضي الله عنهما- بكتاب إليه، فكتب إليه: كتبت إليّ تسألني عن البرق، فالبرق من الماء.

وبهذا الإسناد أن ابن عباس كتب إليه يسأله عن الرعد، فقال: الرعد ريح تختنق تحت السحاب».

(*) تفسير الطبري: ١/ ٣٣٣، تحقيق محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر.

ومن المشهورين من بني عبدالقيس -سكان هجر- بالعلم والأدب:

٢- **الجارود بن المعلى بن حنش العبدي،** وكان نصرانيًا، ولما جاء الإسلام أسلم وحسن إسلامه. قال ابن كثير -رحمه الله- في "البداية والنهاية"(*): «أخبرنا الرحالة المسند: أحمد بن أبي طالب الحجار، قال: أجاز لنا جعفر بن علي الهمداني، قال: أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السلفي سماعًا، وقرأت على شيخنا الحافظ أبي عبدالله الذهبي، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن أبي بكر الخلال سماعًا، قال: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي، قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السعدي، قال: أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن علي المقرئ، قال: حدثنا أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد السعدي قاضي فارس ، قال : حدثنا أبو داود سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائي من أهل حران، قال: حدثنا أبو عمرو سعيد بن يربع عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال:

كان الجارود بن المعلى بن حنش بن المعلى العبدي نصرانيًا حسن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها، عالمًا بسير الفرس وأقاويلها، بصيرًا بالفلسفة والطب، ظاهر الدعاء والأدب، كامل الجمال، ذا ثروة ومال،

(*) البداية والنهاية لابن كثير: ٢/ ٢٣٢، مكتبة المعارف - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م.

وإنه قدم على رسول الله ﷺ وافدًا مع رجال من عبدالقيس(*١) ذوي آراء وأسنان وفصاحة وبيان، وحجج وبرهان، ولما قدموا على رسول الله ﷺ وقف بين يديه الجارود، وأنشد:

يا نبيَّ الهدى أتتك رجال ... قطعت فدافدًا وآلاً فآلا(*٢)

وطوت نحوك الصحاصح تهوي ... بكماة كأنجم تتلالا(*٣)

كل بهماء قصر الطرف عنها ... أرقلتنا قلاصنا إرقالا(*٤)

وطوتها العتاق يجمح فيها ... لا تعد الكلال فيك كلالا(*٥)

تتقي وقع بأس يوم عظيم ... هائل أوجع القلوب وهالا

ومزادًا لمحشر الخلق طرًا ... وفراقًا لمن تمادى ضلالا

نحو نور من الإله وبرهان ... وبرٍّ ونعمة أن تنالا

خصَّك الله -يابن آمنة الخير- ... بها إذ أتت سجالا سجالا

فاجعل الحظ منك يا حجة الله ... جزيلاً لا حظ خلف أحالا

فأدناه النبي ﷺ، وقرب مجلسه، وقال له: يا جارود، لقد تأخر الموعود بك وبقومك. فقال: فداك أبي وأمي! أما من تأخر فقد فاته حظه، وتلك أعظم عقوبة وأغلظ حوبة! وإني الآن على دين قد جئتك به،

(*١) كان ذلك في عام الوفود، سنة تسع من الهجرة. وبنو عبدالقيس بطن من أسد وربيعة، اشتهروا بالفصاحة.

(*٢) الآل: السراب. والفدافد: جمع فدفد، وهو الفلاة والمكان الصلب الغليظ.

(*٣) الصحاصح: جمع صحصح، وهو ما استوى من الأرض.

(*٤) الإرقال: الإسراع، وأرقل المفازة قطعها . والقلاص: جمع قلوص، وهي من الإبل الشابة، أو الباقية على السير.

(*٥) العِتاق -ككتاب- : الخيل النجائب.

وها أنا تاركه لدينك، أفذلك مما يمحص الذنوب، ويرضي الرب عن المربوب؟ فقال رسول الله ﷺ: أنا ضامن لك ذلك، وأَخْلص الآن لله الوحدانية، ودعْ عنك دين النصرانية. فقال الجارود: فداكَ أبي وأمي! مُدَّ يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك محمد عبده ورسوله. قال: فأسلم، وأسلم معه رجال من قومه، فسُرَّ بهم النبي ﷺ، وبإسلامه، وأظهر من إكرامهم ما سروا به وابتهجوا به، ثم أقبل عليهم رسول الله ﷺ، فقال: أفيكم من يعرف قس بن ساعدة الإيادي؟، فقال الجارود: كلنا يعرفه، فداك أبي وأمي، وإني من بينهم لعالم به واقف على أمره: كان قس -يا رسول الله- سبطًا من أسباط العرب، عُمِّر ستمائة سنة، تقفر خمسة أعمار في البراري والقفار، يضج بالتسبيح على مثال المسيح، لا يقره قرار، ولا تكنه دار، ولا يستمتع به جار، كان يلبس الأمساح، ويفوق السواح، ولا يفتر من رهبانيته، يتحسى في سياحته بيض النعام، ويأنس بالهوام، ويستمتع بالظلام. يبصر ويعتبر، ويفكر ويختبر، فصار بذلك واحداً تضرب الأمثال بحكمته، أدرك رأس الحواريين «سمعان»، وهو أول رجل تألَّه من العرب، ووحَّد، وحذَّر سوء المآب، وأيقن بالبعث والحساب، وأمر بالعمل قبل الفوت، ووعظ بالموت، وسلم للقضا على السخط والرضا، وزار القبور، وذكر النشور، وندب بالأشعار، وفكر في الأقدار، وأنبأ عن السماء والنماء، وذكر النجوم والماء، ووصف البحار، وعرَّف الآثار، ورسَّل الرسائل، وذكر كل هائل، وخوَّف الدهر، وحذر الأزر، وعظم الأمر، وشوَّق إلى الحنيفية، ودعا إلى اللاهوتية، وهو القائل يوم عكاظ:

شرقٌ وغربٌ، وسلم وحرب، ويابس ورطب، وأجاج وعذب، وشموس وأقمار، ورياح وأمطار، وليل ونهار، وإناث وذكور، وعشي وبكور، وبراري وبحور، وحَبٌّ ونبات، وآباء وأمهات، وجمع وشتات، ونور وظلام، ويسر وإعدام، وفقير وغني، ومحسن ومسيء؛ إن لذلك إلهًا واحدًا، ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدى، وأمات وأحيا، ورب الآخرة والأولى.

أما بعد، فيا معشر إياد، أين ثمود وعاد؟ وأين الآباء والأجداد؟ وأين العليل والعواد؟ كل له معاد. يقسم قس برب العباد، وساطح المهاد؛ لتحشرن على الانفراد، في يوم التناد، إذا نُفخ في الصور، ونُقر في الناقور، فويل لمن صدف عن الحق الأشهر، والنور الأزهر، والعَرض الأكبر، في يوم الفصل، وميزان العدل، إذا شهد النذير وحكم القدير، وبعد النصير، وظهر التقصير، ففريق في الجنة، وفريق في السعير.

وله شعر يقول فيه:

أيقظ القلب من هواه ادكار ... وليال خلا لهنَّ نهارُ

وسجال هواطل من غمام ... ثرن ماء وفي جواهن نار

ضوؤها يطمس العيون وأرعا ... د شداد في الخافقين تطار

وقصور مشيدة حوت الخيـ ... ـر وأخرى خلت بهن قفار

وجبال شوامخ راسيات ... وبحار مياههن غزار

ونجوم تلوح في ظُلُم الليـ ... ـل نراها في كل يوم تدار

وصغير وأشمط وكبير ... لهم في الصعيد يومًا مزار(*)

فالذي قد ذكرت دل على الـ ... ـله نفوسًا لها هدى واعتبار

(*) الشَّمَط - بفتح الميم-: بياضُ الرأس يخالط سواده. والصعيد: التراب أو وجه الأرض.

فقال رسول الله ﷺ : مهما نسيت، فلست أنساه بسوق عكاظ، واقفًا على جمل أحمر يخطب الناس، فيقول:

اجتمعوا وعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج(*1)، وسماء ذات أبراج، وبحر عجاج، إنَ في الأرض ً لعبرا، وإن في السماء لخبرا، أقسم قس قسمًا، لا حانثًا (*2) فيه ولا آثمًا، إن لله دينًا هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه، وهذا زمانه وأوانه. ثم قال: ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا ؟!

ثم التفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فقال: أيكم يروي شعره؟ فقال أبوبكر الصديق: فداك أبي وأمي، أنا سمعته يقول:

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إلي ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

ثم قال رسول الله ﷺ : «رحم الله قسًا؛ إنه سيبعث يوم القيامة أمة وحده». وقد رواه البيهقي والحافظ أبو القاسم ابن عساكر من حديث محمد بن عيسى بن محمد الإخباري».

قلت: ويظهر من قول الجارود: «كلنا يعرفه يا رسول الله» أن سياحة قس كانت في صحاري بلاده البحرين، وأنه من بقايا إياد الذين سكنوا "هجر" قبل مجيء عبدالقيس.

(*1) دجا الليل: أظلم.

(*2) الحانث: الكاذب في يمينه.

ذكر مشاهير الصحابة من عبدالقيس من سكان هجر وجواثى

قال الإمام القسطلاني في "المواهب اللدنية"(*١):

كان لعبد القيس وفادتان إلى رسول الله ﷺ:

إحداهما: قبل الفتح، سنة خمس أو قبلها، وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلاً، كما رواه البيهقي وغيره. وقيل: أربعة عشر رجلاً، كما جزم به القرطبي والنووي، وهم:

١- **المنذر بن عائذ،** وهو الأشج، وقيل: اسمه عبدالله العصري، من ولد لكيز بن أفصى.

٢- **منقذ بن حبان.**

٣- **مَزِيدة بن مال،** على وزن كَبِيرة.

٤- **عمر بن مرجوم،** بالجيم المعجمة.

٥- **الحارث بن شبيب.**

٦- **عبيدة بن همام.**

٧- **الحارث بن جندب.**

٨- **صحار بن العياش العبدي،** أحد الفصحاء المشهورين. قال ابن عبد ربه في "العقد الفريد"(*٢): قال معاوية بن أبي سفيان لصحار بن

(*١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للإمام القسطلاني الشافعي: ٤/ ١٨، دار الطباعة الميرية المصرية، ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م.

(*٢) العقد الفريد: ٤/ ٣١، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، لجنة التأليف والنشر، توزيع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م.

عـياش العـبدي: يا أزرق. قـال: البـازي أزرق. قال: يا أحـمر. قـال: الذهب أحمر. قال معاوية: ما هذه البـلاغة فيكم يا عبد القيس؟. قال: شيء يختلج في صدورنا، فتقذفه ألسنتنا كما يقذف البحر الزبد. قال: فما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: أن نقول فلا نخطئ، ونجيب فلا نبطئ.

٩- عقبة بن جروة.

١٠- الجهم بن قثم.

١١- جويرية العبدي.

١٢- رستم العبدي.

١٣- الزراع.

١٤- ابن عامر.

والوفادة الثـانية: كانت في سـنة الوفود، سنة تسع من الهـجرة، وكان عددهم أربعين رجلاً، وهم:

١- الجارود بن المعلى بن حنش العبدي.

٢- مطر بن عامر أخو الزراع .

٣- وسفيان بن حولي.

٤- ومحارب بن مَزِيدة.

٥- والزراع بن الوزاع.

٦- وشهاب بن متروك.

٧- وعمرو بن عبدقيس.

٨- وطريف بن أبان.

٩- وعمرو بن شعيب.

١٠- وعامر بن عبد قيس.

١١- وسفيان بن همام.

١٢- وهمام بن معاوية.

١٣- مسرح السعدي.

١٤- جابر بن الحارث.

١٥- خزيمة بن عبد عمرو.

١٦- همام بن ربيعة.

١٧- جارية بن جابر.

١٨- نوح بن مخلد.

١٩- أبو خيرة الصباحي.

٢٠- أذينة بن مسلم العبدي.

٢١- جابر بن عبيد العبدي.

٢٢- جندب بن كعب العبدي، الذي قتل الساحر بين يدي الوليد ابن عقبة بالبصرة.

قال الحافظ ابن كثير(*) - رحمه الله- في تفسيره عند قول الله - تعالى-: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٣]. قال الإمام أبوبكر الخلال: أخبرنا عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا يحيى بن سعيد، قال:

(*) تفسير ابن كثير: ١/ ١٢٧، طبعة دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

حدثني أبو إسحاق، قال: حدثني حارثة، قال: كان عند بعض الأمراء رجل يلعب، فجاء جندب مشتملاً على سيفه فقتله، قال: أراه كان ساحراً.

قال: وقد روي من طرق متعددة أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه، فكان يضرب رأس الرجل، ثم يصيح به، فيرد إليه رأسه، فقال الناس: سبحان الله! يحيي الموتى؟! فرآه رجل من صالحي المهاجرين، فلما كان الغد جاء مشتملاً على سيفه، وذهب يلعب لعبه ذلك، فاخترط الرجل سيفه، فضرب عنق الساحر، وقال: إن كان صادقًا فليحيي نفسه، ثم تلا قول الله – تعالى –: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٣]. فغضب الوليد؛ إذ لم يستأذنه في ذلك، فسجنه، ثم أطلقه.

ومنهم : ٢٣- **الحكيم بن جبلة العبدي** ، أرسله أمير المؤمنين عثمان ابن عفان – رضي الله عنه – إلى السند يختبرها ، فذهب إليها ، ثم رجع ، فقال لعثمان –رضي الله عنه– : « ماؤها وشل أي : قليل ، ولصها بطل يعني شجاع ، وسهلها جبل ، إن كثر بها الجند جاعوا يعني لقلة خيراتها ، وإن قلوا ضاعوا لكثرة سكانها » . فلم يوجه لها عثمان – رضي الله عنه – أحدًا خوفًا على المسلمين من الضياع والجوع .

وكان –رضي الله عنه– شجاعًا جريئًا، حضر وقعة الجمل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فزحف إليه طلحة بن عبيد الله –رضي الله عنه– في ثلاثمائة رجل، فتقدم حكيم، وجعل يضرب بالسيف وهو يقول:

أضربهم باليابس ضرب غلام عابس
من الحياة يائس في الغرفات نافس

فضرب رجل رجله فقطعها، فحبا إليها حتى أخذها، وضرب بها الرجل حتى قتله، ثم اتكأ عليه، وأنشد:

يا ساق لن تراعي

إن معي ذراعي

أحمي بها كراعي

فمر عليه رجل وهو رثيث، فقال: مالك يا حكيم؟ قال: قُتلت! قال: من قَتَلك؟ قال: وسادتي. فاحتمله، وضمه إلى سبعين من أصحابه.

ومن مشاهير الصحابة من عبد القيس:

٢٤- **خزيمة بن جزي بن شهاب العبد.**

٢٥- **زيد بن صوحان العبدي .** وكان - رضي الله عنه - خطيبًا مفوهًا وشجاعًا باسلاً، قُتلَ يوم الجمل في حرب علي رضي الله عنه، قال فيه رسول الله ﷺ: «زيد ما زيد؟! تسبقه يده إلى الجنة، ثم يتبعها جسده»، فقُطعَت يده يوم الجمل، ثم قُتل، رضي الله عنه.

ومنهم: ٢٦- **صعصعة بن صوحان ،** رضي الله عنه . قال ابن عبدالبر في "الاستيعاب"(*) أسلم على عهد رسول الله ﷺ، ولم ير النبي ﷺ لصغره، فلا يُعَدّ في الصحابة، ولكنه كان سيدًا من سادات عبدالقيس، وكان خطيبًا فصيحًا عاقلاً لسنًا دينًا، يعد في أصحاب علي رضي الله عنه ، قال يحيى بن معين : صعصعة وزيد وسيحان ، بنو صوحان كانوا خطباء من عبدالقيس. قُتلَ زيد وسيحان يوم الجمل.

ومن الصحابة:

٢٧- **عمرو بن تغلب العبدي** رضي الله عنه ، من أهل جواثى ،

(*) الاستيعاب لابن عبدالبر: ٢/ ٧١٧، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، د.ت.

روى عنه الحسن بن أبي الحسن ، والحكم بن الأعرج : حدثنا أحمد ، قال : حدثنا مسلمة ، حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن الأصبهاني ، قال : حدثنا يونس بن حبيب ، قال : أخبرنا أبو داود الطيالسي ، قال : أخبرنا ابن فضالة عن الحسن عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه ، قال : « قال لي رسول الله ﷺ كلمة ما أحب أن لي بها حمر النعم ، أتي رسول الله ﷺ بشيء ، فأعطى قومًا ، ومنع قومًا ، وقال : إنا لنعطي قومًا نخشى هلعهم وجزعهم ، وأكلُ قومًا إلى ما جعلَ الله في قلوبهم من الإيمان ، منهم : عمرو بن تغلب ». رواه البخاري(*١) أيضًا .

٢٨- **معبد بن وهب العبدي العصري ،** ذكره ابن أبي حاتم(*٢) وغيره من الصحابة ، تزوج هريرة بنت زمعة أخت سودة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، وشهد بدراً مع الرسول ﷺ ، وقاتل بسيفين ، فقال : رسول الله ﷺ : «لهفي على فتيان عبدالقيس ، أما إنهم أُسُد الله في أرضه» ذكر ذلك في "الإصابة"(*٣) .

ومن الصحابة من عبدالقيس:

٢٩- **شهاب بن متروك.**

٣٠- **عمرو بن عبدالقيس.**

٣١- **طريف بن أبان،** من جديلة بن أسد .

٣٢- **عمرو بن شعيب .**

٣٣- **جابر بن جابر.**

(*١) ورد الحديث بلفظ مختلف في صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، رقم الحديث ٩٢٣، وكتاب التوحيد ، رقم الحديث ٧٥٣٥ .

(*٢) الجرح والتعديل: ٨/ ٧٩، ترجمة رقم ١٢٧٧، تحقيق عبدالرحمن المهلبي، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن - الهند، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

(*٣) الإصابة لابن حجر: ٣/ ٤٤١، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ.

ذكر أعلام التابعين من أهل هجر

١- **إبراهيم بن مسلم الهجري العبدي** ، روى عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه ، وأبي الأحوص عوف بن مالك ، وروى عنه السفيانان وشعبة.

٢- **الحضري بن العجلان** مولى الجارود العبدي ، روى عن نافع مولى ابن عمر، وروى عنه الربيع بن زياد.

٣- **حوشب بن عقيل العبدي.**

٤- **أبو دحية الهجري** ، روى عن أبيه وابن مهدي ، وسليمان بن حرب، وثَّقه أحمد والنسائي.

٥ - **خلاس بن عمرو الهجري** ، روى عن علي - رضي الله عنه - وعمر وعائشة رضي الله عنهم . روى عنه قتادة بن دعامة السدوسي.

٦- **عوف بن أبي جميلة،** المعروف بابن الأعرابي الهجري.

٧- **زياد بن سليمان العبدي** - مولاهم- الهجري ، المعروف بالأعجم، وهو من الشعراء ، وسيأتي بعض شعره . روى عن أبي موسى الأشعري ، وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم . وروى عنه طاووس وغيره.

٨- **زيد بن علي أبو الفارض العبدي،** روى عن طلحة بن عبيد الله وابن عباس رضي الله عنهم . وروى عنه قتادة وعوف بن أبي جميلة.

٩- **سليمان بن جابر الهجري** ، روى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، وروى عنه عوف بن أبي جميلة. خرَّج له أبو داود والترمذي وابن ماجه.

١٠ - **عبدالحميد بن المنذر بن الجارود العبدي** ، روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وروى عنه أنس بن سيرين . وثَّقه النسائي .

١١ - **عثمان بن الجهم الهجري** ، روى عن زر بن حبيش رضي الله عنه ، وروى عنه وكيع بن الجراح. وثَّقه ابن حبان.

١٢ - **الزبير بن جنادة الهجري** ، روى عن عطاء، وروى عنه حرمي ابن عمارة وزيد بن الحباب. وثَّقه ابن حبان.

١٣ - **مهدي بن حرب الهجري العبدي** ، روى عنه حوشب بن عقيل، صحَّح الحاكم حديثه في "المستدرك".

انتهى نقلاً من خلاصة "تهذيب الكمال في أسماء الرجال"(*) للعلامة صفي الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي.

(*) خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي: ١/ ٥٦، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

ذكر أعلام الشعراء في بلاد البحرين وعبد القيس

١ - المُثَقَّب العَبْدِي

هو عائذ بن محصن بن ثعلبة، من بني القيس المتوفى بعد الهجرة بسبع سنين، وكان من جملة الذين كانوا يترددون على عمرو بن هند، ويمدحونه، له فيه قصائد، منها هذه القصيدة [*]:

أفاطمُ قبل بَيْنِك ودعيني ... ومنعُك ما سألتُ كأن تبيني
فلا تَعدي مواعَدَ كاذبات ... تمر بهَا رياح الصيف دوني
فإني لَو تَخالفني شماليً ... خلافك ما وصلت بها يميني
إذًا لقطعتُها ولقلتُ: بيني ... كذلك أجتوي من يجتويني
لمن ظُعُنٌ تطالع من "ضُبَيْب" ... فما خرجتْ من الوادي لحين
مررن على شراف فذات رجلٍ ... ونكَّبْن "الذرانح" عن يمين
وهن كذاك حين قطعن "فلجًا" ... كأن حمولهن على سفين
ويشبهن السفين وهن بخت ... عراضات الأباهر والشؤون
وهن على الدجائن واكناتٌ ... قواتلُ كلِّ أشجع مستكين
كغزلان خذلن بذات ضال ... تنوشِ الدانيات منِ الغصون
ظهرْن بكلَّة وسدلْن أخرى ... وثقَّبْن الوصاوصَ [1] للعيون
وهن علىَ الظِّلام مطلَّبَاتٌ ... طويلات الذوائب والقرون
ومن ذَهَب يلوحِ على تَريب ... كلون العاجِ ليس بذي غضون
إذا ما فتْنَه يومًا بِرهْنٍ ... يعزُّ عليه لم يرجع بحين

(*) انظر: ديوان شعر المثقب العبدي بتحقيق وتعليق حسن كامل الصيرفي، ص ١٢٤-٢١٥. نشر معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

(١) الوصواص: البرقع الذي يعم جميع الوجه، وسمي المثقب بهذا البيت.

بتَلْهيـة أريش بهـا سـهـامي تَبُـذُّ المرشـقـات من القـطين
عَلون ربـاوةً، وهبطن غـيـبًـا فلـم يَرْجِـعْنَ قـائلةً لحين
فـقلت لبعـضهن وشُـدَّ رحلي لهـاجـرةٍ نصبتُ لهـا جـبيني:
لعلـك إنْ صَـرَمْتَ الحـبـلَ مني كـذاك أكُون مُصْحِبَتي قـروني
فـسَلِّ الهـمَّ عنكَ بـذات لوث عُـذَافـرة[*١] كـمطَرَقـة القيـون
بصـادقـة الوجـيف كـأن هرًا يبـاريهـا ويأخـذ بـالوضين[*٢]
كـسـاها تامكًا قَـردًا عليـهـا سَـوَاديُّ الـرضـيح مع اللجين
إذا قَلقَتْ أشُـدُّ لهـاَ سنافـا[*٣] أمـام الـزور من قَلَق الـوضين
كـأنَ مـواقـع الثَّـفنات منهـا مُـعَرَّسُ باكـرات الورد جـون
يجـذُّ تنفُّس الصـعَـداء منهـا قُـوَى الـنسع المُحَرَّمِ ذي المتـون
تَصُكُّ الحـالبَـيْن بمشـفَـترٍّ[*٤] لـه صـوتٌ أَبَـحُّ مـن الرَّنـين
كـأن نَـفيَّ مـا تنفـي يـداها قـذافُ غـريبـة بيـدَي مُـعين
تَسُـدُّ بـدائم الخطَـران جَـثْل خَـوايَةَ فَـرْج مِـقْـلات دهين
وتَسْـمَـعُ للـذباب إذا تَـغَنَّـى كـتـغـريد الحـمَـام على الوُكُـون
فـألقـيتُ الزِّمـامَ لـهـا فـنامت لعـادتهـا من السَّـدَف[*٥] المبين
كـأن مُنَاخَـهـا مُلْقَي لجـام على مَـعْـزائهـا وعلـى الوَجين
كـأن الكُـورَ والأنسـاعَ منـهـا علـى قـرواء مـاهـدة دهين
يَشُقُّ الماءَ جُؤْجُـؤُها[*٦] ويعلو غـوارب كلِّ ذي حَـدَبٍ بَطين

(*١) العُذافر: العظيم الشديد من الإبل.
(*٢) الوجيف: الاضطراب، ونوع من سير الخيل والإبل. والوضين: بطان الناقة عريض منسوج من جلد أو شعر.
(*٣) السّناف: خيط أو حبل دقيق، وهو للبعير كاللبب للفرس، يشدّ به الوضين.
(*٤) المشفتر: المتفرق، يعني الحصى.
(*٥) السدف: الليل والنهار من الأضداد، وهو هنا الضوء.
(*٦) الجؤجؤ: الصدر، وقيل: عظام الصدر.

غَـدَتْ قَـوْداءَ مُنْشَـقّـاً نسـاها   تَجَـاسَـرُ بالنُّخـاعِ وبالـوَتين
إذا مـا قُـمْتُ أَرْحَلُهـا بلَـيْلٍ   تـأوَّهُ آهةَ الـرجـلِ الحـزيـن
تقـولُ إذا دَرَأْتُ لهـا وَضِـينًا: أهـذا دينُـه أبَـدًا وديـنـي؟
أكـلَّ الدهـرِ حـلٌّ وارتحـالٌ   أمـا يُبْـقي علـيَّ ولا يَقـيني؟
فـأبقى بـاطِلَي والجـدُّ منهـا   كـدُكَّـان الدرابـنةَ المطين
ثَنَيْتُ زمـامـهـا ووضـعتُ رَحْلي   ونُمْـرُقَـةً رَفَـدْتُ بهـا يميني
فرُحْتُ بها تُعـارِض مُسْبَطرًّا[*1]   على صـحصـاحـه وعلى المتون
إلى عمـرو، ومَنْ عـمـرو أَتَتْني   أخي النَّجَـدات وَالحلْـم الرَّصين
فـإمـا أن تكـون أخي بحقٍّ   فـأعـرف منك غَثِّي مِن سَمـيني
وإلاَّ فـاطَّرِحْـنِي واتَّـخِـذْني   عـدواً أَتَّقـيكَ وتتَّـقـيـني
فـمـا أدري إذا يمَّـمْتُ أمـرًا   أريد الخَـيْرَ أَيُّـهـمـا يليني
أألخـيـرُ الذي أنا أبْتَـغِـيـهِ   أم الشَّـرُّ الذي هو يَبْتَـغِـيني؟

ومن ظريف قول المثقب ما قاله في خالد بن الحارث، وذلك أن المثقب العبدي كان أسيرًا عند بعض الملوك، فكلمه فيه خالد بن الحارث، فوهبه له، فقال المثقب[*2]:

إنما جـادَ بشَـأسٍ خـالد   بعـد مـا حـاقتْ به إحـدى العُظَمْ
باكـرُ الجَـفْنة ربْعيٌّ الـندى   حَسَنٌ مَجْلسُـهُ غـيـرُ لُطَمْ
يجـعـلُ المالَ عطَايا جَـمَّـةً   إنَّ بذْلَ المـال في الـعـرْضِ أَمَمْ
مـثـلاً تضـربه حُكَّـامُنا: "مَنْ يَجُـدْ يُحْمَدْ، ومن يَبْخَلْ يُذَمْ"
أيُّهـا البـاخلُ عنا بالـندى   وهو بالجـود كـمـا كـان زعم

(*1) المسبطر: الطريق الممتد.

(*2) انظر: ديوان شعر المثقب، ص ٢١٦-٢٣٣.

شيمةٌ قد فُرِّعَتْ من شيم إنما الإمساك والجود شِيَمْ
لا يُبَالي، طَيِّبُ النفس إذا عطَبَ المال إذا العِرْضُ سَلِمْ
أكْرِمِ الجارَ وارعَ حقَّهُ إنَّ عرفانَ الفتى جهْدُ الكرم
لا تقُولَنَّ إذا ما لم تُرِدْ أنْ تُتِمَّ الوعدَ في شيءٍ "نَعَمْ"
حَسَنٌ قولُ "نعم" من بعد "لا" وقَبيحٌ قولُ "لا" بعدَ "نَعَمْ"
إنَّ "لا" بعد "نعم" فاحشة فبـ"لا" فابدأ إذا خفْتَ الندم
وإذا قلت: "نعم" فاصبِرْ لها بنجاز الوعد؛ إنَّ الخُلْفَ ذم
لو تبينت إذا جاورتني إن عهدي لا يُغَيِّرُهُ القِدَمْ
لا تراني راتعًا في مجلسي في لحوم الناس كالليْث القرم
إنَّ شَرَّ الناسِ من يشكرني حين يَلْقاني وإنْ غبْتَ شَتَمْ
رُبَّ فَقْرٍ حلَّ من بعد غِنًى وغناءٍ حلَّ من بعد عَدَمْ

وقال أيضًا(*١):

ألا حَيِّيا الدارَ المُحيلَ رُسُومُها تَهيجُ علينا ما يهيجُ قديمُها
سقى تلكَ من دار ومَنْ حَلَّ ربعَها رهامُ(*٢) الغوادي وبَلُها ومُديمها
ظَلِلْتُ أُرُدُّ العَيْنَ عن عَبَراتها إذا نُزِفَتْ كانت سراعًا جُمُومُها
كأني أُقَاسي من سَوابق عَبْرَة ومن ليلة ضاقت بصدري همومها
فبتُّ أَضُمُّ الرُّكبتَين إلى الحشا كأني راقي حية أو سليمها
سيكفيكَ أمرَ الهمِّ عزْمُكَ صِرْمَهُ ويكفيك مخلوجَ الأمور صريمها
ويعملة أربي بها البيد في السرى يُقَطِّعُ أجواز الفلاة رسيمُها
رجومٌ بأثقالٍ شِدادٍ رجيلة إذا الآلُ في التيه استقلَّتْ حُزُومُها

(*١) انظر : ديوان شعر المثقب ص ٢٣٤-٢٥٨ .
(*٢) الرهام: المطر الضعيف الدائم.

كأني وأقتادي على حَمْشَة الشَّوى ... يجورُ صَرَاريٌّ بها ويُقيمُها
أُمَضِّي بها الأهوالَ في كلِّ قَفْرَة ... يُنادي صداها آخرَ الليلِ بومُها
أنُصُّ السُّرى فيها بكل هجيرةٍ ... يُغَيِّرُ ألوانَ الرجال سَمُومُها
أرى بِدَعًا مستحدَثات تُريبني ... يجورُ بها مُسْتَضْعَفٌ وحليمها
فإنْ تَكُ أموالٌ أُصيبتْ وَحُوِّلَتْ ... ديارٌ فقد كنا بدار نُقيمُها
ونحمي عن الثغر المَخُوف ويُتَّقَى ... بغارتنا كيدُ العدَى وَضُيُومها
صَبَرْنا لها حتى تَفَرَّجَ بأسُنا ... وفئْنا لنا أسلابُها وعظيمُها
نَعُدُّ لأيام الحفاظ مكارمًا ... فَعَالاً وأعراضًا صحيحًا أديمها
أبي أصْلَحَ الحَيَّيْن: بَكْرًا وتغلبًا ... وقد أُرْعِشَتْ بَكْرٌ وخفَّتْ حُلُومُها
وقام بصُلْحٍ بين عَوْفٍ وعامرٍ ... وخُطَّةَ فَصْلٍ لا يُعاب زعيمُها

وقال يمدح النعمان بن المنذر ملك العرب(*1):

ألا إنَّ هندًا أمس رثَّ جديدُها ... وضنَّتْ وما كان المتاع يؤودها
فلو أنها من قَبلُ دامت لُبانة ... على العهد إذ تصطادني وأصيدها
ولكنها مما تَميطُ بودِّها ... بشاشةُ أدنى خُلَّة تستفيدها
أجدَّكَ ما يُدريكَ أن رُبَّ بلدة ... إذا الشمسُ في الأيامِ طالَ رُكُودُها
وصَاحت صواديحُ النهار وأَعْرَضَتْ ... لوامعُ يُطْوَى رَيْطُها(*2) وبرُودُها
قَطَعْتُ بفَتْلاء الذراعَين حرة ... يَغُولُ البلادَ سومها وبريدها
فبتُّ وباتَتْ كالنعامةَ ناقتي ... وباتت عليها صَفْنَتي(*3) وقُتُودُها
وأَغْضَتْ كما أغضت عيوني وعرَّسَتْ ... على الثَّفنات والجَران هُجُودُها
على طُرُقٍ عند الأراكة ربَّة ... توازي شَرِيم البحرِ وهو قعيدُها

(*1) انظر : ديوان شعر المثقب ص ٨٢ - ١١٦.
(*2) الربط: الثياب البيض، شبه السراب بها.
(*3) الصفنة: مثل السفرة، وربما استقى بها، والقتود: أداة الرّحل.

كأن جَنيبًا عند مقعد غَرْزها تحاوله عن نفسها ويريدها
فنَهْنَهْتُ منها والمناسمُ تَرْتَمي بمعزاءَ شَتَّى لا يُرَدُّ عتودها
وأيقنتُ - إن شاء الإله- فإنه سيُبْلغُني أجلادُها وقصيدُها
فإنَّ أبا قابوس عندي بلاؤها جزاءً بنَعْمَى لا يَحلُّ كُنُودُها
رأيت زنادَ الصالحين نمينَهُ قديمًا كما بذَّ النجومَ سُعُودُها
ولو عَلمَ اللهُ الجبالَ عصينَهُ لجاء بأمراس الجبال يقودُها
فإن تكَ منّا في "عُمان" قبيلة تواصتْ بإجناَب وطالَ عنُودُها
فقد أدركتَها المُدْركاتُ فأصبحتْ إلى خير مَنْ تحت السماء وفودُها
إلى ملك بذَّ الملوكَ فلم يسع أفاعيلَهُ حزمُ الملوك وَجودها
وأيّ أناس ما أباح بغارة يوازي كُبَيْدات السماء عمودها
وجأواءَ فيها كوكبُ الموت فخمة يقمَّصَ بالأرضَ الفضاء وَئيدُها
لها فَرَطٌ يحوي النِّهَابَ كأنهً لوامعُ عقْبان مَرُوع طَريدها
وطارَ قُشَاريٌّ الحديد كأنَّهُ نُخَالةُ أقواع يُطير حديدُها
فأنْعمْ -أبيتَ اللعنَ- أنك أصَبحتْ لديك لُكَيْزٌ كَهْلُها ووليدها
وأَطْلَقْهُمْ تَمْشِي النِّساءُ خلالَهُمْ مُفكّكَةً وَسْطَ الرِّحال قُيُودُها

٢- الصَّلَتان العبدي

قال في "خِزانة الأدب"[*١] للبغدادي : اسمه قُثَم- بضم القاف وفتح الثاء - ابن خَبِيَّة ، بفتح الخاء وكسر الموحدة وتشديد المثناة التحتية . وهو أحد بني محارَب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس، هو شاعر مشهور، خبيث اللسان، ومن مشهور شعره[*٢]:

(*١) خزانة الأدب لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، ٢/ ١٨١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

(*٢) المرجع السابق: ٢/ ١٨٢-١٨٣، ما عدا الأبيات الأربعة الأخيرة فهي في "الشعر والشعراء" لابن قتيبة: ١/ ٥٠٢ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٦م.

أشابَ الصغيرَ وأفنى الكبيـ ـرَ كَرُّ الغداة ومرُّ العشي
إذا هرِمَت ليلةٌ يومَها أتى بعد ذلك يومٌ فتي
نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجةُ مَنْ عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجةٌ ما بقي
إذا قلت يومًا لمن قد ترى: أروني السَّرِيَّ أروْكَ الغَني
ألم تر لقمانَ أوصى ابنه وأوصيتُ عَمْرًا ونعم الوَصي
بُنَيَّ بدا خبُّ نجوى الرجال فكنْ عند سرِّك خبَّ النجي
وسرُّك ما كان عند امرئٍ وسرُّ الثلاثة غيرُ الخفي
كما الصمتُ أدنى لبعض الرشادً فبعضُ التكلُّم أدنى لعي
ودع النفس من اتباع الهوى فما للفتى كلّ ما يشتهي
فكنْ كابن لَيْل على أَسْوَدٍ إذا ما سوادٌ بليل خُشي
فكلٍّ سواد وإنْ هبْتَهُ من الليل يَخْشَى كما تختشي
أَردْ مُحكَمَ الشعر إنْ قُلْتَهُ فإن الكلامَ كثيرُ الرَّوي
كما الصمتُ أدنى لبعض الرشا دِ وبعضُ التكلُّم أدنى لعي

وقيل له: احكم بين الفرزدق وجرير، فقال [(*١)]:

أنا الصَّلَتانيُّ الذي قد علمْتُمُ متى ما يُحكَّمْ فهو بالحقِّ قاطع [(*٢)]
أَتَتْني تميمٌ حين هابتْ قُضَاتُها وإني لَبالفصْلِ المبيَّن صادع [(*٣)]
كما أنفذَ الأعشى قضيَّةَ عامر وما لتميم في قضائي رواجعُ
سأقضي قضاءً بينهم غيرِ جائرٍ فهل أنت للحكم المُبيَّن سامع؟
قضاءَ امرئ لا يتَّقي الشتْمَ منهمُ وليس له في المدح منهم منافعُ
فإن كنتما حكَّمْتُماني فأنْصِتا ولا تجزعا وليَرْضَ بالحكم قانع

(*١) انظر الأبيات في الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١/ ٥٠٠-٥٠١.
(*٢) في المصدر السابق: صادع.
(*٣) في المصدر السابق: قاطع.

فإن يك بحر الحَنْظَلِيَّين واحداً فما تَسْتَوي حيتانُهُ والضَّفادعُ
وليس الذُّنابى كالقُدَامَى وريشه وما تستوي في الكفِّ منْكَ الأصابعُ
ألا إنما تَحْظَى كُلَيْبٌ بشعْرِهَا وبالمجد تَحْظَى دارمٌ والأقارعُ
أرى الخطفى بَذَّ الفرزدقَ شأوه (*1) ولكنَّ خيراً من كُلَيْب مُجاشع
فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مثلُهُ جَريرٌ ولكن في كُلَيْبٍ تواضع
ويرفَعُ مِن شعر الفرزدقَ أنَّهُ له باذخٌ من ذي الخسيسةَ رافع
وقد يحْمَدُ السيفُ الدَّدانُ بغمْده (*2) وتَلْقاهُ رثّاً غمْدُهُ وهو قاطعُ
يُنَاشدني النصرَ الفرزدقُ بعدما أناختْ عليهَ من جريرٍ صَوَاقع

فحكم لجرير بجودة الشعر، وحكم للفرزدق بالشرف على جرير.

ومن شعراء البحرين التي عاصمتها هجر:

٣- طرفة بن العبد

المتوفى قبل هجرة نبينا محمد، ﷺ، بثلاثين سنة.

قال في "معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص" (*3): هو طَرَفة ابن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن عباد بن صعصعة بن قيس بن تغلب. ويقال: إن اسمه عمرو، وأمه وردة من عشيرة أبيه، وكان أحدث الشعراء سنًا وأقصرهم عمرًا، قُتِلَ وهو ابن عشرين سنة، فيقال له: ابن العشرين، ويقال: إنه قتل وهو ابن ست وعشرين سنة، وإلى ذلك تشير أخته حيث قالت ترثيه (*4):

(*1) في المصدر السابق: بذّ الفرزدق شعرُهُ.

(*2) في المصدر السابق: بجفنه.

(*3) معاهد التنصيص: ١/ ٣٦٤، طبع في مصر ١٣٦٧هـ.

(*4) انظر : ديوان شعر الخرنق ص ١٩-٢٠، تحقيق د. حسين نصار، وزارة الثقافة، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩م. وفيه: خمسا، بدل "ستا".

عـددْنا له ستًا وعـشـرين حجـة فلما توفاها استوى سيدًا ضخمًا
فُـجـعنا بـه لما انتـظرنا إيـابه على خير حين لا وليدًا ولا قحمًا؟

وكان السبب في قتله أنه كان ينادم عمرو بن هند ملك العرب ، فأشرفت ذات يوم أخته ، فرأى طرفة ظلها في الجام ، فقال فيها شعرًا ، فغضب عمرو بن هند على طرفة وخاله المتلمس، وأمدهما بمنادمة أخيه أبي قابوس، وكان أبو قابوس قسَّم وقته: يومًا لمطاردة الصيد، ويومًا لشرب الخمر، وكانا يركبان معه حيث كان؛ فيصيبهما التعب والنصب، وفي اليوم الثاني يقفان على بابه حتى يفيق من سكره، فيأذن لهما في الدخول عليه، فسئما ذلك الحال، فقال طرفة يهجو عَمْرًا وأخاه أبا قابوس[*١]:

فليتَ لنا مكان المـلْك عـمـرو رَغُـوثًا حـولَ قُـبَّـتنا تَخُـورُ
من الزمـرات أسبـلَ قـادمـاهَا وضـرتهـا مـركَـنة درور
يشـاركنا لـنا رخـلان فـيـهـا وتعلـوها الكبـاش فـمـا تنور
لعـمـرك إن قـابوس بـن هند لَيَـخْلطُ مُلْكَهُ نوكٌ كـثـيـرُ
قـسـمت الدهرَ فـي زمن رخيٍّ كـذاكَ الحكم يقـصـد أو يجـور
لـنـا يـومٌ ولـلـكـروان يـومٌ تطيـر البـائسـات ولا نطيـر
فـأمـا يومـهـن فـيـوم سـوء[*٢] تطاردهـن بالحـدب الصـقـور
وأمـا يـومنا فـنظل ركـبًـا وقـوفًـا لا نحل ولا نسـيـر[*٣]

قال المفضل بن سلمة[*٤]: كان لطرفة ابن عم اسمه عبد عمرو بن

(*١) ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري، ص ١٠١-١٠٥، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
(*٢) في المصدر السابق: نحْس.
(*٣) في المصدر السابق: ما نحل وما نسير.
(*٤) الفاخر للمفضل بن سلمة، ص ٧٤-٧٥، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، مراجعة محمد علي النجار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

بشر بن عـمرو بن مَرْثَد، وكـان ينافس طرفة على منادمـة الملك، وكان عبد عمرو سمينًا بدينًا، فدخل عـمرو بن هند الحمام، فرأى عبد عمرو متجردًا، فقال عمرو بن هند: كأن طرفة رآك حين قال:

ولا خيـرَ فيـه غير أن له غِـنًى وإن له كَشْـحًا إذا قام أهضما

فـقال عـبد عـمـرو: أيها الملك إن الذي قـال فـيك شرٌّ مما قـال لي! وأنشده قوله:

فليت لنا مكان الملْك عمْرٍو ...

وبعد ذلك دعا الملك المتلمس وطرفـة، وقال لهما: لعلكما اشتـقتما إلى أهلكمـا ؟ قـالا : نعـم! فكتب إلـى المكعبـر عـامل كـسرى على البحـرين ، وكان لـه عليـه رياسة ، وكان المكعـبر يقـيم في "هجر"؛ أن يقتلهما، وأعطى كل واحد كتابًا، وأوهمه أنه أمر له بصلة، فخرجا من عنده، فشك المتـلمس في الأمر، فمـرا على نهر "الحـيرة" وفيـه غلمان يلعبـون، فقـال المتلمس لطرفة: هل لك أن تنظر في كـتابينا؟ فـإن كان فيهما خير مضينا له، وإن كـان شراً ألقيناهما. فأبى عليه طرفة، فأعطى المتلمس كتـابه بعض الغلمان، فقرأه، فـإذا فيه السوء، فألقـى كتابه في الماء، وقال لطرفة: أطعني، وألقِ كتابك. فأبى طرفة، ومضى بكتابه إلى العامل، فقتله، ومضى المتلمس حتى لحق بملوك بني جفنة بالشام.

ويروى أن عامل البحرين واسمـه ربيعـة بن الحارث العبدي ، لما قـدم عليه طرفة بن العبد قال له : إن بيني وبينك خؤولة ، وأنا لها راعٍ ، فاهرب من ليلتك هـذه ، فـأبى طرفـة بن العبـد وقال : إني لم أذنب ، ولا أجـعل لعمـرو بن هند علي سبيـلاً، ولكن ثقلت عليك جائزتي. فلما أصبـح أمر

بحبس طرفة، وجاءت بكر بن وائل، وقالت: أخرج لنا طرفة. فدعا به صاحب البحرين، فقرأ عليهم كتاب الملك، ثم أمر بطرفة، فحُبِسَ، وتكرم عن قتله، وكتب إلى عمرو بن هند: أن ابعث إلى عملك من يَتولاه؛ فإني غير قاتل الرجل. فبعث الملك إلى عمله رجلاً من بني تغلب -يقال له: عبد هند بن جرذ- وكان شجاعًا، وقد أمره الملك بقتل طرفة وقتل ربيعة بن الحارث العبدي ، ولما قدم عبد هند قرأ عهده على أهل البحرين ، ولبث أيامًا، واجتمعت بكر بن وائل، وهمت به، وكان طرفة يحضهم عليه، فانتُدِبَ رجل من عبدالقيس من الحواثر يقال له : أبو ريشة ، فقتله ، فقبره اليومَ معروف بهجر، وزعموا أن الحواثر سلَّمت ديته إلى أبيه وقومه. وقالت أخت طرفة تهجو عبد هند [*١]:

ألا ثكلتك أمك عبد هند أباالخربات آخيت الملوكا
هم دحوك للوركين دحًا ولو سألوا لأعطيت البروكا

ومن أشهر شعر طرفة القصيدة المشهورة بالمعلقة؛ لأن العرب اختاروها مع بقية السبع المعلقات، وكتبوهن بماء الذهب، وعلقوهن في بطن الكعبة حفظًا لها وتشريفًا وتنويهًا بشأنها، وحيث إن هذه القصيدة لا توجد في كثير من كتب الأدب أحببت ذكرها هنا، وإن كانت أشهر من أن تذكر؛ تقريبًا للقراء، وهي هذه [*٢]:

لخَوْلَةَ أطلالٌ ببُرْقَة ثَهْمَد تَلُوحُ كباقي الوَشْمِ في ظاهرِ اليَدِ [١]
وُقُوفًا بها صَحْبي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يقولون: لا تَهْلِكْ أَسًى، وتَجَلَّدِ

(*١) ديوان شعر الخرنق، ص ٤١ وفيه: عبد عمرو.
(*٢) ديوان طرفة، ص ٥ - ٤٩.
(١) خولة: اسم امرأة. الطلل: رسم الدار. ببرقة: أرض ذات حجارة.

كـأن حُـدُوجَ المالكيَّـة غُـدْوَةً خلايا سَفين بالنواصف من"دد"[1]

عَدَوْلـيَّةٌ أو من سَفَين بن يامن يجورُ بها المَلاحُ طوراً ويهتدي[2]

يشقُّ حَباب الماء حَيْزُومُها بها كما قَسَمَ التربَ المفايلُ باليد[3]

وفي الحيِّ أحوى يَنْفُضُ المرْدَ شادنٌ مُظاهرُ سمْطَي لُؤْلُؤ وزَبَرْجَد[4]

خَذُولٌ تُراعي ربْربًا بخَميلة تَناولُ أطرافَ البريرِ وترتدي[5]

وتبْسمُ عن ألمى كأنَّ مُنَوِّراً تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْل دعْصٌ له ندي[6]

سَقَتْهُ إياةُ الشمس إلا لثاته أُسفَّ ولم تَكْدمْ عليه بإثْمد

ووجه كأن الشمس ألقت رداءهَا عليه نقيُّ اللون لم يتخَدَّد

وإني لأُمْضي الهَمَّ عند احتضاره بعوجاءَ مرْقال تروح وتغتدي[7]

أَمُون كألواح الأران نصأْتُهَا على لاحبَ كأنه ظهرُ بُرْجُد[8]

جمَاليـة وجناء تُردي كأنها سفنجةٌ تَبْري لأزعرَ أربدي[9]

تُباري عتاقًا ناجيات وأَتْبَعَتْ وظيفًا وظيفًا فوق مَوْر مُعَبَّد[10]

تَربَّعت "القُفَّين" في الشَّوْل تَرْتَعي حدائقَ مَوْليِّ الأَسرَّة أَغْيَد[11]

---

(١) النواصف: متسع الوادي . دد : واد بالبحرين .
(٢) ابن يامن: رجل ثري.
(٣) حيزومها: الحيزوم: الصدر. المفايل: لاعب الفيال يدفن شيئًا في التراب، ثم يقسمه بيديه.
(٤) المرد: ثمر الأراك. الشادن: الظبي.
(٥) الربرب: قطيع الظباء إذا اشتد سيرها. الرملة: المعشبة. البرير: ثمر الأراك.
(٦) اللمى: سمرة الشفة.
(٧) العوجاء: النشيطة. مرقال : تخب في مشيها.
(٨) الأمون: التي لا تتعثر. الأران: التابوت. نصأتها: زجرتها. لاحب: طريق واضح. ظهر برجد: كساء مخطط.
(٩) جمالية: تشبه الجمل. وجناء: عظيمة الوجنات. تردي: تعدو. سفنجة: نعامة. تبري: تعرض. الأزعر: ذكر النعام. الأربد: الذي لونه كلون التراب.
(١٠) عتاقًا: كريمات. الوظيف: من الرسغ إلى الركبة.
(١١) تربعت: رعت نبت الربيع. القفين: موضع بالصمان. الشول: قليلات اللبن. مولي: سقاه الولي، وهو المطر الثاني.

تَريعُ إلى صوت المهيب وتَتَّقي بذي خُصَلٍ رَوْعات أَكْلَفَ مُلْبدِ[١]
كأنَّ جَنَاحَيْ مَضْرَحيٍّ تَكَنَّفَا حفَافَيْه شُكَّا في العسيب بمسرَدِ[٢]
فطوراً به خَلْفَ الزَّميلِ وتارةً على حَشَف كالشَّنِّ ذاوٍ مُجَدَّدِ[٣]
لها فَخذانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فيهما كأنَّهما بابا مُنيفٍ مُمَرَّدِ[٤]
وطيٌّ مَحَالٍ كالحنيِّ خُلُوفُهُ وأجْرِنَةٌ لُزَّتْ بدَأيٍ مُنَضَّدِ[٥]
كأن كناسَيْ ضالةٍ يَكْنُفَانها وأَطْرَ قِسيٍّ تحت صُلْبٍ مُؤَيَّدِ[٦]
لها مِرْفَقَان أَفْتَلان كأنها تمر بسَلْمَيْ دالجٍ مُتَشَدِّدِ[٧]
كقَنْطرة الرُّوميِّ أَقْسَمَ ربُّها لَتُكْتَنَفَنْ حتى تُشَادَ بقَرْمَدِ
صُهَابيَّةُ العُثْنون مُوجَدَةُ القَرَى بعيدَةُ وَخْدِ الرِّجْل مَوَّارةُ اليَدِ[٨]
أُمِرَّتْ يداها فَتْلَ شَزْرٍ وأُجْنحَتْ لها عَضُدَاها في سَقيفٍ مُسَنَّدِ
جَنُوحٌ دِفَاقٌ عَنْدَلٌ ثم أُفْرِعَتْ لها كَتِفاها في مُعَالًى مُصَعَّدِ
كأنَّ عُلُوبَ النِّسْعِ في دَأَياتها مواردُ من خَلْقاءَ في ظهر قَرْدَدِ[٩]
وأَتْلَعُ نَهَّاضٌ إذا ارتفَقَتْ به كسُكَّان بُوصيٍّ بدجْلَةَ مُصْعِدِ[١٠]
وجُمْجُمَةٌ مثل العَلاة كأنَّمَا وَعَى المُلْتقى منها إلى حَرْفِ مبْرَدِ

---

(١) المهيب: الداعي.
(٢) المضرحي: العتيق من النسور.
(٣) الزميل: الرديف.
(٤) النحض: اللحم. منيف: قصر عالٍ.
(٥) وأجرنة: باطن العنق.
(٦) ضالة: الدر.
(٧) بسلمي: الدلو.
(٨) العثنون: شعر تحت الحنك. موجدة القرى: قوية الظهر.
(٩) علوب: آثار. دأياتها: خرز ظهرها. الخلقاء: الصخرة الملساء. قردد: الأرض الغليظة.
(١٠) وأتلع : طويل العنق. كسكان : الذي تدار به السفينة .

وخدٌّ كقرطاس الشآمي ومشفرٌ ... كسبت اليماني قدّه لم يجرّد

وعينان كالماويّتين استكنّتا ... بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد(١)

طحوران عوّار القذى فتراهما ... كمكحولتي مذعورة أمّ فرقد(٢)

وصادقتا سمع التوجّس للسرى ... لهجس خفيٍّ أو لصوت مندّد

مؤلّلتان تعرف العتق فيهما ... كسامعتي شاة بحومل مفرد

وأروع نبّاض أحذّ ململم ... كمرداة صخر في صفيح مصمّد(٣)

وأعلم مخروتٌ من الأنف مارنٌ ... عتيقٌ متى ترجم به الأرض يزدد

وإنْ شئتُ لم ترقل وإن شئتُ أرقلت ... مخافة ملويٍّ من القدّ محصد(٤)

وإن شئتُ سامى واسط الكور رأسها ... وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد(٥)

على مثلها أمضي إذا قال صاحبي: ... ألا ليتني أفديك منها وتفتدي

وجاشت إليه النفس خوفًا وخاله ... مصابًا ولو أمسى على غير مرصد

إذا القوم قالوا: من فتى؟ خلت أنني ... عنيت فلم أكسل ولم أتبلّد

أحلت عليها بالقطيع فأجذمت ... وقد خبّ آل الأمعز المتوقّد(٦)

فذالت كما ذالت وليدة مجلس ... تري ربها أذيال سحل ممدّد(٧)

ولست بمحلال التلاع مخافة ... ولكن متى يسترفد القوم أرفد

فإنْ تبغني في حلقة القوم تلقني ... وإنْ تلتمسني في الحوانيت تصطد

وإنْ يلتق الحيّ الجميع تلاقني ... إلى ذروة البيت الشريف المصمّد

(١) كالماويتين: المرآتين. قلت: النقرة في الجبل.
(٢) فرقد: ولد بقر الوحش.
(٣) وأروع: قلب.
(٤) ملوي: سوط.
(٥) الخفيدد: ذكر النعام
(٦) بالقطيع: السوط. فأجذمت: أسرعت. آل: سراب.
(٧) سحل: ثوب أبيض

نداماي بيضٌ كالنُّجوم وقينةٌ تروحُ علينا بين بُرْدٍ ومُجسَدِ
رَحيبٌ قطابُ الجيْبِ منها رفيقةٌ بجسِّ النَّدامى بضَّةُ المُتَجَرَّدِ
إذا نحن قُلْنا: أسمعينا انبَرَتْ لنا على رسْلها مطْروفةً لم تَشَدَّدِ
إذا رجَّعَتْ في صوتها خلْتَ صوتها تجاوبَ أظآرٍ على ربْعٍ رَدِي
وما زال تَشْرابي الخُمورَ ولذَّتي وبَيْعي وإنْفاقي طَريفي وتالدي
إلى أن تحامَتْني العشيرةُ كُلُّها وأُفْرِدْتُ إفرادَ البعيرِ المُعَبَّدِ[1]
رأيتُ بني الغَبْراء لا يُنْكرونني ولا أهْلُ هذاك الطِّرافَ المُمَدَّدِ
ألا أيُّهذا اللائمي أَحْضُرَ الوغى وأنْ أشْهَدَ اللَّذَّات هل أنتَ مُخْلدي؟
فإنْ كُنْتَ لا تَسْطيعُ دفْعَ مَنيَّتي فدعْني أُبادرْها بما مَلَكَتْ يَدي
ولولا ثلاثٌ هُنَّ مِنْ لذَّة الفَتى وجدِّكَ لم أحْفلْ متى قام عُوَّدي
فمنْهُنَّ سَبْقي العاذلاتِ بشَرْبَةٍ كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تُزْبد
وكَرِّي إذا نادى المُضافُ مُحَنَّباً كسيدِ الغَضا نَبَّهته المُتَوَرِّدِ[2]
وتَقْصيرُ يومِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجبٌ ببَهْكَنَةٍ تحت الخباء المعمَّدِ[3]
كأنَّ البُرينَ والدَّماليجَ عُلِّقَتْ على عُشَرٍ أو خِروَعٍ لم يُخَضَّدِ
كريمٌ يُرَوِّي نفسَهُ في حياته ستعلَمُ -إنْ مُتْنا غداً- أيُّنا الصَّدي؟
أرى قبرَ نحَّام البخيل بماله كقبرِ غويٍّ في البطالة مُفْسدِ[4]
ترى جُثْوَتَيْن من تُراب عليهما صفائحُ صُمٌّ من صفيحٍ مُنَضَّدِ
أرى الموتَ يَعْتامُ الكرامَ ويَصْطَفي عقيلةَ مالِ الفاحشِ المُتَشَدِّدِ
أرى العيشَ كنزاً ناقصاً كُلَّ ليلةٍ وما تنقُصِ الأيامُ والدهرُ يَنْفَدِ

(١) المعبد: الأجرب المطلي.
(٢) المضاف: الخائف.
(٣) الدجن: الغيم. بهكنة : المرأة السمينة .
(٤) نحام: الحريص.

لعَمرُكَ إنَّ الموتَ ما أخطأَ الفتى ... لكالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْياهُ باليدِ
يَلُومُ وما أدري علامَ يلومُني ... كما لامني في الحيِّ قُرْطُ بنُ مَعْبَدَ
فما لي أراني وابنَ عمي مالكًا ... متى أدْنُ منه يَنْأَ عني ويبعُدِ
وآيسني من كلِّ خيرٍ طَلَبْتُهُ ... كأنَّا وَضَعْناهُ على رَمْسِ مُلْحَدِ
على غيرِ شيءٍ قُلْتُهُ غيرَ أنني ... نَشَدْتُ ولم أُغْفِلْ حَمُولةَ مَعْبَدَ
وإنْ أُدْعَ للجُلَّى أكُنْ من حُماتها ... وإنْ يأتِكَ الأعداءُ بالجَهْدِ أَجْهَدِ
وإنْ يَقْذِفُوا بالقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِمْ ... بشربِ حياضِ الموت قبلَ التَّهَدُّدِ
فلو كانَ مولايَ امْرأً هو غيرُه ... لَفَرَّجَ كَرْبي أو لأنظرني غدي
ولكنَّ مولاي امرؤٌ هو خانقي ... على الشكر والتسآل أو أنا مُفْتَدِ
وظُلْمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً ... على النَّفْسِ من وَقْعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ
فدعْني وشأني إنني لكَ شاكرٌ ... ولو حلَّ بيْتي نائيًا عند ضَرْغَدِ(١)
فلو شاءَ ربِّي كنتُ قيسَ بنَ خالد ... ولو شاء ربِّي كنتُ عمرَو بنَ مَرْثَدِ
وأصبحتُ ذا مال كثير وزارني ... بنونَ كرامٌ سادةٌ لِمُسَوَّدِ
أنا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الذي تَعْرِفونني ... خَشاشٌ كرأس الحيَّة المُتَوقِّدِ(٢)
فآليتُ لا ينفكُّ كَشْحي بطانةً ... لعَضْبٍ رقيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ
حُسامٌ إذا ما قُمْتُ مُنْتَصِرًا به ... كفى العَودَ منه البَدْءُ ليس بمِعْضَدِ
أخي ثقةٍ لا ينثني عن ضَريبةٍ ... إذا قيلَ: مهلاً! قال حاجزُهُ: قَدِي
إذا ابتدرَ القومُ السِّلاحَ وجَدْتَني ... منيعًا إذا بَلَّتْ بقائمه يدي
وبَرْكٍ هُجُودٍ قد أثارتْ مخافتي ... بواديها أَمْشي بعَضْبٍ مُجَرَّدِ
فمرَّتْ كَهَاةٌ ذاتُ خَيْفٍ جُلالَةٌ ... عَقيلةُ شيخٍ كالوَبيلِ يَلَنْدَدِ(٣)

---

(١) ضرغد: ماء عند جبل رمان.

(٢) الضرب: خفيف اللحم. خشاش: يدخل في الأمور بلطف.

(٣) كهاة: ناقة سمينة. يلندد: شديد الخصومة.

يقـولُ وقد تَرَّ الوَظيفُ وسـاقُهـا: ألستَ ترى أنْ قَدْ أتـيتَ بمُؤْيد[1]

وقـال: ألا مـاذا ترونَ بشـارب شـديـد علينا بغـيُـه مُـتَـعَـمِّـد

وقـال: ذَرُوه إنمـا نفْـعُـهــا له وإلا تكُفُّـوا قـاصيَ البَـرْك يَزْدَد

فظَـلَّ الإمــاءُ يمتَلِلْـنَ حَـوارَها ويسعى علينا بالسَّـديف المُسَرْهَد[2]

إذا مُتُّ فـانْعـيـني بما أنا أهْـلُهُ وشُـقِّي علَيَّ الجيْبَ يا بنةَ مَـعْبَـد

ولا تَجْـعَليني كـامرئٍ ليسَ هَمُّـهُ كهَمِّي ولا يُغْني غنائي ومَـشْهدي

بطيء عن الجُلَّـى سـريعٍ إلى الخنا ذليلٍ بأجـمـاع الـرجـال مُلَهَّـد

فلو كُنْتُ وَغْلاً في الرِّجـال لضَرَّني عداوةُ ذي الأصحاب والمُتَوَحِّد[3]

ولكن نَفَى عَنِّي الرجـال جـراءتي عليهم وإقدامي وصدقي ومَحْتَدي

لعـمـرُكَ مـا أَمْـري عـليَّ بغُـمَّـة نهـاري ولا ليلي علـيَّ بسَـرْمَـد

ويوم حَبَسْتُ النَّفْسَ عند عـراكهاً حـفـاظًا علـى عَـوْراته والتَّـهَـدُّد

على موطن يَخْشَى الفتى عنده الرَّدَى متى تَعْتَرِكْ فيه الفرائصُ[*1] تُرْعَد

وأَصْـفَرَ مَـضْبُوحٍ نظرتُ حَـوارَه على النارِ واستوعدته كفَّ مجهد

ستُبْـدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخـبار مَنْ لم تُزَوِّد[*2]

ويأتيكَ بـالأخـبـارِ مَنْ لـم تَبِعْ له بتاتًـا ولم تَضْرِبْ له وقتَ مَـوْعِد

---

(١) بمؤيد: داهية.

(٢) بالسديف: قطع السنام.

(٣) وغلا: ضعيفًا.

(*١) جمع فـريصة، وهي بضعـة تلي الجنب، عند مرجع الكتف، وهي أول مـا يرعد عند الفزع.

(*٢) يروى عن عائشـة -رضي الله عنها- أنهـا سئلت: «هل كـان رسول الله ﷺ يتـمثل بشيء من الشعر؟ فقـالت: كان يتمثل بشعر ابن رواحـة، ويقول: ويأتيك بالأخبار من لم تزود» أخرجه التـرمذي. انظر أحاديث الشعر ص ٥٧، تأليف الإمام الجُـمَّاعيلي، تحقيق محمد جميل سلطان، دمشق، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

وقال طرفة أيضًا(*١):

ذادَ عني النومَ همٌّ بعدهم ... ومن الهمِّ عناء وسَقَمْ
كلُّ مَنْ أمسى رخيّاً باله ... بتُّ والهمُّ ضجيعي لم أنَمْ
صادت القلبَ بعيني جُؤْذَر ... وبأنْف فوقه فرعٌ أَجَمْ
وبصَبْغ لاح في وجْنَتها ... مثلَ برق لاح في جُنْح الظُّلَمْ
وجبين لم يعبه عائب ... ربة البيت وترباب النعم
مُنْيَةُ الناظرِ لما أسفَرَتْ ... ومَشَتْ فوق فؤادي بالقدم
لا تلوموني عليها إنها ... قد بَرَتْ جسمي كما يُبْرَى القَلَمْ
تركت في القلب جرْحًا مُؤْلمًا ... مثل خطِّ الزبر في أولى الأمم
سائلوا عنّا الذي يَعْرِفُنا ... بحزازى يومَ تَحْلاق اللِّمَمْ
يومَ تُبْدي البيضُ عن أوجهها ... ذاهلات لقريب وابن عَمْ
يومِ لا تعرف بيض بعلها ... ووجوهً عابسات كالحمم
يومِ لا يحمل إلا فارسًا ... وَرِثَ الطعنةَ من خال وعم
وترى الخيل إذا ما ألحقوا ... من بداة الشدق يعلكن اللجم
يُصْغي الداعي إلى الداعي إذا ... صوّتَ الناعي وقد عمَّ الندم
وشباب وكهول بيننا ... كليوث ضاريات في الأكَمْ
وبنو بكر إذا ما اجتمعوا ... دوحة الحرب وجرثومُ(*٢) الكرم
نرْدَعُ الجاهلَ في مجلسنا ... فترى المجلسَ منا كالحرم

(*١) انظر: ديوان طرفة، ص ١٩٦-١٩٧، القصيدة رقم ٨٥، والأبيات من قوله: سائلوا عنا .. من القصيدة رقم ١٢، ص ١٠٩-١١٥، مع شيء من الاختلاف، وقال الأعلم الشنتمري في شرحه لديوان طرفة: «وزعم الأصمعي أنها مصنوعة، وأنه أدرك قائلها، وأثبتها أبو عبيدة والمفضل وغيرهما» ديوان طرفة ص ١٠٩.

(*٢) جرثومة الشيء: أصله.

ونُكـرُّ الخـيلَ فـي مكروهـهـا حين لا يُقْـدِمُ إلا ذو كَـرَمْ
نَذَرُ الأبطالَ صَـرْعى بالقنا تأكلُ العقبانُ منهم والرَّخَمْ
إن لله علينا نِعَمًا ولأيدينا على الناس نِعَمْ

وله أيضًا (*١):

كلُّ خليل كُنْتُ خالَلْتُهُ لا ترك الله له واضحهْ
كُلُّهُمْ أَروغُ من ثَعْلَبٍ ما أشْبَهَ الليلةَ بالبارِحَهْ!

ومن مشاهير شعراء البحرين:

٤ - خال طرفة بن العبد المعروف بـ«المتلمس»

قال ابن خلكان في كتابه "وفيات الأعيان" (*٢) في ترجمة الفرزدق: اسم المتلمس جرير بن عبدالمسيح بن عبدالله بن زيد بن دوفن بن حرب بن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة الأسحم بن ربيعة. وإنما لُقِّب بالمتلمس لقوله من جملة قصيدة(*٣):

فهذا أوانُ العـرْضِ طَنَّ ذُبابُهُ زنابيرُهُ والأزرقُ المتلمِّسُ

وكان قد هجا عمرو بن هند ملك الحيرة ، وكتب لعامله بالبحرين بقتل المتلمس ، وأعطاه الصحيفة ، وأوهمه أن له فيها حباء ، فارتاب المتلمس فيها ، ولما قرئت له وعرف ما فيها رماها في نهر "الحيرة"، وهرب إلى ملك غسان في "حوران".

ومن غرر شعره قصيدة يقول فيها(*٤):

(*١) ديوان طرفة، ص ١١٨، وهي ثلاثة أبيات، قال ذلك لعمرو بن هند يلوم أصحابه في خذلانهم إياه.
(*٢) ٦/ ٩٢، بتحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
(*٣) السابق: ٦/ ٩٢.
(*٤) ديوان شعر المتلمس، ص ٢٤-٢٩، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

وكُنَّا إذا الجبارُ صعَّرَ خدَّهُ أقمْنا له من ميله فتقوَّما
لذي الحِلْمِ قبلَ اليومِ ما تُقْرَعُ العصا وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليعلَمَا
ولو غيرَ أخوالي أرادوا نقيصتي جعلتُ لهم فوقَ العرانينِ مِيسَما

وقوله (*١):

وأعلمُ علْمَ حقٍّ غيرَ ظنٍّ وتقوى الله من خيرِ العتادِ
لحفْظُ المَال خيرٌ من بُغاهُ وضربٌ في البلادِ بغيرِ زادَ
وإِصلاحُ القليلِ يزيدُ فيه ولا يبقىً الكثيرُ على الفسادِ

وهو من أصحاب "المنتقيات"، وهذه قصيدته المنتقاة (*٢):

كمْ دونَ ميَّةَ من مُسْتَعْمَلٍ قَذف ومنْ فلاة بها تُسْتَعْمَلُ العيسُ
ومن ذُرَى عالمٍ طام مناهلُهُ كأنَّهُ في حَبَاب الماء مَغْمُوسُ
جاوَزْتُهُ بأَمُون ذاتٍ مُعْجَمَة تَهْوي بكَلْكَلها والرأسُ منْكُوسُ
يا آلَ بكْرٍ ألا للهِ دركُمُ طالَ الثواءُ وثوبُ العَجْزِ مَلْبُوسُ!
أَغْنَيْتُ شأني فأَغْنُوا اليومَ شأنكم وشَمِّروا في مراسِ الحربِ أو كيسوا
أرى عقالاً وما بالحقِّ من حصن لما رأوا آيةَ رأيِ خلابيسُ
معقولةٌ شطر الإشراق راكبُها كأنه ضَرَمٌ بالكفِّ مقبُوسُ
لن يشتكي سُبُلَ النوباة مُنْجِدَةً ما عاشَ عمرٌو ولا ما عاش قابوس
آليتُ حبَّ العراقِ اليومَ آكلُهُ والحبُّ يأكلُهُ في القريةِ السُّوسُ

(*١) السابق ص ١٧٢-١٧٣، وجاء البيت الثاني على هذا النحو:

لحفْظُ المال أيسَرُ من بُغاه وسيرٌ في البلادِ بغير زاد

(*٢) السابق ص ٦٩-١٠٦، والأبيات الثلاثة الأولى هي الأخيرة، مع زيادة في الأبيات واختلاف. وهي بهذا الترتيب في جمهرة أشعار العرب.

وإنْ تبـدَّلتُ من قـوم بغيـرهم ... إني إذًا لضعيفُ الرأيِ مـألوسُ
لمِ تدرِ "بُصْرى" بما آليتَ من قَسمٍ ... ولا "دمشق" إذا ديس الكراديسِ
حنَّتْ إَلى النخلة القصوى فقلت لها: ... "حجر" حرامٌ ولا تلك العلاميسُ

لطيفة :

ذكروا أن المتلمس طالت غيبته بالشام، فألح أهل زوجته عليها بالزواج بغيره، وكانت تكره ذلك، وتفضل الصبر حتى يرجع زوجها، فغلبها أهلها، وزوجوها وهي كارهة. وفي ليلة الزفاف قدم المتلمس، وعلم بذلك، فتلطف، ودخل بيت العرس، وأدخلت المرأة على الرجل، وأنشدت تقول:

ألا ليت شعري والحوادثُ جمَّةٌ ... بأيِّ بلادٍ أنت يا متلمسُ؟

فأجابها المتلمس يقول:

فإني قريبٌ -يا أمامة- فاعلمي ... وإني لمشتاقٌ إذا الركْبُ عرَّسوا

فأجابها الرجل يقول:

فبيتا بخيرٍ ثم عيشا بمثلهِ ... خلا لكما بيتٌ كريم ومجلسُ

وخرج عنهما، وتركهما، ووهب لهما البيت وما فيه (*1).

ومنهم :

٥- المُمَزَّق العبدي

واسمه شاس بن نهاد، وسُمِّيَ المُمَزَّق بقوله (*2):

(*1) انظر : السابق ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ والهامش ، وانظر شعراء النصرانية لشيخو، ص ٣٣٤ ، مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت ، ١٩٢٦م .
(*2) طبقات فحول الشعراء، ١/ ٢٧٤.

فإنْ كُنْتُ مـأكولاً فكُنْ أنتَ آكلي   وإلاَّ فـأدْرِكْني ولَـمَّـا أُمَـزَّقِ

ومن جيد شعره قوله (*١):

صحـا من تصابِـيه الفُؤادُ المُشَوَّقُ   وحـانَ منَ الحيِّ الجـميعِ الـتفـرُّقُ

وأصبـح لا يشـفي له مـن فـؤاده   قطارُ السَّحـاب والرَّحـيقُ المُرَوَّقُ

فـمَنْ مُبْلِغُ النُّعمـان أنَّ ابنَ أختـه   على العين يعتادُ "الصَّفا" ويُمَزَّقُ

وأنَّ لُكَـيـزًا لـم تكن ربَّ عُـكَّةَ   لدن صرَّحَتْ حُـجَّاجُهُمْ فتَـفَرَّقُوا

قَضَى لجميعِ الناسِ إذْ جاءَ أمْرُهُمْ   بأنْ يجْنُبُوا أفراسَـهُمْ ثم يَلْحَقُـوا

يَؤُمُّ بهِنَّ الحـزْمَ خَـرْقٌ سَـمَيْـدَعٌ   أَحَـذُّ كصَـدْرِ الهُنْدوانيِّ مـخْـفَقُ

وقالَ جميعُ النـاسِ: أينَ مَصيرُنا؟   فأضْـمَرَ منهـا خُبْثَ نفس مُـحَرَّقُ

ووجَّـهَـهـا غَـرْبِيَّـةً عـن بلادنا   وودَّ الذيـن حَـولَنـا لو تُشَـرَّقُ

وله أيضًا (*٢):

هل للفتى مِنْ بنات الدهرِ من واقي   أم هل له من حمـامِ الموت من راقي؟

قد رجَّلوني وما رُجِّلْتُ من شَعَث   وألبسـوني ثيـابًا غـيـرَ أخـلاق

ورَفَـعُـوني وقـالوا: أيُّـمـا رَجُلٍ   وأدرجـوني كـأنـي طَيُّ مـخْـراقِ

وأرسلُوا فتْـيَةً من خـيرهِمْ حَسَـبًا   ليُسْنِدُوا في ضريح التُّرْبِ أطباقي

هَوِّنْ علـيك ولا تَولَعْ بإشْـفَـاق   فـإنما مـالُنَا للـوارثِ البـاقي

كأنني قد رماني الدهرُ عن عُرُضٍ   بـنافـذات بـلا ريشٍ وأبـواقِ

(*١) انظر: شرح المفضليات للتبريزي، ٢/ ١٠٥٧-١٠٦٥، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

(*٢) انظر السابق، ٢/ ١٠٥٥-١٠٥٦، وتنسب -أيضًا- ليزيد بن خَذَّاق.

ومن أعلام شعراء البحرين:

٦ - عمرو بن قَمِيْئَة

قال البغدادي في "خزانة الأدب" (*١): عمرو بن قَمِيئة -على وزن فَعِيلة- مؤنث قَمِيء -على وزن فَعِيل- مهموز اللام، من قَمُؤ الرجل -بضم الميم- قَمْأً -بسكونها- وقَمَاءة - بفتحها - أي: صار قَمِيئًا، وهو الصغير الذليل.

قال ابن قتيبة في كتاب "الشعر والشعراء" (*٢): عمرو بن قَمِيئة من قيس بن ثعلبة بن مالك رهط طرفة بن العبد ، وهو قديم جاهلي، كان مع حُجْر أبي امرئ القيس ، فلما خرج امرؤ القيس إلى الروم صحبه، وإياه عنى امرؤ القيس بقوله (*٣):

بَكَى صاحبي لما رأى الدَّرْبَ دونَه ... وأيقَنَ أنَّا لاحقان بقَيْصَرا
فقلتُ له: لا تَبْكِ عينُك إنما ... نحاولُ مُلْكًا أو نموتَ فنُعْذَرا

ثم قال ابن قتيبة (*٤): وفي عبد القيس عمرو بن قَمِيئة الصغير.

ومما ينسب لعمرو بن قَمِيئة من الشعر قوله (*٥):

خليليَّ لا تَسْتَعْجِلا أنْ تَزَوَّدَا ... وأن تَجْمَعَا شملي وتَنْتَظِرا غدا
فما لَبْثي يومًا بسابقِ مَغْنَمٍ ... ولا سُرْعتي يومًا بسابقةِ الرَّدَى

(*١) ٤/ ٤١٢.
(*٢) ١/ ٣٧٦.
(*٣) الشعر والشعراء، ١/ ١١٨.
(*٤) الشعر والشعراء، ١/ ٣٧٦.
(*٥) ديوان عمرو بن قميئة، بتحقيق حسن كامل الصيرفي، ص ٣-١٣، نشر معهد المخطوطات العربية ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

وإنْ تُنْظِراني اليومَ أقضِ لُبَانةً   وتَسْتَوجبا منّاً عليّ وتُحْمَدا
لعمرُكَ ما نفسي بجدٍّ رَشيدة   تؤامرني سرّاً لأصْرِمَ مَرْثدًا
وإنْ ظَهَرَتْ منه قوارصُ جَمَّةٌ   وأقْذَعَ في لَومي مراراً وأصْعَدا
على غير ذَنْب أنْ أكونَ جَنَيْتُهُ   سوى قول باغٍ كادني فتَجَهَّدا
لعمري لنعْمَ المرءُ تدعو بحَبْله   إذا ما المنادي في المقامة نَدَّدا
عظيمُ رَمَادِ القِدْرِ لا مُتَعَبِّسٌ   ولا مُؤيِسٌ منها إذا هو أَوْقَدا
وإنْ صَرَّحَتْ كَحْلٌ وهَبَّتْ عَرِيَّةٌ   من الرِّيحِ لم تَتْرُكْ لذي المال مرْفَدَا
صَبَرْتُ على وَطْءِ الموالي وحطْمهمْ   إذا ضَنَّ ذو القُرْبى عليهم وأَخْمدَا
ولم يَحْمِ فَرْجَ الحيِّ إلا مُحَافَظٌ   كريمُ المُحَيَّا ماجدٌ غَيرُ أَحْرَدَا

وله أيضًا (*):

إنْ أَكُ قد أَقْصَرْتُ عن طول رحلة   فيا رُبَّ أصحاب بَعَثْتُ كِرامِ
فقلتُ لهم: سيروا فدًى خالتي لكمْ   أما تَجِدونَ الرِّيحَ ذاتَ سَهَامِ
فقاموا إلى عيس قد انْضَمَّ لَحْمُها   مُوَقَّفَةِ أرساغُها بخَدامِ
وقُمْتُ إلى وَجناءَ كالفحلِ جَبْلَةٍ   تُجاوبُ شَدِّي نسْعَها ببُغَامِ
فأُدْلِجُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ قاصداً   ولو خُلِطَتْ ظَلْمَاؤها بقَتَامِ
فأَوْرَدْتُهُمْ ماءً على حين وِرْده   عليه خَليط من قَطًا وحَمَامِ
وأهْوَنُ كفٍّ لا تَضيرُكَ ضَيْرَةً   يدٌ بينَ أَيْد في إناء طَعَامِ
يَدٌ من بعيد أو قريب أَتَتْ به   شآميَّةٌ غَبْراءُ ذاتُ قَتَامِ
كأني وقد جاوَزْتُ تسْعينَ حجَّةً   خَلَعْتُ بها يومًا عِذَارَ لجَامِ
على الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وعلى العَصا   أنوءُ ثلاثًا بعدَهُنَّ قِيَامي
رَمَتْني بناتُ الدهرِ من حيثُ لا أرى   فكيفَ بمَن يُرْمَى وليس برامِ

(*) السابق، ص ٣٩-٤٧.

فلو أنَّـهـا نَبْـلٌ إذًا لاتَّقَـيْـتُـهـا ... ولكنَّني أُرْمَى بغَـيْـر سِـهَـامِ
إذا ما رآني الناسُ قـالوا: ألم تكُنْ ... حَـديثًـا جَـديدَ البـزِّ غيـرَ كَـهَـامِ
وأَفْنَى ومـا أُفْـنِي من الدهر لَـيْلَةً ... ولـم يُفْـنِ مَـا أفْنَيْتُ سِلْـكَ نظامِ
وأهْلَـكني تَأمِـيلُ يَـوْمٍ ولَيْـلَةٍ ... وتأمـيلُ عـامٍ بَعْـدَ ذَاك وعَـامِ

وله أيضًا (*١):

يا لَهْفَ نفسي على الشَّبـابِ ولم ... أَفْـقِـدْ به إذْ فَـقَـدْتُه أَمَـمَـا
قـد كنتُ في مَيْـعَـةٍ أُسَـرُّ بـهـا ... أمنعُ ضَـيْـمي وأُهْـبِطُ العُـصُـمـا
وأَسْـحَـبُ الرَّيْطَ والبُـرُودَ إلى ... أدنى تجَـاري وأَنْفُضُ اللِّـمَـمَـا
لا تَغْـبِط المَرْءَ أنْ يُقَـالَ له: ... أمسَى فـلانٌ لِـعُـمْـرِه حكَمَـا
إنْ سَـرَّهُ طُولُ عَـيْـشِـه فَلَقَـدْ ... أضحى على الوَجْه طُولُ ما سَلِما
إنَّ مِنَ الـقَـوْمِ مَـنْ يُعَـاشُ بِهِ ... ومنـهم مَنْ تَـرَى بِهِ وَصَـمَـا

وله أيضًا (*٢):

تَحـنُّ خـيلُـنا (*٣) إلى مـالك ... فَـحنِّي حَنينَك إني مُـعَـالي
إلى دار قـومٍ حسـانِ الوجـوهِ ... عظامِ القِـبَـابِ طوال العَـوَالي
فَـوَجَّـهْـتُـهُنَّ إلى مَـهْـمَـهٍ ... قَليلِ الوَغَـى غَـيْـرَ صَوْتِ الرِّئال
سِـراعًـا ذَوَائبَ مـا يَـنْثَنِـيـنَ ... حـتى احـتَلَلْنَ بحيٍّ حَـلالَ
بسَـعْـدِ بن ثَعْلَبَـةَ الأكْـرَمِـيـنَ ... أهلِ الـفَـضائلِ أهْلِ النَّوَالِ
ليـالِيَ يَـحْـبُـونني وُدَّهُـمْ ... ويَحْـبُـونَ قدْرَكَ غُـرَّ المتـالي (*٤)

(*١) السابق ص ٤٨-٥٢. وفيه قافية آخر بيت: «دسما» بدل «وصما».
(*٢) السابق ص ٥٣-٥٩.
(*٣) في المصدر السابق: حنينًا.
(*٤) في المصدر السابق: المَحَال.

فَـتُصْـبِحُ في المحْلِ مُـحْـدرةًَّ لفَـيء إهالَتِـــهـــا كـــالـظِّلال
فَـإنْ كنتُ سـاقـيَـةً مَـعْشَـراً كَـرامَ الضَّـرائب في كلِّ حــالَ
علـى كَـــرَمٍ وعلـى نَجْـــدَةَ رَحـــيـــقًـــا بماَء نـطاف زُلالَ
فكوني أولئكَ تَسْـــقـيْنَهـــاً فَـدًى لأولئكَ عَـمِّي وخَـالي
أليـسـوا الفـوارسَ يومَ الفــرا تَ والخيلُ بالقوم مثْلُ السَّعَالي؟
وهُمْ مـــا هُـم يومَ[*1] الهَنَات إذاَ زَعْـزَعَ الـطَّلْحَ ريحُ الشَّـمـال
بِدُهْمٍ ضـوامـر لـلمعـتـدين[*2] يمونـونهـنَّ قـبلَ العِـيـالِ

وله أيضًا [*3]:

إن قَلْبي عن "تُكْتَمٍ"[*4] غيرُ سالي تَيَّـمَـتْني ومـا أرادتْ وصـالي
هلِ ترى عـيـرَهاً تُجيـزُ سـراعًـا كـالعَـدَوْليِّ رائحًـا منْ "أوال"
نَزَلُوا منْ "سُـوَيْقَـةَ الماء" ظُهْـراً ثم راحـوا للنَّعف نَـعْفَ "مطَاَل"
ثم أضَحـوا إلى "الدَّثيَـنة" لا يأْ لُونَ أَنْ يرْفَـعُوا صُدُورَ الجِمـال
ثم كـان "الحسـاء" منهم مَصَيفًـا ضاربات الخُدُور فوقَ الكَلاَل[*5]
فَـزعَتْ "تُكْتَمٌ"، وقالـتْ عجَـيبًـا أن رأتْني تَـغَـيَّـرَ اليـومَ حَـالي
يا ابنةَ الخــيـــر! إنما نحـن رَهْنٌ لصُـرُوف الأيام بَـعْـدَ اللَّيـالي
جَلَّحَ[*6] الدهرُ وانتحى لي وقدْمًا كـانَ يَنْحي القُـوى على أمثـالي
أقْـصَـدَتْني سـهـامُـه إذ رمـتْني وتولَّتْ عنه سليـمًـا نبـالي
لا عـجـيبٌ فـيـمـا رأيتِ ولكنْ عَـجَبٌ مـنْ تَفَـرُّطِ الآجـالِ

(*1) في المصدر السابق: عند تلك.
(*2) في المصدر السابق: للمعتفين .
(*3) السابق ص ٦٠-٦٩.
(*4) تكتم: اسم امرأة.
(*5) في المصدر السابق: تحت الهَدَال.
(*6) جلّح الدهر: أتى، وأقدم، وحمل على.

تُدْرِكُ التِّمْسَحَ المُولَّعَ فِي اللُّجَّـ ـةِ والعُصْمَ في رُؤُوسِ الجبالِ
والفَريدَ المُسَفَّعَ الوجْهِ ذا المجـ ـدِ يختارُ آمناتِ الرِّمالِ
وتَصَدَّى لتَصْرَعَ البطَلَ الأرْ وَعَ بينَ "العَلْهاء"[*1] و"السربال"

وله أيضًا[*2]:

غَشِيتُ مَنازِلاً منْ آلِ هِنْد قِفارًا بُدِّلَتْ بعدي عُفيًّا
تُبِينُ رَمادَها ومَخَطَّ نُؤْيٍ وأشْعَثَ ماثِلاً فيها ثَوِيًّا
فَكادَتْ من معارِفِها دُمُوعي تَهُمُّ الشَّأْنَ ثُمَّ ذَكَرْتُ حَيًّا
وكانَ الجَهْلُ لو أبْكاكَ رَسْمٌ ولستُ أُحِبُّ أن أُدْعَى سَفِيًّا[*3]
ونَدْمانٍ كريمِ الجِدِّ سَمْحٍ صَبَحْتُ بسُحْرَةٍ كأسًا سَبِيًّا
يُحاذِرُ أنْ تباكرَ عاذلاتٌ فيُنْبَأُ أنَّهُ أمسى غَوِيًّا
فقالَ لنا: ألا هل منْ شِواءٍ بتعْريضٍ ولم يَكْمِيهِ عَيًّا؟
فأرْسَلْتُ الغُلامَ ولم أُلَبِّثْ إلى خَيْرِ البوائكِ تَوْهَرِيًّا
فناءَتْ للقيامِ بغيرِ شَوْقٍ وأُتْبِعُها جُرازًا مَشْرَفِيًّا
فظلَّ بنَعْمَةٍ يُسْعَى عليهِ وراحَ بها كَرِيمًا أجْفَلِيًّا
وكنتُ إذا الهُمومُ تَضَيَّفَتْني قَرَيْتُ الهَمَّ أهوجَ دَوْسَرِيًّا
بُوَيْزَلَ عامِهِ مِرْدَى قِذافٍ على التَّأويبِ لا يَشْكُو الوُنِيًّا
يُشَيِّحُ على الفَلاةِ فيَعْتَلِيها وأذْرَعَ ما صَدَعْتَ بهِ المَطِيًّا
كأنِّي حينَ أزْجُرُهُ بصَوْتي زَجَرْتُ بهِ مُدِلاً أحْذَرِيًّا
أطالَ الشَّدَّ والتَّقْرِيبَ حتى ذَكَرْتَ بهِ مُمَرًّا أنْدَرِيًّا

(*1) قيل: إنه اسم موضع، وكذلك السربال.

(*2) السابق ص ١٢٨-١٥٤.

(*3) السفيّ من السفاء، بمعنى الخفّة والجهل، مثل السفيه من السفه.

بهـا في روضة شَـهْـرَيْ ربيع فسـافَ لها أديما أدْلَصيَّا [*١]
مُسيمًا هل يرى شَبَحًا قريبًا ويُوفي دونَها العَلَمَ العَليَّا
إذا لاقى بظاهره دلاقًا أمَرَّ عليهما يومًا قَسيَّا
فلما قَلَّصَتْ عند البقايا وأعْوَزَ عن مَراتعه اللَّويَّا
أرَنَّ فصَكَّها صَخبٌ دؤولٌ يَعُبُّ على مناكبها الصَّبيَّا
فأوردَها على طمْلٍ يَمَان يُهلُّ إذا رأى لَحْمًا طَريَّا
له شِريانةٌ شَغَلَتْ يَدَيْهِ وكان على تَقَلُّدها قَويَّا

ومن مشاهير شعراء عبد القيس:

٧ - زياد الأعجم

هو من موالي بني عامر بن الحارث بطن من عبدالقيس، وكان ينزل "إصطخر"، فغلبت العجمة على لسانه؛ فسموه الأعجم، وكان شاعرًا جزل الشعر، وقد خص بمدحه المغيرة بن المهلب[*٢]، وله فيه قصيدة يرثيه بها مشهورة، وهي قوله[*٣]:

قُلْ للقوافلِ والغُزاة إذا غزوا والباكرين وللمُجدِّ الرائح
إنَّ السَّماحَةَ والمروءةَ ضُمِّنَا قبرًا بـ"مَرْوَ" على الطريق الواضحِ
فإذا عبرْتَ بقبره فاعْقرْ به كُومَ الهجانِ وكُلَّ طرْفٍ سابحِ
وأرى المكارمَ يومَ زيلَ بنعشه زالتْ بفضلِ فواضلٍ ومدائحِ
رجفتْ لمصْرَعه البلادُ وأصبحتْ منَّا القلوب لذاك غيرَ صحائحِ

(*١) ساف: شمّ، والأديم من كل شيء: ظاهر جلده، ويقال: ظهر مُدَلَّصٌ من سمنه واعتداله.
(*٢) ابن أبي صفرة الأزدي، من الشجعان، أمير فارس، استخلفه أبوه على خراسان. الأعلام، ٨/ ٢٠١.
(*٣) انظر : شعر زياد الأعجم ، جمع وتحقيق ودراسة د. يوسف حسين بكار ، ص ٥٣-٦٣، دار المسيرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الآن لما كنتَ أكرمَ من مشى … وافترَّ نابُكَ عن سناه القادحِ
وتكاملَتْ فيكَ المروءةُ كلُّها … أعقبْتَ ذلكَ بالفعال الصالحِ
وكفى لنا حزنًا ببيت حلَّه … أخرى المنون فليس عنه ببارحِ
فعفَتْ منابرُهُ وحطَّ سروجَهُ … عن كلِّ طامحة وطرْف طامحِ
وإذا يُناحُ علَى امْرئ فليعْلَمَنْ … أنَّ المغيرَةَ فوقَ نَوْحِ النائحِ
تبكي المغيرة خيلُنا ورماحُنا … والباكياتُ برنَّة وتصايحِ
ماتَ المغيرةُ بعدَ طول تعرُّض … للموت بين أسنة وصفائحِ
وإذا الأمورُ على الرجالِ تشابهتْ … وتوعَّرَتْ بمغالقٍ ومفاتحِ
فتلَ السَّحيلَ بمبرمِ ذي مرة … دونَ الرجال بفضْلِ عقلٍ راجحِ
وأرى الصعالكَ للمغيرةِ أصبحتْ … تبكي على طَلْقِ اليدَين مُسامحِ
كان الربيعَ لهم إذا انتجعوا الندى … وخَبَتْ لوامعُ كلِّ برق لائحِ
كان المهلبُ للمغيرة كالذي … ألقى الدِّلاءَ إلى قَليب المائحِ
فأصابَ جَمَّةَ ما استقى فسقى له … في حوضه بنوازعٍ ومَوائحِ
أَيَّامَ لو يَحْتلُّ وسْطَ مفازَة … فاضَتْ معاطنُها بشرْب سائحِ
إنَّ المهلبَ لن يزالَ لها فتًى … يمري قوادمَ كلِّ حَرْبٍ لاقحِ
بالمقْربات لواحقًا آطالُها … يجتابُ سَهْلَ سباسب وصحاصحِ
مُتلَهِّفًا تَهْفُو الكتائبُ حولَه … لمح المنون من النصيِّحِ الراسحِ
مَلكٌ أغرُّ مُتَوَّجٌ يسمو له … طرْفُ الصديق بغضِّ طرْف الكاشحِ
رفَّاعُ ألويةِ الحروبِ إلى العدَا … بسعودِ طيرِ سوانحٍ وبوارحِ

وقال يمدح عمر بن عبدالله بن معمر(*):

سَأَلْناهُ الجزيلَ فما تأَتَّى … فأعطى فوقَ مُنْيَتِنا وزادا

(*) انظر: شعره، ص ٦٥-٦٦، مع بعض الاختلاف في الترتيب والعدد.

وأحْـسَنَ ثمَّ أحـسـنَ ثم عُـدْنا   فـأحـسـنَ ثمَّ عُـدْتُ لـه فـعـادا
مـــراراً مـــا دنـوتُ إليـــه إلاَّ   تبـسَّمَ ضــاحكًا وثنى الوســادا
أخٌ لــك لا تــراه الــدهْــرَ إلاَّ   على العِـلاَّتِ مُـبْـتَـسِـمًا جـوادا

وقال يمدحه أيضًا (*١):

أبلـغ أبا حــفص رســالةَ نـاصح   أَتَتْ من زياد مُـسْـتَـبيـنًا كلامُـهـا
فـإنَّكَ مثْلُ الشَّـمْسِ لا سترَ دونهـا   فكيف -أبا حفص- عليَّ ظلامُها
لقد كنتُ أدعـو اللهَ في السِّـرِّ أنْ أرى   أمـور مَـعَـدٍّ في يديك نظامُــهـا
فلمَّــا أتاني مــا أردْتُ تبــاشــرتْ   بناتي وقُلْنَ: العـامُ لا شكَّ عامُـها
وإنِّي وأرضًا أنتَ فيهـا -ابنَ معْمر-   كمكةَ لم يطرب لأرض حمـامُها
إذا اختـرتَ أرضًا للمـقام رضيتُـهَا   لنفسي ولم يثْقلْ عليَّ مـقـامُها
وكنتُ أُمنِّي النَّفْسَ عنك -ابنَ معْمَر-   أمــانيَّ أرجــو أن يتـمَّ تمامُــهـا
فـلا أكُ كــالمجـرى إلى رأسِ غــايـة   يُرَجِّي سـماءً لم يُصِبْهُ غمـامُهـا

وقال يمدح عبدالله بن الحشرج(*٢):

إنَّ السَّــمـاحــةَ والمروءةَ والنَّدَى   في قُبَّة ضُـرِبَتْ على ابنِ الحشْرَجِ
مَلِـكٌ أغــرٌّ مُـتَـــوَّجٌ ذو نــائلِ   للـمُـعْـتـــفينَ يمينُهُ لم تشْنجِ
يا خيـرَ مَنْ صَعَـدَ المنابرَ بالتُّقَى   بعــدَ النبيِّ المصطـفى المتحـرِّجِ
لما أتيـــتُكَ راجــيًــا لنوالِكم   ألفــيـتُ بابَ نوالِكم لم يُـرْتَجِ

وروي أن الفرزدق هَمَّ بهجاء عـبدالقيس، وبلغ ذلك زياداً الأعجم، فـبـعث إلى الفــرزدق: ألَّا تعْـجَل حتى أُهْـدِي لك هـديةً . فـانتظر

(*١) انظر : السابق، ص ٩٤.
(*٢) السابق ، ص ٤٩.

الفرزدق، فبعث إليه هذه الأبيات[*1]:

وما تَرَكَ الهاجونَ لي إنْ هَجَوْتُهُ   مَصَحّاً أراه في أديم الفَرَزْدَق
ولا تَرَكُوا عَظْمًا يُرَى تحتَ لَحْمه   لكاسره أَبْقَوه للمُتَعَرِّقَ
سأَكْسرُ ما أَبْقَوا له من عظامه   وَأَنْكُتُ مُخَّ الساق منه وأَنْتَقي
فإنَّا ومَا تُهْدي لنا إنْ هَجَوْتَنَا   لكالبحرِ مهما يُلْقَ في البحرِ يَغْرَقِ

فلما بلغه ذلك قال: ليس إلى هجاء هؤلاء من سبيل ما دام هذا العبد فيهم.

ومات -رحمه الله- على رأس المائة من الهجرة.

ومن شعراء الأحساء في القرن السادس:

٨- علي بن المقرب

هو جمال الدين أبو عبدالله علي بن مقرب بن منصور بن عزيز بن ضبَّار بن محمد بن إبراهيم العيوني. وعلي بن عبدالله العيوني -مؤسس دولة العيونيين في الأحساء- جده من قبل الأمومة ، وكان أبوه قائداً من قواد الدولة العيونية ، وكان ابن المقرب من شعراء الحماسة ، قصر شعره على عد مفاخر قومه ، والافتخار بربيعة بن نزار البطن الذي ينتمي إليه ، وعد أيامهم في الجاهلية والإسلام، ومني من بني عمه بالاضطهاد والإبعاد، فجعل يشكو ذلك في شعره، فنسمعه يقول[*2]:

تجافَ عن العتبى فما الذنب واحد   وهب لصروف الدهر ما أنت واجدُ
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه   فواعجبًا[*3] إن سالمتك الأباعدُ!

(*١) انظر : السابق، ص ٨٧-٨٨.

(*٢) ديوان ابن المقرب، ص ١٤٠-١٤٨، تحقيق وشرح عبدالفتاح محمد الحلو، مكتبة التعاون الثقافي- الأحساء، طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

(*٣) في الديوان: فلا عجبًا.

إلى أن يقول:

أولئك إخـواني ورهطي وأسـرتي   وقومي إذا ما استنهـضتني الحقائد
فإن ساءني منهم على القـرب معشر   وأصـبح مـن تلقـائهم مـا أكـابد
فقـد باعت الأسباط قـبلي أخاهم   ببـــخس وكل مـنهم فـــيـــه زاهد

وكان السـبب في ذلك أنه لا يرى سيـاسة اللين ومجـاملة الأعداء، ويحـمل ولاة الأمر من بنـي عمـه على الأخذ بـالحزم والعـزم، وقهـر الأعداء بالسيف والقوة، كقوله (*):

إلى كم مناجاة الهموم العوازبِ؟   وحـتام تأمـيل الظنون الكواذب؟
أما حان للعـضب اليماني أن يُرى   بيمناك كالمخراق في كف لاعبَ؟
لعلك خلت الذل حـتمًـا أو العلا   حـرامًا أو أن الشـر ضـربة لازب
فـــقم قـام ناعـي من يقـيم بمنزل   يُضـام به والأرض شـتى المذاهب
ولا عاش من يُغضي على الضيم جفنَهُ   وفي قائم الهندي فـضلٌ لضارب
ورح واغد في كيـد العدو ولا تنم   على ضـمد فـالعمـر كوة سـالب
أتظمـــا لديك المشـــرفـيـــة والقنا   وفي قلل الـبـاغين ورد لشـــارب
فشـــمِّرْ وأوردها فـقد زاد ظمـؤها   على العشر لا تشمير غمْر موارب
فـإنَّ بهـا تُرْقى الدمـاء كـمـا بهـا   تراق وفـيــهـا عـاليـاتَ المراتب
ومن لم يُرَوِّ السيفَ يظمأ ومن يهن   يهن ومحـاريب العلا للمـحارب
ومن لم تَخَفْ منه العدا في بلادها   تُخـفْه وعقـبى الذل شرُّ العـواقب
أرى الناس -مذ كانوا- عبيدًا لغاشم   وخَـصـمًـا لمغلوب وَجندًا لغـالب
ومـــا بلغ الـعليــــاء إلا ابن حــرة   قليل افـتكـار فيِ أمـور العـواقب
ولا تتـــوهم أن إكـــرامك العـــدا   سـخـاءٌ وأنَّ العزَّ ضـيمُ الأقـارب
لعـمـرك مـا عزَّ امـرؤٌ ذلَّ قـومُـه   ولا جـاد من يعطـي عطيـةَ راهبِ

(*) السابق، ص ٦٤-٧٤.

خليليَّ عن دار الهوان فقوِّضا خيامي وزما لارتحال النجائب
ولا تذكرا عندي "لعل" ولا "عسى" فما بـ"عسى" يُقْضى نجاح لطالب
وليس "عسى" أو "ربما" أو "لعلما" و"يا طالما" إلا قيود المعاطب
عجبت لقوم أصبحوا وعيونهم تحاذرني من تحت تلك الحواجب!
إذا ما بدا شخصي لهم خلت عاصفًا من الريح قد ثارت عليهم بحاصب!

ورحل إلى العراق، فدخل البصرة وبغداد والموصل، ويقال: إنه مات في عمان. وفي قرية "طيوي" -من بلاد عمان- جبل شاهق وفي رأسه قبر، ويقول أهل طيوي: إنه قبر ابن المقرب، والله أعلم.

ومن أشعاره في الحماسة قوله(*):

خليـاني من وطاء ووساد لا أرى النوم على شوك القتاد
وارحلا من قبل ألاَّ ترحلا فالبلايا كل يوم في ازديادَ
واتركاني من أباطيل المنى فهو بحر ليس يروي منه صادي
وابذلا في العز مجهودكما لا يلام المرء بعد الاجتهاد
إنما تدرك غايات المنى بمسير أو طعان وجلاد
من نصيري من زمان فاسد جعل الأمر إلى أهل الفساد
كلما قلت له: ذا سرف في التعدي، قال لي: هذا اقتصادي
كنت قبل اليوم أبكي بشجا همَّ نفسي وطريفي وتلادي
ثم قد أصبحت أبكي بأسى شجو إخواني ورهطي وبلادي
زوبعة في جوها عاصفة ذات إعصار تضاهي ريح عاد
ما نجى من نارها غير امرئ عاذ منها بمضلٍّ غير هادي
تركت عاليها سافلهاً والرعان القود نعلاً للوهادي

(*) السابق، ص ١٧٦-١٨١.

يا لـقــومي مـن أراكم حــسنًا بيعنا بالبـخس في سوق الكساد!
أعـــمـى غـــالـكم أم نـاصح مُـضْمـرِ البـغـضاء مُبْـد للوداد؟
عـجـبًـا مـنكم ومن تصـديقكم وتمـنـيكَـم لـنـار من رمـًـــاد
واللبـيـب الحي لا يخـدعــه لمعـــان الآل عن حـــفـظ المزاد
والقـــديم العـــتق لا يوفـى به باسل الغارات من نسل الكداد[١]
آه وا شــقـــوة أرباب الـعـــلا هَلَـكَ المجـــدُ إلى يـوم التـنادي
يا بغـاث الطيـر طيـريَ وانظري هَرَبَ الأجـدل من كـلب الجـراد
وارتعي يـا بقـرَ الحرث فـقـد ظَفَـرَ الضـيـونُ بالأسـد الوراد[٢]
طبْتَ يا مـوت، مـتى شئت فـزر ليس عيش الذل يومًا من مرادي!
قَـبح الـله حـيــاة قُــرنَتْ بشقـا الضيم وإشمـات الأعادي!
غـيــر مُـخْط إنْ تمـنَّيْتُ الردى دولة الأوباش من سـقم الفـؤاد
كم تقـاضـاني المعـالي عـزمـة يهـتف الشادي بهـا في كل وادي
فـإذا رمت نهـوضًـا قـعـدت بي أمـور أنا منهـا في جـهـاد
قلـة المال وكــثـر في العــدا وابن عـم رأيه غـيـــر الســداد
لا مــعين لي مـن قــومي ولا جـدتي تحمل جـدي واجـتهـادي
يا نـديميَّ اتـركـــاني واذهـبـــا ليـس وادي الذل لـلحـــر بواد
كـيف حـالي وأنـا المانعــهـا يوم تأتي مـشـرئبـات الهـوادي
تعـثـر العـقـبـان في عـثْيـرها[*] وتظل الشـمس منهـا في حـداد
حــامـلات للـوغى كل فــتى محصـد النجدة مسترخي النجاد
طال لبـــثي بين مـولـى خـاذل ومـعـاد وصـديق كـالمعـادي

(١) الكداد: الحمير.
(٢) الضيون: السنور.
(*) العِثْيَر: التراب والعجاج.

تمضغ الأيام لحمي عبثًا ليس بعد المضغ إلا الازدراد
لا جنابي يمنع الجار ولا نائلي يُرْجى ولا يُخْشى عنادي
أحذار الموت أبقى هكذا؟ لا ومجري الماء رزقًا للعباد
إن تر شخصي لأمر ساكنًا فلعمري إن قلبي في طراد
رُبَّ ذي همٍّ تراه مطرقًا وهو في إطراقه حية وادي
ما انتظاري برؤوس أينعت ليس هذا الينع إلا للحصاد
يا جفوني طلِّقي عنك الكرى إنما طاب الكرى بعد السهاد
ما الذي يقعدني عن هممي والمنايا رائحات وغوادي
لأقيمن لأبناء الوغى سوق إقدام وطعن وجلادي
إن يكن عزٌّ وإلا فردى لست من دون شبيب ومصاد
لا يطيب العزُّ ما لم تجنه باللدان السمر والبيض الحداد
ما اعتذاري والوغى تعرفني والعوالي والمواضي والهوادي؟
قد تساوى في مضائي صارمي وسناني ولساني وفؤادي
فارمِ بي ما شئت واعلم أنني ليث غاب وشهاب ذو اتقاد
لست بالترعية الغمر ولا واهن العزم ولا كابي الزناد
منصبي في المجد أعلى منصب وعمادي في العلى أوفى عماد
وأنا ابن السادة الغر الألى ورثوا المجد جوادًا عن جواد
لم يزل فينا ربيع مربع وحمى حام وهاد للرشاد
يترع الشيزي إذا البر غدت ليس فيها قوت يوم للقراد[1]
ونصك البيض بالبيض إذا حطمت في الصيد أطراف الصعاد
ولنا فضل حلوم ما ادعى مثلها قيس ولا قيس إيادِ

---

(١) الشيزي: هو خشب أسود تصنع منه القصاع الكبار.

ولـه أيضًا - رحمه الله تعالى -(*):

ردي مــرَّ الحـتــــوف ولا تراعي فـمــا خـوف المنيـة من طبـاعي
ومن هـاب المنيـــــة أدركـتْـــه ومـــات أذلَّ من فـــقــع بقـــاع
ذريـنـــي والملـوك بـكـل أرض أكـايلـهـا الردى صـاعًـا بصـاع
فـــمــا أيمانـهم تعلـو شـمـــالي ولا أبـواعـــــهـم تعـلو ذراعـي
تخـوفنـي ابنة العـبـدي حـتـفي وإقـحـامي المهـالك واقـتـراعي
وتعــذلني علـى إنفـاق مـــالي وتزعـم أنه لـلفــــقـــــد داعي
أمــا والأريحـيــة إنَّ سـمـعي لما تهـذي العـواذل غـيـر واعي
أأحـفل بالـفـراق وكل شـعـب تصـيــره المنون إلى انصـداع؟!
وأرهب أنْ أمــــوتَ وكـل حي ســـينعـــاه إلى الأقـــوامِ نـاعي!
وأخشى الفــقـر والدنيـا مـتـاع وربـي بـالــكــرام أبـرُّ راعــي!
فـمــا للمـرء خـيـرٌ في حـيـاة إذا مــا عُــدَّ من سـقط المتـاع
فـإن بأرضـنا بقـراً شـبــاعًـا ولكـن بين آســـاد جـيَـــاع
وهل يُهْني البهـيـمة خصب مرعى إذا مــا آنست صـوًّت السبـاع
إذا راع الـوداعُ قلـوبَ قــــوم فـلـي قـلـب يـحـنُّ إلـى الـوداع
وإن ينـزع إلى الأوطان غـمــــر فــــإن إلى النوى أبـدًا نزاعـي
يراع لـفــرقـــة الأوطان نـكْسٌ ضـعـيف العـزم أخـلى من يراع
وكم من فـــرقـــة طالت فـكانت بُعَـيـد اليـأس داعـيـةَ اجـتـمـاع
تقــارعني الحـوادث عـن مرادي وأرجــو أن يذلِّلَهـــا قــراعي
وإني والـعـــلا فـــرســـا رهان كـمـــا أنا والندى أخــوا رضـاع
ولسـت إذا الهـمــوم تأوبتـني أُلاقـــيــهـــا بآراء شـعـــاع
ولكـنـي ســــألقـــاهـا بعــــزم وبـــاع فـــي المـكـــارم أي بـــاع

(*) ديوانه، ص ٢٦٦-٢٧٢.

سئمتُ تقلبي فوق الحشايا ... ونومي بالهواجر واضطجاعي
إذا يوم نبت بي دار قوم ... فما تنبو المطي عن انتجاع
سأطلب حقَّ آبائي وحقي ... ولو من بين أنياب الأفاعي
وإن الموت في طلب ارتفاع ... لدي ولا حياة في اتضاع
تخادعني عن العليا رجال ... وأين بنو الفواعل من خداعي؟
يطاولني بقومي كلُّ عبد ... تنقل من لكاع في لكاع
أهمُّ بهجوهم فأرى ضلالاً ... هجائي دون رهط ابن الرقاع
أنا ابن السابقين إلى المعالي ... وأرباب الممالك والمساعي
حَلَلْنا من ربيعةَ في ذُرَاها ... وجاوَزنا الفُرَوعَ إلى الفراع
وقد علمتْ نزارٌ أن قومي ... سيوف ضرابها عند المَصاع
وأنَّا المانعون حمى مَعَدٍّ ... وأهل الذَّبِّ عنها والدفاع
نُهين لها التلاد ولا نحاشي ... ونوطئها البلاد و لا نُراعي
ونشدي التبعات لكل خطب ... عناهَا لا لبيع وابتياع
وما حفظ العلا والمجد شيء ... من الأشياء كالمال المضاع
وإن نفخر نجيء بكلِ ملك ... حليم قادر عاص مطاع
بنينا عزنا ورسا عُلانا ... بضرب الهام والكرم المُشاع
بنا يَسْتَنْسرُ العصفورُ عزاً ... وتَخْشَى الأُسْدُ صولات الضِّباع
ورائس قد تركناه رئيسًا ... يسوم الناس غير المَستطاع
فصار يعد ذا رأي وعقل ... وكان يعد في الهمج الرعاع
وأرعنَ باذخٍ صعب المراقي ... صككناه فآذنَ بانقشاع
فلا يستغرقَنَّ الحُمْقُ قومًا ... فكم من رفعة سببُ اتِّضاع!
فإنَّ سيوفنا ما زال فيها ... شفاء للرؤوس من الصداع
يُخَبِّر تبع عنها وكسرى ... بذا والمنذران وذو الكلاع

فكـم قِــدَمًــا ربـعْنا مـن ربوع بـهــنَّ وكـم أبـرْنـا مــن ربـاع!

وقال يفتخر بملوك قومه(*):

قمْ فاشْدد العيس للترحال معتزمًا وارمِ الفجاجَ فإن الخطب قد عظما

ولا تـلـفَّتْ إلـى أهـل ولا وطـن فالحـرُّ يرحلُ عن دارِ الأذى كـرَما

كم رحـلة وهبت عــزاً تديـن به شوس الرجال وكم قد أورثت نعما

وكم إقـامــة مـغـدور لـه جلبت حتـفًا وساقت إلى سـاحاته نقـما

واسمع ولا تلغ ما أنشأتُ من حكَم فذو الحجا لم يزل يستنبطُ الحَكما

لم يبك من رمدتْ عيناه أو سبلَت جفناه إلَا لخوف من حدوث عمى

إن المنية -فاعلم- عند ذي حسب ولا الدنيـة، هان الأمـر أو عظمـا

مَنْ سـالمَ الناسَ لم تسلمْ مقـاتله منهم ومن عاش فيـهم بالأذى سلما

لا يقـبل الضيمَ إلا عـاجزٌ ضَـرِعٌ إذا رأى الشـرَّ يغلي قـدره وجمـا

وذو النبــاهة لا يرضى بمنقــصـة لو لم يجد غير أطراف القنا عصما

وذو الدنـاءة لو مُـــزقَتْ جلـدتُهُ بشفـرة الضيمِ لم يحـسسْ لها ألما

ومَنْ رأى الضـيمَ عــارًا لم تمرَّ به شــرارةٌ منه إلَا خــالـهَــا أطَمــا

وكلُّ مـجـد إذا لم يُـبْنَ مـحـتـده بالبـأس نَقَّـره الأعـداءُ فـانهـدمـا

لا يضبطُ الأمرَ مَنْ في عوده خَوَرٌ ليس البغاثُ تسـاوي أجدلاً قطما

وللبيـوت سطـاعـاتٌ تقـوَم بهـا لا خرْوعًـا جُعلَتْ يومًـا ولا غنما

مـا كلُّ ساعٍ إلى العليـاء يدركُهـا من حَكَّمَ السيفَ في أعـدائه حكَما

من أرعف السيف فـي هام العَدا غَضـبا للمـجـد حقٌّ له أنْ يُرْعفَ القلمـا

لا تطلب الرأيَ إلا مـن أخي ثقـة لا يصدر القوم من لا يورد العلما

ولا يعــدَ كــريمًا مَنْ مــواهبُــهُ تمسي وتـصـبح في أعـــدائه ديما

(*) السابق، ص ٥٢٦-٥٥٤.

والبخلُ خير من الإحسان في نفر … أبرّهم بك من أعـدى ومن شتـما
وواضعُ الجـود في أعـداء نعمتـه … كـمـودع الذئـب في برية غنمـا
من استخف بأَرباب العلى سفهًا … وسـامه الخسْف أدمى كـفَّهُ ندمـا
ألا فـسل عن كليب كيف جـد له … جساس هل كـان إلا أن حمى فرمى
ولا يعــز الفــتـى إلا بأســرته … لو كان في البأس عمرو والندى هرما
لا ترضَ بالهـون في خلٍّ تعاشـره … فلن ترى غير جار الذل مـهتضما
وأخسرُ الناس سعيًا ربُّ مملكة … أطاع في أمـره النسـوان والخدمـا
وقـائل قـال لـي إذ راقـه أدبي … والمرء قـد ربما أخطأ ومـا علـما
وذاك بعـد سؤال منـه عن خبـري … والصدق من شيمي لو أورث البكما:
هلا امتدحتَ رجالاً في العراق لهم … مـالٌ ركـام وجود يطرد العـدما!
فجاشت النفس غبنًا بعد ما شرقتْ … عيناي بالدمع حتى فاض وانسجما
فـقلت: كـلا وهل مـثلـي يليق به … مدح الرجال وكم جـرح قد التأما
إني على حـادثات الدهر ذو جلد … تجلو الحوادثُ منـي صارمًا خـذما
ولست أول ذي مَجـد لَه ظلمتْ … صروف أيـامه العوصـاء فانظلـما
يأبى لي الشـرفُ العـالي منصتُـه … أنْ أُوردَ النفس حرصًا موردًا وخما
أنا ابنُ أركـان بيت المجد لا كـذبا … والنازلين ذرا العـليـاء والقـمـمـا
قومي همُ القومَ في بأسٍ وفي كرم … إن ادعى غـيرهم مـا فـيهمَ وهمـا
في الجاهـلية سدْنـا كلَّ ذي شرف … بالمأثرات وسدْنا العرب والعـجما
وصــار كل مَـعَــدِّيٍّ لنا تـبـعًـا … يرعى بأسيافنا الوسمي حيث هما
حطْنا نزارًا وذدْنا عـن محارمـهـا … ولم ندعْ لمـناوي عــزها حــرمـا
حتى أتى الله بالإسلام وافـتتحتْ … كل البـلاد وأضحـت للأنام سمـا
وفـضلُ آخرنا عن فـضل أولنا … يغني ولكن بـحـرًا هاج فـالتطمـا
شـدْنا من المجـد بيتًا لا يُقَـاس به … ذات العـمـاد ولكن لم نكن إرمـا

سل القرامطَ منْ شَظَّى جماجمَهُمْ ... فلقًا وغادرهم بعد العُلا خَدَما
منْ بعد أن جلَّ بالبحرين شأنُهم ... وأرجفوا الشام بالغارات والحرما
وَلم تزلْ خيلُهُمْ تَغْشى سنابكُها ... أرضَ العراق وتغشى تارةً أَدَما
وحرَّقوا عبد قيس في منازلها ... وصيَّروا العز من ساداتها حُمَما
وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا ... شهرَ الصيام ونَصُّوا منهم صنما
وما بنوا مسجَدًا لله نعرفه ... بل كلُّ ما أدركوه قائمًا هدما
حتى حمينا على الإسلام وانتدبتْ ... منا فوارسُ تجلو الكرب والظُّلَما
وطالبتنا بنو الأعمام عادتنا ... فلم تجد بكمًا فينا ولا صمما
وقُلِّد الأمرَ منا ماجدٌ نجد ... يشفي ويكفي إذا ما حادثٌ دهما
ماضي العزيمة محمودٌ نقيبتُه ... أعلى نزار إلى غاياتها هِمَما
وصار يتْبعه غرٌّ غطارفة ... لو زاحمتْ سدَّ ذي القرنين لانهدما
إذا دعوا يال إبراهيم ظل لهم ... يوم يشيب من هام العدى اللمما
حتى أناخ بباب الحصن يدفعه ... عزم يهد الجبالَ الصمَّ والأكما
ولم نزل نرد الهيجاء يقدمنا ... ماض على الهول ورَّاد إذا عزما
أبو عليٍّ وفضل ذو الندى وأبو ... مسيَّبٍ وهما تحت العجَّاج هما
ومسْعَرُ الحرب مسعود إذا خمدت ... وماجدٌ وابن فضل خيرها شيما
همُ بنوه فلا ميل ولا عزل ... ولا ترى فيهم وهنًا ولا سأما
كلٌّ يعدُّ لألف لا يضيق بها ... ذَرْعًا ويوسعها ضربًا إذا ارتطما
ومالك حين ندعوه فأي فتى ... حرب إذا ما التقى الرجاف فالتطما[1]
ومن بني الشيخ عبدالله كلُّ فتى ... يخال في الروع فحل الشول مغتلما
ينمى لفضل وصبَّار وإخوتها ... بني علي كعام الخطب إن هجما
تلكم بنات العُلَى لا قَول منتحل ... كنا ولا كان باعًا ولا قدما

(١) مالك: هو مالك بن بطال بن مالك بن إبراهيم العيوني. وإليه تنسب قرية "البطالية" بالأحـ

سقوا صدورَ القنا علاً وقد نهلتْ وأكرهوا المازنَ الخطيَّ فانحطما

وفلَّلَ البيضَ في الهامات ضربُهم من بعد ما نَهَّلوها في المكر ذما

بَزُّوا ثمانين درعًا من سراتهم في حملة تركت هاماتهم رمما

وكم لنا مثلها لم تبق باقية إلا الزعانف والأطفال والحرما

فسلِّم الأمر أهلَ الأمر وانتزحوا عن سورة الملك لا زهدًا ولا كرما

وأصبحت آل عبد القيس قد ثلجت صدورها فترى الموتور قد بسما

ثم انتحينا لعوف بعد ما ورمت أنوفها ففشنا ذلك الورما

دسناهم دوسة جرمية جمعت أشلاءهم وضباع البر والرخما

ثم انثنينا بجرد الخيل نجنبها نقائذًا وأفانا السبي والنعما

وسل بـ"قاروت" هل فازت كتائبهم لما أتتنا وهل كنا لها غنما؟

والشركسية إذ جاءت تطالبنا دم النفوس وفينا تقسم القسما

ففرَّج الله والبيض الحداد لنا وعزة لم تكن يومًا لنا غشما

فأصبحت حاسدونا من قبائلنا لحمًا أقام له جزاره وضما

لكن عفونا وكان العفو عادتنا ولم نؤاخذ أخا جرم بما اجترما

ولم ينج ابن عياش بمهجته يمٌّ إذا ما رآه الناظر ارتسما

أتى مغيرًا فوافى جو "ناظرة" فعاينَ الموت منا فوق ما زعما

فراح يطرد طرد الوحش ليس يرى حبل السلامة إلا السوط والقدما

فانصاع نحو "أوال" يبتغي عِصمًا إذ لم يجد في نواحي "الخط" معتصما

فأَقْحم البحرَ منا خلفُه ملكٌ ما زال مذ كان للأهوال مقتحما

فحاز ملك "أوال" بعد ما ترك "الـ ـعكروت" بالسيف للبوغاء ملتزما

وصار ملك "ابن عياش" وملك "أبي الـ بهلول" مع ملكنا عقدًا لنا نظما

منا الذي قام سلطان "العراق" له جلالةً والمدى والبعدُ بينهما

منَّا الذي حاز من "ثاج" إلى "قطر" وصيَّر الرَّمْلَ من أرض العدو حمى

مَنَّا الـذي من نداه مـات عـامله غماً وأصبح في الأمـوات مخترما
مَنا الذي جـاد إيثاراً بما ملكت كـفـاه لا يد يجـزيها ولا رحـما
منا الذي فضّ أموال الخـزائن في غوث الرعـية لا قرضًا ولا سلما
وأهمل الدخل ذاك العام وانتـعشت به الرعـيـة حتـى جازت العـدما
منا الذي جعل الإقطاع من كـرم إرثًا يوزِّعـه الوراث مـقـتـسـما
وجـاد في بعض يوم وهو مـرتفق بأربعين جـواداً تعلـك اللجـما
ومُطْعمُ الطيرِ عـامَ المحل فاسمُ به منا إذا صرّ خلف الغيث فـانصرما
منا الذِي أنفقَ الأموال عن عرض حتى رأى شعب شمل العز ملتئما
ملْءَ الـمُـسُـوك قناطيـراً مـقنطرة ما خاف في جمعها حوبًا ولا إثما
مَنـا الذي كلَّ يَـوم فـــوقَ دارته داعٍ ينادي إليـه الجائع الضـرما[1]
منا الذي يوم حرب "النائلي" جلى يومَ "السبيع" ويوم "الخائس" الغمما
منا الذي مـنع الأعـداءَ هيـبتـه حربَ البلاد فمـا شدوا لهم حزما
ومــات يطلب يـومًـا يسـتـلذُّ به يطبق الجـو نقعًـا والحضيـض دما
منا الذي ضربت حمـر القباب له بالمشهدين وأعطـى الأمن والنقما
منا الذي أَمنَ المجـتازُ من "حلب" إلى "العـراق" إلى "نجد" إلى "أدمـا"
منا الذي كلَ عــام بـ"العـراق" له رسمٍ سني إلى أن ضـمن الرجمـا
منا الذي ركـز الرمحين ضـاحيـة وجوزَ العـرب العرباء بينهـما[2]
حتى احتوى ما اصطفاه عن عقائلها عصـبًا وهان عليه رغْم من رغـما
وبوم "سـتـرة" منا كـان صاحـبـه لاقت به سامـة والحاسك الرغـما
ألفين غـادر منهـم مع ثمـان مئن صرعى فكم مرضع من بعدها يتما

---

(١) هو أبو منصور، وكان أميراً على الظهران.
(٢) تفعله ملوك العرب عند خمس الغنائم.

منا أبـو يوسف والمرتجى حـسن زين الإمـارة والبـيت المنيف همـا
منا الذي أبطل "الماشوش" فانقطعت آثاره وانمحى في الناس وانطمـسا
منا الأمير أبو الفضل متى اختصمت بنو الوغى كان في أرواحها حكما
مـا قـابل الألف إلا وانثنى هربا كأنها الوحش لاقت ضيغما خصما
وفي سليـم لنا عـز ومـفـتـخـر ومـفـلح وهمـا لله درهمـا!
وفي أمـيـر وسـلطان لنا شـرف نسمو به وابن بدر الـليث بعدهما
منـا أبو فـاضـل واللوذعيّ أبو مـذكـور القـرم فافـخـر بمثلهـمـا
وكم لنا من بنـي النبـعي من بطل إذا رأى من عـدو هامـة صـدمـا
منا الثـلاثة والفـرد الذين لقـوا كـتـائـبًـا فكأن السـيل حين طمـا
يدعـو عـجـيـبـة أحـيـانًا وآونة أم العـجـرش والجحـاف بينهـمـا
يوم "الجريعاء" ما خافوا وما جبنوا بل كلهم يصطـلي نيـرانها قـدمـا
منا الرجـال الثـلاثـون الذين هم يوم القطيـعـة أوفى مـعـشـر ذمما
لاقـوا ثلاثة آلاف ومـا جـبنوا عنهم ولا استشعروا خوفًا ولا برما!
فطاعنـوهم إلى أن عـاف طـعنهم من كان يحـسبـهم غنمًا إذا قـدما
فـعـال آبائهـم يوم "الركين" ومن يشـبـه أباه فـلا والله مـا ظـلمـا
قد طيّـر القلب يوم القصـر كرهم على الأعـاجم حـتى بـاد بينهـمـا
نحن الشـمال فمن يكـفر بنعمـتنا كنا المثمل نـدني الحتف والسقـما
أبيـاتنا لذوي الحـاجـات منتـجع إذا الزمـان تراكى العيـر أو عرمـا
ومـا عـددت عشـيـراً من مناقـبنا ومن يعـد ثرى "يبـرين" مـرتكمـا

وقد مضت في الجزء الأول من هذا الكتاب عدة قصائد لهذا الشاعر عند ذكر الدولة الـعيونيـة، وأظن أنه توفي في منتصف القـرن السابع؛ لأني لم أجـد تاريخًا لشيء من قـصائده بعد مـنتصف القرن الـسابع. رحمه الله تعالى، وعفا عنه.

ذكر أعلام القرن الحادي عشر من أهل الأحساء :

٩- الشيخ إبراهيم بن حسن الأحسائي الحنفي

ذكر لي من أثق به أن والده حسن المحافظ كان أحد قادة الجند التركي الذي قدم لفتح "الأحساء" بقيادة محمد باشا فروخ عام ثلاث وستين وتسعمائة [*١]، وكان قدم مع الجند الشيخ علي الواعظ آل ملا جد أسرة آل ملا الموجودين في الأحساء ؛ لوعظ الجند وإرشادهم ، وكان عالمًا جليلاً عاملاً؛ فأعجب حسن المحافظ بعلمه وعمله وأخلاقه، فقال يومًا : ليت لي ولدًا مثل الشيخ علي الواعظ! فأجابه بعض جلسائه قائلاً: إن الشيخ علي قد قدم ومعه أخت له صالحة للزواج، فاخطبها منه؛ فلعل الله يرزقك منها ولدًا يشبه أخاها. فخطبها، وتزوجها لهذا الغرض، فجاءت بالشيخ إبراهيم بن حسن. قال الشيخ محمد المحبي في كتابه "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"[*٢] ما نصه:

«الشيخ إبراهيم بن حسن الأحسائي الحنفي من أكابر علماء الأئمة المتحلين بالقناعة، المتخلين للطاعة، كان فقيهًا نحويًا متفننا في علوم كثيرة، قرأ ببلاده على شيوخ كثيرة (قلت: مع الأسف إنا لم نقف على معرفة أحد من شيوخه الأحسائيين ولا على شيء من آثارهم) وأخذ بمكة عن مفتيها الشيخ عبدالرحمن بن عيسى المرشدي، وكتب له إجازة

(*١) عن تاريخ استيلاء العثمانيين على الأحساء انظر : الهامش رقم (*١) ص ٥٧ بالقسم الأول من هذا الكتاب.

(*٢) ١/ ١٨-١٩، دار صادر - بيروت، د.ت.

حافلة أشار فيها إلى تمكنه في العلوم ، وأخذ الطريق عن العارف الشيخ تاج الدين الهندي حين قدم الأحساء، وأخذ عند الأمير يحيى بن علي باشا حاكم الأحساء. وله مؤلفات كثيرة في فنون عديدة منها: "شرح نظم الآجرومية" للعمريطي، ورسالة سماها "دفع الأسى في أذكار الصباح والمسا" وشرحها. وله أشعار كثيرة. (قلت: لم نقف على شيء منها إلا قوله:

ولا تكُ في الدنيا مضافًا وكن بها   مضافا إليه إن قدرت عليه
فكلٌّ مضاف للعوامل عرضةٌ   وقد خُصَّ بالخفض المضاف إليه

وكانت وفاته في اليوم السابع من شوال سنة ثمان وأربعين وألف بمدينة الأحساء».

١٠- الأمير أبو بكر بن علي باشا الأحسائي ثم المدني

قال الشيخ محمد المحبي في "خلاصة الأثر" (*): الأمير الكبير الجليل القدر أحد أسخياء العالم، رأيت في بعض التعاليق ترجمته، وقد ذكر مترجمه أن ولادته بمدينة الأحساء في حدود الألف، ونشأ على الاشتغال بالعلم، ثم رحل صحبة والده إلى المدينة المنورة وتوطنها، وكان بها ملازمًا للعبادة، مواظبًا على قيام الليل، حتى إنه كان يجيء إلى المسجد النبوي الشريف، فيقف ببابه نحو ساعة حتى يفتحه الخدام، إلى أن أدركه أجله يوم عرفة بعرفة وهو محرم، فحمل بمحفة إلى مكة، ودفن بالمعلاة، وذلك سنة ست وسبعين وألف، وتوفي والده علي باشا

(*) السابق، ١/ ٩٠.

بالمدينة سنة إحدى وخمسين وألف، وله ديوان شعر في مجلدين، ومن شعره قوله مادحًا الشريف زيد بن محسن صاحب مكة (*):

زُفَّت لعــزٍّ مـقـامك العليـاءُ ... وعليك فضَّتْ راحها الجوزاءُ
فالبدر كأس والشموس عقارها ... فاشرب بكأس شمسه الصهباء
وحبابها نجم السما فكأنها ... ذاتٌ وذاك بشكله الأسماء
وأَتَتْكَ بكْرًا قبل فضِّ ختامها ... يقتادها راووقها وذكاء
خضعتَ لعزِّك فاستقمْ في عرشها ... يا ظاهرًا لا يعتريه خفاء
وانصب لواءَ العدل منتشر الثنا ... قد ضوّعت بعبيره الأرجاء
يسعى بظلِّ أمانه بين الورى ... ذو البأس والأمجاد والضعفاء
فالدهر سيفك فاتخذه مجرَّدًا ... متوشِّحًا بالنص وهو رداء
وعُلاك قد شهد الحسودُ بفضله ... والفضل ما شهدت به الأعداء
وحماك أمْنُ الخائفين تؤمُّه ... شمُّ الأنوف القادةُ الأكفاءُ
ولقد حظيتَ من الإله بنصره ... رد مديدَ الكيد وهو هباء
وحُبيتَ منه بما تقاعس دونه ... همم الملوك الصيد والعظماء
فاللهَ أظهر ذا الجناب بنصه ... فالخلق أرض والجناب سماء
لو قيل لي: من ذا أردت؟ أجبتهم: ... هل غير "زيد" تمدح الشعراء؟!
وإذا أدير حديثه في محفل ... فلمسمعي من طيب ذاك غذاء
ملك إذا وعد الجميل وفى به ... وإذا توعَّد شأنه الإغضاء
ملك إذا كُتمَتْ رعود سمائنا ... فعلى انسكاب ندى يديه نداء
ملك إذا جاَر الزمان على امرئ ... فجنابه السامي الرفيع وقاء
ملك إذا ما القرن أوقد ناره ... فسيوفه لخمودها أنواء

(*) السابق ١/ ٩٠ - ٩١.

فالله يبقي ملكه السامي الذي قد كلَّلتْهُ بنورها الزهراءُ
ويديمه في الدولة الغرا التي ظهرت بها الآباء والأبناء
فإليك بكر قريحة بكرية زُفَّتْ إليك تحفُّها الأضواءُ
كلمات حق شرفت بمديحكم ومديحُكم تسمو به الفضلاءُ

وكتب إلى العلامة عيسى بن محمد الجعفري الثعالبي ثم المكي مادحًا(*١):

يا من سما فوق السماء مقامه ولقد يراك الكل أنت إمامُهُ
حزت الفضائل والكمال بأسره وعلوت قدرًا فيك تم نظامه
لو قيل: من حاز العلوم جميعها؟ لأقول: أنت المسك فُضَّ ختامُهُ
كم صنت من بكر العلوم خرائدًا عن غير كفء لم يجب إكرامه
وأعلم بأني غير كفء لائق إن لم يكن ذا الفضل منك تمامه

وأتبعه بنثر هذا نصه (*١):

لما أضاء نور المحبة في قناديل القلوب؛ صفت مرآة الحقيقة، فظهر المطلوب، فاتضحت الرسوم الطامسة، وبانت الطرق الدارسة، فاكتحلت عين القريحة، فسالت في أنهر النطق، فأثمرت بالمسطور، وهو المقدور، وأما المقام فهو أبهى من ذلك وأجل، وليس يدري ذلك إلا من وصل. وأما العبد فهو مقر أنه قصرت به الركاب عن بلوغ ذلك، وعاقته عقبات الأسباب عن سلوك هذه المسالك، لكن حيث إن ثياب الستر من فضلكم على أمثاله مسبولة؛ فيكون أنه يدخل ضمن الأمثال مطلوبة ومأمولة.

(*١) السابق، ١/ ٩١.

فأجابه الشيخ عيسى [*1]:

للـه درك يا فـــريد مـــحـــاسن	أربى على البــدر التـمـام تمامُـهُ!
قد صـغت من سرِّ البلاغة مـفردًا	فـاق الفـــرائد نثـره ونـظامـه
وكـسوته من جـزل لفظك سابغًـا	وشـيت بكـل لطيـفـة أكــمـامـه
وجلوتـه يخـتـــال تيــهًـــا آمنًا	من أن يشـابه في الوجـود قـوامـه
أعـربت فيـه عن اعتـقاد خـالص	ومكـين ودٍّ أحكمـت أحكامــــه
وحـبوت ذا شكر ببـيت قـصيـدة	وبفضِّ خــاتمة الـعـلا أسـوامــه
أهلا بـه فــردًا أتى مـن مــفــرد	وحـبـابـه ضـيـفًـا يحل مـقـامـه
حـتــمًـا عليَّ ولازمًــا تبـجــيله	فـورًا وحــقًـا واجــبًـا إكــرامـه
لكن على قدري ولست بكفء من	وطئت علـى هام العـلا أقـدامـه
وإليكهــا عـذرًا على مــهل أتت	خـجـلى لمنزلك العــزيز مـرامـه
فاصفحْ بفضْلكَ عن صحيفة نقصها	فــالفـضل مــؤتم وأنت إمـامــه
واسحب رداء الفضل غـير مدافع	فـلأنت عنصـره وأنت خـتـامُـهُ!

ثم أتبعه بنثر صورته [*2]:

دام جدك في سـعود، ومجـدك في صعود، عـجرفة أبرزهـا فاتر الفكر الأعرج، وقاصـر الذهن البهرج، تتـعثر في مروط الخـجل لما بها من الخطأ والوجل، أتت سوح حضرتك الواسعة الأرجـاء، وأملت أن تفوز بتحقيق الرجاء، فـقابلْ إقبـالها بالقـبول والإغضـاء، والحظْها بعين الرضـا ؛ فإنك

(*1) السابق، ١/ ٩١-٩٢.
(*2) السابق، ١/ ٩٢.

مأوى الفضل ومخيمه، ومفتتحه ومختتمه، ولولا نافذ أمرك المطاع، وواجب تعظيمك المتمكن في الأفئدة والأسماع، لما تراءى لراء عجرها ولا بجرها، ولا استبان لسامع خبرها، ولكن عند الأكابر تلتمس وجوه المعاذير، ولدى الأفاضل يرتجى الصفح، عن التقصير والسلام.

١١- محمد بن خليل الأحسائي

قال المحبي نقلاً عن "سلافة العصر" للمعصومي: هو قاض قضى من الأدب الأرب، وحظي بارتشاف الضرب من لسان العرب، وما زال بكعبة الفضل طائف حتى تقلد القضاء بالطائف، وكان شديد العارضة في علم العروض، مبينًا لطلابه السنن والفروض، مع إلمام جيد باللغة والإعراب ومفاكهات تنسي نوادر الأعراب، وهو من أبدع الناس، وأتقنهم للكتب نقلاً وضبطًا، كتب ما ينوف على الألوف، وخطه بالحجاز معروف ومألوف، وله شعر أجاد فيه وأبدع، وأودعه من الإحسان ما أودع، فمنه قوله مهنئًا للشيخ عبدالرحمن المرشدي بالتدريس بالمدرسة السليمانية، هو قوله (*١):

لقد سرَّني ما قد سمعت فهزَّني ... بلذته هز المدام فأسكرا

وذلك لما أن غدا الحق راجعًا ... لأهليه من بعد الضلال مبكرا

فدونكما مفتي الأنام حقيقة ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرًا

وقوله (*١):

وشادن كالبدر شاهدته ... عيونه الدعج تميت الأنام

بدأتُ بالتسليم حُبّاً له ... فقال بالغنج: عليك السلام

(*١) السابق، ٣/ ٤٦٠.

وكتب إلى القاضي تاج الدين المالكي وقد فوَّض إليه تفريق الصدقات(*١):

إمامَ هذا العصر لا تجعل محبك في الإضاعهْ
ما خلتُ حاجاتي إليك وإن نأت داري مضاعه
لا تنسَ ثدي مودتي بيني وبينك وارتضاعه
ولقد عهدتك في الوفاء أخا تميم لا قضاعه
صدقات قطر "الهند" قد صادت إليك بلا دفاعه
لا تتركني في الرعاع إذا تفرقت البضاعه

ووعده تاج الدين بنعل وهو بالطائف، فأبطأ بها عليه، فكتب له (*٢):

قاضيَ الشرع فقت هذا الأناما وبحجا ثابت وعزٍّ فداما
وذكاء يفيد كل ذكي واطلاع يخجِّل النظاما
إن أهل الكمال عطل وتاج الدين تاج يزين الأقواما
مذ حللت الحجاز ضاء ومذ غبت رأينا عليه حزنًا ظلامًا
كل وقت لم أنس ذكرك فيه فاحفظن للمحب منك الذماما

فكتب له تاج الدين (*٢):

وصلت رقعة الحميم ولكن اقتضي النظم أن أقول الحماما
ذكرتني وأذكرتَ غير ناس لا تخلني أنساك حاشا المقاما
فكأني أراك تعرك بالتفكير فيها منك القذال دواما

(*١) السابق، ٣/ ٤٦٠-٤٦١.

(*٢) السابق، ٣/ ٤٦١.

إن تكن قـد ضعـفـت لما تراخي بعـثـهـا عن وصـولـنا يا همـامـا
يا لهــا من مطيــة أمـتَـعْــتنا بمحـــيـــاك زائـدًا بســـامـــا
قـد لعـمري وريت فـيـهـا بلطف واحتكمت التنكيت فيـها احتكاما
كل أبيـــاتهـــا قـــصـــور ولكن كـان بيت القصـيـد منها الختامـا
فـانتـشـقنا فـتـيت مـسك ختـام زاد نشـرًا بما افـتـتـحـت النظامـا
عـــجَّـل الله ذلـك الفـــأل مـنه وأقـــام المحـب ذاك المقـــامـــا

فأعاد الجواب عليها بقوله (*١):

وصلت زورة الـفـــريد علـى مـــا كـان في حليـهـا مـحبًا فـقـامـا
وهي في كـــفـــه يـفكِّر فـــيــهـــا أيرى ذروة لـهـــا أم سـنامـــــا؟
أم يخلي ســبــيلهـــا في عـفـــاء ليـــرى أنهـــا تقــيـم النظامـــا
وإذا احــتــجْتــهـــا ليـــوم نزال فــحـمـيـمي يكون فـيـهـا إمـامـا
زيـنـة يوم زيـنـة وهـي في الـكــ ـف ســلاح إذا أردنا الـلطامـــا
ثـم لا زلـت مـن أياديـك تمـطـي كل وجـنـاء لا تمل الـزمـــامـــا
يا أخـــا الفــضل إنني في زمـــان سلَّ من جـــور عليَّ الحــسامـا
صـد عنـي فـصـد عني صـديقي ورآني لا أســتًــحـق السـلامـا
هذه قــســمــتي جـرت من قـديم كلـمـــا رمــتـــه أراه حـــرامـــا
وابقَ يا ســيــدي وقـــرة عــيني في ســرور ونعــمـة لا تـسـامـا

وأتبعه نثرًا قال فيه (*٢):

وصلت المطية حـمـراء الوبر، المركوبة في الحضر والسـفر، التي لا

(*١) السابق، ٣/ ٤٦١-٤٦٢.
(*٢) السابق، ٣/ ٤٦٢.

تشرب الماء ولا ترعى الشجر، فقبلها المملوك وقبلها، وأجهدها بعد ما قبلها [1]، فشكر الله فضلكم، ولا أعدم أحبابكم طولكم، والسلام.

ولما تولى القاضي محمد بن خليل قضاء الطائف سنة أربع وثلاثين وألف أرّخ ولايته الباشا رضا الشهير بعجم زاده ولايته بقوله: «القاضي محمد». وأرّخه القاضي تاج الدين المالكي بقوله: «قاضي بالطائف»، وكتب إليه [*1]:

قاض طريقته المثلى قد اشتهرت	فليس يخفي سناها منه كتمانُ
تبدي سريرته محمود سيرته	كالطرس دل على ما فيه عنوان
فحبه لصلاح الخلق كلهم	سجية لم يحزها قط إنسان
ما زال يبذل في المعروف قدرته	حتى تناقلت الأخبار ركبان
فصان عن فعل إحسان حكومته	«فطالما استعبد الإنسان إحسانُ»

وكانت وفاته سنة أربع وأربعين وألف، رحمه الله تعالى.

١٢- السيد/ علوي الهجري

قال المحبي في "خلاصة الأثر"[*2]: هو السيد/ علوي بن إسماعيل ذكره ابن معصوم، فقال في وصفه: شاعر هجر، ومنطيقها الذي

---

(١) قبلها: جعل لها قبالين.

(*١) السابق، ٣/ ٤٦٣.

(*٢) السابق، ٣/ ١١٦.

واصل المنطق الفصل وما هجر، يفسح للبيان مجالاً، ويوضح منه غرراً وأحجالاً، ويطلع في أفقه بدوراً وشموسًا، ويروض من صعابه جموحًا وشموسًا، ومعظم شعره فائق مستجاد، فمنه قوله في النسيب، ولقد أجاد (*١):

بنفسي أفدِّي وقلَّ الفدا غزالاً بوادي النقا أغيدا
مليحًا إذا نضَّ عن وجهه نقابَ الحيا خلت بدراً بدا
غزالٌ ولكن إذا ما نصبْـ ـتُ شرْكًا لأصطاده استأسدا
سقيم اللواحظ مكحولها ولم يعرف الميل ولا الإثمدا
رشيق القوام إذا هزَّه رأيت الغصون له سجدا
له ريقةٌ طعمُها سكَّرٌ يجلي الصديَّ ويروي الصدا
ولحظٌ كعضب ولكنه يشق القلوب وما جُرِّدا
تفرد بالحسن دون الملا فسبحان مولى له أفردا!
رعى الله ليلاتنا الماضيات وعيشًا ألفنا بها أرغدا
وصبَّ على ترب تلك الربو ع مُثْعَنْجِراً(*٢) مبرقًا مرعدا
إلى حيث أخنت صروف الزمان وشمل الوصال بها بددا
وأضحت قفاراً وليس بهن من ذلك الجمع إلا الصدى

وكانت وفاته سنة تسع وسبعين وألف هجرية.

(*١) السابق، ٣/ ١١٧.

(*٢) المُثْعَنْجِر: السيل الكثير الفائض.

ذكر أعلام القرن الثاني عشر والثالث عشر من أهل الأحساء

الشيخ أحمد بن عبدالله آل عبد القادر

هو الشيخ أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالقادر بن محمد بن حمد بن علي، وهو الجد الخامس لمؤلف هذا التاريخ من ذرية أبي أيوب الأنصاري، الصحابي الجليل. وأبو أيوب اسمه خالد بن زيد بن كليب ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار. واسم النجار تيم الله بن ثعلبة- سمي النجار؛ لأنه ضرب وجه رجل اسمه العنز بقدوم، فنجره؛ فسمي النجار- بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وكان الشيخ أحمد بن عبدالله يشغل في حياته منصب المستشار الأول لحاكم الأحساء عريعر بن دجين وابنه سعدون بن عريعر، فتوجهت إليه آمال الآملين، وقصده القاصدين لقضاء حوائجهم، وكان له من النفوذ الشيء الكثير.

قال الشيخ عبدالله بن محمد الكردي في كتابه الذي شرح به منظومته لحروف المعاني المسمى "صرف العناية بشرح الكفاية"، وقد صدَّر النظم بمقدمة ذكر فيها الشيخ أحمد المذكور بقوله(*):

(*) انظر : صرف العناية بكشف الكفاية ، طبع بمصر سنة ١٩٢٢م ، ويقع في (٥٤٣) صفحة.

فقلتُ: يا شوق ألست تدري ما أنا فيه من جفاء الدهر

وهل ترى لحلة المعاني من لابسٍ في هذه الأزمان

ولا يرون النظم إلا عظما وليس فيهم من إليه يظما

فلاتسمني خطة الإذلال ولا تدعني ضحكة الجهال

فقال لي: وأين أنت من سري راقي مراقي سؤدد ومفخر

يلعب بالألباب في البيان تلعّبَ النسيم بالأغصان

ولن ترى في الفضل مثله فتى قلّد منه الدهر عضبا مصلتا

يفوح من ذكر شذاه المحفل ما المسك ما المندل ما القرنفل؟!

فقلت: صرح لي واترك الكنى ففكرتي في صدإٍ من العنا

فقال لي: أدى بك الدهر إلى أن ادعيت جهل فضل ابن جلا

ذاك ابن عبدالله أحمد العلا من امتطى مطي المعالي فاعتلا

قد شهدت بفضله الحساد وذلّلت لعزه الآساد

ذو نسب كالعلم المنصوب والرمح أنبوب على أنبوب

نمته أشراف من الأنصار إلى ذوي بيت بني النجار

فقلت: والله لقد ذكّرتني من كنت قدمًا بهواه معتني

وهو الذي علّمني الآدابا والبحث والسؤال والجوابا

وطالما كنا كغصني بانِ لكن نما وزدتُ في النقصانِ

وقال في شرحها : وأحمد المذكور هو أحمد بن عبدالله بن محمد الأنصاري الخزرجي الأحسائي، دأب في اقتناء الأدب، وبرع في لسان

العرب، ونشأ على كاهل المجد حتى اكتهل، وألقت إليه المعاني أعنتها من غير مهل، ولم يزل أحسن من أمسه غده حتى تمكنت من ناصية الحظ يده، فاكتسى من الشمس غرة، واغترف بالكف الخصيب من نهر المجرة، وطالت ذراع سعده، حتى هم باجتناء عنقود الثريا على بعده، وقلَّب طرفه في جبهة الأسد، فصار من هيبته جديًا، ولم يترك دلو جدواه المجدولة الرشاء في بطن بلدته كبدًا صديًا، وكان منذ كان إلى أن تغمده الله بالغفران من بلدة الأحساء كالقلب من الصدر،، وهي منه كالهالة من البدر، سقى الله ثراه شآبيب الرحمة، ووسع مسلكه يوم الزحمة.

ذكر القصائد التي مُدِح بها المترجم له :

فمنها ما قاله الشيخ عبدالله بن محمد الكردي يهنئه بعيد الفطر سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف:

يا أحمدُ المأمولُ يا خيرَ من	مهَّدَ طرق المجد تمهيدا
وخيرَ مَن ألقى إليه الحجا	والعلمُ والحلمُ المقاليدا
هذا هلال الفطر وافى وقد	بدَّد شمل الصوم تبديدا
كحربة أوّدها الطعن في	صدور أعدائك تأويدا
أو منجل غادر ربي به	عمر الذي يقلاك محصودا
فاشرب على إثر زمان مضى	يهدِّد الشراب تهديدا
مقبول ما شدت في شهرك الـ	ـماضي من الخيرات تشييدا
مُغَرِّدًا طير المسرَّاتِ في	أفنانِ إقبالك تغريدا

تفـيـد مـن والاك مـا يشتـهي وتتـرك الحاسـد مـفـؤودا

وليـهنك العـيـد ولو أنني أنصـفتُ هنَّيتُ بك العـيـدا

فـأي يوم أنت فـيـه يرى لسـائر الأيام محـسـودا

"أيَّار" لـولا ورده لـم يكـن دون شهـور العـام محـمودا

جـمـعت للأنفس طيـبًا وإطرا با كـمـا قـد ضُـمِّنَ العـودا

عـودُكَ مـبـريٌّ من الجـود أم من عـودك البـاري برا الجـودا

خلـفـة مـاء الـورد عن ورده خلـفت أجـدادك مـجـدودا

تروي أحـاديث الندى عنهم مـصـحِّـحًا تـلك الأسـانيـدا

وفقت لـولا صحبـة المصطفى أولئك الصيـد الأمـاجيـدا

أجلْتُ طـرفـي بـين أهل الـورى وجـبتُ في تطوافي البـيـدا

فلم أجـد أحـفى بكسب الثنا منـك ولا أبذل مـجـهـودا

عـزمك يومًا لا يرى مـغـمـدًا ولم يـزل كـورك مـشـدودا

أنت لـنا روح ولا فـضل لـلـ مـجـسم بدون الروح مـعـدودا

مـا مـهـمل اللفـظ مـفـيدًا ولـو رُدِّدَ بـالألحـان تـريـدا

هل جـاحـد فـضـلك إلا الذي لم يُؤْتَ تـوفـيـقًـا وتسـديدا؟

إن لم ير الأكـمه شمس الـضحى فليس فـضل الشـمس مجحـودا

يا سـيـدًا منطقـه لـؤلؤ يروق مـحلولاً ومـعـقـودا

وخلقـه السـهل الـنسـيم الذي باكـر روضًـا طل أو جـيـدا

وطبـعـه مـاء الحـيـاء الذي يجـدِّد الأعـمـار تجـديدا

هاك ثناء مثلما يخضل الرو ... ض من الطَّلِّ وتمجيدا
ما فيه من عيب سوى أنه ... جَنَّب تطويلاً وتعقيدا
من حافظ الود القديم الذي ... أكَّده الإخلاص تأكيدا
هاجر في حبك أحبابه ... طُرًا وأهلاً ومواليدا
ما إن تراه في الهوى ملحدًا ... حتى يرى في الرمس ملحودا
فطالما منّ غير من رأى ... طوق منه جودك الجيدا
جود بلا وعد ولا خير في ... من تتقاضاه المواعيدا
عش في أمان من صروف الردى ... مخوُلاً عزًا وتأييدا
والمجد لا زال وظلُّ العُلا ... عليك مقصوراً وممدودا
ترفل في ذيل المنى والهنا ... ما دام عيد عاقبًا عيدا

وقال يودعه في سَفْرَة ما سافرها:

أيا ويح صب لا يزال يروعه ... نذير النوى من مُتْهِمٍ ثم مُنجِدِ
ضنى لم يدع من الهوى من رسومه ... سوى نفس في طمره متردد
تناجت غوادي الطير يا ليتها غدت ... فريسة أقنى ذي مخالب معتد
وقال: غدًا ينأى أبو المجد أحمد ... ولا صبر لي يومًا على نأي أحمد
فتى إن يكن رضوى يحمل بعض ما ... يعانيه في العلياء والمجد ينأد
وهل أنا إلا الكف وهو أنامل ... ولا خير من بعد الأنامل في اليد
فمن لي وإنني للفتى كل بغية؟ ... بحابس هذا اليوم أو دافع الغد
فيا يوم لا تدبر لك الخير كله ... ويا غد لا تقبل وعش عيش مقعد

على أنه لا شك ذلك مـدبر وإني على إقبال هذا بمرصد
وقد يرتجي ما لا يراه يناله حليف الجوى واهي القوى والتجلد
فإن سار فالبدر المنير أخوه لم يزل كل ليل في مبيت مجدد
سألت الذي فوق السموات عرشه يقيك الردى في كل مهوى ومصعد
فترجع في عز منيع ومنصب رفيع وإقبال وسيع وسؤدد
فشفى حزازات النفوس وتشتفي حرارة أنفاس وغلة أكبد

وقال يمدحه أيضًا ، وذلك في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائة وألف:

الهجر أقتل ما علمت فواصلي ماذا التجافي منك يا ابنة وائل؟
إن تصرمي حبلي فلست بصارمٍ أو حلْتِ عن عهدي فلستُ بحائل
أو تنكري شيبًا ألمَّ بمفرقي فكما علمت تكرمي وشمائلي
يا أخت ذهل ملت عن من لم يمل وذهلت عن من ليس عنك بذاهل
إن كنت من أغنى الحسان ملاحةً طرًا فإني اليوم أحوجُ سائل
أمسي وأصبح والأسى حشو الحشا بين السهاد وبين عذْلِ العاذلِ
لم أنس ما قد قلتِ للأتراب إذ تمشي الظعائن في خبوبَ حلائل:
من ذا الفتى البادي لنا في بردتي سيما الشباب ولون أشيب ناحل
أغريبُ دارٍ أم له في وائل نسبٌ يؤول إليه دون قبائلي؟
وأراه مقتول الغرام فمن به؟ ولأنتِ أدرى العالمين بقاتلي
يا من حكاه البان في لين وفي ترفٍ كما زعموه نور خمائل

لولاكَ عنسي لم تبتْ بعقـالها تشكو وجاها في سباسب عاقل
بين الصدى والبوم والغيلان والـ ـعرج الجياع وكل أطلس خاتلِ
حيث القطا لا تهتدي لفراخها والريح لم تأمن طروق غوائل
باعدْتُ فيك أقاربي وغششتُ فيـ ـكِ مناصحي وقطعتُ فيكِ مواصلي
وأكلتُ صمْغَ الطلح فيكِ ولم يكن غير القصور الشامخات منازلي
وألفتُ مُحْتَرِشَ الضِّباب وحبذا ووردْتُ مـرَّ مـوارد ومناهل
وبذلت جهدي في رضاكِ ولم أزل مما أؤمِّل من هواك بطائل
إن الذي يرجو الوفاءَ من الدُّمى كالمرتجي لدوام ظلٍّ زائل
مَنْ يُمْتدح بين الأنام ببخله هيهات أن تحظى لديه بنائل
أشمتِّ بي الواشين والحساد والـ ـلوّام لي في لوعتي وعواذلي
وتركْتِ ذلِّي بعد عزِّي في الهوى مثلاً بكل مشاهد ومحافل
فلأُدمين قلبًا غريرًا ما سلا عما وعدت له بدارة ماسل
ولأعدلن ركاب شوقي عنك يا من ليس في شرع الغرام بعادلِ
لا عود مني - يا أمامة - بعد ما عدتُ لمولاي الإمام الفاضل
عم النوال أخو العلوم أبو العُلا والجد خدن الجد ليس بهازل
هو أحمد الذهب المصفى فرع من ساسوا القبائل بالقنا وقنابل
قبل النبي وحينما نصروه بالـ ـبيض الرقاق وكلِّ أسمرَ ذابل
قاري الصحائف والصفاح فمنه إحـ ـياء العلوم وقتل دهر ماحل
تلفى العفاة المحدقين بربعه في الجدب كالأصداف حول الساحل

ومــداده للحب من ذوب الـلمى والحب شبـه لعاب أسـود سـائل
قل للذي يرجـو محـامـد أحمـد أين الـدراري من يـد المتطاول؟!
نسبٌ أصـيل في شـمائل مـثلمـا رقت شـمـول من نسيم شـمـائل
وبديع نـظم مـثلمـا خلع الـربيـ ـع على الروابي من نفـيس غلائل
ورزين حلم لو حـوته الأرض ما خـفـنا عليـهـا من طروق زلازل
ونجـــوم آراء له كم قـــد جـلت عـنا ديـاجي خـطـب ليـل هائـل
ويمينـه في الجـود نـهـر سـائل مـا إن رأينـا منه نهـر السـائل
يا نازلاً أعلى الهـضاب إذا ارتدت أنــواؤهــا بــرداء ألأم بــاخــل
عجز الأواخـر عن لحوقك في العلا لما جـروا وسـبـقت شـأو أوائل
فتـورَّكوا الأعجـاز حين رأوك قد ملكـت كل غــوارب وكـــواهل
من تعْـيه الفـرسـان في جولاتهـا بطـرادها يقـنعْ بمشـيـة راجل
ومذ اصطفيت على الجـياد رواحلا فضل الرغاء على صـهيل الصاهل
للبـدو كل الفـخـر إن تك فـيـهم أو في القـرى فلهن كل فـضـائل
يا ليت شعري هل غفلت عن الذي مـا ليـس يومًـا عن هواك بـغـافل
وأنا الوفـي وشـرٌّ من واليـتـه مَنْ ودُّه لكَ كـالخضـاب الناصل
أرضاك في الحالَين : سـخطك والرضا أهواك فـي يومي: نوى وتـواصل
لكنني مـذ غـبْتَ عني سـيـدي لا غــــبتَ إلا كـنت أول آيـل
ما زلتُ مـسلوب القوى حلـف الفرا ش رهين قـيــد حـوادث ونوازل
ضعـفت فمن لي أن أخط لسـيدي شكواي عن حـمل اليـراع أناملي

إن الفـتـى غـرض ومـا أيامـه — إلا النِّبـال ودهره كـالنـابل

والعفو منك ومني التـقصير في الـ — حـالات فاسترني بعـفو شـامل

جاءتك تخطو في البرى وخلاخل — وغـلائلٌ مـثل القـضـيب المائل

خَجْلى تـعثر في فـضول مـروطها — ترنو إليـك بلحـظ طرف خـاذل

حـسن الحـضـارة في قناع بداوة — جُـمِـعَتْ فقـابلها بوجـه القـابل

ولئن تجـد لكمـالهـا عـيبًا فـمـا — غـيـر الإلـه إذا نظرت بكـامل

لا زِلْتَ عـز الجـار معـمـور الديا — ر مـكين حـظٍّ قِـبْلـةً للآمـل

ما حن رعـد أو بكت سحب على — مـيِّت النبـات بسحٍّ دمـع هاطل

وقال الشيخ عبدالله بن محمد الكردي يمدحه أيضًا[*١]:

يا من يزجي عـليـه العـملَّسـا[*٢] — العيطموس[*٣] العرمس[*٤] العرندسا[*٥]

يطوي عليها بسـبسًا[*٦] فبسـبسًا — من كل مَرْتٍ[*٧] كالمرات أمـلسا

بلِّغ تحـيـات مـريض نـكسـا — سيـده الحجـاج غطريف الحسـا

(*١) أشار إليها صاحب "شعراء هجر" ص ٥٧، وأشار إلى أنها موجودة بتمـامها في كتاب "البيتوشي" تأليف الشيخ محمد الخال، مطبعة المعارف ببغداد، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

(*٢) العملَّس: القوي على السير السريع.

(*٣) العيطموس : التامة الخلق من الإبل والنساء.

(*٤) العرمس : الناقة الصلبة.

(*٥) العرندس من الإبل: الشديد.

(*٦) البسبس: القفر الخالي.

(*٧) المَرْتُ: المفازة بلا نبات.

أبا المعــالي أحــمـد المرأســا خــيــر طبــيب لكلومـنا أســا

ومن إذا مـا الدهر يـومًا عـبسـا حتى اطلخمّ(*١) جوه وعـسعـسا

ألان منه بـالندى مـا قـد قـسـا ورد مـا قـد كـان مـنه حندسـا

بعـزمـه الماضي المضـاهي قـبسـا أجلى مـن الصـبح إذا تنفـسـا

ومن إذا خـيل القــوافي شـمـسـا أضـحت ولـم نلق لهن مـحـبسـا

باتت له شـعـث النواصي نكـسـا أو مـبـحـث من العلوم التبـسـا

فـرَّج عنا ضـيـقـة ونفـسـا ومن إذا مـا قـيل: من ينفي الأسى

عن مستـجير مستـضام أبلسا(*٢) أومت له كـف الرجـال والنسـا

فلـو رآه من شكـى كـروسـا لقـال: لا يا أحـمـد لا يفـقعـسا

ومن على جـودي كـفـه رسـا سـفـينة الجـود ونعـم المرتسـا

فـأي در للمـعـالي مـا اكـتسى وأي در للمـعـالي مـا احـتـسى

ترى الفـصـيح في عـلاه أخرسـا مـاذا عـسى أقـوله مـاذا عـسى؟

حيّاه ربي في الصباح والمسا

ومدحه الشاعر المجيد حسين بن مبارك القطيفي بهذه القصيدة :

تنفس الصبـح والأنفاس في لهب مني وقد سحَّ دمع العين كالسحبِ

في ليلة طال سجـوي في دياجرها لقل طول يدي مـا كـان من أربي

دعني خليلي فمـا همي هوى دعة ولا لفـوت وصال الخـرد العـرب

(*١) اسودَّ.

(*٢) أبلس: يئس وتحير.

وإنما هيَّج الشكوى وهدَّ قـوى الـ ـصبرِ الجـميل وأصمى الروح بالوصب
دهر أذلَّ الرؤوس الصيـد من ضعة وأصعد السـوقةَ الأذناب في الرتب
وملك الأسدَ صبانُ الفـجاجِ كماً في البيضِ سُـوِّدَ سود النوب بالنوب
وأرشفَ السلسـلَ الصـافي أراذلَهُ والقادةَ الغرَّ أسقى الصابَ بالوصب
ما كان ذا غير أني قد طويت على الـ ـتقوى حشًا ووقيت الدين من عطب
والقـوم باعـوا بدنيا الغيـر دينهم واستعقبـوا حذر العقبى ورا العقب
ذاك الذي دكَّ طودي عن تـطاولهم واجتـاح طولي وأدنى دونهم طلبي
وأسبق الشـوط مني خطو خبطهم وليس عن سبق حـسن كان أو حسب
فكيف يسبق في المضمار جرد نضى جرذانها في مـدى عدو وفي خبب؟
أم كيف تولى بغـاث الطير سلطنة على البـزاةِ ويرخى الرأس للذنب؟!
وكيف لا والزمان الخسف رب عمى فلـم يميِّـــز بـين التـين والعـنب!
والدهر زاغ فـــولى آله وخـــبـا وآذن الرشد حيث الرشد بالحرب
والوقت قد سـفهت أخلاقه فـعلا السفـاه وانحط أهل الفضل والأدب
هذا الذي أذهل الألبـاب من دهش وقطع النفس والأنفاس من كرب
فـلا مـعين على هذا الزمـان ومـا أعدى علينا من الإعـلال والتعب
ولا نصير ولا ملجـا يصون سوى نتيـجة النجب مـن أنصار خيـر نبي
مولى ملا ساحـة الآفاق فيض ندى فـفـاق كلَّ سـخـيٍّ في الندى وأبي
ومـاجد ورث الأحـساب كـابرها عن كابر وحواها حـرث مكتسب
أسـلافه في العُـلا أقـمـار هالتهـا لكنهـا الدهر لم تنقص ولـم تغب

ذاك الهزبر ابن عبدالله أحمد مَنْ حازَ المحامدَ من مجد ومن حسبِ
نمته من عصب الأنصار أطولها باعًا إلى الفخر من خَال أب وأبِ
بهم علا قائم التوحيد واتضحت أنهاجه بالعوالي السمر والقضب
وفضله كمَّلَ الماضي وزاد بما لايستطاع من الآتي لمنتخب
مديدُ مجد طويلُ الصيتِ وافرُه بسيطُ خلق يجود غير مقتضبِ
وكيف لاً وهو المرجو نائله والمختشى البطش في رعب وفي رغب
إيضاحُ مشكلها كشَّافُ معضلها تبيان خافي معاني غامض الكتب
كعبُ السماح إياسُ الفهم حاتمه في الجود سحبان حوك النظم والخطب
فيا ملاذ بني الآمال إن دهمت جلى الحوادث في جدٍّ وفي لعب
ويا محط رجا اللاجي الضعيف عنا من كل هول من الأهوال مرتهب
عطفًا علينا بعين منكَ ناظرةً ما نحن فيه من الأشجان والسحب
من معشر ما رعوا فينا معاشرةً ظلمًا وما ارتقبوا حقًا لمرتقب
بل أيقنوا أن فينا الظلمَ معدلةٌ والزورَ والبهتَ فينا أقربُ القُرَبِ
وأنت أنت المرجى في الخطوب وما نخشاه من تعب يدرى ومن عتب
فلا تزال به كهفًا نلوذ به في حادث شيب الأحداث من كأب
فلا برحتَ لنا غوثًا وغيث ندى وناصرًا حيث عز النصر من عصب
واسلمْ ودُمْ ما تَغَنَّى بالعقيق على الـ أغصان ساجعة في الدوح من طرب
هذا ونقري سلامًا لايزال وإن زال الزمان بمنهلٍّ ومنسكب
عليكم ثم آل والرفاق ومن يليك من غر أحباب ومن صحب
أزكى السلام وأوفى الحمد ما صدحتْ وُرْقٌ وما افترَّ ثغْرُ الكأس عن حببِ

ذكر مساجلاته مع الخاصة من أدباء مصر :

كتب إليه الشيخ العلامة الشاعر الخنذيذ[1] عبد الله بن محمد الكردي - رحمهما الله تعالى - يشكو إليه قلة القهوة، وكان الشيخ مسافراً في البادية سنة ١١٩٤:(*١)

لي شهر إن لم يكن شهران	منذ فارقت لَذَّةَ الفنجانِ
ساء خلقي من بعده ولقد كنـ	ـت كما كنت ذا سجايا حسان
ولقد ضاق بي مكاني حتى	ضاق صدري عن احتمال جناني
يا خليلي -عشتما- أبلغا عني النداما	ى حالي التي تريانِ
قهوتي أزرق المياه وهم يسـ	ـقون حمراء كالأرجوان
رُبَّ ليلٍ أطار نومي هواويـ	ـن بيوت الجيران قبل الأذان
فيه أشكو بثّي وحزني إلى الـ	ـله وحالي لديه رأي العيان
أنهم يرضهم معيشتي النكدا	ء فلا خير في بقايا الزمان

فلما وصلت أبيات الشيخ أحمد بذل له المسؤول، وكتب إليه يقول(*٢) :

اشْربِ الكأسَ دائمًا بالتهاني	آمن العدم ما جرى المَلَوَان (*٣)
واصطبح قهوةً كحمرة صبح	بعد هزم الكرى قبيل الأذان
بِنْت بُنٍّ لا بنت كرم حرام	لم تذلَّل بعصرها في الدِّنانِ

(١) الخنذيذ : الشاعر المجيد المفلق.

(*١) شعراء هجر، ص ٦٣- ٦٤.

(*٢) السابق، ص ٦٤- ٦٥.

(*٣) الملوان: الليل والنهار أو طرفاهما..

تجلبُ الأنسَ للفتى وتحلّي دارس العمد حلية الفتيان

فاسعَ في طبْخِها وقِفْ لجلالها ثم طُفْ للوداع نحو الحسان

لا تكن للسرور يومًا مضيعًا فالفتى يستفيته الفتيان[1]

وانتهب لذة الزمان فيا رُبَّ سرورٍ نهبته من زماني

يا خليلي إذا تذكرت ما فاتَ سعت مقلتاي بالهملان

ليت شعري هل رجعة أرتجيها أم مضى مثلما مضى القارظان[*1]

أشتكي للذي براني دهرًا بالهموم المثقلات براني

أسهر العينَ وابتلاني بقيدٍ مَنَعَ الرجلَ أن تسيرَ لشاني

قال ذلك لأجل قرحة أصابته في رجله منعته المشي:

كلما رمت نهضة قال: مهلاً لا نقس أولاً قياس الثواني

ليته إذ جفا ولم يرع عهدي لم يكن جالبًا خلاف الأماني

لا رعى الله صاحبا لا يراعي سالفَ الودِّ والعهود المتانِ

فكتب إليه الشيخ عبدالله الكردي هذه القصيدة جوابًا وتسلية له[*2]:

هاجك البرق أم نسيم يماني أم حمام رقت على الأغصان؟

يا حمام الأراك رفقًا بصبٍّ ذي فؤاد من الجوى حرَّانِ

(١) الفتيان: الليل والنهار.

(*١) القارظان: رجلان من عنزة هما: يذكر بن عنزة وعامر بن رُهم، خرجا يطلبان القرظ، وهو ورق السلم أو ثمر السنط، فلم يرجعا، فقالوا: لا آتيك أو يؤوب القارظ، أو القارظان.

(*٢) شعراء هجر، ص ٦٥- ٦٨.

يا حـمـام الأراك مـا لي أراكـ ـنَّ تجـاوبْنَ في ذرى الأفـنان؟
أخـمـاص ظـمـأى ولا يـنـ ـكر شكوى من ظامئٍ خمـصان؟
أم بطـرتـم إذ بشـمـتن يومًـا من فـروع من البـشـام لدان؟
أم ذكـرتن مـألفًـا، وغـريبُ الدا ر يشـجـوه تذكـر الأوطان؟
أم ثكالى تنـدبن، والندب فـرض في طريـق الوفـا على الـثكلان؟
غـيـر أن رابني جـمـود الأمـاقي مع طول الـبكا وخـضب الـبنان
إن بكـيتن يابسـات شـؤون فـدمـوعي سـالت على الأردان
إن شأني وشأنكن جميعًا بانَ لي أنكن عند أهـل الهـوى لمخـتلفـان
عـجم فـلا تفـر قنَّ بـين السـرور والأحـزان
ذاكَ طبعٌ فـيـهنَّ لا لأخـي البثِّ لديهـا عـيـون ولا الجـذلان
سـاعـداني على البكا سـاعـداني يا خـليليَّ قـبـل أن تبكـيـاني
أو أعـيرا جـفني جفـنًا صحـيحًا فلحـاظي قـريحـة الأجـفـان
أو دعـاني وودِّعـانـي وكُـفَّـا عن مـلامي وخـليـاني وشـاني
أتلـومـانـنـي سـفـاهًـا وهل يسـمع صبٌ لـيـست لـه أذنان
أو تنامـان عن شَجٍ شـفَّـهُ الو جـدُ حليف السـهـادِ والأشجـانِ
فـهـو يصلى زفـيـره مـا تبـقى منه إلا عـينان نـضـاخـتـان
ختـمـاني العـهـود حين الليـالي أسلـمـتـني إلـى يد الحـدثان
صرَّح الوجـدُ، بَرح الهمُّ فرَّ الصـ ـبـر قـرَّ الأسى فـلا تخـذلاني

لا رعى الله صاحبًا ليس عونًا لأخيه على رزايا الزمان

من لمضنًى يرعى النجوم وحيدًا ملَّ حتى رثى له الفرقدان

ظنَّ من طولِ ليلِهِ أنها سُمِّـ ـرْنَ أفلاكها عن الدورانِ

باتَ يرمي إليها بطرفٍ كليل من سهاد دامي المدامع وانِ

ويد منه فوق كبد جريح ويد مدَّها إلى الرحمن

يسأل النُّجْحَ والشِّفاءَ ربَّ الجود والمجدِ والمزايا الحسانِ

خَزْرجيٌّ النَّجارِ فرعُ بني النجا رِ جَمٌّ الفخارِ عالي المباني

طيِّبُ العودِ واللحا عريقُ العر قِ سامي الغصونِ حلوُ المجاني

أحمدُ المرتجى المفدَّى ابنُ عبد الله ذو الحلمِ والحجا والبيانِ

ومكانٌ من المكانة سامٍ باتَ من دون نيلِهِ النيرانِ

ومساعٍ جميلةٌ دون من منه يبغي بها رضا الرحمن

ربَّ سُهْدٍ يراه كالشَّهْدِ في دفْعِ مُلِمٍّ عن عاجزٍ لهفان

تعبتْ نفسُه لكي تستريحَ النا سُ في خفْضِ عيشه وأمان

فهو كالشَّمْعة الصبور على النار لكيما تضيء للندمان

سُودُ أقلامه تضيء دياجي أمل الآملينَ في الجريان

أريحيٌّ يهتز عطفاهُ للجدوى اهتزازَ الخطِّيِّ عند الطِّعانِ

كم له في الندى شواهد صدق من أياد بيَّضْنَ سودَ الأماني

لو حوت كفُّه نقودَ الدراري لحباها هيلاً بلا ميزانِ

ذو قـواف يدخلـن من غـيـر إذن ... عـنـد إنشـــــادهن فـي الآذان

فـهي تسـري من اللطافـة في الأر ... واح مـسـرى الأرواح في الأبدان

رقَّ مـــعـنـاه مع جـــزالة لـفظ ... رقـةَ الخندريـس حـشـو الدِّنان

مـــا "لبـيــدٌ" لـديه إلا بليـــدٌ ... في المعـاني فـمـا "بديع الزمـان"؟

صادقُ القـولِ صادقُ الفـعلِ عف ... السهد عف الهـجود عف اللسان

وبـه تَـمَّـتِ المـكـارمُ طـرًا ... مــثـلمـــا تَمَّتِ القنـا بالسِّنانِ

يا ظهيري يا ساعـدي يا عضيدي ... يا لســاني يا مـقـلتي يا جـناني

يا أبا المكرمـاتِ أبقـــاكَ مـولا ... كَ بقــاءَ النسـريـن والسـرطان

جـاءني مشـتكاك في ضـمْن أبيـا ... ت حـســان كلؤلؤ أو جـمــان

فـهي تفْتَـرُّ عن مـعانٍ كـمـا افترَّ ... عنْ الطَّـلِّ مَـبْـسَـمُ الأقــحـوانِ

فـعَـراني من العـنا مـا عــراني ... ودهانـي من الأسى مــا دهـاني

إن رجْـــلاً تشـكو أذاهـا لأهْلٌ ... أن تُفَـدَّى بموضـعِ التـيـجـان

هزَّكَ الدهـرُ بالجـفـاءِ ومـا هزَّ ... ســوى عطف صـارمٍ هـندوانِ

أنت تشكو وليس يشكو سوى الفضـ ... ـلِ ومـحضِ الحجـا ولبِّ المعـاني

إن تكن خـانك الزمـانُ فـقد خـا ... ن أباك الـصَّـــفـيَّ وسْطَ الجـنان

بعـد أن كان في الفـراديس يختـا ... لُ ســروراً في الروح والريحــان

لقي البُـؤْسَ والـعناءَ وســوء الـ ... ـعـيشِ في دارِ ذلَّـة وامتـهــانَ

مــا نجــا من أذاه "نوح" نجيُّ الـ ... ـلـه من قـــبـلِ آيةَ الـطُّوفـــانِ

نال مـا نال من سبـاب وضـرب   مـتـمـاد من عـابدي الأوثان

يتـواصون فـيـه بالهَـجْرِ والهُـجْـ   ـرِ - كمـاً قد سمـعْتَ- والشنآن

والخليـلُ الجليلُ أُقْـحِمَ تلـك النَّـ   ـارَ كـرْهًا إذ جـاء بالتِّـبـيـان

كـان يـبـغـيـهم النجـاة من النا   ر فـجـهـلاً جـازوه بالنيـران

ولأهـل التَّـسـليم منَّـا تسل   في الـذبيح المفـدَّى بـالقـربان

حين ينـقـاد للبـلاء مطيـعًـا   لنـفـوذِ القـضـاء دونَ توانِ

فـجَّعَ الدهـرُ "يوسَفَ" بأبيـه   وأباه بـيـوسف الكـنعـانِ

كـفَّتِ المقلـتـان في الحـزن من هـ   ـذا وذاك بِيعَ بَيْعَ الـهـوانِ

بات في "مـصـر" برْهـةً نائي الدا   رِ غـريبًـا في قـبـضـة السجَّانِ

بعـدمـا ذاقَ وحْـشـةَ الجُبِّ والإيـ   ـذاء والجـور من يد الإخـوانِ

لو "ثَبـيـراً" يمسُّ مـا مسَّ أيُّو   بَ من الضُّـرِّ هَمَّ بالسـيـلانِ

وبـلاء الكـليـم مـا هو يـتلـى   كـبـلاء المسـيح في القـرآن

ولنا في الـرسـول أسـوةُ خـيـر   خـاتم الرسلِ سـيِّـد الأكـوان

أخـرجـوه من بطن "مـكَّةَ" ظلمًـا   فـبـكى رحـمـة له الأخـشـبـان

ورمـوا ثـغـره وشـجـوا جـبـينًا   منـه من بـعض نـوره النـيـران

إنما الـدهر هكذا فـتـصـبَّـر   صـبـرَ لا عـاجـزٍ ولا مـتـوانِ

أول "العنـكبـوت" أولى إذا مـا   أعـضل الداء مـن دواً لقـمـان

مَنْ يرمْ صـفـوةَ الحـيـاة دوامـا   خـانه لا أبـا له الفـتـيـان

إن شكوى الفـتى إلى الدهر يومًـا   مـثل شكوى الجـريـحِ للعُـقْـبـان

رُبَّ يُسْرٍ أتاك من بعد عُسْرٍ ورزايا تبدَّلَتْ بالتهاني
أيُّ ليلٍ لم يتله واضح الصبـ ـح وغيمٍ لم ينكشف بعد آن
ربما النَّيِّران يعروهم الكسـ ـفُ -كما قد ترى- فينجليان
دُمْ -شفاك الإله- موفور أجر فوق ما ترتجي من الدَّيَّان
في ظلالٍ من المسراتِ دانٍ وأمانٍ من نائباتِ الزمانِ

وقال الشيخ عبدالله بن محمد الكردي يمدح الشيخ أحمد بن عبدالله آل عبدالقادر، ويشكو إليه قسوة الدهر على أهل الفضل والأدب:(*)

أما آن للدهر أن يستكين فتنجلي غمرة قلبي الحزينْ
لقد ألانت مزنُ أحداثه صمَّ الرواسي وأبى أن يلين
كم من هجينٍ دمث مبركًا وحرَّةٍ وجناء تشكو الوجين
وجاهلٍ في منصبٍ شامخٍ وعاقلٍ في أسفلِ السافلين
وباترٍ أفنى شباهُ الصَّدى في خلَقٍ رهن الزوايا مهين
وهو إذا ما عبَّستْ أوجهُ الـ أقران يوم الروع نعم القرين
وفاترِ الحدِّ يرى حمله فخرًا أثيلاً عاتق الدارعين
مصقَّل في خلل وشيت بعسجدٍ محضٍ ودرٍّ ثمين
يشقى به الكاهل من غير جد وى فهو كالإثم على الآثمين

(*) السابق، ص ٦٨- ٧٢.

يمش خزاما الحزن مص الثرى ومكرع الكراث ماء معين
وضيغمٍ في الغاب يشكو الطوى وللثعالي شهوة المشتهين
قد عطّلت شهادة الكف والـ خنصر في الحلي من المزدهين
يا لهف تبدو واو عمرو سدى وهمز بسم الله في المختفين
عاداني الدهر فلي مضْجعٌ أقضُّ والمشربُ ماء وطين
تقول: ماذا الهمُّ؟ لي جارتي إني أراها في ضلال مبين
لا همَّ إلا همُّ ذي همَّة عالية يُبْلَى بخسْفٍ مهين
بجحْتُ مما بحْتُ لا مُسْعِدٌ يجيبنِي كلا ولا لي معين
أسلمني أحفى الأخلاءِ بي ويح شمال أسلمتْها اليمين
والمرءُ قد يلقى من الأقربيـ ـنَ ما ليس يلقاه من الأبعدين
بقيتُ في بيتي كالعضْبِ في قرابه ليس له من خدين
وبتُّ من بين الملا ضائعًا كشمعة أوقدْتَها للعمين
لا ذنبَ لي إلا حجا يُرْتَضَى ولينُ أخلاقٍ وجأشٍ متين
يا دهر حتَّام التعامي أما يكفيك أم لستَ من المبصرين؟
أم لست تدري أنني جارُ خيـ ـر الموقِد النيران للمحتفين
صلبُ قناةِ البأسِ للمعتدين رخو وكاءِ الكيس للمجتدين
أبو المعالي أحمد المرتجى الـ حبر الهمام الهبرزي[1] الرزين

(١) الهبرزي: اسم الأسد، والوسيم من كل شيء.

أصــيَـدٌ إمَّــا جـئـتـه تلقــه أز هر كـــالبـــدر أغـــرُّ الجـــبين

يفــوحُ مـن أعــراقــه المنتــدى ما الآس؟ ما النرجس؟ ما الياسمين؟

ذو مقــولٍ كـالصـارم المنـتـضى من جــفنه أبيض عــرض ودين

رَقَّـتْ حـــواشي بـرْدِ أفكـاره لذا تـراه في اشـتـــداد ولين

يغـــار لـلحق مطيـــعًـــا له فليس يخــشى لومــة الـلائمين

دانٍ له مـن كل فـــخـــرٍ أبى عن غــيـــره مــا لم تخلـه يدين

ســارتْ مــعـاليـه وأخــلاقـه كــالمثل الـسـائر فـي العــالمين

وإن تجـاهلْت فـأنصـار دين الـ ـلـه من آبـائـه الأكـــرمـين

هُمْ قَــوَّمـوا الدينَ بـصـدِّ اللقـا بعـد اعـوجـاج من يـدِ الكافـرين

كم مـشـهـدٍ قــرَّتْ بهم أعين الـ أمـلاك فـيـهم "جـبـرئيل" الأمين

يتلـون بالبـيـض وســمـر الـقنا راية "طـه" ســيِّــد المرسـلين

ســحـب صـلاة وســلام على روضــة مــثـواه همـت كل حين

يا فــارس الأقــران والنـظم والـ ـمنثـور بل يا كـعـبـةَ المعـتـفين

أهــل أتــاكـم أنــنـي لـم أزل مــذ بنْتُم حـلف الجـوى والحنين

مـــا ســـاغ لـي بعـــدكـم باردٌ ولا تمتَّـــعْـتُ بأكلِ الـســـمين

مــا شـام جــفني لكـم بارقًــا إلا وإنســـاني من المـغـــرقين

ولا تنسَّـــمتْ نسـيم الـصَّــبـا إلا ومـن تذكــــاركـمْ لي أنـين

فـدتْك - يا نفسي - نفـسي ومن أُعْــزَى إليــهم من كــرامِ الأبين

مـــتـى ترى أَنْيُـــقَكـم عنـدنا   يُحَـطُّ من أكـــوارها والـوضين

فـــيُـفْــرَجُ الهَـمُّ وينفكُّ عـــا   نٍ بات فـي كفٍّ البـــلايـا وهين

دُمْتَ كـمـا شئـت عـمـاد العـلا   عن غِـــيَـــرِ الـدهرِ من الآمـنين

مــخلَّدًا صـــيــتُك دنيــا وعُــقْـ   ـبى في الفـراديس مع الخـالدينْ

وصلت هذه القصيدة الـشيخ أحمد بن عبدالله هو في الباديـة للقيام بمهام منصبه، فأجاب الشيخ بهذه القصيدة ، وفيها تسلية للشيخ الكردي(*):

لـلـه أمُّ الكـرد أن أنجـــــبـتْ   إذ نتـجت كـلَّ حـســامٍ سنينْ!

أبدتْ لنا مـن أُفْـقـهـا كـوكـبًا   يضيءُ لـلسَّـاريـن والســائـرين

ذو فكـرة عــــزَّتْ عـلى الأولـيـ   ـن مَنَّ بـهـا اللـه على الآخـــرين

ألفــــاظُهُ كــــالـدُّرِّ لكنَّهـــا   منْ بُعْــدها عـزَّتْ على الـطَّالبين

صــارتْ له مــعــجـزةً أنبــأتْ   بالصـدقِ والتَّـصْديق للكافـرين

يا واحــد الفـضـلِ وثاني الحـيــا   وثالـثَ القـطبين حـــقًّــا يـقين

أبيــاتُكَ الغـرُّ بسَّـتْ مُـهْجـتي   فكـدت منهــــا أعلـق الطائـرين

كـــأنَّهــا لما تبـــدَّتْ عــصـــا   مـوسى تلقى زُخْـرفَ الساحـرين

هذا هـو السَّــــهْلُ المنيـعُ الذي   يُطْرِبُ مَـنْ يســمـــو لعلـمٍ ودينْ

إن قلتُ: درٌّ فـــهـو من مـــالحٍ   وهذه مـن مـــاء بحـــر مــعين

أو قـلْـتُ: بـل نَـــظْـمُ درارٍ أتــتْ   في نَـسَقٍ، خِـلْتُ الـدَّراري تبـين

(*) السابق ، ص ٧٢- ٧٤.

ليلاً، وتخفى أن أضا فجرها ... وليس فيها من هدى للعمين

وهذه مصباح أفكارها ... باد وتهدي العُمْيَ والمبصرين

لا عيبَ فيها غير أنَّ الورى ... تدارسوها بينهمْ كلَّ حين

يا ليت شعري ما الذي أغفل الدَّ ... هر عن الأنجاب والفاضلين؟

يا ليته أرضى إمامًا يرى ... في كل فنٍّ قدوة المقتدين

الشيخ عبدالله كردي بيـ ... ـتوش الهمام ابن الهمام الرزين

علاَّمة الوقت فإحسانه ... قد وسم الطلاب فوق الجبين

إن كان ذو المالِ له نائل ... وقتًا فهذا نيله لا يبين[1]

أو كان يمتاز به قنْية ... فالعلم نِعْمَ المقتنى والخدين

شَتَّانَ ما بينهما في العلا ... ولا يساوي المُجْتَبَى والهجين

العلمُ يُبْقي ذووه في رفعة ... والمالُ لا يبقى وذوه مهين

يا سيدًا حاز المعالي فما ... له نظير في العلا أو قرين

لا ذنب للدهر فهذا دأبه ... قدمًا على أهل المعالي ضنين

كالماء لا يعلو الروابي وقد ... يتبع ما انحط من السافلين

وأنت أعلى منه قدرًا لذا ... جاء منيبًا ضارعًا مستكين

والله والمختار حظًا على ... قبول من جاء من التائبين

وخذ ثناءً جاء من مُدْنَف ... مشرَّدِ النومِ حليفِ الأنين

---

(١) لايبين: لاينقطع

طويلِ أشجان مديد الجوى بسيط أحزان سريعِ الحنين
مُشَتَّت القلبِ مُعَنًّى براه الهمُّ حتى لم تخله يبين[1]
نَضَّاخة عيناه يا ويله قد فارق الأصحاب والأقربين
طالتْ نواه ليتَ عُمْرَ النَّوى عُمْرُ كراه منذ دهرٍ أبين[2]
قد قطَّع الوجد حشاه فما تلقاه إلا في عذابٍ مهين
يكفيه ما أشجاه من دهره من مقلة عَبْرى ودمعٍ سخين
إذا سها النُّوَّامُ في سُكْرِهُمْ أَتَتْهُ غارات الدواهي تبين
فاعذر وسامح شاحبًا عزّه من دهره همٌّ يشيب الجنين[3]
بقيتَ في الدنيا سعيداً وفي أُخْراك من أصحاب ذات اليمين

وقال الشيخ أحمد بن عبدالله وهو في البادية سنة ١١٩٤هـ ؛ يتشوق إلى أهله وندمائه، ويمدح الشيخ عبدالله بن محمد الكردي، رحمهم الله[4]:

ساجعُ الوُرْقِ على الأغصانِ غَنَّى أطرب الخالي واجتاح المُعَنَّى
صادحًا يمرح في أفنائه كلما ازداد غرامًا زاد فنَّا
ألهب الشوق بأحشائي وما فارق الربْعَ ولا الإلف الأغنَّا

---

(١) يبين: يفصح.

(٢) أبين: أبعد.

(٣) عزه: غلبه.

(٤) السابق، ص ٥٧- ٦٠.

بل إذا أطربه الروض اعتلى صهوة الدوح طروبًا يتغنى

أذكر الصَّبَّ عهودًا بالحمى ولُيَيْلات بها قلبي تهنَّى

وندامى كالسلاطين لهم سَمَرٌ يحلو إذا ما الليل جنا

لهم في العلم أقدامٌ رستْ وعليهم باهر الفضل أبنى(1)

ليت شعري والأماني رقى هل تراهمْ مقلتي بالقرب منا؟

أو ترى من قد رآهم لحظةً أنني أرضى بما منهم تسنى

كلما لاح بريقٌ نحوهم جَذَبَ القلبَ هوى الربع فحنا

يا أُصَيحابا بـ "هجر" خَيَّموا لم أُبِنْ من بعدكمْ للضِّحك سنَّا

إن تغيبوا عن عيوني فلكم في سويدا القلبِ قد شيَّدْتُ كَنَّا

أو يحول القفْر من دونكم فخيالٌ منكم يمسي لدنا

صار شغلي بعدكم همًّا رسا لم يزايلني وإن بنتم وبنا

أتمنَّاكم وهيهات المنى عزَّ ما أرجوه من دهري وأنى

ما لقلبي لم يُفَارِقْهُ الجوى وعيوني دمْعُها لم يتأنا

وفؤادي كلّما هبَّتْ صبا فَرَّ حتى خِلْتُه في الحال جُنَّا

أغرامًا وبعادًا وضنى يا لقومي لفتى لم يطمئنا

خانه الصَّبْرُ وأعياه الهوى فإذا الليل دجى حنَّ وأنَّى

---

(1) أبنى: أقام

وإذا نام المعـــافى خـــاليًـــا   تـأتـه الأفـكـارُ مـن ثـمَّ وهـنـا
ضـمـر الشَّـوْقَ وأخـفى وجْـدَهُ   بالحـشا خـوفَ عـدوٍّ يتـجنَّى
وعـذول جَـدَّ يرجـو سلوتي   يحسب السُّلْوانَ لـي سلوى ومَنَّا
غـــرَّهُ مـني نـهـــاءٌ نابت   وحنانٌ ليس يدري مـــا أجـنَّا
مـا درى أن الهـوى قـد عـزني   وعلى أحـشـائي الغـارات شَنَّا
كـلَّ يـومٍ أطلـب الصُّلحَ فـلـم   أَلْقـه إلا اعـتلى الخـيل وعـنا
ليس يرضيه سوى قـتل امرئٍ إمَّـ   ـا لـه من ناصـر حـامٍ فـمَنَّا
يـا زمـــانـي كـفَّ عـنَّا إنـنـا   بالفتى الكرديِّ في الحرب استعنا
مـاجـدٌ قـد حـاز أصناف العـلا   ألمعيٌّ لـم يعـدْ يـخلف ظنَّـا
ذو سـنـــان وبـنـــان راعــف   واكف إن أحـجم الغـيث وضنَّا
كـلُّ مـعـنى رائـقٌ في لـفظـهً   كـزنادٍ فـيـه لمع النار كَـنَّا
ذبـح النَّـظْمَ بـزاهـي نظـمـه   فـالجنى الداني لنا مـنه تَـدَنَّى
إمـامًـا صـار بدرًا لـلورى   في دجى الليـل إن البـدر اسـتكنا
أبْـلِغِ الـتـسـليـمَ عنـي خلـةً   فـرضَ الحـبَّ لهم مـني وسـنا
هُمْ فـؤادي ومـرادي وهُمُ   نصبُ عيني حيـثما كـانوا وكُنَّا
في رُبى "هجـر" أقـامـوا صـورًا   وأرى أشـبـاحـهم مني تُدَنَّى
فـسقى الله رُبى "هجـر" حَـيًـا   ينفض الـودق مـريعًـا مـرجـحنا
أينبت الزهـرُ بأكنـاف الصُّـرَى   ورُبَى الحزْمِ[1] غدتْ روضًـا أغنَّا

---

(١) الحزم: هو ما جاور بلد "المبرز" من الجهة الغربية، وفيه القصر المسمى "صاهود".

والعذيب العذب شرقي الحمى عمَّه الوبل ورواه وهنا

قلت : العذيب : هو محلة معروفة ببلد "المبرز" من فريق "السياسب"، تقرب من المدرسة الثالثة في الشمال الشرقي.

تلك أطلال لنا لم أنسها ما جرت روحي وهز الريح فنا
أسأل الرحمنَ فيها رجعةً تغسل الهَمَّ الذي للقلب عني
وصلاة الله تغشى المصطفى من به اللهُ هدى إنسًا وجنًّا
وكذا الآل مع الأصحاب ما ساجَعَ الوُرْق على الأغصانِ غَنَّى

فأجابه الشيخ عبدالله بن محمد الكردي بكتاب، جاء فيه:(*١)

لم أزل منذ نأى مولانا - أمدَّ الله ظلاله، وزاد إجلاله - أتسلى نهاراً برؤية جميل آثاره، كما أغنى التيمم بالصعيد، وأشكو إلى طيف خياله بُعْدَ مزاره، كما يشكو العميد إلى العميد، وكلما تفرقت حواسي من الجوى، كتشتت الآراء في اللأوى، وتلعبت بي أيدي النوى، كتلعب الأفعال بالأسما، وعضت نوائب البين جناني، كما يعض على الغارب القتب، ربأت إلى بعض الروابي، عسى أن يخفَّ ما بي، إلى أن ورد كتاب، من ذلك الجناب، فمحى استلامي له سورة الاكتئاب، فوجدته منظومًا يفتر عن اللؤلؤ المنثور من المعاني، كما الغيث يفتر عن البرق والرعد، وأحكت خلاله البلاغة التي هي أرفع المباني، ما أحكمت في النظم واسطة العقد، فأعرضت عن جوابه زمانًا ممتدًا ، فلما لم أجد للمحيا عن ردِّ التحية بُدّاً ، قلت : وأظن ذلك المولى يقول : ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾(*٢)(*٣).

(*١) شعراء هجر، ص ٦٠.

(*٢) سورة مريم، الآية: ٨٩. وهي في سياق كلام الكردي: «يقول لي: لقد جئت شيئًا إدا» انظر: شعراء هجر، ص ٦٠.

(*٣) شعراء هجر، ص ٦٠- ٦٣.

هاجه الوجد إلى "نجد" فأنَّى وتمنَّى الأبرقَ الفرد وأنَّا
أيُّها الغادي إلى وادي الغضا نلْتَ من حُسْنِ القضا ما تتمنَّى
إنْ ترى الظَّبْيَ الأغنَّ الأحورَ الـ مصطفى مصطافه الروض الأغنَّا
قُلْ له عن نازحٍ صَبٍّ ترى دمعَهُ صَبّاً متى ما البرق عَنَّا
مَنْ لمسحورِ فؤاد سَحَراً ولمجنون إذا ما الليلُ جَنَّا؟
هائمٌ ما زال سكرانَ وما شربَ الكأسَ ولا جاور دَنَّا
واجبُ القلب رأى المكروهَ من عَذَلٍ في لحظكَ المسنون سَنَّا
طالما كان يُمَنِّيه الهوى أن يرى مصرعه فيك فمنَّا
وَهَّن العظمَ وأوهى جلدي عظمُ ما بي فارحم المضنَى المعنَّا
ذُقْتُ فيك الصَّبْرَ من صبري وقد كنتُ خلْواً خاليَ العيشِ مُهَنَّا
أدن مشتاقًا يذيبُ الحجر الصلـ ـد أدنى وهج فيك أجنا
مُنَّ في أسري بالفكِّ وإن تَرَ قَتْلي أَرَهُ سلْوى ومَنَّا
ولئن ترضى فإذلالي لم يرضِ لي من صار لي كهفًا وكَنَّا
أحمدُ الأوحد مَنْ صار لنا جنَّةً إنْ قَلَبَ الدهرُ المِجَنَّا
حاملُ الكَلِّ عن الكُلِّ صفوحٌ عن الخلِّ بما منه تسنَّى
زبدةُ الأنصار أخْلقْه بأن صار بين الخلق بالمجد يُكنَّى
نالَ شأوَ العلمِ طفلاً، والندى يافعًا، والحزْمَ والرأيَ مُسنًا
ذو حياء وحبا إنْ بالحيا ضنَّت السُّحْبُ فلن يُخْلفَ ظَنَّا
كم كفى حُراً وقِنّاً هَمَّهُ فغدا الحرُّ لهُ بالجودِ قِنَّا!

طَوَّق الأعناقَ منَّا من أيا ... د ثقال ما يُرَى فيهنَّ مَنَّا

يا إمامًا يَمَّمَتْ أنْيُقُهُ ... أرضَ "نَجْد" راضيًا بالنأيِ عنَّا

جاءنا من غُررِ النَّظْمِ لكم ... ما يحاكي روضةً بالحزن عنَّا

رملِ الأبْحُر لكن دُرَّهُ ... عَددُ الرَّملِ أفرادًا ومثنى

فتباشيرُ التَّهاني أَقْبلَتْ ... بعد طول اليأسِ من هَنَّا وهنَّا

هالنا هيلُكمْ تلكَ المعا ... ني فاقنعوا بالوزن منا

سيدي ما زال وجدي فيكُمُ ... بين أحشائي مُقيمًا مُسْتَكنَّا

ما ترى في مُغْرَمٍ مهما سرتْ ... نسْمةٌ نجديَّةٌ هامَ وجَنَّا

أينما كُنْتُمْ فأنتم سادةٌ ... ونرى أنَّا عبيدٌ حيث كُنَّا

"هَجَرٌ" من هجرِكْم هاجرةٌ ... ما نرى فيها لجنب مُطْمئنا

فكأنَّا ما وردنا معْكمُ ... عدَّ لهو وكأنَّا ما عطنا

كم وكم شنَّ عليَّ الهمُّ من ... جيشه الغاراتِ حتَّى صرْتُ شنَّا

فعسى نشكر أيدي نُجُب ... قد شكونا إذ بأقتابك بنَّا

فتُردُّ الروح في الميت أسىً ... ويُردُّ العقلُ فيمن كان جُنَّا

هاكها مني صعابًا شُرَّدًا ... دُنَّ لي كرْها وما كدْنَ يدنا

أُوقرْتَ من دُرَرِ المدحِ فلا ... غرو أن سرْنَ بطاءً تتأنَّى

دُمْ خلودًا في جنانِ الأُنْس والـ ... أمن من شَرِّ الورى إنسًا وجنَّا

وصلاةُ الله تغْشى مَنْ لنا ... سَنَّنَ الخيرَ وسيفَ الحقِّ سَنَّا

وكذا أصحابه ما وامقٌ ... هاجَهُ الوجدُ إلى "نجدٍ" فأَنَّا

وكتب إليه السيد العلامة الشيخ عبدالرحمن بن أحمد الزواوي المالكي نزيل بلد "المبرز" من الأحساء هذه القصيدة ؛ يمدحه، ويعتذر إليه من أمر نسب إليه(*):

مـا بال سلمى لا تنيلُ وصالا	وتهزُّ للهجْر المديد نصالا؟
وتريشُ نبْلَ جفونها المُصْمِي لأعْـ	ـشار لقلوب تجنُّبًا ومَلالا
وتحلُّ عقْدَ وصالها من بعْد ما	قد أحكمتْهُ ولم ترث حبالا
أفلا تصدُّ وتهجرُ المُضْنَى ولا	ذنْبَ هنالك أم تصدُّ دَلالا
فلقد كلفْتُ بها وخامَرَ حبُّها	قلبي وصارَ عن السُّلُوِّ عقالا
فلها أميلُ وعن هواها لا أحو	ل وإنْ أضرَّ وقطَّعَ الأوصالا
ولها أُولِّي وجْهتي مُتَولِّيًا	عن غيرها ولها هوًى أَتوَالا
وأرى السُّلُوَّ وإنْ تناءتْ أو دنَتْ	وأطاعت العُذَّال فيَّ مُحالا
أتُطيعُ فيَّ حسودَ ودٍّ غاضَهُ	قُرْبي فنمقَّ عندها الأقوالا
وتَذُودُني عن ورْدِ كوثرِها وقد	أصفتني زلاله السلسالا
وتصدُّني أن أجتني من وجهها	بدر المحاسن نورُهُ يتلالا
أو أن أشيمَ بريقَ ذيَّاكِ اللَّمى	وأهزَّ أسْمَرَ قدِّها العسَّالا
أو أجتني من وردِ وَجْنَتِها التي	فيها جرى ماءُ الجمال وسالا
فبنورِ وجنتها ومشرقِ نحرها	وبفرْعِ الليلِ ادلهمَّ وطالا
وبذلك الخدِّ الأسيلِ وفاترِ الـ	لحْظِ الكحيلِ وقدِّه الأبطالا

(*) ذكر مطلعها صاحب شعراء هجر، ص ٧٤.

وببـارقِ الثَّغْـرِ الـشَّهيِّ وقـامـة		مـثل القضـيبِ لهـا الثِّيابُ أمـالا
وبلينِ عـطف للجـوانحِ عـاطفٌ		لا حلْتُ عن عهـدي وإنْ هو حالا
فـلأصْبِـرَنَّ على أليـمِ جـفـائه		جَهْدي وأحـمِلُ في الهوى الأثقالا
ولأسـفـحنَّ بسـفْحِ واد حـلَّه		دمـعي السـفـوح وأندب الأطلالا
وأخوضُ من غمـرات وجدي لُجَّةً		ذاتَ اضطرابٍ مَـوْجـهـا يتـعـالى
وأواصلُ الليلَ الـطويلَ مُـسـامِرًا		نجمَ الـغـــرامِ وأركبُ الأهـوالا
لا غـرو أن سمع العـداَ في مدنف		وأهان مــوصــول الإخـا وأزالا
فلقـد أطاعَ الحاسـدينَ أخو الحـجاً		فــيمــا نماه كـذوبُهُـمْ فـأحــالا
أعني به الندبَ الهـمام أخـا الندى		الماجـدَ المتـقــدِّمَ المفـضــالا
مَنْ فــاقَ أهلَ زمـانـه وسـمــاهُمُ		حُلْمًـا وسَـمْـتًـا فـائقًـا وكـمـالا
نحن الألى صحبوا الـنبيَّ وقاسموا		أصــحــابَهُ الأوطانَ والأمـــوالا
نصـروا وآووا وارتضـاهُـمْ ربُّهُمْ		وعلـيــهُـمُ أثنى الإلـه تعــالى
زينُ المحـافلِ صـدرُها ومـشـارُها		يُصْــغَى بـإذعــان إلى مــا قــالا
دسْتُ الرياســة قـد حـلا بـحلوله		فــيــه وزادَ مـــهــابةً وجــلالا
شمسُ المـعارف والمحاسن والـعلا		ظهـــرت ولم يـك نورها أفـــالا
بحـرُ الـعلومِ فليس يُدْرَكُ قـعْـرُهُ		حلـوُ المنـاهلِ مـــدُّهُ يتـــوالى
أبدى لنـا دُرَرَ البـيــانِ نظيــمُــهُ		وأفـاض منه على العطاش سجـالا
ذو الفـهم والذهـن الذي من شـأنه		فكُّ العـويصِ وفـتْـحُـهُ الأقـفـالا
يا بن الألى حـازوا الفخـارَ وذلَّلُوا		صـعبَ المعـــاني والعــلا إذلالا

إني سمعْتُ بأنه قد رابَكُمْ   قولٌ تقوَّلَهُ الحسودُ ضلالا
وعزاه عني آفكًا ومبدِّلاً   مني الجميل بما يسيء مقالا
وأتاكُمُ من ربِّكُمْ "فتبينوا"   مع كون هذا فاسقًا مُحتالا
وعرفْتُمُ عهدي القديم وصُحْبتي   وصفاءُ ودٍّ لا يزال زلالا
فبأيِّ شيء قد تحقَّق صدقُهُ   فنفى المحَقَّقَ عندكم وأزالا
ما والذي حَجَّ الحجيجُ لبيته   يرجون منه تفضُّلاً ونوالا
ما صار مني ما يقولُ ولم أَكُنْ   سببًا ولا ممن عليه تمالا
فاصفح وسامح لا عدمتك موليًا   صدقَ المودة والإخا أفضالا
واسلم ودم في رغدِ عيشٍ واسع الـ   أرجاء لا تخشى عليه زوالا

فأجابه الشيخ أحمد بن عبدالله بهذه القصيدة(*):

ما والذي رَزَقَ الحجا وأنالا   كلَّ الأنامِ تفضُّلاً ونوالا
وبنى السماوات العلى وطحا طبا   ق الأرض حكمةً وجلالا[1]
وحمى قلوب ذوي المودة والصفا   عن رسم شكل ينتج الأدخالا
وأعاد ملتجئًا إليه وطالبًا   منه الإقالةَ فاجتبى وأقالا
ما حلتُ عن سننِ المودةِ والإخا   قَسَمًا ولا أرضى التحوُّلَ حالا
أو ملتُ عن ودٍّ قديمٍ راسخٍ   قلبي عليه مع الفؤاد تمالا
حاشى لقلبي أن يميلَ لعاذلٍ   قد خاضَ في بحرِ الشِّقاق وجالا
إني إذًا لعديمُ رأيٍ في الهوىً   وصبابتي حكَتِ السرابَ زوالا

(*) أشار إلى مطلعها صاحب كتاب شعراء هجر، ص ٧٤.
(١) كذا الأصل، ولا يستقيم وزن البيت.

إن رُمْتُ عن سعدى سلواً أو نوى ... لا ساعدتْ يمنى يدي شمالا
أأطيع فيها الكاشحين وأنثني ... عن حبها أَعْظِمْ بذاك ضلالا؟!
فبحقِّها وبحُبِّها وبحُسْنها ... لم أرعَ للواشي المزيِّف بالا
لا أنثني لا أنتهي عن حُبِّها ... لو ذُقْتُ فيه إهانةً وكلالا
يا سيدًا حازَ المكارمَ والتُّقَى ... والجودَ والإحسانَ والإفضالا
والعلمَ والحلمَ الذي قد شابَهُ ... بشجاعة فسما بذاك وطالا
يا بهجةَ الدُّنيا ويا جبلَ النُّهى ... من سادةٍ كانوا بذاك جبالا
إكرامُكُمْ حقٌّ علينا واجبٌ ... وبه أتى أمرُ الإله تعالى
وبجدِّكُمْ نلْنا الهُدى بعد العمى ... وبحبِّكُمْ فُقْنا نهًى وكمالا
أهديتَ لي من نظمِ فيكَ خريدةً ... بكْرًا تميسُ تأنُّقًا ودلالا
معسولةَ الألفاظ قد هذَّبْتَها ... فأتَتْ كعقد لآلئٍ يتلالا
محجوبةً قد أبرزتْها فكرةٌ ... وقَّادةٌ كَسَت الزمانَ جمالا
لا غَرْوَ إنْ كانتْ نتيجةَ فارس ... جاءتْ له عصمَ الرويِّ ذلالا
مضمونُها عذرٌ جليٌّ واضحٌ ... من ناصحٍ قد دانَ فيكَ وغالى
مُسْتَضلعٌ من حُبِّكُمْ مُسْتطلعٌ ... لولائكُمْ ولنحو حُبِّكَ مالا
قد جرَّدَ العضبَ الجريءَ يذبُّ عنـ ... ـكُمْ ذا السفاهة إن أراشَ نبالا
ولئن قد غرَّكم متشدِّقٌ ... بمقال سوءٍ بئس ذاك مقالا[1]

(١) كذا الأصل.

فـالله حسبي منه يدْفَعُ شرَّهُ   ويثيبُهُ مما جناه وبالا
كذبٌ وبهتانٌ وغيبةُ غافلٍ   وتهافتٌ يرجو بذاك جدالا
والعذرُ منْكُمْ واضحٌ يا سيدي   لكنْ تثبُّتُكُمْ أعزُّ منالا
فالله عزَّ يقول: إن جا فاسقٌ   فتبيَّنوا أعْظمْ بذاك مثالا!
والفضلُ أنتم أهلُهُ ومقامكم   عن كلِّ شيءٍ في الزمانِ تعالى
واسلمْ ودمْ في نعمة وكفاية   وحمايةً ووقاية تتوالى
ما هيَّجتْ وُرْقُ الحمَامِ مُتَيَّمًا   ورجا المحبُّ من الحبيبِ وصالا
وأُديمُ تكرارَ الصلاةِ على الذي   نسخَ الضَلالَ بشرعِهِ وأزالا

ومن ألغاز الشيخ أحمد بن عبدالله قوله(*):

أشكو إلى الرحمن من عاذل   أذاب قلبي كُلَّما كُلِّما
ألح في العذل ولم يرعوً   في عاشق يبكي الدما في الدّمى
أقْصِرْ فلسْتَ بالمدعوًّ   لو نلت ماً أصغي ورب السما

فيقال لسامعها: أين مفعول نلت؟

وقال فيما جمعه بألف وتاء:

ما جمعه بألف معْ تاء   خمسة أشياء بلا امتراء
ذو تاء تأنيت بغير جنسه   وعلم التأنيث واسم جنسه
ما لم يكن "فعلى" له "فعلان"   أو "أفعل" فافهم لك الإحسان
مثاله صحرا وما له يلي   وصف مذكر لغير عاقل
تصغيره كذا وتم قيلي   نص على ذلك في "التسهيل"

(*) السابق، ص ٧٤.

وله في المواضع التي تكون الياء فيها للتنبيه والمواضع التي يحذف فيها المنادى:

وإن يلي "يا" ليت، رب، حبذا ... تكن لتنبيه فلا تعدل بذا

وقبل أمرٍ احذفِ المنادى ... كيا اسجدواً لمن برى العبادا

كذاك من قبل الدعاء عزلا ... كيا اسلمي يا دار ميّ على البلى

"ويا" النداالزم في كلا الحالين ... فحذفها يحظر في هاتين

وتوفي الجد أحمد بن عبدالله المترجم له - رحمه الله تعالى - عام ستة وسبعين ومائة وألف. وكان أشهر أولاده:

الشيخ عبدالله بن أحمد، وهو جد المؤلف الثالث، وكان عالمًا جليلاً وصدراً نبيلاً، ولما استولى الإمام سعود بن عبدالعزيز على بلاد الأحساء، وقويت ثقة الإمام بالمترجم له وبعلمه وفضله وتمسكه بما عليه السلف الصالح في اعتقاده وعمله خرج له من الإمام توقيع، هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، صدر الأمر من الأمير سعود بن عبدالعزيز، نشر الله في الآفاق صيته وعزه وعدله، وأظهر في الرعايا معروفه وإحسانه وفضله، بإقامة الشيخ عبدالله ابن الشيخ أحمد آل عبدالقادر مدرسًا ومعلمًا للناس ما خلق الله لأجله الخليقة، ونصب الدلائل على أنه الواجب المقدم، واللازم المحتم في الحقيقة، وهو توحيد الله -جل جلاله- في أسمائه وذاته وصفاته، وخلقه وأمره ونهيه، وما يتبع ذلك من تفسير كتاب الله وقراءة حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه في ذلك تقوى الله سراً وعلانية ومراعاة ما تجب مراعاته، وبذل الوسع في بث هذا الخير الذي خص الله به من يشاء من عباده، فشرفوا به، وظهروا على أهل الضلال والإلحاد، وملكوا ببركته أقاصي البلاد.

جرى في اليوم الحادي والعشرين من شهر رجب الحرام، عام واحد وعشرين ومائتين وألف». وعلى التوقيع هذه العبارة: ليعلم الواقف عليه أن الأمير سعود بن عبدالعزيز قرر ما في هذه السجلة بمحضر مني، وختمها بيده، قال ذلك عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.

وقد مدح العلامة الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام الشيخ عبدالله ابن أحمد بهذه القصيدة(*):

هل الدعصُ إلا ما حواه إزارها	أو البانُ إلا ما أبان اهتصارُها
أو الفجرُ إلا ما بدا من جبينها	أو الوردُ إلا ما جلاه احمرارُها
أو الليلُ إلا من معسعس شعرِها	أو الخمرُ إلا ظلمها لا عقارُها
أو السهم إلا ما تريشُ جفونها	أو البيض إلا لحظها لا غرارُها
مهاةٌ تريكَ الشمسَ طلعةُ وجهِها	إذا أسفرتْ يجلو الظلامَ نهارُها
سقى كلّ هطّالٍ إليك العزالين حبها	ولا برحت حلف الحياء ديارها
فكم قد ركضنا في ميادين لهوها	جياد هوى ما خيل منها نفارها
وأوقاتُ لذّاتٍ قضينا بسوحها	وأيامُ وصلٍ واصلتها قصارها
فيا من لعينٍ حالف السهد جفنها	لفقدِ حبيبٍ ما يكف انهمارُها
كأن الحشا من لاعج البين والنوى	وفرط الجوى قد أُوقدت فيه نارها
كأن فؤادي مذ دهى البين مخبر	بأن قد جفاه ذو المعالي وجارها

(*) السابق، ص ٧٨ - ٨٠.

إمام الهدى رب الندى مجزل الجدى كما للعدى منه دوامًا دمارها
زكيٌّ ذكيٌّ كم جلى نور فكره دجى مشكلات بان منها انتشارها!
حوى الحلمَ والإجلالَ والحزمَ والنهى همامٌ به "الأحساء" كان افتخارها
سلالة حاوي المجد والفخر "أحمد" وآثارها للمكرمات مدارها
وهم عصمةُ الجاني ومأمنُ خائف وملجأ ألباب علاها انذعارها
فكم فرَّجوا من كربة إثر كربةٍ وكم أخمدوا نارًا يطير شرارها
نمتهم جدودٌ في اللقاء ضراغمٌ فبين يدِ المختار دام انتصارها
لئن بان صدٌّ منهم فقلوبنا على العهد لا يخشى عليها ازورارها
فلا برحوا شمسَ المعالي على المدى وقطبَ رحى العليا عليهم مدارها
ولا برحوا ظلاً تقيل به الورى وكعبةَ إفضال يدوم اعتمارها
فكم فتحوا من غامض الرأي مقفلا إذا عمَّ أربابَ العقول احتيارُها!
فقل لمن قد رام إدراك شأوهم: أفقْ إنما يردي النفوسَ اغترارُها!
تحاول ما أدناه تقصر دونه فأين بنو النجار منك نجارها؟!
فما الآل يطفي غلَّةً فدع العنا فبالشيخ أشتات المعالي انحصارها
ولو خُيِّرَتْ نُهْدُ المكارم في فتى لكان لعبد الله يبدو اختيارها
همامٌ علا هام السماكين رفعةً ورتبتُهُ فوقَ الثريا قرارها

وتوفي الشيخ عبدالله بن أحمد - رحمه الله - في عام الرابع والستين ومائتين وألف، وله من الولد محمد وحسين وعبدالعزيز وعبدالرحمن وعبدالوهاب وأحمد ، وكلهم علماء وحملة قرآن،

رحمهم الله تعالى . وآل عبد القادر الموجودون الآن في بلد "المبرز" كلهم من أولاد محمد وحسين وعبدالعزيز وعبدالرحمن.

وكان أشهرهم بالعلم والفضل: الشيخ محمد، ويلقب عند علماء الأحساء بسحبان؛ لفصاحته وكمال ذكائه، ولد - رحمه الله تعالى - على رأس مائتين وألف، وأرسله والده إلى الدرعية، فقرأ على العلامة المحقق الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب علم الأصول، والعقيدة السلفية، ومكث في الدرعية ثلاث سنين، ثم رجع إلى وطنه، وأخذ عن أبيه فقه الإمام الشافعي رحمه الله ، وأخذ علم العربية عن الشيخ أحمد بن غنام المالكي، وأخذ علم الفرائض عن الشيخ رشيد الحنبلي. وبعد موت أبيه تصدى للإقراء والتعليم، وقصده طلبة العلم من أهل فارس وعمان واليمن، وقرأ عليه جم غفير من أهل الأحساء. ولما بنى الإمام فيصل بن تركي - رحمه الله - الجامع الكبير في بلد "المبرز" جعل الخطابة والإمامة فيه محبسة عليه وعلى أولاده من بعده. وتوفي - رحمه الله تعالى - في رجب سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف، وهو الجد الثاني للمؤلف، وله عدة أولاد، وكان أشهرهم الشيخ علي بن محمد والشيخ عبد المحسن بن محمد. والمؤلف هو محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن، وهذان الاثنان علماء مدرسون، وكان الشيخ علي - رحمه الله تعالى - أغزر علمًا وأبعد صيتًا، وتولى القضاء في بلد المبرز حسبة بعد والده. ومن أولاده: الشيخ عبدالله بن علي المشهور بالعلم والأدب، وستأتي ترجمته في أعلام القرن الثالث عشر والرابع عشر.

وقد مدح العلامة الأديب الشيخ عبدالعزيز بن حمد المبارك التميمي المالكي الأحسائي بيت آل عبدالقادر بهذه القصيدة العصماء، ونوّه بذكر الشيخ علي بن محمد وابنه الشيخ عبدالله بن علي وابن عمهما الشيخ عبدالرحمن بن صالح ابن الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله، وهو غير المنادى به في صدر القصيدة؛ فإنه عبدالرحمن بن محمد بن أحمد آل عبدالقادر، قالها وهو في أبي ظبي سنة ١٣٠٩هـ(*):

ذَكَـرَ الـربْعَ وأهليـه فـأنَّى ... وشـجـاه البـارقُ الـسـاري فـحنَّا
وغـريبُ الدَّارِ يـخلو بـالأسى ... والصـبـابات إذا مـا الليـل جَنَّا
يا أخـي يا عـابدَ الرحـمـن يا ... منجدي يا مـسعدي حِسّاً ومعنى
يا سـميـري في الهوى إذ لا فـتى ... منك أولى بالـوفـا فـيـمن عـلمنا
قم فطـارحني أحـاديثَ الجـوى ... وارو لي أخـبـارَ عـفـراء ولبنى
أسـفـاه لشـبـاب ينقـضي ... عـاطلاً من وصل ريًّا القـدِّ حـسنا
طـال ليـلـي فـي "أبي ظـبـي" ولا ... ظبْيَ لي فيـه يضاهي البـدر حسنا
أقـصـر الليل بـه مـقـتطـفًـا ... ثمـرَ اللـذَّات مـن هنَّـا وهُـنَّـا
من أقـاحٍ حـوله الـورد إلى ... نرجـس من فـوق تـفـاح أبـنا
فـهـو إنسـان وبسـتـان وإن ... شـئت كـان البـدرَ والـظبيَ الأغنا
إن رنا جـردَّ سـيـفًـا فـاتكًا ... أو تَثَـنَّى هزَّ من عـطفـيـه لـدنا
وكـمـا في الشـغـر في النحـر وإن ... رمـتـه نثـرًا فـعند اللفـظ يجنى

(*) شعراء هجر ، ص ٣٢٣ - ٣٢٦ .

وإذا قــبَّلْتَــهُ مــرتـشــفًــا ريقــه قلتَ: بذا أسـكر جـفـنا

وإذا غــازلتَ غــازلتَ رشــا وإذا عــانقـتَـهُ عــانقتَ غـصنا

ويريني مــا نضى البـرقـع عن وجهـه كيف تبدي الـشمس وهنا

وإذا أرسـل جـــثـــلاً واردًا فـوق مـتنيـه أراني الليل مـثنى

أهيفُ الخـصـرِ ثقـيـلٌ ردْفُـهُ أتلعُ الجـيـدِ رقـيقُ الأنـفِ أقنى

حــرمت نهــداه والردف عـلى قـمـصـه تماسـهـا ظهـرًا وبطنا

وإذا مــا بـاشــرتُهُ نســمــةٌ ضـمخت من عـرفه جـيبًا وردنا

فــإذا مــا ســعــدنـا حـالفـنا واطرحنا العـتب والإعـتـاب عنَّا

وتجــاذبنا حــواشي ســمــر هل رأيت الروض والعـود المرنا!

أخــذ الـدلة من كــانونـهــا بشــمــال وأدار الكأس يمـنى

وانبــرى يسكـب من ياقــوته في لجين الكأس مـا نـسـمـيـه بنًّا

كلـمـــا أنعـم بالـكأس مــلا مـثلهـا من طرفـه السـاجي فـثنَّى

فــأنا أشــرب بالكأسين والثـا لث الثـغـر فـمـا أحـلى وأهنا!

وســعــدنا وشــقي حــاسـدُنا بالتـثــامٍ والتـزامٍ كـيف شـئنا

فـإذا ما الشـهب للغـرب انتحت مـثـل أسـراب القطا يطـلبن وكنا

وتغـــشــاه الـكرى وسَّــدْتُهُ ســاعــدي ثم تعــانـقنا وبتـنا

آمنين العـــارَ والإثـمَ فـــلا عـبـرت بي فـرحـة تعـقب حـزنا

يالـهـــا أمنيـــة لم تـعــدها منيـــتي إلا إلى أسـنى وأسـنى

نفـحـةٌ قُـدْسيـةٌ تسـعـدني برضـا الله الـذي أغنى وأقنى

وترقّـي رتبـةً فـي العلمِ مـن دونهـا المريخ بـالأعـمـال تـبنى

وسـمـوٌّ في العـلا تصـحـبـه قـدرةٌ بـالمال والحـال لأهـنا

ولقـاء الإخـوان مـن كل فـتى حسن الأخـلاق بالفـضل مـعنى

كـأُصَـيْـحـاب أنـاجـيـب لهم أصـبح المجـد كـمـا شـاؤوه قِنَّا

ورثـوه كـابراً عـن كـابـر وسـيـبـقى بعـدهم إرثا لـلابنا

في الكرام الخـزرج الزهر سـمـاً لهم أصل أفـاد الفـخـر ضـمـنا

شـابهت أنسـابهم أحـسـابهم ونداهـم لعـلاهـم صـار قـرنا

حـملوا الـعلم فـزانوه تـقًى وحـمـوا جـانبـه ذبّاً وصـونا

أوطنوا "الأحسـاء" فارتاحت بهم واكـتـسى الدهر بهم زينًا وحـسنا

حـسـبـهـم فـخـراً "عـلي" وابنه فلقـد فاقا على الأقـصى والأدنى

وفـتى "صـالح" النـدب الذي طاب خلقًـا وصـفـا قلبًـا وذهنا

إنـنـي صـبٌّ بـهـم لا أرتـضـي بـدلاً مـنـهـم ومـن أيـن وأنّـى

كم أُوَيْقـات صـفـا طابـتْ لنا بهم والدهر مغـضي الطرف عنًّا!

وهُنَـيْـهـاتِ سـرور كلمـا عنَّ لـي تذكـارها للـقلب عـنا!

بـ "القـبَـيليـاتِ" لا زالـت بهم جنةً مـنهـا ثمـار الخـيـر تجنى

قلت: القبيليات: حديقة غناء كانت ملكًا للشيخ عبدالرحمن بن صالح آل عبدالقادر، وكان أكثر ما يجتمعون فيها، أما في الوقت الحاضر فهي ملك للفاضل سليمان بن محمد بالغنيم.

والفـدى نـفـسي لأهليــه الفـدى   إنَّهُ لـلأنسِ والأفــراحِ مــغْـنى

قلت: والفدى: اسم حـديقة بجوار "الـقبيليـات"، بني فيهـا مجلس جميل رحب، وهي للشيخ عبدالـرحمن بن صالح آل عبدالقادر، وفي الوقت الحاضر لسليمان بن محمد بالغنيم.

حفّ بالأشــجـار والنخل فــمـا   شـئت فيــه من ثمــار تتـسنى

والعــريش الرحب من غــربيــه   روضــــة أزهارهـا الآداب غنـا

كم هصــرنا فـيـه أغـصــان المنى   ولنـوّار الفـكاهـات اقــــتطفـنا

ليت شـعـري والـنوى طال مـتى   باجـتمـاع الشـمل في ذاك نهنى؟

وأراه قــــد زهـــا في جــيــــده   عـقـد مــجـد مـفـرد مـنهم ومنا

يـا ندامـيَّ بـذيَّـاك الحــــــمـى   بلَّـغَ اللـهُ بكم مـــــا نتــمـنى

امزجـوا الكاس بذكـري ما صـفا   لَكُمُ يـومًــا كـــمــا مــرَّ فـــأنَّا

واقـرؤوا مني علـى سـاقي الفـدا   تُحَفَ الـتسـليم أفــرادًا ومــثنى

وصـــلاة الله مـــا برق ســــرى   أو شدا الورق ومـا الودق ارجحنا

وســلامٌ مـــثلهـــا يتـــرى على   خـــاتم الرسل الـذي للدين سَنَّا

وكـــذاك الآل والأصـحــاب مَنْ   شــيَّــدوا ملـتَــهُ ركـنًا فـــركـنا

وستـأتي ترجمة الشـيخ عبـدالعزيز حمـد آل مبارك في ذكـر أعلام القرن الرابع عشر، إن شاء الله تعالى.

وفي أول القرن الثاني عشر دخل الأحساء الشيخ العلامة **محمد بن**

أحمد العمري الموصلي(*)، واجتمع بكثير من علمائها، وأخذ عن جماعة منهم، وقد نظم قصيدة ذكر فيها من لقي من العلماء، فقال فيها:

جبْتُ الفيافي والقفار جميعها ... براً وبحراً كي أنالَ منائي
وشرعْتُ في السفر الحميد ببلدتي ... دار الأفاضل "موصل" الحدباءِ
جئت إلى "الأحساء" أحسن كل ما ... في الأرض من بلد بغير مراء
فأقمت فيها مدة أجني جنى ... ثمراتِ روضةِ لذّتي وصفائي
ووجدتُ أهليها مشايخَ سادةً ... صافين من حسدٍ ومن بغضاءِ
ورأيتهم أهل اعتقاد صادق ... وبها اجتمعت بغالبِ العلماء
منهم أُناسٌ شافعيَّةٌ مذهبٍ ... وهُمُ الكثيرُ بها بغيرِ خفاء
فأجلُّهم بحر المعارف ذو التقى ... قاضي القضاة وملجأ الفقراء
من أحرز المجدَ المؤثلَ واغتدى ... سبَّاقَ غاياتٍ إلى العلياء
ومن ارتدى برداء فضلٍ سابغٍ ... وسما مقامًا صين عن نظراء
كهفُ الأراملِ مقصدُ العافين من ... طلاب علمٍ مع جزيل حباء
هو سيدي الشيخ الأجل حسين من ... هو في الزمان شبيه عين الرائي
نجل الأجل اللوذعي "محمد" ... ابن النبيل حسين المعطائي
لا زال ملحوظًا بعين عناية ... من ربِّهِ ما انهلّ ماطرُ ماء

(*) انظر: الأعلام، ٦/ ٢٤١.

قلت: هو الشيخ حسين ابن العلامة القاضي الشيخ محمد ابن العلامة الشيخ حسين العدساني، وينتمون إلى محمد بن عقيل بن أبي طالب بن عبدالمطلب، تولى الشيخ حسين بن محمد القضاء في بلد الأحساء من عام ثمانين ومائة وألف هجرية، إلى عام ألف ومائتين، وكان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظًا يا حسين.

والشيخ سيدنا الذي عن شأوهِ في الفضل قصَّرَ سائرُ القدماءِ

الحائزُ الشرَفَينِ علمًا مع ندى والجامع الكرمين باستقراء

عين الزمان وروح جثمان الوفا صدرُ الأفاضل سيِّدُ العظماء

من فضله قد عمَّني وجميله ولحسنيَيه عليَّ بثٌّ ثناء

قَسَمًا بمن أرسى بقلبي حبه إن اسمه في المخمصات غذائي

مولاي "أحمد" نجل "عبدالله" من هو طاهر الآباء والأبناء

ابن الإمام "محمد ابن المرتضى عبداللطيف" سلالة الكرماء

قلت: هو العلامة الشيخ أحمد ابن العلامة الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبداللطيف، ووالد المترجم له هو الذي أخذ عنه الشيخ إمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب حين قدم الأحساء في صدر القرن الثاني عشر، رحمهم الله تعالى.

والشيخ مولانا المهذَّبُ من غدا في الفضل منفردًا عن الشركاءِ

مولى تسنَّمَ ذروة الشعرى وقد أضحى محالف رتبة قعساء

ندبٌ حوى ما عنه يعجز غيره لو جدَّ في صبح وكل مساء

شهم هو القمر الذي ما فيه من كلف وشمس معاهد النبلاء
فخر المحافل "أحمد بن محمد" من جده "عثمان" ذو اللألاء

قلت: هو الشيخ أحمد بن محمد بن عثمان. وعندنا من خط يده حاشية الشيخ علي الشبراملسي على "نهاية المحتاج بشرح المنهاج" أربعة أجزاء كبار، و"فتح الجواد بشرح الإرشاد" للإمام أحمد بن حجر الهيتمي، الجميع في فقه الشافعية، رحمه الله تعالى.

والشيخ من هو بالتقى متوشحٌ ومن الفضائل مرتدٍ برداء
الأكمل الحاوي محاسن قد سمت عن ثلب حصر بل عن استقصاء
الماجد المتفنن الورع الذي قد ساد أهل زمانه بعلاء
هو "أحمد" فرع الأجل "محمد" "درويش" ابن السادة النجباء

قلت : هو درويش العدساني المتقدم ذكره.

والشيخ نادرةُ الأوان حقيقة فردُ المعالي أورع الفقهاء
مَنْ أرضعتْهُ المكرماتُ لبانَها طفلاً فساد به على الرضعاء
وغدا خطيبَ نجيبةِ التقوى التي قالتْ: لعمرك أنت من أكفائي
ونشا بروض الزهد غصن جنابه ولقد ترعرع في مهود حياء
ترب الندى "عمر بن أحمد" نجل "عبـ ـد" الله نجل "عمير" الوفاء
والشيخ مَنْ حلَّى بإثْمد نظمه مقلَ المهارق فهي ذاتُ رواء
الماهرُ النحريرُ مفردُ عصره وجوادُهُ في حلبةِ الإنشاء

فَرْدُ الكمال "محمد" نصفُ اسمه و"سعيد" الثاني فتى العلياء
حاوي المفاخرِ نجل "عبدالله" فرَ ع "محمد بن عمير" الفتاء

قلت: هو العلامة الشيخ محمد سعيد بن عبدالله بن محمد بن عمير ذكره في "سبائك العسجد"(*) بقوله: الذي طرَّزَ الطروس بجواهر علمه، وأطرب النفوس ببديع نظمه، له الخطب البليغة، والمواعظ النافعة الأنيقة، ولد في محلة "الكوت" من مدينة "الهفوف" - عاصمة الأحساء- عام ستين ومائة وألف تقريبًا، وقرأ على مشايخ بلده، وبلغ الغاية المنشودة من التحصيل، ونظم ألفية في علم العربية، افتتحها بقوله:

الحمد لله الذي قد فتحا باب العطاء دائمًا لمن نحا

وله أشعار كثيرة في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم- وفي الزهديات، قد اطلعنا عليها عند بعض طلبة العلم، وقد أضاعوها، ولم يبق لدينا إلا قطعة واحدة في الوعظ والنصيحة، وبعد كل بيت منها نثر مسجع في معناه، وهي قوله:

ضياعُ العمرِ ميلُكَ للبطالهْ وكلُّ الخُسْرِ شغْلُكَ بالجهالهْ

من ركن إلى البطالة والدعة، ذهب عمره في غير منفعة، ومن نزل من الجهل بساحة، أضل يوم رحيله الراحة.

ورأسُ النقصِ فوزُكَ بازديادٍ من الدنيا وحبُّك أنْ تنالَهْ

(*) كتاب "سبائك العسجد" كتاب صغير يقع في (١٢٠) صفحة بعنوان: سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد، تأليف الشيخ عثمان بن سند البصري (ت في بغداد ١٢٤٢هـ) طبع في بمبي بمطبعة البيان سنة ١٣١٥هـ.

إنما الدنيا كالسراب غرَّ من أمَّ له، وخاب من أمَّلَه.

وأمـرُ النـفس يوقعُ في الـبـلايا   وسـعـيك للذي تهـوى ضـلالهْ

من كان لأمر نفسه ممتثلاً، أصبح في الغابرين مثلاً، مخالفة النفس دليل العقل وطريق ذوي الفضل إلى الفضل.

هي الـنفـس العـدو إذا تـولت   تذيـق مطيـعـهـا أبدًا وبـالهْ

من أطاع نفسه أطالت حبسه، وأظهرت بخسه.

فـيـا مملوكَ شـهـوتهِ سـريعًـا   إلى مـا حـاولتْـهُ ومـا بدا له

الجاهل مملوك لشهوته، ومقتول ببطنته، وأسير نهمته، ومن كان لقضاء شهوته سريعًا، كان للشيطان مطيعًا.

مـتى تصـحـو وتسـعـد باعـتـداد   وتلحـق أن ترد سـبـقًـا رجـاله

ألم تـأسفْ علـى زمنٍ تقـضَّـى   بسكرةِ غـفلة صـرمتْ حـبـاله

أمـد الحيـاة قريب المدى، وهو بالغفلة قليل الجدا، فمن تمادى في سكرته أخذ على وغرته، فائدة الندم قبل سكون القدم.

وكم وافـاك ويحـك من نـذيرٍ   وأخلص في نصيـحـتكَ المقـالهْ

أول نذر الإنسان شهود جنائز الأقران، وأبلغ داع للصواب مواراة الأتراب في التراب، ومن لم ينذره المشيب فليس لدائه طبيب.

وقـد أعطيتَ نفـسكَ مـشتـهـاها   ومـا استـعملت من عـقل عقـالهْ

العاقل من عقل نفسه عن المكاره بعقال الاصطبار، وهذَّبها بنار الحمية من مقارفة الأوزار.

وما نزَّهتَ شيبكَ عن تصابٍ ولا راعيتَ بالتقوى كمالهْ
وتقوى الله أعظم مستفادٍ من الدنيا لمن حذَرَ انتقالهْ

الشيب بهاء ووقار، والتصابي أوساخ وأقذار، ومن لم تكن التقوى له غنيمة كانت حسرته في الآخرة عظيمة.

فبادرْ بالمتابِ فلستَ تدري زمانَ الموت وارتقب اغتيالهْ
فما لكَ لا تضنِ بوقت عمرٍ ستبكي عند آخَره زوالهْ

من خشي العذابَ بادرَ بالمتاب ، والسماح بضياعِ الزمان دليل خسران.

إذا عرضٌ يلوحُ فأنتَ ذئبٌ وفي الطاعات أروغ من ثعالهْ
نهارك كلُّه لهوٌ ولغوٌ وليلك بالكرى تلقى انسدالهْ
وتأتي للصلاةِ بغير قلبٍ وتقضيها وأنت على ملالهْ
وتلبس في العبَاد رداء كبرٍ وقد أغفلتَ أنكَ من سلالهْ
فكن برّاً إلى الخيرات تسعى وصاحب من لديه لها دلالهْ
ودونك من مفيد القوَل نظمًا حوت كالنثر من حكم عجالهْ
وخذ صدقًا بسنة خير هاد ومن محق الضلالة والجهالهْ
"محمد" الذي هو في المعاليّ فريدٌ لم ينلْ أحدٌ كمالهْ
عليه الله بالتسليم صلَّى وعمَّ بها مع الأصحاب آلهْ

وشغل الشيخ محمد سعيد بن عمير منصب القضاء في الأحساء مدة ثلاث سنين من سنة إحدى ومائتين وألف إلى سنة ثلاث ومائتين وألف، ولم أقف على تاريخ وفاته، رحمه الله.

والشيخ مولانا الرفيع مراتبًا   من فضله قد سدَّ كلَّ فضاءِ

المرتقي أوجَ العلوم ومن له   جاد الإلهَ بسابغِ النعماءِ

الأوحد البحر الخضم ومن به   ذا العصر أصبح ذا سنا وسناء

هو "عابد الرحمن" نجل "خليفة"   ابن الأجل "نعيم" المعطاء

قلت: لم أقف للشيخ المذكور على شيء من المؤلفات أو الأشعار.

والشيخ قدوةُ كلِّ مفت جامعٌ   أشتات كل فضيلة وعلاء

مفتي الأنام فلا ترى أبوابَهُ   تخلو من الغرباء والبُعداء

ما جاءه طلاَّبُ علم قاصدًا   إلا وآب بثروة وغناء

أعني "محمد بن عفات" به   لطف المهيمن ألطف اللطفاء

وكل هؤلاء العلماء الجهابذة المذكورين في هذه المنظومة متعاصرون ومتجاورون في محلة الكوت من بلد الهفوف، أما بقية الشافعية الذين سيأتي ذكرهم في النظم، فهم في مدينة المبرز من الأحساء.

ومن علماء الشافعية المشهورين في ذلك العصر من سكنة الكوت من بلد الهفوف : العلامة الشيخ محمد بن أحمد آل عبداللطيف، ذكره الشيخ عثمان بن سند في كتابه الذي سماه "سبائك العسجد"(*) في فضائل الشيخ أحمد بن رزق الجواد المشهور في بلدة "الزبارة" من أرض قطر، فقال: « ومن الوافدين على الشيخ أحمد محمد بن أحمد بن عبداللطيف». وذكره بسعة المعرفة والاطلاع في علوم الحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان، فكان العمدة

(*) انظر : السابق ، ص ٤٤- ٥٣.

في عـصره والوردة فـي رياض مصـره، تخـرج على أبيـه وغيـره من العلمـاء الأجـلاء، والأفـاضل النبـلاء، وتأدب بهـم، وطلع بدراً في سمـاء رتبهم، وذكر أنه مـدح الشيخ أحـمد بن رزق بغرر القـصائد، ولكنه لم يذكر منها شـيئًا، ثم قال: «إن الشيخ محمـد بن عبداللطيف خـرج من بلده قـاصـداً حج بيت الـله الحـرام، فـمـر ببلد "الزبارة"، واجتـمع بفضـلائها، وتأدب به عامـة أدبائها، حتـى صار لأدباء تلك النوادي كـالعبـهر والجـادي، ثم خـرج من الزبارة إلى أرض عمـان، فلقي من سلطانه وكرمـاء سكانه الحفاوة البالغة، ثم اجـتاز في طريقه إلى مكة المشـرفة بـلاد اليمن، وروى عن أفـاضله، ثم سـار إلى مكة، وحـج ، ثم سـار إلى المدينـة المنـورة ، عـلى سكانها أفـضل الصـلاة والسلام ، ثم رجع إلى بلده الأحـساء ، ومكث فيـه سبعـة أعوام ، ثم خرج من بلده بقصد السفـر إلى بيت الله الحرام، فاجتاز ببلد الزبارة، ثم سافر إلى مكة المشرفة، وبعد فراغه من الحج رجع إلى وطنه، فكان طريقه على عمـان، فلما وصلها وافته المنية هناك، ومـات في عمان».

ولـم يذكـر المؤرخ البلد الذي مـات فيـه من أرض عمـان، وذلك سنة إحدى وعـشرين ومائـتين وألف، وله منظومة في علم تجـويد القرآن، ويوجد منها قطعة من أحكام إظهار الميم الساكنة وإخفائها، وإليك ما وجدنا من المنظومة:

الميم الساكنة

تُظْهَـرُ عـند أحـرف الهـجـاء   جـمـيـعـهـا لا مـثلهـا والبـاء

في كـلمـة تكون حين تظهـر   وكلمـتين مـثلـمـا قـد قـرروا

فـعند مـثلهـاً لهـا قـد أدغـموا   بغـنَّةٍ وهـو لهـا مـحـتَّمُ

نحـو: الوشـاةُ في قلوبهم مـرض   وعند حرف الباء الاخفـا مفترض

بغـنة كـــقـــول ربنـا عـــلا   "من يعـتـصم بـالله" فـيـمـا أنزلا

وهاكً أمـشـالي لـهـا في حـالِ   إظهـارها سـردًا علـى التـوالي

ظمـآن قـلب كنت إذ أطعـمـتني   هواك بالأمـثـال قـد ألحـقـتني

وا مـحنة العشـاق صبـرهم جفـا   ورعـيـهم يمحـو السلو والوفـا

دللـهـم خـــارق أمـــر الحـــب   وشـفَّـهم دوام فـقـد القـرب

أحـبي من هجـركم ذاب الحشـا   عطفًـا لكـم ربي ينيل مـا يشـا

هل صـــدرت مني عـليكـم زلهْ   من بـعـدكم صـرت لي المذلهْ

يمشي بي الشـوق إليكم صـادقًـا   فيـكم ضربت الدق غـربًا مشـرقا

عن الكرى ليـلاً حـجبـتم طرفي   والصـبر عنكم ظل حلف الحتف

جـمع العـدا بكم غـدي مـفـرقـا   رمـالهم في السعـد حظ بل شقـا

هل عندكم قـبل الممات مـرحمـهْ   للصبِّ أم كـلُّ رأى أن يعـدمـهْ؟

أملي لكم أخـبـار أموات العـزا   والصبـر والسلوان كي ألقى الجزا

أنعـمـن لي بالعـــذر عـاذلاتي   فـصـــرن لي يمهـدنـه في الآتي

يا فـاتني فـيـه بحسـنٍ يوسـفي   لم يأن أن تـسـمح بـالتـعـطفِ

واحرص على الإظهـار بالخصوصِ   في الواو والفا حسب المنصوصِ

فصـل
في الإظهار لبعض الحروف

والـواو عــنـد الــواو فـي الأداء　　قـد أظهـروا كـيـاء عند اليـاء

تقـــول: فـي يوم الـوداع عنـي　　سـاروا وسـار القلب إثـر الظعنِ

وأظهــروا كــذاك حـرف الحــاء　　حــالَ الأداء عند حــرف الهــاءِ

نحـو: فــسـبحــه، إذ الحلقي لا　　يدغم فــيــمــا كــان منه أدخــلا

والغين عـنـد القــاف نحــو: ربنا　　يـا ذا الجــــلال لا تـزغْ قلـوبنـا

وهي لدى العين كـمـا في قـولي:　　أفـرغْ علينـا الصبـر يا ذا الحـول

واللام في الفـعل كــمـا في: قلنا　　ونحـــوه كـــقـــوله: أرسلـنا

وعند حـرف النون نحـو: قل نعم　　وعند حرف الزاي نـحو: بل زعم

والراء فـي النون كــ أنظرنـي إلى　　وهي بحرف اللام كـ اصـبر للبلا

واللام عـنـد التـــا نـحـــو: قلـتم　　والضــاد في الظا كـ يعض الظالم

والظاء في التــاء كـمـا في قـوله　　ســبــحـــانه: وعظت في تنـزيله

وبيِّنِ التــحـريـك للهـمــزة في:　　أنشـأكم في النطق كي لا تختـفي

وأظهـــر الواو وحـــرف اليـــاء　　فـــذاك واجـب لدى الـقـــراء

إذا مع الـنون أتى كـــــلاهمـــــا　　في كلمــة وها مــثـالـي لهـمــا

يا سـاكـراً من خـمـرة الدنيـا أفق　　وعــدِّ عن بنـيــان مــا لا يتــفق

بســـتـــان طاعـــاتـك ذو صنوان　　خـــاوية فــــاســـدة القـنوان

لأنه لـو قـــيل بـالإدغـــام في   ذين لخـيـف اللبس بالمـضـاعف
وهو الذي أصــوله منهـا جـرى   في النطـق حـرف واحـد مكررا
نحـو: رمـيت الـواشي بالصـوَّان   وحــسـبـه العـرض عـلى الدّيَّان

باب الإدغام ، يعني : إدغام النون الساكنة والتنوين

وقـد أتى في اللـغـة: الإدخـال له   مـعنى ولـم تـثـبت سـواه النـقله
وفي اصطلاح قـل: هو إيصـالكا   حـرفًـا مـسكَّـنًا بمـا تحـركـا
بحـيث يسـمـعـان حرفًـا واحـدًا   في حـالة النطـق به مـشـددًا
وهو - أي الإدغـام- عنـد أربعـهْ   واثنين فـهـي سـتـة مـجـتـمـعـهْ
اليـــاء والراء ومـــيـم لام   والـواو والـنون لـهــــا تمام
ولفـظ "يرملون" جــامع لهـا   وناظم بعـد افـتـراق شـملهـا
قـالوا: وقد جـاء على قسـمين لا   غــيـر بـغنة ومـا عنـهـا خـلا

فصل في الإدغام بغنة

وذا أتى فـي أحـــرف أربعـــه   وقـد أتت مـجـمـوعـة في لفظه
يـومن أو مـنوي أو يـنمــوهـا   أمـثلتي وقس عليـهـا مـثلهـا
من يأتـني مـبـشـرًا يلق الجـزا   من والـه واف له عـــز العـــزا
وليـت لي ممـن مـــضى بـقلـبي   والروح عطفًـا مـا ورعي الحبِّ
من نار أحـشـائي فؤادي احـترق   والطرف من شـوق نما حلف الأرق

وســائر الـقــراء إلا "خـلفــا" يتـلون بالغـنة هذي الأحــرفــا
وهو يـغن المـيم والـواو فــقط وقــال: تغنين ســواهمـا ســقط

فصل في إدغام الميم والنون الساكنتين في مثلهما

أوجب لِذَيْنِ في الأدا أن يـدغـمـا في حـالة الإتيـان فـي مـثليـهـمـا
بغـنة كــ ليـس لي من نــاصــر ومالكم مثوى سوى في ضامري
وإن يكُ التـشـديد يأتي فـيـهـمـا بغنة كــاملة فـاخـصـصـهـمـا
ومــا خلت نون ومــيـم مطلقــا عن غنة أصـلاً كـمـا قـد حـقـقـا
لكـنهــا كــاملـة في القلـب مع تشــديد إدغــام وإخــفــاء وقع
ذوات نقص فـي ســوى هذا ولا يضــبـط ذا إلا شــفــاه حـصــلا
ومنهـم الإدغــام حــتـمًــا عنا في قـــوله: "مـــالك لا تأمـنا"
عليــه مـجــمــعًـا مع الإشــارة فــاحــذر إذا قــرأته إظهــاره

فصل في بيان الغنة

ودونك التــعــريـف بالغنـة في كـلامــهم لتـقـتـدي وتقــتـفي
صوتٌ من الخيشوم فـي التسكين وعــدم الإظهــار والتــبــيين
للمــيم والنون ولـو تبــيَّـنا وقــد مـضى تمثـيلهـا مـبـينا
وليس للســان فـيـهـا مـن عـمل كـمـا على ذاك من الخيشـوم دل
قـالوا: ولو مـسكـتَ منك الأنفا فــإنهــا حــينئـذ لا تلـفى
وقــدرها في المد قــالـوا: ألف وفـوق هذا لـيس فـيـهـا يعـرف

فصل في الإدغام بلا غنة

وذا بحـــرف الرا وحـــرف اللام يكـون واقـــعًـــا بـلا كـــلام

نحو: سألت القـلب من رب البها ومـهـجـة رقت فـأوحـى سلبـهـا

من ليس يدري كـيف طعم الحبِّ كـــيف يلوم شـــيِّـقًـــا للقـــربِ؟

فـــلا تجـــوز هـاهنـا الغنـة مع مــا هو مـــعـــدود له مـن التـبع

في قـــولهـم ومنه إدغـــامـــان أيضًـــا من الـغنة خـــاليـــان

إدغـــام مـــثلين وإدغـــام لما تقـــاربا في مـــخـرج كـــلاهمـــا

فصل في إدغام المثلين

علم بـأن كل حـــرف قـــد سكن في مـــــثله يـدغم لـكن لا يـغن

وإنمـــا يـــدغـــم إن لـــم يـــأت مـــديًا إذ يخـــشى من الـفـــواتِ

للـمـــدِّ كـــالبـــائين والتـــائين وحـــرفـي الكافـين والهـــائين

وغـــيـــرها من كـل مـــا تمـاثلا مما له الـتـمـــثـيل ها هـنا جـلا

نحـو: بدت تزري بـشـهب الأفق ليلـى فـشـــبـب بحـــلاها وارفق

فكانـت الأوصـاب ذاهبـة هبـــا قلت: اذهبي يشركك حزني عطبا

لم تســتطع على الفـراق صــبـرا يا قلب هل لاقـيـت شيـئًـا نكرا

تخـفي الغرام والـهوى قـد دلَّهك إذ ذهبت سعـدى لك السقم نهك

كـــفك وجـهـــه إلى مـــولاك في شـــفـــــاء دائك الـدفين المتـلف

واجـمـعـوا طرًا على الإدغـام في	واو يكـون المد عنـهـا منتـفي
سـاكنـة والفتح فـيـمـا قـبـلـهـا	آت بغـيـر غـنة في مـثـلهـا
كـقـولنا: لي قـد رثوا ومـالوا	لما لهـم مني اسـتـبـان الحـال
كـذاك في اليـاء التـي قـد سكنت	إن مع يـاء ذات فـتح التـقت
كـالكاشح العـاتـي يروم القطعـا	للوصـل إذ بالافـتـراء يـسـعى

فصل في إدغام المتقاربين

وكل مـا مـن الحـروف يقـرب	مـخـرجـه مما سـواه أوجـبـوا
إدغـامـه في الثـاني مـثل التـاء	بحـرف دال أو بحـرف طاء
والطاء في الـتـاء وحـرف الدال	في تـلك والذال بـحـرف الذال
والـذال فـي الظـاء ولام فـي الـرا	والثـاء فـي الذال بوفـق القـرا
والبـاء في الميم وحـرف الـقـاف	من كـلمـة واحـدة في الـكاف
نحـو: أجـيـبت دعـوتـي لرؤيتي	مـتيـمي إذ قـال: ضاءت طلعـتي
بسـطت مطـوي بسـاط الشـكر	والنـفس قـالـت: دام نث البـر
كـدت أطيـر فـرحـةً لما غـدا	واش يلهث ذاك كـالكلب عـدا
إذ ظلمـتني العـاذلات في الهـوى	أنسـيت قل ربي وذهني قـد هوى
قد قلت لـلصبر: ألم تركـب معي	فـقـال: لم أعلقك بي لا تـطمع
وللحـسـود لا بقـيتُ إذ ذهب	ودام مـنك الـقـلـب مملوءًا لهب
فكـلٌّ ذا خـال لدى الـقـراء	مـن غنـة فـي حـالـة الأداء
وابق في مـثل: بسطـت لازمًـا	وصفًـا للاستعـلاء مهـما أدغـما

خشية أن يشبه حرف الطاء ... بحرف تاء مدغم في التاء
ولا تقلقله فليس القلقلهْ ... جائزة في حالة الأداء لهْ

باب الإقلاب

وذاك يأتي عند حرف الباء ... ولا يرى عند سواه جائي
وهو بأن تقلب عند النون ... ميما كذا عند التقا التنوين
بغنة كأنبئ العواذلا ... بأنهم صم بهم وقر البلا
وينبغي لكل طالب عزي ... للحرص أن يكون ذا تحرزِ
من كزِّه الشفاه عند الميم ... خشيةَ تمطيطٍ من الخيشوم

وهذا ما وجدنا من هذه المنظومة الفريدة في موضوعها، أحببنا ذكرها حفظًا لها؛ لعدم وجودها، وعدم إمكان طبعها مفردة، وهي دليل واضح على مبلغ علمه، وجودة نظمه.

ومن هنا شرع صاحب النظم الشيخ محمد بن أحمد العمري الموصلي في ذكر الشافعية الساكنين في بلد "المبرز" من بلد الأحساء، فقال:

والشيخ من هو للعلوم عمادها ... وأميرها السامي على الأمراء
وبليغُ هذا العصر بل وبديعه ... ملكُ المعاني أسوةُ البلغاء
مَنْ جَرَّ فخرًا فوق هامة قسِّهمْ ... ذيلَ الفصاحة فائقَ الفُصَحاء
المصقعُ اللسِنُ الذكيُّ ومَن حوى ... شرفًا به أخنى على الشرفاء
الشامخُ الهممَ التي لا ترتضي ... بالدون بل هي منه ذاتُ إباء
الحائزُ الرتبَ الرفيعةَ سابقًا ... من حين كان بظُلمةِ الأحشاء

هو ذو العلا والمجد "عبدالله" فرع "محمد الكردي" ذو الإملاءِ

قلت: هو الشيخ العلامة **عبد الله بن محمد الكردي** الجامع بين علمي الشريعة والأدب ، ومالك خزانة لغة العرب ، ولد في "بيتوش" - وهي قرية صغيرة في منحدر الجبل المشرف على نهر الزاب الصغير من كردستان - نحو سنة ثلاثين ومائة وألف تقريبًا، وتعلم مبادئ العلوم على علماء بلده، ثم رحل إلى بغداد، وأخذ عن الكثير من علمائها، أشهرهم الشيخ عبيد الله أفندي بن صبغة الله أفندي، ثم رحل هو وعمه العلامة الشيخ محمود الكردي إلى بلد الأحساء في عام ثلاث وسبعين ومائة وألف، وسكنا مدينة "المبرز" متفيئين ظلال الجد الشيخ أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالقادر، فكان يظلهما برعايته وجوده.

ولما طاب لهما في الأحساء المقام، ولقيا من أهلها الحفاوة والإكرام وبهرهما ما رأيا فيها من العلماء الأعلام كتب الشيخ عبدالله الكردي إلى شيخه عبيد الله أفندي رسالة مطولة، هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

إني أحن إلى العراق ولم أكن ... لا من رصافته ولا من كرخهِ

لكن في "بغداد" لي مَنْ قُربُهُ ... أشهى إليَّ من الشبابِ وشرخِهِ

بأبي الذي شوقي له شوق السقيـ ... ـم إلى الشفاء أو الظليم لفرخه

أو شوقُ أعرابية حنَّتْ إلى ... أطلالِ "نجد" فارقته ومرخه

قلبي أسيرٌ عنده وقف فقل: ... إن لم يحلَّ إسارَهُ فَلْيُرْخِهِ

أهدي من السلام رياضًا تفتقت من أكمام الولاء أزهارها، وتدفقت من ينابيع الوفاء أنهارها، وسجعت بمحض الوداد أطيارها، ورقّت من رقة نسيم الإخلاص أصائلها وأبكارها، ومن التحيات نفائس تبهر النَّيِّرَيْن أنوارها، ومن الثناء ما لو لمسه مُحْرِم لأوجبنا عليه الفدى؛ لأنه باشر طيبًا، أو استنشقه مُقْعَد لراح وغدا، وقد أوتي من ماء الحياة نصيبًا، ومن الدعاء ما هبت عليه قبول القبول، وتكفل بحصول السول على الوجه المأمول، إلى من ربته العلوم في حجرها، وغذته من أفاويق درها، حتى ترعرع وبرع، فبنى بإعرابه عن مضمرات الأحكام للدين قصرًا مشيدًا، وأطلق أعنة الأكفار في اقتناص الفوائد، وقيد الأوابد، فلله ذلك الإطلاق كيف صار تقييدًا ! وقفا منهاجه فضلاء عصره، ونبلاء مصره، فهو مجازهم إلى كل حقيقة، والقطب الذي تدور عليه كل دقيقة:

جامع أشتات علومِ الورى ... فاستشهدن أقلامه تشهدِ
وما على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحدِ
كما حوى كل حروف الهجا ... بيت قصير فاستمع واعدد
جاحظ فضلٍ غوث مستصرخٍ ... هشٌّ ذكيٌّ قطب عز ندي

أعني به شمس الدين المشرقة في الآفاق، شيخ مشايخ العراق على الإطلاق، حضرة المكرم عبيد الله أفندي بن صبغة الله أفندي. أسأل الله الذي جلَّت أسماؤه، وعمَّت آلاؤه أن يبقيه مميزًا بالتفوق والتبريز، منصوبًا على ذلك التمييز، مدفوعًا حاله منصوفًا باله، على ما فيه من العدل والمعرفة عن اشتغاله بالتنازع على الدنيا المتزخرفة.

وبعـد؛ فإني منذ طوَّحت بي طوائح الاغـتراب، وأنأتني عـن شرف تلك الأعتاب، لم يزل الدهر يرمقني شزرًا، ويلحظني خزرًا، ويوسعني هَجْرًا وهُجْرا، ويمطيني غارب كل هجين،وينيخ بي على كل وجين، لا أسـري منه إلا في داج داجن، ولا أرد منه إلا على مـاء آجن، يسـومني خطة الأذى، ويقـلاني قلى المقلة للقـذى، لكنه يزاول منـي فتى شـديد الشكيمة أبيًا، ويسـتمري مني دمعًا عصيًا، لا يتعـثر مني إلا بحدٍّ صارم قضيب، ولا يعجم مني غير عود على ناب الزمان صليب، لم يحكمني - ولله الحـمـد - تصـريفه لأحـوالي، وإعـلاله لآمـالي، على ابتـذالي بالتـملق إلى والي، حـياء من قـولي الذي شـرق به الركـبان وغـرَّبوا، وأطرب أولي الألباب لما صعدوا النظر فيه وصوبوا.

لا تمددن يـدًا يومًـــا لأخــــذ يد ولو أضـرت بـك اللأواء والنوبُ
فالصـبرُ مرٌّ عـلى مَنِّ الرجال وإنٍ أربى على المنّ والسلوى الذي وهبـوا

على أن التعفف كان دأبي، وأجمل ثيابي، قبل أن أطوي برد شبابي، فكيف وليل الشباب قد انقضى، وصبح المشيب أضا.

إذا الفـتى ذمَّ عيـشًـا في شبـيـبتـه فما يقول إذا صـبح المشيب أضا؟!

بل كنت مما شـاهدت من تقلُّب الزمان بين قـالبي البرد والحـر، وتبدله من الشـر إلى الخيـر ، ومـن الخيـرَ إلى الشر ، مـغتبـطًا بالغنى ، اغتـباط المثـري بالعنا ، وأجتني مـن غصـون المنايا ثـمار المنى ، اقتفـاء لأسـلاف كـان ذلك سيـمـاهم وقليل مـا هـم ، وإني في أثنـاء ذلك - جنَّبَ الله سيـدي المهـالك، وسلك به إلى رضـوانه أحسـن المسـلك - لم آلُ في اقـتناء علم الأدب، وتتبع خفايا كـلام العرب، فخبطت من تلك الفنون الشـجـراء والمرداء، وطويت منـهـا الآهل والبـيـداء، ولم أترك منـهـا

موردًا إلا وعرجت عليه، ولا طللاً إلا وحشثت ركابي إليه، حتى صار الأدب حشو إهابي، وملء جرابي، فطفقت أصوغ من الغزل والتشبيب ما تُغَنِّي به الغواني في سهواتها، ومن الوعظ ما ترفضُّ منه مآقي العباد في خلواتها، ومن المديح، ما تندى له الصفاة الشحيح، ومن الهزل والمجون ما يطرب له العاقل والمجنون، كما قلت ملتزمًا فيه ما لا يلزم:

وكم من قليب خضخضتْهُ دلاؤنا فعاد نميرًا بعد ما كان آجنا

وليلٍ قدحنا فيه زندَ احتيالنا فصار منيرًا بعد ما كان داجنا

ولما رأيت الجدَّ لم يجد طائلاً برزت ولم أحفل بما قال ماجنا

تراني أبيع اللؤلؤ الرطب ساعةً وسود براد ساعة ومعاجنا

لحى الله دهرًا لم يزل فيَّ منشبًا لياليه من كل الجهات محاجنا

ومن كثرة شغفي في البكر والأصائل، بارتشاف رضاب الطل من ثغور أقحوان تلك الخمائل، ووفرة كلفي بالمقيل، في سجسج ظلها الظليل، كنت أتنكب عن صحبة من لا يدأب اجتناء ثمرة الأدب، ولا يتعلق من أهدابه بهدب، ولو أناف في التصوف على الجنيد[*١]، وفي التقشف على عمرو بن عبيد[*٢]، ظنًا مني أنه من أمنع المعاقل للعاقل، وأوثق الوسائل للنائل؛ اغترارًا مني بقول القائل:

(*١) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي، من العلماء بالدين، صوفي ، ضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة. الأعلام، ٢/ ١٣٧- ١٣٨.

(*٢) هو عمر بن عبيد ، شيخ المعتزلة في عصره، من الزهاد. الأعلام ، ٥/ ٢٥٢.

لا تيأسنَّ إذا ما كنت ذا أدب ... على خمولك أن ترقى إلى الفلكِ
أما ترى الذهبَ الإبريزَ مطَّرَحًا ... في الترب إذ صار إكليلاً على الملكِ

بيد أني كلما زدت في ذلك ارتفاعًا زاد حظي نقصًا واتضاعًا، كما قلت فيما بثثت فيه شجوني، قبل أن يطلع فجر المشيب من ليالي قروني:

حتى متى أرقى المعالي ولا ... أبرح من دهري في الهونِ؟
أعلو ورأسي في انتكاس إلى ... سفْلٍ كأني بيد مجنونِ!

وأصبحت الليالي تشن عليَّ الغارة بعد الغارة، وتتلاعب بي تلاعب السنور بالفارة، فأيقنت أن ذلك عقوبة ما كسبت يداي، وأنه من شؤم أدبي الذي كان غاية مبتغاي، فصار في زيادة أورثتني في العيون زهادة، وليتها كالزيادة في "الآن"، إن لم تكسبه تعريفًا فهو من تنكيرها في أمان، بل كانت كياء التصغير، الكاسية ذويها ثوب التحقير، أو كياء صيارفه، التي صارت لها صارفة، والعرب تجاهر بالدعاء على كل ماهر، فتقول للمقدام المطعان: ويلمه، ما أشجعه!، وللشاعر المجيد: قاتله الله، ما أبدعه! ولأمر ما ترى الصعوة لطائف الأزهار، وترد ما أرادت من الأنهار، والهزار في ضيق قفصه، يشكو مضض غصصه، ورحم الله العالم العلامة التفتازاني(*)، إذ يقول وازنًا بصنجة ميزاني:

طويتُ بإحراز الفنونِ وكسبِها ... رداءَ شبابي والجنونُ فنونُ!
وحين تعاطيتُ الفنونَ ونلْتُها ... تَبَيَّنَ لي أن الفنونَ جنونُ!

(*) مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، سعد الدين، من أئمة العربية والبيان والمنطق. الأعلام، ٨/ ١١٣- ١١٤.

ومع ذلك لم ألتفت يمنةً ولا يسرةً إلا وأرى ما يزيدني حسرة من تقلب أغنياء أغبياء كالنَّعَم، في بلهنية النِّعَم، وتصرف البغاث المستنسرة، في الرياض النضرة، واختيال أهل القرى، بلبس نفائس الفرا، على أنهم يتيهون بالمال، على أهل الكمال، والدهر مع الأنام كالميزان، لايرفع إلا صاحب النقصان، فلما لم تزد عليَّ أنياب الزمان إلا حدة، ومخالب المصائب إلا شدة، ألجأتني الأيام الغبر إلى مسالمة الدهر، فاستسلمت له استسلام العاجز، بعد ما كانت قناتي لا تلين لغامز، وقلت للأدب: ارحل عني ركاب البين، واجعل بيني وبينك بعد المشرقين، تبًّا لك من صارم أَكَلَ حَدُّهُ جثمانَ غمده، وثَمر عَرَّض أشجاره للرمي بالحجارة، وأصالة رأي ساقتني إلى الخطلَ، وحليةً فضل شانتني لدى العطل :

وهبك كالشمس في حسنٍ ألم ترنا نفِرُّ منها إذا مالت إلى الضررِ؟!

وأقدمت على الانتظام في سلك أغمار الناس، وطويت كشحي عن مداناة الأكياس، وجلبت دواوين الأدب، في سوق الكرب، واتخذت من التغابي جلبابًا، وفتحت عليَّ من الفهاهة أبوابًا، وأريت الناس أني أرى الصواب خطأً والخطأ صوابًا، اقتداءً بأديب معرة النعمان أبي العلاء أحمد ابن عبدالله بن سليمان، حيث يقول وقد رشقته سهام الزمان(*):

ولما رأيتُ الجهلَ في الناسِ فاشيًا تجاهلتُ حتى ظُنَّ أني جاهلُ

فوا عجبًا كم يدَّعي الفضلَ ناقصٌ! ووا أسفًا كم يُظْهِرُ النقصَ فاضلُ!

(*) ديوان أبي العلاء المعروف المشهور بسقط الزند، ص ٢٤، المطبعة الأدبية - بيروت ١٨٨٤م.

فكنت إذا سمعت مُعْرِبًا في مجلس الألباء، يقول: زيد مجرور بالباء، أتباكى، وأقول: ويح ذلك الفتى، إلى أين جُرَّ؟ ومتى؟ وما الذي جر لأجله؟ وهل يُجَرُّ الرجل إلا بيده أو رجله؟! ورأيت من يقول: عمرو مرفوعٍ، أقول: لعل ذلك شيطان مرفوع إلى السلطان. وربما أخذني المعرِب بحلمه، وأدناني؛ ليفيدني من علمه، فعلمني معنى الرفعِ، وما يقصد به في ذلك الوضع، فأقول: فما بالنا لا نقرأ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ (*١) بالرفع؟ وهل بعد إذن الله في رفعها من دفع؟ وهل بين الرفعين فارق؟ فيقول: نعم، بينهما فارق قوي، ذاك اصطلاحي، وهذا لغوي، فقلت: لقد أطلت الهراش، وكثر الظباء على خراش، هلا كسرت الفاء من "فرق" وفتحت من "لغوي" اللام، لتسلم من حمة الملام؟ ألم تقرأ في الكتاب المستبين ﴿كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (*٢) ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (*٣)، فتضحك مني تلك الطلبة، ويقولون: لله أنت! ما أظرف جهلك وما أعذبه! وتالله، إنك بطرق الجهالة أعلم من الشافعي بمسائل الرسالة (*٤)، وفي السلوك إلى الخطا أهدى من القطا، ودمت على هذا النهج آتي أهل العصر من كل فج، أتقلب إليهم في أقاليب، وأتنكر عليهم في أساليب، حتى سكنت عني تلك الهزاهز والزعازع، وصافاني المنازع والمقازع، وهشت إلي الليالي بعد اكفهرارها (*٥)، وتوطأت لي الأيام بعد اشمخرارها (*٦)، وانتبه طرف حظي بعد طول

(*١) سورة النور، الآية: ٣٦.

(*٢) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.

(*٣) سورة القصص، الآية: ١٨.

(*٤) الرسالة من كتب الإمام الشافعي في أصول الفقه (مطبوع).

(*٥) عبوسها.

(*٦) الشمخرة: الكبر، واشمخر: طال وعلا.

النعاس، ودرت عليَّ أخلاف النعـيم من غير إبساس(*١)، فصرت من يمن التغابي والتعامي لا تخطئ سهامي المرامي، فلا علي إذا أنشدت من حوك جناني ووشي بناني :

ألجـأتني الأيام لـلجـهل حـتى غـشيتني وأهل بـيتي التـهاني
فـأنا اليـوم في الأنـام أبو جـهـ ـل وعـرسـي من الهنـا أمُّ هاني

وبالجملة، فللجـهل عندي يد لا أفتر عن ذكـرها، ولا أقوم ما حـييت بشكرها، وحـال التـاريخ أنا في الأحسـاء أتقلب في روض من العـيش أريض، وأتبخـتر في برد من العـافيـة طويل عريض، بين سـادة سمـحاء يكرمون ولا يمـكرون، ويُطْعِمون ولا يُطْعَمون، وفـصحاء يـبتكرون ولا يرتكبون، ويبهرون ولا يرهبون، لا تمل مناجاتهم، ولا تخشى مداجاتهم، إلى أخلاق في رقـة النسيم، وعـذوبة التسنيم، لا تكبـو في حلبة الفـخار جيـادهم، ولا تصلد في مشاهد النوال زنـادهم، ثابت لديهم فيمـا أبتغي قدمي، مجد عندهم ما نفثه فمي ورقمه قلمي:

لا عيب فيهم سوى أن النزيلَ بهم يسلو عن الأهلِ والأوطانِ والحـشمِ

ومنذ أنخت في رحـاب أفنيتـهم، واستـنشقت من ندِّ أنديتـهم، وأنا أذيع من جمـيل صفات حضرة سـيدي ما ينفي كلف السهـر عن مآقي أهل السـمـر، ومن حـسن أخـلاقـه، وطيب أعـراقـه، وجمـعـه بين شـجـرة علمـه وثمرة عـمله ، وعـدم ازدهائـه ، بسـعـة جـاهه على أشبـاهـه ، وما فـتئ قلبي من تذكُّر منادمـته في ذهـول ، وجـسمي في ذبـول ، وزفـراتي في صـعـود ، ودمـعـي في نزول ، فـإذا ضـاقت

(*١) الإبساس: التلطُّف.

بي رحبة البلد مما بي من الكمد، برزت إلى الرياض، وذهبت في الغياض، لعلي أبلُّ من متسلسل أنهارها صدى، أو أجد على جُلَّنارها(*) هدى، فما أنثني إلا وصبري في انتقاص، ووجدي في مزيد، منشدًا ما قاله الأمين بن الرشيد :

وصف البدر حسن وجهك حتى خلتُ أني أرى وأني أراكا
وإذا ما تنفس النرجس الغضُّ توهمتُه نسيمَ شذاكا
خدع للمنى تعللني فيك بإشراق ذا ونكهة ذاكا
لأقيمن ما حييت على الشكر لهذا وذا إذا حكياكا

ويا ليت شعري، هل درى أنني أبعث إليه مع كل برق سرى ونسيم جرى، بمثل قولي الذي يملأ العين عبرا، ويصدع القلب ولو كان حجرا:

هل ترى زورةَ صبٍّ مولَّع بهواكم فترى هل فترا؟
سترى إن جئته حلف أسى فيك كم داء دفين سترا
وترى من في انحناءٍ شابه الـ ـقوس لكن في نحولٍ وترا

وما برحت من الشجي والخلي في ثوب معذرة وتعنيف ، إلى أن أتاني من جنابه الشريف - لا زالت حضرته للطلاب أخصب ريف - كتاب فحواه أرق من ماء الشباب، ومعانيه أحلى من رضاب الكعاب، لم يترك من الجزالة طريفةً إلا حواها ، ولا من السلاسة كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها، فوقفت على ما فيه من الفنون ، وقوف شحيح

(*) الجُلَّنار - بضم الجيم وفتح اللام المشددة -: زهر الرمان مُعَرَّب كُلْنار.

ضاع في الترب خاتمه(*[1])، فألفيت مجمل عقد سره، كما فصل الياقوت بالدر ناظمه، ورأيت أصداف ألفاظه تنفلق عن اللؤلؤ المكنون، كما افتر عن زهر الرياض كمائمه، فتضاعف عند قراءته على قلبي المحزون من الهم والتبريح ما الله عالمه، وكأن جفني حين بادره الدمع الهتون، كريمًا رأى ضيفًا فدرت مكارمه، فليزه كاتب لخط؛ فقد أتى بما لم يسبق إليه قط، فلقد قرر وحرر، وجمع جمع تصحيح لا مكسر، إلى حسن كتابة سخرت ألفاتها بالقدود، وواواتها بالأصداغ فوق الخدود، وسيناتها بالطرر على الغرر، وصاداتها بالعيون المكحلة بالحور، وميماتها بمباسم العذارى، وإن تركت راشفيها سكارى، ونوناتها بالحواجب، وإن أنافت على قوس حاجب(*[2])، فلا غرو أن وقعت تلك الألوكة(*[3]) من قلوب الأدبا، موقع الطل من أقاح الربى، فشكرت عند ورودها ذلك الجناب، شكر الروض للسحاب، وحمدت الله على أن أجناني ثمرة إخلاصي في ولائه، وإذاعتي لعبير ثنائه، ولقد زادني سيدي بما كتب، إجلالاً عند جحاجحة العرب، وقلدني نعمة لا أقارف كفرها، ولا أفارق شكرها، وقد أمللت بهذا الهذر جنابه الخطير، وأبرمته بما لا طائل تحته؛ لأني من أهل التقصير، لكن لا عتب على نازح، صدَّع قلبه تذكر أوطانه صدع الزجاج، وأخلى حنينه إلى إخوانه منه المزاج، ففي دماغي من السوداء ما لو صُبَّ في الفرات لانقلب نيلا، أو حمل غيري ما حملت لاندق عنقه ولو

(*1) عجز بيت لأبي الطيب المتنبي، صدره:

بَليت بلى الأطلال إن لم أقف بها

ديوانه بشرح العكبري، ٣/ ٣٢٨، طبعة البابي الحلبي بمصر.

(*2) هو حاجب بن زرارة، رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم، ووفى به. الأعلام للزركلي، ٢/ ١٥٣.

(*3) الألوكة: الرسالة.

كان فيلاً، ولولا أني كبحت طرف قلمي الجموح، وعضضت طرفي الطموح، لأفضى بي إلى عقد فصول، من جنس هذا الفضول، ومؤلفات من هذه الخرافات، فليحمد سيدي على العافية مولاه، وليعذر من ابتلاه، أدام الله لنا مكارمه التي عمت، ولم أسأل زيادتها فقد تمت». (انتهت الرسالة).

وكان مجيئه إلى "الأحساء" في العقد السابع من القرن الثاني عشر، وبقي فيها إلى عام ثمانية وسبعين ومائة وألف، ثم رجع إلى "بيتوش"، ورجع إلى "الأحساء" عام ثمانين ومائة وألف، ورجع إلى "بيتوش" سنة إحدى وثمانين. وفي أواخر سنة تسعين رجع إلى "الأحساء"، ومكث فيها إلى سنة عشر ومائتين وألف، ثم رحل إلى "البصرة"، ونزل عند الشيخ أحمد بن درويش العباسي المعروف بالكواز، وبنى له مدرسة كبيرة، فتوفي الشيخ عبدالله الكردي في البصرة سنة إحدى عشرة ومائتين وألف قبل القراءة في المدرسة، وتوفي الشيخ أحمد بن درويش قبل إكمالها. رحمه الله تعالى رحمة واسعة. وكانت إقامته في الأحساء قريبًا من ثلاثين سنة، فكان يعد من سكانها وأعلام أهلها.

وله في الشيخ أحمد بن درويش قصائد فرائد، منها هذه القصيدة العصماء أرسلها له وهو في الأحساء:

هتفتْ وُرْقُ الضحى شجوًا فهاما	وبدا البرق فأمسى مستهاما
لائمَ المغرم، دع عنك فيا	رُبَّ لومٍ زاد عشقًا وغراما
مَنْ يَلُمْ في ريم وادي رامة	هائمَ القلب فلا نال مراما
يا حمامَ الأيكِ ساعدْنَ أخا	شجنٍ لاقى من البين الحماما

كلما هب الصبا ماد[*1] كمن ... نال من صرف الطلا جامًا[*2] فجاما
من لظمآن حشى أروى ثرى ... كنفي ربع الغضا دمعًا سجاما
شاقه سكان جرعاء الحمى ... لا أقاحيها ولا ريح الخزاما
من يبعني من أويقات الصبا ... أعطه من عمري سبعين عاما
تلك أيام تولَّتْ ومضتْ ... وكأن لم نرها إلا مناما
يا سميري في ليال المنحنى ... وأخا سري من دون الأناما
أترى تصغي إلى شكوى شجٍ ... أرق أورثه البينُ السقاما
إن بالبصرة في مشراقها ... لي ظبيًا قمر البدر التماما
جاءني منه ملام بعد ما ... كنت دهرًا أرتجي منه سلاما
هتكت ألحاظه ستري ويا ... طالما كنت أرى الحب أثاما
كنت من قبل هواه ناسكا ... واعظًا معتقدًا شيخًا إماما
فغدا خلع عذاري في الهوى ... مثلاً بين الورى مصرًا وشاما
بأبي نشوان من خمر الصبا ... كقضيب البان لينًا وانهضاما
قمرٌ إن في لثاميه بدا ... بدرُ تمٍّ إن نضا عنه اللثاما
كوثريُّ الريقِ معسولُ اللمى ... جوهري اللفظِ خطيٌّ قواما
خضر العارض منه اليأس لي ... وبموسى اللحظ أوهاني كلاما

(*1) ماد : تحرك واضطرب.
(*2) الجامُ : إناء من فضة.

عـــبث يقـــتل أرباب الهـــوى	لا يبـــالـي أحـــلالاً أم حـــرامـــا
يقـــتلُ الصَّبَّ صــــدوداً وقـلى	ثم يحـيـيـه التـفـاتًا وابتـســامـا
عطرُ الأنفـــاس يغـني ثغـــرهُ	عن تعـاطي الكأس من رام مدامـا
ريقُــه مــاءُ حــيــاة مـن يـــذقْ	منه لا بدع إذا عــــاش دوامـــا
خلت أن لـو نضـــحوا منه ثرى	أول الأمــوات "هابيـل" لقــامـا
فـاقَ كلَّ الناس في الحسن كـمـا	"أحـمــد" دام عُـلاً فـاق الأنـامـا
نجل "درويش" الندى غيظ العدى	من تمطى من ذرى المجــد السناما
من يســالمه يجـــده عـســـلاً	أو يحـــاربه يـرى الموت الزؤامـــا
باسل يحــسب ضـوضـاء الوغى	صـوتَ شـاد ودمَ القــرن مـدامـا
فـي مكـر حــــرج لـست تـرى	فـيـه إلا جـثـثًـا صـرعى وهامـا
ســار إن ســار لـواء المجـد والـ	ـجـود وأقـامـــا إن أقـامـــا
ذو مــضــيف حـــسنت أفـناؤه	للبـــرايا مـســتـقـراً ومــقـامـا
قـــد روت يمناه أخـــبـــار الندى	لمســـاكـين وأسـرى ويتـــامى
عـن أبيـــــه المرتجى عن أنـس	عن بني العباس من ساسوا الأناما
وبحـــــسن الرأي كـم داهيــــة	قـد رأيناه جلَّى فـيـهـا الظلامـا!
لا ترى أنجــــزَ نيـــلاً منه إن	جئـتـَهُ يومًـا ولا أوفى ذمــامـا
مـاجدٌ فاقَ شيـوخَ العـصـر في	حلبـة الفـخـرِ وقـد كـان غـلامـا
فــتـراهم خُــشَّــعًـا أبصــارهم	حــولَ ناديه قــعـوداً وقــيـامـا

فهو كالبحرِ طمى تياره وهم كالصدفِ الملقى رُكاما

من بني العباس بسَّامٌ إذا كالحُ الجدب كسا الجوَ قتاما

كعبةُ الآمال أضحى في الندى كفُّه الركنَ ازدحاما واستلاما

كان عود المجد معوجًّا فما زال في تقويمه حتى استقاما

يا عميد البصرة الفيحاء يا من سقى جدواه غورًا وأكاما

يا بن عم المصطفى يا خيرَ مَنْ من بني العباس من ساسوا الأناما

لست في حُبِّك من يطلبْ - لا وإلهِ البيتِ - بالحُبِّ حطامًا

يعجب الروض الفتى زهوًا وإن كان لا يرعى به يومًا سواما

فاستمع مني وأقصى رغبتي في لقائيك وإن كان لمَاما

لك أشكو - لا شكوتَ السوءَ - ما عاقني عن بابكم عامًا فعاما

أثقلت ظهري بناتٌ عدَّةٌ لم أطق منها نهوضًا وقياما

وديونٌ بهظتني وحرو بٌ أوهنتْ مني العظاما

مع ما تعلم مما بيننا من موامٍ جوبُها يُعْيي النعاما

وركوب لبحار جُمَّحٍ شمس الأعمار لم تعرف لجاما

فاقبلَنْ - أفديك - عذري معرضًا عن جهول عاب معذورًا ولاما

هاكها خرعوبة[*1] رعبوبة[*2] عرفُها يحكي عرارًا وبشاما

(*١) الخرعوبة: الشابة الحسنة الخَلْق الرَّخصة، أو اللينة الجسيمة اللحيمة الرقيقة العظم.
(*٢) الرعبوبة: الجارية البيضاء الحسنة الحلوة، أو الناعمة.

أقبلتْ تعثر في أذيالها خجلاً تُبْدي حياء واحتشامًا

من بناتِ الكرد تسلي بعلها عن بنات البدو دلّاً وكلاما

فاجلها هنئتَها بل هُنِّئَتْ بك إنْ لاقت قبولاً واهتماما

عشْ كما شئتَ فقد صرتَ لنا في خطوب الدهر درعًا وحساما

ما أجادتْ حاكةُ المنظوم في وشيها للمدح بدْءً وختاما

وقال - رحمه الله تعالى - يمدح الشيخ أحمد بن درويش بعد مقدمه من شيراز إلى البصرة من أسر العجم سنة ١١٩٦:

منع الكرى طيف ألم بمرقدي وهنًا ولم يك بيننا من موعد

يا أختَ حرب كيفَ زُرْتِ وبيننا حربٌ وقودُ لظاه كلُّ مهنَّدِ

وسباسبٌ غُفْلٌ يظلُّ نسيمُها حيرانَ في حجراتها لا يهتدي

ويبيتُ فيها البرقُ دونَ مزارِنا من كلِّ مهوى موصل بمصعدِ

يسري كشعلة قابسٍ عجلاً فيصـ ـبح دوننا صردًا كزِند أصلد

أسدُ السماء يرى خفوقًا قلبه أبدًا مخافةَ ذئبِها المتوقِّدِ

والحوتُ ودَّ لو انَّهُ في الدلو من رمضائها وهجيرها المتوقِّدِ

ولغولِها زجلٌ كغمغمة علتْ من عابدي الصلبان في متعبَّدِ

بأبي مهاة قد تجشَّمْتُ السرى لأخي وداد بالغرام معبَّدِ

تختال بين دمالج وخلاخل وتميس بين مورَّسٍ وموردَّ

فأتتْ وقد أبلى الهوى مني سوى رمقٍ يُقَلَّبُ في أيادي العُوَّدِ

لم أكتحل مُذْ حال دون مزارنا أميال من سنة الرقاد بمرود
فرنت إليَّ بلحظ ريمٍ جافلٍ وحنَتْ عليَّ بعطف بانٍ أملدِ
وشفيتُ من مبرود كأس رضابها محرورَ قلبٍ بالصبابة موقَّدِ
قالت وقد بلت دموعي نحرها: ماذا فداك أبي وأسرة محتدي؟
فأجبتها: هذي لآلي عقدكِ الـ ـمنظوم ذابتْ من لظى قلبي الصدي
ثم اعتنقْنَا ليس يحجز بيننا غير التعففُّ والحسامِ المغمدِ
حتى إذا لمع الصباح كأنه شمط الذوائب في مفارق أسود
قالت وقد نفرت كمذعور المها ودموعها كاللؤلؤ المتبدد:
يا ويح مفتضح لوقفة ساعة فانهض تَزَوَّدْ من لماي وزَوِّدِ
ثم انثنت بعد الوداع كأنها مشمولُ غصنِ البان في يوم ندي
وغدت تهادى في غلائلها كما مشت القطاة إلى شريعة مورد
تمحو بسحب المرْط آثارَ الخطا عن قومها وبني أبيها الحرَّد(*١)
والوجدُ يثني عطفَها نحوي كما تثني غصونَ المجد راحةُ "أحمد"
سيلُ الندى للمجتدي، سيفُ الردى للمعتدي، نجمُ الهدى للمهتدي
شيخُ الشيوخِ سليلُ أمجاد علوا هام السماك بعزِّهم والفرقد
من كلِّ من وهبَ الألوفَ وكلِّ مَنْ آوى الضيوفَ بكلِّ عامٍ أربد(*٢)

(*١) أهل عزة وحمية.
(*٢) الربْدَة: لون إلى الغبرة، وعام أربد: متغير مغبَّر بسبب القحط والشدة.

إنْ سالموا فمن العبيرِ وقودُهم | أو حاربوا فمن القنا المتقصد
يُمْسي الطريدُ لديهم كحمامة | أمستْ ببيت للحجيج مشيَّدِ
شتَّان بين أبي المكارم "أحمد" | في الجود والبحرِ الخضم المزبدِ
فالبحرُ يُعطيكَ الغثاءَ بمدِّه | ويغيض من يمناه خالصَ عسجدِ
يعطي بلا وعد إذا ما جئتَهُ | أو قال : بعد غدٍ فيعطي في غدِ
ذو منطقٍ عذبٍ يحاكي لؤلؤًا | في سلك عقد في النحور منضَّدِ
شِيَمٌ له في المجدِ عبَّاسيَّةٌ | يغني الحساب وفيه ما لم يعددِ
يا راكبَ الورد العتيق وصا | حبَ العهدِ الوثيقِ وذا القران الأسعدِ
قد مرَّ "درويش" الندى غيظُ العدى | ربُّ الذوابلِ للنعيم السرمدي
من بعد ما وردتْ ركائبُ جوده | فينا مواردَ قبْلَهُ لم توردِ
فتأوَّدَتْ لوفاته سمرُ القنا | يا رحمتا لقوامها المتأوِّدِ
والبيضُ قد كادتْ تسيلُ جفونُها | كجفونِ بيضٍ ثم ناحتْ خُرَّدِ
والخيلُ آلتْ لا تُغيرُ لمغنمٍ | وودْن أن يفدى بها لو يفتدي
وتنادتِ الأيتامُ أين ثمالُنا الـ | ـمطْعام في أيامِ جهْدٍ مُجْهِدِ؟
مني إليه تحيةٌ مشفوعةً | بزفيرِ وجدٍ في الحشا متردِدِ
مني السلامُ لمن ثوى دار السلا | م كجاره "عبدالسلام المرشد"
وسحائب الغفران تسقي قبره | من كل هطال العزالي مرعد
ما زلت أبكيه وأشكر أنعمًا | كانت تروح إليَّ منه وتغتدي

فلك الثناءُ وكلُّ شيءٍ هالكٌ غيرَ الإلهِ الدائم المتفرِّدِ

إن فاتنا الورد البهي فأنت ما ء الورد طيب المنتدى والمنتدي

ولئن مضى الصبح المنير فما مضى إلا وخلَّف منك شمس السؤدد

أمستْ عجوزاً بعده الفيحاء ثم كسوتها ثوب الشباب الأغيدِ

وحللْتَ لما جئتَها باليُمْنِ من أجفانها القرحى محلَ الإثمدِ

فاقفوا المآثر من صنائعه التي بين البرية فضلُها لم يجحدِ

فلقد تركتَ على سبيلٍ واضحٍ من سعيه للمقتفين ممهَّدِ

إني لأشكو - لا شكوتَ - جوانحاً ملئت جوى نيرانُها لم تخمدِ

شوقي إليك كشوق صاد قائظ وقتَ الهجير لدى الفرات مقيَّدِ

أو طائرٍ مرَّتْ به طيرٌ وقد قُدَّتْ قوادمُ ريشهِ بمحدِّدِ

أو شوقِ نجديٍّ بأرض "الهند" با تَ يهيجه ذكر الغضى والفرقدِ

كم قد نهضتُ إليك ثم يعوقني نوب الزمان وسوء حظ أنكد

إني لأرجو أن أراك ولا أرى بك ما يسوؤك من شرور الحُسَّدِ

فلئن بلغتُ فذاك غاية بغيتي أو لا فكم من جاهد لم يسعدِ!

خُذْها إليك خريدة لمياءَ هيـ ـفاءَ المعاطف بضَّةَ المتجرَّدِ

كرديَّةً لكنها فاقت ظبا حَوْضى(*) بحسن نواظر ومقلَّد

فاستجلها لا أبتغي مهراً سوى حُسْنِ الثناء إذا ذُكِرْتُ بمشهَدِ

(*) حَوْضى كسكرى: اسم موضع.

لا زلتَ شمساً في السناء وفي السنا   تحظى بعمر كالهلال مجدَّدِ

وكتب وهو في البصرة سنة سبعين ومائة وألف أيام محاصرة صادق خان الزندي إلى سليمان بيك بن عبدالله بيك الشاوي(*)، بعد أن رجع إلى بغداد وقتل قاتل أبيه عمر باشا:

قل: بُشْريان ولا تقل: بشرى لنا   زال الرقيبُ وزار من أهوى أنا
ناديتُ مَنْ ضرب الخيامَ بأضلعي   حُيِّيتُمُ يا ساكنين المنحنى
أنا عبدكم ومناي أن أدعى بيا   عبدي ولكن أين لي هذا المنى؟
ولقد حنى دهري ببعدكم فعا   د كأنه ما جار قط ولا جنى
يا ليلةً بتنا بها بتعانق   والأُزْرُ لاذتْ بالعفاف من الخنا
وتلفُّ أرديةُ الهوى أعطافَنا   والعتْبُ ينشرُ بيننا شكوى الضنا
نتنازع الأقداح من مشمول سلـ   ـسال الرضاب العذب حلو المجتنى
في روضة زهيت بشوكة وردها   والورق من أوراقها تتلو الغنا
ولكم ثنيناً للغصون معاطفًا   لكن رأينا عطف هذا ألينا
والله لولا عفتي لوجدتني   صدَّقْتُ فينا قولَ أولادِ الزنا
بأبي الذي فضح الغزالة وجهه   لما تبدى والغزال إذا رنا
ويهزني ذكرى معاطفُ قدِّه   هزَّ "ابن عبدالله" أطرافَ القنا

(*) أديب من شيوخ بادية العراق، كانت لأبيه إدارة العشائر في أطراف بغداد، ثم صارت إليه بعد قتل أبيه، كان كريمًا شجاعًا. انظر : الأعلام ، ٣/ ١٩١.

أعني "سليمان" الهمام ابن الهما ... م أبا الهما[*1] حلوَ الأسامي والكنى

القائدَ الوردَ المذاكي عوَّدَتْ ... ورد الظماء نحورهن تمرنا

في ظهرِ أجْردَ صافنٍ لو رام فا ... رسُهُ الطعان مع السماك لأمكنا

سجدتْ ظِباهُ في محاريب الطلَّا ... شكرًا فمن يمناه نلْنَ تيمُّنا

من "حِمْيرٍ" فرع التبابعة الأُلى ... هُمْ حُمْرُ أطراف القنا خُضْرِ الفنا

إن حاربوا ضرُّوا وإن هم سالموا ... سَرُّوا وإنْ هُمْ فاخروا شادوا البنا

وأبوه من بالأمس تُبْدِي عنده ... غلب المصاع تذلُّلاً وتمسكنا

العزُّ يشأمُ إن أتى شاماكما ... يُلْفى يمانيًّا إذا هو أيمنا

في سابريٍّ من نقيِّ العرْضِ ما ... وجد المطاعِنُ فيه يومًا مطعنا

فهو العصامي العظامي الذي ... بوجودِهِ وجدودِهِ زانَ الدُّنى

يأوي الطريدُ إلى منيعِ فنائِهِ ... لوذ القناة بركن "شابة" أو "فنا"[*2]

والبرق حاكى عزمَهُ لما سرى ... في زعمِهِ لو كان ذاك لما ونى

قد كاد يحكي البدرُ غُرَّةَ وجهِهِ ... ثم انثنى وكأنَّهُ ما مُكِّنا

فلذا اكتسى ثوبَ الخجالة والضنى ... أو ما ترى فيه انخناسًا وانحنا؟!

يا غاديًا طرْفي يشيمُ بروقَهُ ... يا جائيًا بقدومِهِ زال العنا

"بغدادُ" قد طربتْ بيُمْنِ قُدومكُمْ ... فاهتزَّ منها ما تناءى أو دنا

(*1) الهماء : العقاب

(*2) القناة : بقرة الوحش. شابة وفنا: جبلان.

يا باسلاً يوم الكريهة باسمًا والخيلُ يقصرُ خطوها قصر القنا
والبيض تُغْمد في الطلا مغلولةً والسُّمْرُ تُرْكَزُ في الكلى ولها انثنا
والسيدُ يعشيه القَتامُ فلم يسر إن لم يُبِنْ برق السنان له السنا
علَّمْتَ آسادَ الشرى إقدامَها وصفاتكَ الغر الورى غر الثنا
يا كعبةَ الآمالِ لستُ بجاحد جدواك لا والراقصاتِ إلى منى
ولقد ذكرتُكَ والصفاحُ نواهلٌ منا وأطرافُ الوشيجِ تنوشنا
بيني وبينك من أسنَّة فارس هَدَأَ النسيمُ مخافةً أن يُطْعَنا
هُزَّتْ لنا صمُّ الكعوبِ توعُّداً من كلِّ من خافَ الإله ومن خنا
لكنَّ ثأرًا أنت من طلابه وبنو أبيك الغرّ يُدْرك هيِّنا
خُذْها إليك خريدةً كرديةً ما قابلت بان النقا إلا انحنى
من بيتِ مَنْ قعدتْ به الأيامُ وهـ و إذا أراد القول قال وأحسنا
جاءتك بهكنةٌ (*) تضمَّنَ مرطُها بدر الدجنة منك لاقت بهكنا
تزري بآرام الصَّريمِ لواحظًا وتُريكَ إن وافتْكَ ذلك بيِّنا
فاسلمْ ودُمْ غُصْنًا وَريقًا يانعًا ثمراتُهُ لمن استظلَّ أو اجتنى
لا زلتَ في درج المعالي صاعدًا تختالُ في بردِ السلامةِ والهنا

وقال في الجناس اللفظي التام:

علوتُ بحبِّهم وشُهِرْتُ فيهِ فأمري في الهوى عالٍ وعالن

(*) الشابة الغضة السمينة، أو التامة الخَلْق الحسنة.

بَأَى تيـهـًا علـيَّ وبان عـني　فـدتْهُ الروح مـن باءٍ وبـائنِ[1]
أيمحن بالصدود وقد مـحاني　هواه فـآهِ من مـاحٍ ومـاحن!
وهى جلدي وقـد وهـنت عظامي　فـهـا أنا في الهـوى واهٍ وواهن
ركـبت من الهوى طرفًا وصرفًا　شـربت فذاك لـي صافٍ وصافن
أقـام بمهجـتي وسطا عـليهـا　فـيـا ويلاه مـن عـادٍ وعـادن!
ولـم يشـقِ المسـامعَ والمآقـي　لنـا من بعـده شـادٍ وشـادن
غـرامي كـان قـبل النأي شـختًا　خـفـيًّـا فـهـو ذا بادٍ وبادن[2]
يخـاشنني ويخشى الله زعـمًا　ولم يُرَ قـبـله خـاشٍ وخـاشن
فـيا مَنْ قـد زكـا خُلُقًا ويدري　مناي فُـديتَ مـن زاكٍ وزاكن
أصِخْ لضـن ولاه غـريم شـوق　أسـيـر في يـدي داءٍ ودائن
ألا سـقـيًا لربع كـان فـيـه　لديك ومنك ذا جـاهٍ وجـاهن
أتكمـن كـامـيًا تبـغي رداه　فـمـن ينجيـه من كـامٍ وكـامن
أقـام ببـابكم يرجـو التـفـاتًا　فَـرِقَّ لمغـرم راجٍ وراجن

وقال يمدح سعدون بن عريعر حاكم الأحساء:

أماطتْ لثامًا عـن عقود الجـواهر　وأبدت شموسًا في ظلام الغدائرِ
وطافتْ بكأسِ الراح مشـرقة السنا　من الخرَّدِ البيض الحسانِ السوافرِ

(١) بأى: افتخر
(٢) شختًا: ضعيفًا.

مهفهفـةٌ في قالبِ الحسن أُفْرِغَتْ هي الشمس قد أعيتْ عيونَ النواظرِ
فـتـاةٌ من العين الغـواني تفـرَّعَتْ إذا مـــا تغنَّـتْ أبطـلت بالمـزاهر
رشـيقـةُ قدٍّ كـاعبٌ قد تضـاءلتْ لدى حـسنها كلُّ المهـاءِ السوافـرِ
تميلُ كـغصنِ البـان حرَّكـه الصبـا إذا التـفـتَتْ أودتْ عيـونَ الجـآذرِ
لهـا في فـؤاد المسـتهـام مـراتعُ بهـا كـل عـرَّاص المحبـة مـاطر
يشنِّفُ أســمـاعَ المحـبين لفـظُهـا إذا نطقتْ أحـيتْ قتـيلَ المحاجـر
بعيدةُ مـهوى القرطِ صافـيةُ الطلا بديعـةُ حـسنٍ كـالنجـومِ الزواهرِ
زوتْ نحوها الألبـابُ وهي غريرةٌ وطلَّتْ دِمـا أحـبـابهـا بالـبـواتر
عــجـبتُ لآســادٍ تذلُّ لظبـيـةٍ من الآنسـاتِ الغـانيـات الغـرائر
كفى باقتناص الأُسْدِ فـخرًا لحسنها إذا فخـرتْ بالحسن عند العـشائر
ولكنَّ فـخر السـابق المجد مـجده مليك العلا "سعـدون" أنهى المفاخر
مليكٌ به الملـك اسـتقـامت قناتُهُ وطالتْ يداه واكـتـفى عن مظاهر
له دانَ من شطَّتْ به الدارُ والتجى إلى ظلِّه مـن داهيـات الـفـواقـر
إذا حلَّ دست الملك أشـرقَ بالسنا وطاع لـه بالأمـــر كلُّ الأكـــابرِ
يشنُّ على الأعـداء غارات نصـرِه فـتحـصدُهُمْ بـالمرهفاتِ القـواهر
إذا ركبَ الخـيلَ الجـيــادَ مظاهرًا تدهـده عنـه كلَّ قـــرنٍ مظـاهرِ
لَهُ عــزمــاتٌ في الأمــورِ ثواقبُ خـبـيرٌ بـأفعـالِ الملوكِ الأكـاسـرِ

جِباه المعالي قد سجدْنَ لعزِّه إذا ما تجلى في أجلِّ المظاهرِ
توسَّط من شمِّ المكارم منزلاً تقاصرَ عنه كلُّ بادٍ وحاضرِ
وأخمد نارَ الفقر عمن لهيبُها أضرَّ به بالجائزات المواطر
حليمٌ عن الجاني ولكن بقدرة صفوحٌ عن الزلاتِ غير مبادر
هُديتَ استمعْ إن البلاد تفاقمت بها فتنٌ عظمى كحرِّ الهواجر
تقطَّعتِ الأسبابُ من أجل كثرها وحارتْ بها ألبابُ أهلِ البصائر
فأطفأها المولى بمن هو قائمٌ على كلِّ حالٍ بامتثالِ الأوامرِ
رفيعُ العلا قاضي الشريعة من حمى بعزِّك دينَ الحق عن كلِّ جائر
فأصلحَ ما كان الفساد معطلاً بعدلكَ يا عين الملوك الأكابر
فلا انفك من مولاك نصرك دائمًا على الضدِّ من بادٍ ومن كل حاضر
ولا زلتَ في حفظ الإله وحرزه تحاط من الأسواً ومن مكر ماكر
فيا أيها القَيْلُ(*) الرفيعُ مقامُهُ إلى شكرِ مولاكَ المهيمن بادر
وكن طائعًا لله فاعلَ كلِّ ما به عنك راضٍ تلتقي بالبشائر
وإياك والظلم المشوم فإنه يقصِّرُ أعمارَ الملوكِ القياصر
وكن ناصراً دين الرسول مؤيِّدًا أولي العلم علم المصطفى بالمحاضر
مطيعًا لما قال الرسول مخالفًا مقالَ مُضلٍّ بالخداع مخاترِ

(*) القَيْل: الملك.

تَنَلْ في غـد أعلى مقـام مجـاوراً شفيعَ الورى المختارَ شمسَ المفاخرِ

عليـه إله العـرش صـلّى مُـسَلِّمًـا بكلّ أوانٍ مــا همـى قطْرُ مــاطرِ

كــذاك على آل وصـــحـب أجلَّة حـمــاة لدين المصطفى بالـبـواتر

وما قـال صبٌّ مغـرم القلبِ هائمٌ أماطـتْ لثامًا عـن عقود الجـواهرِ

وقال - رحـمه الله - مجيـبًا عن الجد الشـيخ أحمد آل عبـدالقادر على قصيدة بعثها إليه بعض المحبين، وتشتمل على عتاب:

هُمُ الحـواسـدُ إرجــافٌ وإفـسـادُ يا رَبُّ لا عــاش نَمَّـامٌ وحَـسَّـادُ

لا عيش إلا الهـوى لولا التنغصُ من سـعي الوشـاة وللأشيـاءِ أضـدادُ

لم يبلغـن مـغـرمٌ من حـبِّـه أمـلاً إلا وجذُّوا حبالَ الوصل أو كادوا

ولا رأوا من مَـعين الودِّ صـافـيـةً إلا لـهم ثـمَّ إصــــــدارٌ وإيـرادُ

سـقـيًــا لأيامنا اللاتي لنـا سلفتْ بالواديَـينِ وللأوقــاتِ إســعــاد

حـــيث بـذات الأيك ترشَّـــفـنا طلّاً له في جوى الأحشـاء إخماد

أيام تُسْـعـدُ سـعـدى غـيـر باخلة ولا ينهــــهنهـا عـــذلٌ وإيعــاد

تســري إليّ ونارُ الحيِّ خـامــدةٌ وتنثـني ولنجـمِ الصُّـبحِ إيـقــادُ

أغـازلُ الريمَ منهـا وهو ذو حـور وأعطفُ الغـصنَ منهـا وهو ميَّـادُ

وأشرب الكأسَ من معسولِ ريقتها ممسَّك الـعـرفِ لـم تمزجْـهُ أنكاد

حتى عــدتْ بيننا للدهـر عـاديةٌ والدهـر قدْمًا بشتِّ الشملِ مُعتـادُ

نأى بآنســة الحــيَّينِ لا بعــدتْ إفك الوشـــاة فــتـأويب وإسْــآد

بثت إليَّ عتابًا وهي نازحةٌ ... كعقد درٍّ تحلَّتْ منه أجيادُ
أو روضة من رياض الحزن زاهيةٌ ... تهشُّ من نشرها المسكيّ روَّادُ
كأنها الخُلْدُ فيه الطيرُ ساجعةٌ ... وحورها زهرُ غصن وأوراد
وذاك من زُخْرفِ القول الذي سمعتْ ... ممن لهم عن طريق الحقِّ إلحاد
لا كنتُ إن صدقوا ممن عنتُّ لهم ... من شامخ العز والعلياء أطواد
ولا انتميتُ لأسلافٍ لهم ضربتْ ... فوق السماكين أطناب وأوتاد
أما درتْ أنني من لم تدبَّ له ... عقاربٌ وحسانُ الخلق لي عاد
أفي لخلِّي في حالي رضا وقلى ... سيَّانِ مقتربٌ عندي وإبعاد
ما حدتُ عن شِيَمي الغر التي شهدتْ ... أهلُ الهوى لي بها يومًا وإن حادوا
فما لها وهي أدرى بي تصيخ إلى ... قومٍ عدا دارهم حلمٌ وإرشاد
هلا أبت كإبائي عن زخارفهم ... يوم الثنيةِ إن قلُّوا وإن زادوا
راموا خداعي بما كدوا وما ظفروا ... والصبُّ عن عذل العُذَّال صدَّادُ
يا أختَ سعد سقى داراً حللت بها ... مزنٌ يزجِّيهِ إبراقٌ وإرعادُ
قاسيتُ فيكِ معاداتِ الغواة لهم ... عليَّ حشو الحشا ضغن وأحقاد
هواي حيث تحل اليعملات(*) بكم ... وليس للقلب عن مغناك مرتاد
في القلب مني كما تهوينَ صدق هوى ... وفي الحيازيم للأشواق ترداد
عندي إذا لم أشم منكم بروقَ رضاً ... لا الشام شامٌ ولا بغداد بغدادُ

(*) جمع يَعْمُلَة: الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة.

والله ما ملْتُ عن نـهجِ الغرامِ بكم غـيـري من الناسِ للسلوانِ ينقـادُ
بئس الخليلُ الذي يغـويه عن طُرُقِ الـ ـوفـــاء للخل أنـذالٌ وأوغـــادُ
عُـدول دعوايَ أجـفانٌ مـجرَّحـةٌ لي من يزكِّـيـهـمُ همٌّ وتسـهــادُ
فـليـتَ قـلـبكِ فـي جـنـبي آونـةً لتــعلمي حــال من أضناه إبعــاد
يا من نأتْ بفؤادي حينما وخدت بهـا المطايا وللأنفـاس تصــعـاد
قضى الإلهُ بما أمضى فهل لكِ في شـــاكٍ تمادى فــملّـتْ منه عـــوّادُ
بي منكِ ما لو غـدا بالصمِّ لانصدعتْ أو بالجِــبـالِ لـســالتْ مـنه أوهادُ
عودي فلا زلتِ بالإحـسانِ عائدةً على الكئيـبِ فخيـرُ الناسِ من عادوا

وقد قـدمنا في ترجمة الجـد الشيخ أحمد بن عـبدالله آل عبـدالقادر جملة من أشعاره مدح بها الشيخ أحمد المذكور.

ذكر مؤلفاته(*):

الأول: "كفاية المعاني بنظم أحرف المعاني" نظمها سنة ١١٩١هـ، وأهداه للشيخ أحـمد بن عـبدالله بن عبـدالقادر، وصدَّرها بمـدحه، وعدد أبيـاتها ستمائة واثنان وسبعون بيتًا، طبُعت بـ"إسلامبول" سنة ١٢٨٩هـ.

وشرحها شرحًا مطولاً سماه "الحفـاية بتوضيح الكفاية" في سبعمائة صفحة تقـريبًا، واستشهد فيهـا بسبعمائة آية قرآنية، وتسـعمائة وثمانين بيتًا لغيره، وبخمسة وسـتين بيتًا له، وتـم الشرح في أول يوم من شعبان سنة ١١٩١هـ . ثم اخـتصره في شـرح سماه: "صـرف العناية بكشف الكفاية" سنة ١١٩٨هـ ، ويقع في خمسـمائة وثلاث وأربعين صفحة. وهو موجود عندنا.

(*) انظر – أيضًا – عن مؤلفاته: شعراء هجر، ص ٥٥- ٥٦.

وله منظومة سماها: "حديقة السرائر في نظم الكبائر"، وهي سبعمائة وعشرون بيتًا. وشرحها بشرح سماه "طريقة البصائر إلى حديقة السرائر"، وفرغ منه سنة ١١٩٥هـ، ويقع في خمسمائة صفحة.

ونظم "مكفرات الذنوب" في تسعة وأربعين بيتًا، وشرحها شرحًا سماه "المبشرات بشرح المكفرات" في أربعين صفحة.

"الكافي في نظم العروض والقوافي"، "تحفة الخلان في الألغاز النحوية"، منظومة في "المؤنثات السماعية"، "المصادر الشاذة"، "خصائص الأسماء"، "بيان علامات الأفعال"، "تعداد الحروف من الآحادية إلى الخماسية"، "بيان الأفعال التي أتت واوية ويائية"، "منظومة في الأفعال التي استوى فيها اللزوم والتعدي"، شرح هذه المنظومة، "منظومة في مثلثات الأسماء والأفعال"، شرح هذه المنظومة، وله حاشية على "شرح الفاكهي للقطر" وحاشية على "البهجة المرضية شرح الألفية". رحمه الله، وغفر له، وشرح "مقصورة ابن دريد" شرحًا وافيًا. وأكثر هذه المؤلفات لم تكن موجودة في الأحساء.

قال الشيخ محمد بن أحمد بن العمري الموصلي:

والشيخُ سيِّدُ كلِّ ندبٍ قد غدا	متصدِّرًا في العلم للإقراءِ
حبرُ الأفاضلِ والأماجدِ خيرُ من	يُنْمَى لفهمٍ ثاقبٍ وذكاءِ
من قد ربا في حجر كل نجيبةٍ	وغدا سليلَ السادةِ النجباءِ
هو عابدُ الرحمنِ نخبةُ أحمدَ	واطي مفارقِ هامةِ الجوزاءِ

تاج الأئمة، نجل عبدالقادر آل مرحوم وهو **الشيخ عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله آل عبدالقادر**، وقد مرت ترجمة والده -رحمهم الله-. ولم تقف على

شيء من آثاره، ولا تاريخ وفاته، ولكنه لم يتجاوز النصف الأول من القرن الثالث عشر.

قال العمري:

والشيخُ حائزُ كلِّ فضلٍ شامخ زاكي الخصال وقامع الأعداءِ
الطاهر الأخلاق والشيم التي عن كلِّ نقصٍ وصفها متنائي
سامي المقام "محمد" من أصله "عبدالعزيز" سلالة الحنفاءِ
يُنْمى لـ "عبد القادر" الممنوح في يوم القيامِ منازلَ السعداءِ

هو **الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن محمد آل عبدالقادر**، تولى القضاء في الأحساء سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف. قال في "سبائك العسجد": إنه رحل إلى البصرة، وكان السيد محمود الرديني قد بنى فيها مدرسة ذات بهجة ونضرة، وجملها بالكتب الفقهية والحديثية واللغوية، وكان أول من تصدَّر فيها وقرر، وجلى حالك الأبحاث وحرر، الشيخ محمد بن عبدالعزيز آل عبدالقادر، فقام بوظائف التقرير، والبيان والتحرير، وأوضح مناهج الإرشاد، والتيسير والإمداد. ولما مضت عدة أعوام توجه إلى بيت الله الحرام، ولما قضى المناسك وحل من الإحرام، فاجأه الحمام، فبقيت بعده لا يولج لها باب، ولم يُفْتح لها سفر ولا كتاب، ولم تحرر سنة وفاته. رحمه الله، وغفر له.

فهؤلاء كلهم شافعية المذهب، فكان المبرز منهم آل عبدالقادر، والشيخ أحمد بن محمد المصري، والشيخ عبدالله بن محمد الكردي، والباقون يسكنون بلد الهفوف، رحمهم الله، وغفر لهم.

قال العمري:

هذا وأمـا منهم حنفـيـةٌ ما بين تدريس وبين قـضـاء
فـثـلاثةٌ لا غـيـرَ أول عـدهم من فـاق أهـل زمـانه بتـقـاء
حامي الشريعـة عن تلاعب مارقٍ ولحـوق إخـلال من الجُـهَـلاء
المخلـص الأعـمـال منه لـربه من شـوب عُـجْبٍ أو قـبيحِ رياء
هو "أحـمد بن مـحمد" مَـنْ جَدُّهُ "شلهـوب" الكرَّارُ في الهـيـجـاء

ولم نقف على شيء من آثاره العلمية، وفي مدينة الكوت مدرسة تعرف بالشلهوبية، يتولى التدريس فيها آل الشيخ أبي بكر الملا.

ثانيـهم المولـى الذي هو مـقـصـدٌ للناس مـن حـضـر ومن غـرباءِ
ذو الفضل من مَدَّتْ عليـه رواقَها كلُّ العـلوم فـقـال في أفـيـاءِ
قاضي القطيف "محمد ابن فتى الندى عـمـر" النبـيل الماجـد "الملاء"
والثـالث الشهـم الأجل أخـوه من هو "عـابد الرحـمن" ذو الجـدواء

وكل هؤلاء الثلاثة يسكنون مدينة الكوت من بلدة الهفوف:

والمالكـيـة نحـو أربعـة وهم شـيخُ الأنام وقـدوةُ العلـمـاءِ
القانت السجَّـاد في غسق الدجى والمتـقـي لإلهـه بحـيـاءِ
ومـراقب المولـى تعـالى شـأنه في حـال شـدَّتـه وحـال رخـاء
شـيخُ العلوم "عـلي بن حـسين بن كـثـير" الصبَّـار في البـأساءِ

وجدتُ له أبياتًا نظم فيها دماء الحج، فقال:

كلُّ دمـاء الحـج سـيـقت أربـعـهْ أقـسامـهـا فـهاكـهـا مسـتـتـبعـهْ

منذورُ هديٍ إن معينًا حظلْ　　الأكل منه إن لمسكين جُعِلْ
من غير تقييدٍ وفديةُ الأذى　　إن لم تكن مسوقة هديًا كذا
وما به أطوع من هديٍ فله　　ذا الحكم إن عين فيه الأكلهْ
وفديةٌ إن جعلت هديًا معا　　جزاءَ صيد منهما الأكل امنعا
بعد محلٍّ وكذا ما ضُمِّنا　　من نذرٍ ان آكله معيَّنا
والنذرُ إنْ عُيِّنَ دون من له　　ومثله تطوُّعٌ أسجله
فالمنع إن قبل المحل عطبا　　إذ منهما الإبدال ليس موجبا
وما سوى ذي من دما الحج فلا　　منعَ بل الجواُز فيه مسجلا
والنذرُ إن لم يكُ مضمونًا ولم　　يعيَّن المصرف ذا له انحتم

وله هذا اللغز :

يا مقتدى ذا العصر يا فاضلاً　　سما فلن ترى له من شبيه
ويا إمامًا فاق أقرانه　　وصار يُدْعى بينهم بالنبيه
أيَّ إمامٍ لا يصح أقتدي　　به بكل الفرض يا ذا الفقيه؟
أفِدْ جزاك الله أكرومةً　　ويسَّر البرَّ بما تأتليه

الجواب له :

الحمدُ لله وصلى على　　محمد وصحبِه مع ذويه
أقولُ : ذا مستخلفٌ فاتَهُ　　قبلَ الدخول بعضَ ما أُمَّ فيه
فلا بِهِ يصحُّ أن يُقْتَدى　　حيث يقوم للقضا يا فقيه

هذا جــوابي مع قـصــوري وإنْ تجـد خطا فـاسـمـح ولا تزدريه

ونظم الحالات التي تصح فيها صلاة من في بطنه خمر أو أكل شيئًا نجسًا :

أربع حــالات لمن قــد أدخــلا جـوفَهُ كـالخـمرِ فـخُـذْهُ مجـتلى
فــمـن به دری ولا مــضــرهْ وهو على إخــراجــه ذو قــدرهْ
صــلاتُـهُ باطـلةٌ مــدة مــا يرى ببطنه بقـا مـا حُـرِّمـا

قلت: ومنه يؤخذ أن من احتاج حاجة ضرورية إلى إدخال دم أجنبي في عروقه أنه جائز، وتصح معه الصلاة لحاجته لذلك، وعدم تمكنه من إخراجه. قال الشيخ رحمه الله :

وشــاربٌ ظَـنَّهُ غـيـرَ خــمــر أو كـان في إقـدامـه ذا عــذر
وهو عـلى أن يتــقــايا قــادرْ في صـحـة الصـلاةَ خلفٌ ظاهرُ
وجـوب قيء هكـذا أو حكم من إقـدامـه عـمـدًا مع العلم ولن
يقـدر أن يُخْـرجَـهُ فـالظاهرُ صـحـتُـهـا وإن أصـرَّ الفـاجـرُ
والرابعُ العـاجـزُ عن قـيءٍ وقـدْ أَقْـدَمَ مـضـرورًا أو العلمَ فَـقَـدْ

ولم نقف على تاريخ وفاته، إلا أنه لم يتجاوز النصف الأول من القرن الثاني عشر، رحمه الله.

والسيِّـد السند المهذَّبُ من عـلا هام السـمـاك وكـان بالغـبـراءِ
الخـاضعُ الأوَّاهُ ذو العلم والحـجـا وأجلُّ مَـنْ يُدْعَى مـن الكُبَــراءِ
فـرع الرسول محـمـد وكـفى به شــرفًــا له يُـغْني عـن الإطراء

حامي الشريعة "عابد الرحمن" من هو نجل "أحمد" دامغ الأعداء
وهو "الزواوي"الذي شرفتْ به أيام هذا العصر في "الأحساءِ"

وقد مرت له قصيدة عصماء، مدح بها الجد الشيخ أحمد بن عبدالله آل عبدالقادر، مطلعها:

ما بال سلمى لا تُنِيلُ وصالا وتهزُّ للهجر المرير نصالا

ذكرتها بأجمعها في ترجمة الجد ، رحمهما الله تعالى، ورحل سنة عشر ومائتين وألف بأهله إلى مكة المشرَّفة، وتوفي هناك رحمه الله تعالى ، وكان من سكان المبرز.

والشيخُ رحلة طالب الشرفَينِ من علم وزُهْد مع ندى ووفاءِ
من كان "مالك" عصره في فقهه ولذاك يُدْعَى سيِّدَ الفقهاءِ
المتقِنُ المتفنِّنُ البحرُ الذي هو قد طمى يجري بأعذبِ ماءِ
"عيسى بن مطلق" الإمام لكلِّ ما في بلدة "الأحسا" من الفضلاء

هو **الشيخ عيسى بن عبدالرحمن بن مطلق**، ضرير البصر، من سكان بلد المبرز من الأحساء، يحفظ صحيح الإمام البخاري بأسانيده، ومن نظمه قوله:

تطالبني بجمْعِ الكتب نفسي ففيها لذَّتا بصري وسمعي
وكتبُ السنة الغراءِ منها لها في القلب وقعٌ أيُّ وقعِ
فقلتُ لها: الدفاترُ ليس تحصى وما رُمْتيه يقصر عنه وسعي
بلى شرح الإمام القسطلاني أميلُ إليه من جدي وطْبعي

إذا ظفـــرتْ به كــفَّــاي يـومًــا ظفـــرتُ بمفـــردٍ يأتـي بجـــمعِ

ومن نظمه: جوابه على السؤال المعزو لـعز القضاة ابن المنير المالكي، وهذا نص السؤال:

ألا فاسألوا ذا الفـضل من كان بارعًا وفي العمـر أفنى عمـرَهُ باشتـغالهِ

عن المرء يوصي قـاصداً وجـهَ ربِّه لزيدٍ بمـا سـمَّـــاهُ مـن ثلثِ مـــالهِ

فـــإن يكن الموصى له مــتـمـــوِّلاً دفــعنا لـه الموصى به بـكمــــالهِ

وإن كـــان ذا قلٍّ وفـقـــرٍ وفـاقـــة حـــرمناه ذاك المال فـــارث لحـــالهِ

أيُحـرم ذا فـقـر ويـعطاه ذا غنى؟ لعمـرك ما رِزْقُ الفـتى باحتـيالهِ!

فـلا تعـتـمـدْ إلا على اللهِ وحـدَهُ ولا تســـتنـدْ إلا لعـــزٍّ جـــلالهِ

الجواب للشيخ عيسى ، رحمه الله :

لئن كان أهلُ العـلم أقْوتْ ديارُهم وأوحشَ ربعُ الفـضل من بعـد آلهِ

وليس يجيبُ الصوتَ فيه سوى الصدى ولا يـبـصرُ الصـادي سـوى لمعِ آلهِ

فللدهـرِ من بعـد المـنام انتبـاهةٌ لرفعِ نبـيـه بعـــد سـترٍ كــمـالهِ

فلمـا رأيتُ الوقتَ أعوزَ من فـتى يلبِّـي لداعٍ في جــوابِ ســـؤالهِ

أجبتُ وعند المحْلِ يُرْعَى هشـيمه ويشـــربُ ملْح الما لفَــقْــد زلالهِ

فـقلتُ، وقـولُ المرءِ مظهـرُ عـقله يعـــزُّ به أو مــقـــتـضٍ لابتـــذالهِ

مُكَاتِـبُ بعضِ الوارثين لفـــقـــره يؤولُ لمـولاه انتــــفـــاعٌ بمـالهِ

فـــإبطاله لا لاهتـــضـــامِ جنابِهِ ولكن لعـــدلِ الميْتِ بـين عـيـــالهِ

فأكْـرِمْ بشرعٍ شرعِ أكْـرَم مُرْسَلٍ! تَمَـسَّكْ بـه تُسْـعَـدْ بنيـلِ وصـالهِ

وتوفي - رحمه الله تعالى - في صدر القرن الثالث عشر.

قال العمري:

والسيِّدُ الشيخ الذي هو قد صـفا لإلهـه في الخـيـر والـضَّـراء
العـمـدة الروض الذي بثـمـاره في العلـم شـبـه الروضـة الغناء
قـمرُ الجـهـابذة الذي هو مشـرقٌ ومنـيـرُ هذا الـوقت بالأضـواء
نهـرُ الوفاء "مـبـارك بن عليّ" الـ جـالي بمـاء علومـه لـصـدائي

هو العـلامة **الشـيخ مـبـارك بن علي الغنام** من سكان المبـرز، وهم تميميون مالكية المذهب، وقد تخرج منهم عدة علماء، ومنهم:

العلامـة الشهيـر الشيخ حسـين بـن أبـي بكـر بـن غنـام ، صاحب "روضة الأفكار فـيما كان في نجد مـن الأخبار"(*)، وله أيضًا: "العـقد الثمين فـي أصول الدين"[1]، لـه اليـد الطولى في علوم العربيـة ، نقله الإمام سعـود بن عبدالعزيز إلى "الدرعيـة" في وقت نهضتهـا العلمية، وتخرج عليه كـثير من علماء "نجـد" وغيرهم. وله أشعار كـثيرة، أودع تاريخه كثيـراً منها ، وله قصيدة في مـدح جد المؤلف الشـيخ عبد اللـه

(*) الصـواب أن اسم هذا الكتـاب "روضـة الأفكار والأفـهام لمـرتاد حال الإمـام وتعـدد غـزوات ذوي الإسلام".

(١) وهذا الكتاب مـفيد، ولكن المصنـف -رحمه الله- طغى قلمـه، وزل قدمه في مـسألة القرآن، وسلك فيهـا مسالك الأشعرية، وقد نبه عليـها تلميذه الشهيـد الشيخ سليمان بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبـدالوهاب، وجوابه مشهور عند أهل العلم. كما وقع في كتـاب "التوضيح عن توحيـد الخلاق"، المنسوب للشـيخ سليمان بن عـبدالله نسبة غـير صحيحة، فإنه لعبدالله بن غريب، الذي تزوج بنت الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والذي وقع فيـه قوله: «وهو تعـالىَ كان ولا مكان، وهـو على ما كان قـبل خلق المكان»؛ فـهذا إنكار للاستواء على العرش بعد خلق السموات والأرض. "ابن مانع".

ابن الشيخ أحمد آل عبد القادر، ذكـرناها في ترجمة الجد رحمه الله ، وقصـيدة يرثي بها إمام الدعـوة الشيخ محـمد بن عبدالوهاب ، وله غـير ذلك، وتوفي -رحمه الله- عام خمسة وعشرين ومائتين وألف.

الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عفالق[(١)]:

العلامة الشـيخ محمد بن عـبدالرحمن بن عفالق الحنبـلي، تفقَّه في الأحساء، وكـانت له معرفة في عدة من العلـوم، وممن أخذ عنه الشيخ محمد بن فيروز[(*)]، ويقال: إن له مؤلفًا في فقه الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- وله كتاب سماه "سلم العروج في معرفة البروج". وكان الشيخ محمد بن فيروز ممن اشتُهِر بمعاداة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إمام الدعـوة، ورحل إلى العراق، وتوفي بهـا سنة ست عشـرة ومائتين وألف، ودفن بمقـبـرة الزبير، ولـم نعـثـر له على شيء من المؤلفـات إلا منظومة في علم الفلك.

الشيخ عبدالوهاب ابن الشيخ محمد بن فيروز :

قال في "سـبائك العـسجد": أخـذ العلم عن والده، وبلغ مع صـغر سنه من العـلـم غـاية فنه ، حـقق وألف ، ووقـف البـحـوث ووصف ، وصـدع بالحق ومـا توقف، رحل إلى البـصـرة، وحصـل له فيـهـا أتم الشهرة، وولاه ثويني بـن عبدالله -رئيس بني المنتفق- زمـام أحكامها،

---

(١) لصاحب الترجمة (ابن عفالق) ترجمة وافية في "السحب الوابلة" دلَّت على فهم جيد وعلم واسع. وللمتـرجم شرح بعض "غاية المنتـهى" في الفقه، تأليف الشـيخ مرعي بن يوسف الكرمي رحمه الله ، كما شرحها غيره، ولكن لم يكمل سوى شرح الرحيباني، وقد طبع في ستة مجلدات على نفقة صاحب السمو الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني. "ابن مانع"

(*) هو الشيخ محـمد بن عبدالله بن محـمد بن عبدالوهاب بن فـيروز، من وهبة تميم، نزح جده من أشيقر إلى الأحسـاء، وفيها ولد هذا الشيخ، وكف بصره وهو ابن ثلاث سنين. انظر: روضـة الناظرين لمحمـد بن عثـمان القـاضي، ٢/ ١٧٦- ١٧٨، وانظر: سبـائك العسجد لابن سند، ص ٩٣.

وعرى حلها وإبرامها. ولما انعـزل ثويني عن ولاية البصرة انعزل الشيخ عن القضاء، ورجع إلى بلدة الأحساء، ومات فيها بعد أشـهر معدودة من مقـدمه، وذلك سنة مائتين وألف، وله حـاشية مـعتمـدة على شرح "المقنع" موجودة في بلاد نجد[1].

الشيخ عبدالعزيز بن صالح آل موسى:

مالكي المذهب، قال في "سبائك العسجد": قرأ الأدب وهو ابن عشر، وبرع فيه حتى ضاع مـنه النشر ، تأدب على الشيخ راشد بن خنين[*1] ، والشـيخ عبـدالله الكردي[*2] ، والشـيخ محـمـد بن عبـداللطيف[*3] الأحسائيين ، وغـيرهم ، له نظم هو السحر الحلال مـشتمل على الحكم والأمثال ، وتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف .

وهو من أسرة آل موسى المعروفين في بلد المبـرز، وقد اشتهر منهم بالعلم والعمل: الشيخ سالم بن حسين، وابنه الشـيخ عبداللطيف، وابن ابنه الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف، وقد حضرت بعض مجالسه على صغر. وكان الشيخ عبـدالرحمن المذكور فقيهًـا متواضعًا عالمًا بسـيرة رسول الله -صلى الله عليـه وسلم- وفتـوحات أصـحابه، له معـرفة بالبـلدان وصفاتـها، وله قصيدة رقيـقة نظمها تعزية للشيخ عبـدالله بن علي آل عبدالقادر، لما تبين أن زوجته كانت أخته من الرضاعة ، وهي هذه القصيدة:

---

(١) الحاشية التي بيد طلبة العلم من الحنابلة لعبد الوهاب بن محمد بن فيروز على "شرح الزاد" للشيخ منصور البهوتي، وقد وصلٍ فيهـا إلى باب الشركة، وله حاشية على "شرح المنتهى" للشـيخ منصـور ، ولـم تكمل ، جردهـا من هوامش الشرح مـحمد بن حـميد صـاحب "السـحب الوابلة" ، وعبـدالوهاب بن فيـروز سكن بلد "الزبارة" من بلدان "قطر"، ومـات فيها. إهـ "ابن مانع".

(*١) انظر: سبائك العسجد، ص ٢٣، وانظر ص ٢٦ عن ترجمة راشد بن خنين.

(*٢) انظر: سبائك العسجد، ص ٣٤ عن ترجمة الكردي.

(*٣) انظر: سبائك العسجد، ص ٤٤ عن ترجمته.

الصبرُ يُحْمَدُ في العواقبِ للفتى   والعبدُ يرضى قسمةَ الرحمنِ
والمرءُ في الدنيا الهمومُ تصيبُهُ   فتكون تمحيصًا لعبد جانِ
والمتَّقُونَ يُزَادُ في أقدارهم   أهل الصفا والودِّ والعرفانِ
فلذا يُزَادُ على التَّقيِّ بلاؤه   لينالَ ترجيحًا لدى الميزانِ
فاصبرْ لنكباتِ الزمان ولاقها   بالجدِّ والتسليمِ والإيمانِ
كم كان إلفٌ فاتَهُ مألوفُهُ   فاعتاض إلفًا مثلَ غُصْنِ البان!
خلفًا من الربِّ الكريم أثابَهُ   ليبلَّ حرَّ الواله الظمْآنِ
ولكم لطائف للإله بخلقه   فتبارك المولى عظيمُ الشانِ
تجري الأمور على إرادة ما يشا   قد قُدِّرَتْ في سابق الأزمانِ
فشؤون يبُدْيها لنا لا يبتدي   جلَّ العزيزُ مدبِّرُ الأكوانِ

فأجابه الشيخ عبدالله آل عبدالقادر بقوله:

أهلاً بزائرة وَفَتْ موعودها   وشفَتْ غليلَ متيَّمٍ حرَّانِ
جاءت تهادى في غلائلِ سندس   تمشي الهوينى مشيةَ السكرانِ
كالشمس حُسْنًا والغزالِ ملاحةً   والبانِ في ترف وفرط ليانِي
قالت: تعزَّ عن المآلف كُلِّها   يبقى الإلهُ وكلُّ شيءٍ فانِ
هذي رياضُ الحسنِ مني فاقتطفْ   ما شئت من ورد ومن رمَّانِ
وإذا ظمئتَ فموردٌ مستعذبٌ   وإذا جنيتَ فكلُّ غصنٍ دانِ
واسمع عليها كلَّ نغمةِ ساجعٍ   يصفُ الغرامَ بألطفِ الألحانِ

يا بنتَ عشر أنتِ أخطبُ من مضى بالـغتِ في وعظـي وفي سلـواني
إن كنت صــادقــةً بما حــدَّثـتني فلســوفَ أُلْـقِي في يديك عـناني

وقد أجاز المترجم له الشيخ السيد محمد علي ظاهر البغدادي المدني المالكي بجمـيع مروياته من الحديث والتـفسير والفـقه في المدينة المنورة عام عـشر وثلاثمائة وألف، وتوفي الشـيخ عبدالرحـمن آل موسى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، رحمه الله تعالى.

وممن اشتهـر بالعلم، وتولى القضاء في الأحسـاء في النصف الثاني من القرن الثـاني عشر الشيخ محـمد ابن الشيخ حسين الـعدساني، ثم ابنه الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ مـحمد، ثم ابنه الثاني الشيخ حسين ابن الشـيخ محـمد العـدسانـي، وفي عام مـائتين وألف كان القـاضي الشيخ مـحمد ابن الشـيخ عبدالرحـمن ابن الشيخ مـحمد العـدساني، رحمه الله تعالى.

ذكر أعلام القرن الثالث عشر

الشيخ أبو بكر ابن الشيخ محمد ابن الشيخ عمر الملا الحنفي مذهبا :

ولد بالأحساء في اليوم الثاني من ربيع الثاني سنة ثمان وتسعين ومائة وألف.

توفي والده وهو صغير، وتربى في حجر والدته، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، وتفقه على عميه الشيخ عبدالرحمن والشيخ أحمد ابني عمر الملا، وقرأ على عدة مشايخ من أهل الأحساء، منهم حسين أبو بكر، والشيخ عبدالله بن حمد الجعفري، من بيت الجعافرة المعروفين في بلد الهفوف، المنسوبين لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتحصل على معرفة تامة في النحو والفقه والفرائض والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق، وتلقى علم الأخلاق والسلوك على الشيخ حسين الدوسري الشافعي البصري ثم المكي، وأجازه كثير من المشايخ في العلوم التي تلقاها منهم من تفسير وحديث وأصول وفروع، كالشيخ السيد محمد الفاسي، والشيخ عبدالله بن سالم البصري ثم المكي، والعلامة الكبير الملقب بالأمير المالكي المصري الشهير ، وله مؤلفات كثيرة ، وأكثرها مختصرات ، منها: "إتحاف النواظر بمختصر الزواجر" ، "الأزهار الناضرة بتلخيص كتاب التذكرة"مختصر شرح ابن رجب على الأربعين النووية". تلخيص سماه "هداية المحتذي في شرح شمائل الترمذي" لخصه من شرح العلامة المناوي، وله منظومة سماها "منهاج السلاك" جمع فيها شرائع الإسلام ومكارم الأخلاق، وكتاب "بغية الواعظ في الحكايات والمواعظ"، ولخص شرح العلامة الشيخ أحمد

القسطلاني على "صحيح البخاري"، سماه "إرشاد القاري لصحيح البخاري"، وصل فيه إلى "ما يحذر من الغضب من كتاب الأدب"، ولخص منظومة "الهاملية" في فقه الحنفية، وله "نخبة الاعتقاد" وشرحها "منجي الرشاد"، "وتحفة الأخيار بمختصر الأذكار" للإمام النووي، "والزهر العاطر بتلخيص صيد الخاطر" لابن الجوزي، و"حادي الأنام إلى دار السلام"، لخص فيه "حادي الأرواح إلى ديار الأفراح" للإمام ابن القيم، وله "قرة العيون المبصرة بتلخيص كتاب التبصرة" لابن الجوزي.

وقرأ عليه جماعة من أهل الأحساء، منهم: الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن ابن الشيخ محمد سعيد بن عمير، والشيخ سعيد ابن الشيخ عبداللطيف ابن الشيخ محمد سعيد بن عمير، وعبدالله ابن الشيخ محمد بن عبداللطيف، والشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان، وعمر بن أحمد ابن الشيخ عبدالله بن عمير، والشيخ حسين بن عبدالله ابن حسين بن فلاح، والشيخ أحمد بن عبدالرحمن بن عرفج، والشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عمير، والشيخ محمد بن أحمد بن عرفج، ومحمد ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ عمر الملا، والشيخ عبدالعزيز ابن الشيخ عبدالرحمن بن نعيم، والشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن عمير، والشيخ علي ابن الشيخ محمد آل عبدالقادر.

ومن غير أهل الأحساء: الشيخ عبدالله المزروعي العماني، والشيخ سالم بن علي بن نوح العماني، والشيخ عبدالطيف بن عبدالمحسن الصحاف، من أهل البحرين، والشيخ راشد بن عيسى من أهل البحرين، والشيخ عبدالله بن هجرس المالكي النحوي.

وكتب له الجد الشيخ عبدالله ابن الشيخ أحمد آل عبدالقادر أبياتًا يعاتبه مع فضيلة الشيخ عبدالله ابن الشيخ أحمد آل عبداللطيف في خروجهما إلى "عين نجم" للاستجمام والاستحمام، ولم يشعراه بذلك:

يا "عينَ نجم" فــقت آبارَ الحـــسا ... بحــرارة وبخــار مـاء يـصـعــدُ
ونزاهـة ونظافـــة في مـــائهـــا ... والمدحُ فيَّ أوصــافــهــا يتــزايدُ
لكنني أشكو الجـفـا من سـيِّـد ... فـاقَ الأنامَ وفـضلـه لي يشـهـد
نجلُ الكـرام السـادة الغـرِّ الألىً ... لهم المفــاخـر والعــلا والسـؤدد
بحـر العلوم وحَـبْـرُها ومـفـيـده ... وأبوه من حـاز المكارم "أحـمـد"
"الشيخ عبـدالله" ذو الفضل الذي ... بهـر السـماكَ وغـارَ منه الفـرقـد
سرتُم إلى العين الـتي شرفتْ بكم ... وتضـاءلتْ منها الـعيـونُ السهَّـدُ
وتركـتـموني مـثل قـيس هائمًـا ... من وجــده فـأنا المحـبُّ المُبْـعَـدُ
هلاَّ بعــثـتُم للـمـشـوق رســالةً ... يحـيا بهـا القلبُ الشَـقيُّ ويسعـدُ
لكن لي فـيمـن مضى من أسـرتي ... أهل الفـضـائـل أسـوة لا تجـحـد
ستــرون بعـدي أثرة لا تحــزنوا ... والصبر في بعـض المواضع يُحْمَدُ
وصـلاة ربي والسـلام على الذي ... لولاه مــا قــال المؤذِّنُ: أشــهــدُ

فأجابه الشيخ أبو بكر بهذه المقطوعة:

يا نجلَ أربـابِ المكارمِ والحـجــا ... ومـفـاخـر في غـيـرهم لا توجـد
أنت الذي حزتَ الفضائلَ والنهى ... والحلمَ والعلـمَ الذي هو مـرشـد
وردتْ إليَّ رسـالةٌ مـن سـوحكم ... نظمٌ بـديعٌ في البــلاغــة مـفــرد
تتــضـمَّنُ التــفـنيـدَ لـلخلِّ الذي ... هو في هواكـم شـوقُــهُ يتـجــدَّدُ
هلا عـذرتُـم إذ عـذلتُم مغــرمًـا ... من عـــذلكم زفـراتُه تتـصـعَّــدُ
إني - وحقِّكَ - هائـمٌ في حبِّكم ... هذا وسـيـمـاء الصـبـابة يشـهـد

لم لا وأنت سلالة الأنصار مَنْ نصروا لدين الله فيه وجاهدوا
مع ذا وحبُّهم علامة مؤمن بالله جا ذا في حديث يشهد
ما زال قلبي جانحًا لوصالكمً أبدًا ونيران المحبة توقد
هذا ولما منّ ربي باللقا زال العنا وأتى الهنا والمقصدُ
لولا موانعُ دهرنا لترادفتْ مني إليكَ زيارةٌ وترددُ
دُمْ سالمًا في خفض عيش مخضل محروس ذات مجدُها لا يفقدُ
ثم الصلاة مع السلام على النبي والآل ما ناحً الحمام يغرِّدُ

وتوفي الشيخ أبو بكر -رحمه الله- ليلة التاسع والعشرين من شهر صفر سنة سبعين ومائتين وألف هجرية.

الشيخ أحمد بن علي بن حسين بن مشرف :

هو العلامة الفقيه، المحدث المتقن، الشيخ أحمد بن علي بن حسين ابن مشرف التميمي المالكي الأثري السلفي، ولد بالأحساء، وأخذ العلم عن جماعة من علمائها، منهم: الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام، ونظم رسالة أبي زيد القيرواني في فقه مالك[1].

---

(١) وقد شرح نظمه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني أحد علماء البحرين، وهذا الشرح مقبول عندهم، وقد أطلعني عليه مؤلفه رحمه الله . وللشيخ أحمد بن مشرف منظومة في مسألة الطلاق نذكر منها ما يلي ، قال رحمه الله :

يا سائلي عن رجلٍ قد طلَّقا زوجته وبالثلاث نطقا
بلفظة واحدة قد جمعا مرتكباً محرَّماً مبتدعاً
ثم أتىَ مستفْتياً ليرجعا فالحكمُ أن يضربَ ضرباً موجَعاً
لأن ذا الطلاق منه بدعي وبائن في الشرع غير رجعي
فمن أباحه له ومن أحل أفتى بلا علم فضلً وأضل
فاصدع بأمر الحقِّ واترك الجدل فما على فتوى الجهول من عمل

انتهى من ديوانه. "ابن مانع"

وله ديوان شعر مطبوع متداول، يشتمل على منظومة سماها "جوهرة التوحيد"، وفيه نظمه لعقيدة ابن أبي زيد القيرواني، "والشهب المدمية في الرد على المعطلة والجهمية"، "ونغمة الأغاني في عشرة الإخوان"، تشتمل على الأدب والسلوك ومدائح في الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله السعود وابنه عبدالله، وقد مر في القسم الأول من هذا الكتاب كثير منها، ومنه قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي هذه[1] :

باتَ ساهيَ الطرفِ والشوقُ يلح	ولبحرِ الدمعِ من عينيه سفحُ
ليتَهُ أطفأ نيرانَ الهوى	حين أضنى مهجتي منهن لَفْحُ
عاذلي، بالله كن لي عاذرًا	ليس مَنْ يشرب كأسَ الحبِّ يصحو
وإذا لم تدرِ ما سرُّ امرئٍ	فانظرِ الحالَ ففي الأحوال شرح
حبُّ "طه" المصطفى دينٌ لنا	فلقلبيَ في بحور الشعر سبح
"أحمد" الهادي إلى سبل الهدى	كم بدا منه لأهل الأرض نصح!
هاشميٌّ قرشيٌّ طاهر	حسن الأخلاق زاكي الأصل سمح
جاء بالدين الحنيفي وقد	طبق الأرض من الإشراك جنح
فانجلى الشركُ وولى مدبرًا	وعلتْ للدين آطامٌ وصُرحُ
وبه الرحمن قد أنقذنا	من لظى منها لأهل الكفر لفح
هو خير الخلق طرًا وبه	للنبيين جرى ختم وفتح
وهو في يوم الوغى ليث عدا	وهو في يوم الندى غيث يسح
لم يكن كيدُ العدى هائلَهُ	أيهول الضيغمَ المقدامَ سرْحُ؟!
كم له من موطنٍ فيه ارتوى	من دما أعدائه سيفٌ ورمْحُ!

(١) ديوانه، ص ١٩ - ٢٢، عناية عبدالله بن إبراهيم الأنصاري- إدارة إحياء التراث الإسلامي في دولة قطر، ١٩٨٦م.

كل من حاربه دانَ له بعد أن أثخنتْهُ قتلٌ وجرْحُ
جاءه الكفار في أحزابهم ليزيلوا شرعة الحق ويمحوا
فرماهم بالصبا ربُّ السما ما شفوا غيظًا ولا للزند قدح
وله صحب كرام همُّهم لدم الكفار في الهيجاء سفح
لا يروا فخرًا إذا نالوا ولا جزعًا إن نالهم في الحرب قرح
فهُمُ الأنصار للدين لهم أبدًا في نصرة الإسلام كدحُ
بذلوا الأنفسَ والأنفَس من مالهم لله ما ضنوا وشحُّوا!
برسول الله قد نالوا العُلَى وبه تم لهم نصر وفتح
دونكم بعض مديح المصطفى من مقلٍّ ما له في الشعر فسح
قد حكتْ قافيةً حاويةً لابن فروخ مديحًا فيه شطح
كلُّ مدحٍ لم يكن في المصطفى فهو إخبار بشيء لا يصح
وأنا أرجو به النفعَ إذا ألْجَمَ الناسَ من الموقف رشحُ
فعسى عفو من الله به يغفر الله خطايانا ويمحو
فاغْفِرِ اللهمَ ذنبي كلَّه واسترِ العيبَ فلاَ يبديه فضح
وأجب ربي دعائي إنه لقضاء الحاج مفتاح ونجح
وصلاة الله مع تسليمه ما جرى فلك له في اللجِّ سبح
أبدًا يهدى إلى خير الورى من له في كتب الرحمن مدح
أحمد والآل والصحب ومن لهم يقفو على الإثر وينحو

ما حدا بالعيس حاديها وما أطرب السمعَ من الساجعِ صدحُ

وتولى القضاء في الأحساء في آخر أيام الإمام فيصل بن تركي، وأول أيام ابنه الإمام عبدالله، وتوفي -رحمه الله- سنة خمس وثمانين ومائتين وألف.

الشيخ عبد الرحمن[1] بن محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن مانع بن إبراهيم بن حمدان بن مانع الحنبلي الوهيبي التميمي :

كان عالمًا فاضلاً كثير الاشتغال بالعلم، وكتابته، أخذ العلم عن أبيه الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع، وجده لأمه الشيخ العلامة الشهير عبدالله ابن عبدالرحمن بابطين العائذي، والشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وابنه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن.

هاجر من بلد "شقراء" إلى "الأحساء"، واستوطنها، وولاه الإمام عبدالله بن فيصل القضاء في بلد "القطيف". وجرد حاشية جده الشيخ عبدالله بابطين على "المنتهى" في فقه مذهب الإمام أحمد رحمه الله . وتوفي في بلد الأحساء سنة سبع وثمانين ومائتين وألف[2]، رحمه الله.

وأما والده الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع فهو العالم الجليل، والحبر النبيل. أخذ العلم عن العلامة عبدالعزيز بن عبدالله الحصين الناصري، وعن العلامة الشيخ عبدالله بابطين، وتزوج ابنته، ولِدَ ببلد "شقراء"، واستوطن بلد "عنيزة"، وتوفي بها سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف، وهو جد الشيخ محمد ابن عبدالعزيز بن محمد بن مانع، وقد ذكرنا ترجمته في القسم الأول من التاريخ.

---

(١) وله ترجمة وافية في "عقد الدرر" للشيخ إبراهيم بن عيسى، وكذلك ترجمة للزركلي في "الأعلام". الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع له ترجمة في "السحب الوابلة"، وكذا في "عقد الدرر"، وهو أول من سكن "عنيزة" من حمولة المانع، وذلك في حدود ١٢٥٠هـ مائتين وخمسين وألف.

(٢) صوابه "أشيقر" ثم انتقل إلى "شقراء". أخبرنا الشيخ عبدالرحمن بن عودان الذي تولى قضاء "عنيزة" بأمر الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - أن الشيخ محمد ابن عبدالله بن مانع هو إمام جامع شقراء حين قدم إليها إبراهيم باشا.

ذكر الأعلام الذين جمعوا بين العلم والأدب من رجال صدر القرن الرابع عشر

هم كثيرون. ذكر صاحب "شعراء هجر"(*) جملة منهم، ولكن اخترنا أن نذكر في هذا التأليف الذين امتازوا بجودة الشعر، ونقاوة ديباجته، وسلاسته وانسجامه.

الشيخ عبدالله ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالله ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالقادر الأنصاري الخزرجي البخاري الشافعي السلفي :

ولد في بلد "المبرز" من "الأحساء" سنة سبعين ومائتين وألف، وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وقرأ على جده ووالده علم التفسير والحديث والفقه وعلم العربية، وقرأ على الشيخ محمد بن غنام في علم الفرائض، ثم رحل إلى بلد "الكوت" من الهفوف والأحساء، وقرأ على العلامة الشيخ حسين بن فلاح، والعلامة العابد الزاهد الشيخ محمد بن أحمد بن عمير، ثم عاد إلى "المبرز" وعكف على العلم والتعليم. وكان والده يشغل منصب القضاء في بلد "المبرز" حسبة بغير مقابل، وبعد وفاة والده قام بوظيفة القضاء حسبة حتى توفي. وقد أخذ عنه جماعة كثيرون من أهل الأحساء ومن غيرهم :

(*) هو الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو. توفي -رحمه الله تعالى- سنة ١٩٩٤م، وهو مؤلف كتاب "شعراء هجر من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر"، نشر دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

فمن أهل الأحساء: ابن عمه **الشيخ عبدالرحمن بن صالح بن عبدالرحمن آل عبد القادر** ، فكان من العلماء الأجلاء، كثير العبادة والإحسان هو ووالده رحمهم الله تعالى ، وتوفي في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وألف في شهر رمضان المبارك، وفي ليلة وفاته كان يقرأ قوله - تعالى - : ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (*١)، حتى يبلغ إلى قوله - تعالى- : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (*٢) ، ثم يرجع إلى أول الثمن الذي بدأ به، وفاضت نفسه، وهو يقرأ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾. وقد عرف عنه واشتهر أنه كان يؤم الناس في صلاة التراويح سنين كثيرة، لم يغلط في قراءته، وكان يختم القرآن في صلاة التروبح، ولم يؤثر عنه أنه سها في صلاته.

وممن أخذ عنه العلامة **الشيخ صالح بن محمد السعد**، كان فقيهًا في مذهب الإمام الشافعي، عارفًا برجال المذهب، وتاريخ حياتهم، وشيوخهم، عالمًا في النحو والتفسير، وتوفي وقد جاوز الثمانين من عمره، ولم تنقص حافظته.

وممن قرأ عليه من أهل الأحساء : أخوه أحمد ابن الشيخ علي آل عبدالقادر، والشيخ محمد بن عبدالله بن عرفج - المتوفى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وألف- وابنا أخته السيد عبدالرحمن ابن السيد أحمد بن

(*١) سورة طه ، الآية: ١١١.

(*٢) سورة طه ، الآية: ١٣٢.

هاشم، وأخوه السيد عبدالله، ومؤلف الكتاب محمد بن عبدالله آل عبدالقادر، فقرأت عليه في فقه الشافعي شرح ابن قاسم على متن أبي شجاع، وشرح الخطيب الشربيني المسمى "الإقناع على أبي شجاع"، و"شرح التحرير" للقاضي زكريا، و"شرح المنهج" للقاضي زكريا، و"فتح الجواد شرح الإرشاد" لابن حجر الهيثمي، وفي علم العربية "شرح الآجرومية"، و"قطر الندى" لابن هشام، و"شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك".

وممن أخذ عنه من غير أهل الأحساء: الشيخ يوسف بن عيسى القناعي مؤسس النهضة العلمية ببلد الكويت ، وإخوانه داود وسليمان ، والشيخ أحمد العدساني، والشيخ عبدالرحمن بن حسين العوضي الكويتي، وكان فقيهًا أديبًا شاعرًا، وتولى القضاء في بلد القطيف، وبلد الجبيل، ثم رجع إلى الكويت، وتولى القضاء بمنطقة الأحمدي بلدة الكويت، والشيخ أحمد الصومالي، والشيخ محمد الباطني من أهل عمان.

كيف يقضي يومه؟

كان يصلي الصبح، ويجلس في مصلاه حتى تطلع الشمس، وترتفع، فيقوم ، ويصلي ركعتين ، وينصرف إلى بيته ، وبعد قليل يخرج إلى المدرسة الشرقية الكائنة بفريق "السياسب" (قلت: قد اشترتها البلدية، وأدخلتها في الشارع توسعةً له، وذلك في شعبان سنة ثمانين وثلاثمائة وألف) ، فيقرأ درسًا عامًا في تفسير الإمام البغوي رحمه الله ، وكلما ختمه أعاده ، ثم يذهب إلى المدرسة الثانية في فريق "العتبان" ببلد المبرز، ويقرأ فيها شرح الإمام القسطلاني على صحيح البخاري، وكلما ختمه أعاده. وبعد الفراغ من الدرس يقرِّأ التلاميذ في الفقه والعربية، ويفصل في الخصومات بين الناس، ويوقِّع على الوثائق المحررة في الأحكام والبيوع وسائر المعاملات ، ثم يرجع إلى بيته ، فإن كان في الوقت سعة استقبل زائريه أو زار بعض

أقاربه، وكـان لا ينام في النهـار، ويخرج إلى صـلاة الظهر في الهـاجرة، وبعد الصلاة يرجع إلى بيته، ويشتـغل بقراءة القرآن، والمراجعة والمطالعة في سائر الفنون. وبعد صـلاة العصر يشتغل بالذكـر والأدعية الواردة في أذكار الصباح والمساء حتى تغرب الشمس، ثم يخرج إلى صلاة المغرب ، ويصليها ، ثم يرجع ، ويصلي نافلة المغرب في بيتـه . وبعد تناول العشاء يشتغل بقراءة السور المرغَّب في قـراءتها كلّ ليلة، وهي سورة السجدة ، ويس ، وحم الدخان، والواقعة ، وتبـارك الذي بيده الملك، ثم يخرج إلى صـلاة العشـاء، وكان قليل النوم فـي الليل؛ إذا وجد النعـاس اضطجع، وإذا ذهب عنه جلس يقـرأ القـرآن حـتى يدركـه النعـاس، ثم يقـوم إلى تهجده حين يبقى ثلث الليل إلى أن فارق الدنيا. وفي ذلك يقول:

ولولا ثلاثٌ هُـنَّ من لذَّة الفـــتى ... وحقِّك لم أحفلْ متى قامَ عودي(*)
سـيـاحـةُ قلبي في رياضِ أريضـة ... من العلم مـجتازًا علـى كلِّ مورد
وتسـبـيـــحنا لله جلَّ جـلالهُ ... عشـيّاً وبالإبكـارِ في كلِّ مسـجدَ
وترتـيلُ آيـاتِ الكتــــابِ مـنوِّرًا ... بها جـوفَ ليلي في قيام تهـجدي

وكان في مجالسه العامة كـثير الإرشاد، وبيان هدي الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهدي السلف الصالح، والترغـيب في كثرة العبادة. وإذا حـاضر أرباب الأدب كـانـت له الصـــدارة والمعرفـة الواســعـة بالأدب والأدباء والشعـــر والشعـراء، وكـان قليل حـفظ الشـــعـر، ويقــول: إنشـــاء الشـعر أيسر عـليَّ من حفظه. وكان كـثـير الصمت والوقـار، تعلوه المهـابـة والإجلال، قـليل الحـركـة وإن طال جلوسـه،

(*) هذا البيت مقتبس بكامله من معلقة طرفة بن العبد. انظر : ديوان طرفة ص ٣٢، وفيه: فلولا... والأبيات معارضة لأبيات طرفـة بن العبد. وانظر: شعـراء هجر لعبدالـفتاح الحلو، ص ٢٧١.

كثير استعمال الطيب والتجميل، قصير القامة، حنطي اللون، واسع الجبين، حسن العينين، أقنى الأنف، كثّ اللحية، تشفُّ قصائده عن شاعرية فذَّة، وأسلوب رائع، وخيال واسع الأطراف، رحب الأكناف، متعدد الصور والألوان. وتوفي -رحمه الله- في الليلة الرابعة من جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف.

وللشاعر المذكور في الغزل باع واسع، وشأو بعيد. وإليك ما اخترنا إيراده في هذه الترجمة، فمنه قصيدة أنشأها جوابًا على قصيدة أرسلها الفاضل الشيخ حمد ابن الشيخ عبداللطيف المبارك رداً على من عذله في مجاورته بمكة المشرفة، واشتغاله بعبادة الله، وتركه للدنيا وتجرده منها(*):

خيالٌ سرى لي من بلاد بعيدة	لشدِّ الأواخي والعهودِ القديمة(١)
تخطَّى رقابًا في طلابي كثيرةً	لإرغام واشينا وردِّ التحيَّة
ويسألني بالله لا تنسَيَنَّني	ومن أين للظامي تناسي الأحبَّة؟!
فيا زائرًا أنعمت بالي بقربه	قليلاً فلما سار ودَّعْتُ مُهجتي
لك الخير عاودني ويا عيني اهجعي	ولا تسأمي -يا عين- من طول هجعتي
لهوتُ به ليل التمام وللدجى	علينا ستورٌ سابغاتُ الأظلَّة
ضجيعَين ضَمَّ الشوقُ منا مفارقًا	تفوح علينا بالعبير المفتَّت
نفضُّ خواتيمَ السرائرِ بيننا	لفيفَين في بُرْدَيْ حياءٍ وعفَّة

(*) شعراء هجر، ص ٢١٧- ٢٢١.

(١) الأواخي: جمع آخية، حبل يدفن في الأرض لربط الدابة.

فيا لك من صيد بأشراك محرم ... أذود الهوى عنه بكلٍّ تعلَّة!

سقاني بكأس العاشقين وعلَّني ... من البارد البسَّام صافي الأشعة

يمجُّ ذكيَّ المسكِ منه مفلج ... كنور الأقاحي أو درار نضيدة

عليه ختام من عقيق شفاهه ... هنيئًا لنفسٍ من لماها تروَّت

وفي فترة الأجفان والعذر لائح ... دعا مهجتي داعي الغرام فلبَّت

وأوحى إلى قلبي مثاني جماله ... مفصلة جاءت بفصلِ قضيتي

فمن قَدِّه ثأرٌ من الحب مدركي ... ومن خدِّه نارٌ بأحشاي شُبَّت

يعزُّ على مثلي "كثيِّرُ عزَّة" ... ويجمل في عيني "جميلُ بثينة"

وأبكي قتيلَ الشوق من آل عذرة ... وأندب قيسًا موبذان المحبة

أولئك أشياعي مضوا لسبيلهم ... وأقبلتُ أُخْراهم بشملٍ مشتَّت

مجاورَ قفْرٍ ما له من مجاور ... سوى نفسه أصغى إليها وأصغت

متى يضحك البرق الحجازي ينثني ... على كبد لولا الهوى لم تفتَّت

نسيمَ الصبا، عرِّجْ فهل فيك راحةٌ ... بتبريدِ أنفاسي وتنفيس كربتي؟

لقد طال -يا سعد- انتظاري فعُجْ بنا ... إلى كل شبه من أصاريم وجدة

وفي بطن نعمان بمجتمع الهنا ... قبابٌ على أعتاب كل ظنينة

كلفْتُ بها حُمْرًا تلوحُ كأنما ... عليها أراقَ البينُ ماءَ شبيبتي

مطامحُ أنظاري مسارحُ فكرتي ... مدارجُ أوهامي معارجُ همَّتي

أيا حسرتا ضاع الزمان ولم أفز ... بطيبِ اللقا منكم أُهَيْلَ مودتي

خليليَّ حُطَّا عن قلوصي رحلها   إذا فصلتْ من ذي طوى والثنيةِ
وفاضت على البطحاء من أرض مكة   وألقت جرانًا بالهنا والمسرة
وقولا لها: يا ناقُ ما شئت فانعمي   فلن تبأسي طول الحياة برحلة
فيا بلدةَ الله التي عزَّ شأنُها   ومن تحتها سوًّى مهاد البسيطة
هي الدار لا شام ولا يمن ولا   مرابع "هجر" في أقاليمَ سبعة
إذا الملك الجبَّار ذو الشان رامها   تداعتْ عروشُ الملك منه وثلَّت
بها كعبةُ الله التي كان حولها   مطافٌ لأملاك وإنسٍ وجنة
وفيها مقامٌ للخليل وعنده   مُصَلًّى لأهل الله من كلٍ مخبت
وفي ساحِه بين الحطيم وزمزم   معاهدُ لذَّات مشاهدُ زينة
ألا ليت لي من ماء زمزم بلَّة   بها برءُ علاتي وتبريدُ غلَّتي
صدى لم يكن إلا إلى مورد اللقا   وكم ببلادي من نطافٍ وغمرة!
ويا حبذا ما بين مروة والصفا   مساعي كرام بالوفا والمروءة
لئن أزلفتني صوب مزدلفاتهم   عوارف برٍّ من عواطفِ برة
لقد أشعرت قلبي على المشعر الذي   عليه شعارٌ من جلالٍ وهيبةِ
وأمنيتي الحسنى على الخيف من "منى"   فبالله عجلني غريم منيتي
سلامٌ على تلك المعاهد إنها   منازل سعد لا كطرف وجبهة
فيا "حمدُ" المجتاز منها بسدة   إليها تناهتْ كلُّ أحبارِ ملَّة
أقِمْ واستقمْ فالبابُ سهلٌ حجابُهُ   لغاشي فناه بافتقارٍ ورغبةِ

لئن كنتَ فيما تدَّعي اليوم صادقًا ليوشك أن ترعى رياض الحظيرةِ
حظيرة قدس ما لها من معارج سوى صعد أنفاسٍ نفس رضية
إذا سمعتْ باسم الفراق تقعقعتْ مفاصلُها من شؤمِ كلِّ خطيئة
وإن سمعت باسم اللقاء تزعزعتْ نزوعًا إلى أوطانها الأولية
ويا "حمد" هل تسمعنِّي فإنني بك اليومَ أولى من وليٍّ العصوبة
إذا ضقتَ يومًا بالحجاز وعيشَهَ فجنات عدن بالمكاره حفَّتَ
فما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي وتعقب خلدًا من نعيمٍ وشقوة
فلا تحتفل باللائمين فإنما قلوبهمُ من رانها في أكنَّةَ
وهذا سبيلٌ واضحٌ لمن اهتدى ولكنها الأهواء عمَّتْ فأَعْمتَ
ولا بد أن أسعى إليك بهمَّة مطالبُها -يا صاح- غيرُ دنيئةَ
فإما مقامًا يضربُ المجدُ حولَهُ سرادقَه بين السُّها والمجرَّةِ
وإن أنا لم أبلغ مرامًا أرومه فكم حسرات في نفوسٍ كريمة!
أخي، ما غريضٌ من قريضكَ شاقنا عليه تعلّلنا بكأسٍ روية
نظمْتَ لنا فيه عقودًا حكتْ لنا نظيمًا من الجوزاء حين استقلَّتَ
محضتَ لنا فيه النصيحة فالهدى يلوح علينا من خلال الصحيفة
عفا الله عنه اللوذعيُّ ابن عرفج لقد كان مأمونًا على كل زلَّةَ
أتاكَ بأنا عاتبون عليكَ في مساعيك والساعي بنا غير مثبت
لساني عن الأهلين والصحب ناطقٌ فطبْ عنهم نفسًا بحقٍّ وسيلتي

وأَبْرِدْ غليلي -يا خليلي- بدعوة تنزِّه سرِّي في شهود جليَّتي
وبلِّغْ سلامي من لدنك عصائبًا من القوم أرباب القلوب المنيبة
هُمُ نُصْب عيني إن لقيت حبائبًا وهم حسب نفسي من كهول وفتية
تقدَّمْتُ بالنجوى إليك لأنني حليفُ غرام رِمْتُ بثَّ شكيَّتي
فهاك -ابن ودِّي- من طرازي خريدةً جمعتُ حلالها من شموس الظهيرة
من الخزرجيَّات الحسان فما لها سوى خدرنا إن رمتها من مظنة
أقامت ثلاثًا بعد عشرين ليلة بأكناف قلبي في رياض أريضة
طلبتُ لها في القوم كفؤاً فلم أجدْ سواك فأنت اليوم كفءٌ كريمتي
طوتْ في لقاكَ البيدَ طيَّ سجلِّها ولولا حياها يومَ وافتْ لحيَّت
فدونك أَصْدقْها قبولك والرضا لباسين أبهى من رداء وحلة
ولا تنسني فيها بغفرانِ ذنبها وإكرامِ مثواها بألحانِ صيِّت
وهذا وصلى الله ربي صلاته على المصطفى إنسان عين البصيرة
نبي الهدى بدر الدجى سيد الورى محمد الموفي نظام النبوة

وله -أيضًا- رحمه الله(*):

وظبْي أضحت الدهناء منه خلاء والحشا مرعى وبيتُ
أهذا الظبي، لا أرضاكَ شبهًا لمن أهوى ولكني كنيتُ
رماني بالصبابة من بعيد يمينًا ما سمعتُ ولا رأيتُ

(*) السابق، ص ٢٤٩- ٢٥٠.

تجلّى لي خـيـــالاً في منامي ... فـــمـــا مـن خلـة إلا سلـيتُ
أتعـلمُ -يـا رعـــاك اللـه- أني ... أسـيــرٌ فـي يديك ومـا جـنيتُ
فـلا تعـجلْ إذا أضـمـرتَ قـتلي ... فـحظي من جمـالك مـا قضيت
تصـــفّحْ سنّة الماضين قـبـلي ... فـمـثلي في مـثـالـك مـا رويت
فـــمــا سـارتْ نـسيمٌ أو تـغنّتْ ... هتـــوفٌ بـالضـــحى إلا بكـيتُ
فـــهـذا باشـرَ الأحـبـابَ دوني ... وهـذا ظلَّ يـعنـي مـــا عـنيتُ
يقـول الـكاشـحـون فـمــا أبالي ... وينهـاني العـذول فـمـا انتـهـيت
وقـالوا: قـد سلوتَ فـقلت: كـلا ... وربي مـا سـلوتُ ومـا عـسـيتُ
أغـــثني -أيهــا الســاقي- لـعلي ... إذا أظـمـــتْكَ نـازلةٌ ســقـــيتُ
بكأسٍ مـن جنى البن اليـــمـــاني ... بنفـــسي أنت من ســاق فــديت
أهذا البــدر في كـأس التــهـاني ... مع الإشـراق أم شـفقًا حـسيت
ســـلافُ سـلسلٍ راحٍ رحـــيق ... شـفـــاءُ الهمِّ حـــمـراءُ كَـمـيتُ
مـشـعــشـعـةٌ يطيب لـنا شـذاها ... مـــتـى آنسْتُ ريّاهـا انتـشـــيتُ
شـرابٌ يبــعث الأشـبـــاحَ حتى ... لو اني مـقْـعـدٌ عـمـري مـشيت
شـــرابٌ يـنهض الأرواحَ حـــتى ... كـــأني في الســمـواتِ ارتقـيت
إذا أمُّ الخـبـــائث نازعـــتْـهـــا ... لطيــفًـــا من شـــمـــائلهـــا أبيت
تمدُّ نبـاهـةً عــقلي كـمـــا قــد ... تمـدُّ ذبالـةَ الـنبــــــراسِ زيـتُ
ألا زعـمـت بأن الكأس يصـــبـــو ... إلى الســاقي ويجـني مـا جـنيت

أليستْ صبغةُ العشّاق فيه فتشهدُ لي بأني ما افتريت
فغرْتُ من الحبيبِ على الحَبيب وهل تدري لأيهما قضيت؟
إذا زار الخيال وشيعته مع الأسحار أنفاس هويت
وفاضتْ مهجتي دمعًا وثارتْ من الأحشاء أشواقٌ طويتُ
على تلك الملاهي فاسقنيها إذا ما الكأس أشهى ما اشتهيت
ثلاثًا عدَّ ساقيها علينا إلى خمسٍ ولاء فاشتقيت
معانٍ جُلِّيتْ في كلِّ قلبٍ وقلبٌ لم يجدْها فهو ميتُ

وله من قافية الدال القصيدة المشهورة التي ساجل بها أحمد عزت الموصلي التي مطلعها[*١]:

عداها وحقك عما بدا تذكرها باللوى معهدا

وقد ذكرناها بأجمعها في الجزء الأول من هذا التاريخ عند ذكر أحمد عزت أحد ولاة الأحساء في العهد التركي.

وقال يمدح الشيخ عبدالله ابن الشيخ أبي بكر بن محمد الملا، ويعزيه في ابن عمه الشيخ محمد، رحمهم الله تعالى[*٢]:

ألا زمنٌ يبلِّغني مرادي ويسعدني بيوم من سعادِ
خليلي لا بصرتك في ثيابي أسيرًا ماله في الناس فادي
ألا يا ظبيةً بالبان ترعى أما قد آن أن ترعي فؤادي

(*١) السابق، ص ٢٣٨- ٢٤١، وهي خمسون بيتًا.
(*٢) السابق، ص ٢٢١- ٢٢٤.

رمتْني من لواحظها بنصلٍ ... تصول به على الأُسْدِ الورادِ
كأن لحاظَها في سلب عقلي ... سلافٌ عُتِّقَتْ من عهدِ عادِ
وما ذنبي سوى قلبي فدعها ... تقلِّبه على شوكِ القتادِ
لعمرك إننا يوم التقينا ... على ظمأ أعفُّ من الجمادِ
ولم يطبِ الهوى إلا لقفٍّ ... يصدُّ عن الموارد وهو صادِ
ألا يا لائمي دع عنك لومي ... فإني من هواها في ازدياد
وما لي من هواها غير أني ... أهيمُ بذكرها في كلِّ وادِ
وألتمسُ القفارَ من الأراضي ... لعلِّي باسمها فيها أنادي
أنادي جهرةً حتى كأني ... من النجوى قريبٌ في بعادِ
سلكتُ لها صراطًا مستقيمًا ... على آثار أقدام العبادِ
عباد يقطعون الوقت سيرًا ... إلى أن شارفوا شرفَ المراد
وفازوا بالسباق فكلٌّ سارٍ ... على آثارهم يهديه هادِ
لهم في الذكر ذكرٌ ليس يبلى ... لمن يتلو بسبق واقتصادِ
هُمُ كانوا نجومًا في الدياجي ... وهم كانوا رجومًا للأعادي
يكادُ الدهر يخفيهم وتأبى ... بدور التمِّ أن تخفى بنادِ
لنا من سلكهم قطبٌ رفيعٌ ... عليه مدارُ أقطابِ البلادِ
يدير الكأس فينا كل حين ... فيطفئ حرَّ أكبادٍ صوادِ
شرابٌ يبعث الأشباح حتى ... تديم السير أو ترثي لحادِ

شـــرابٌ يُـنْهِضُ الأرواح حـــتى　　سـمتْ صُعُـدًا إلى السبع الشـداد
ويوقــد للـقــرى نارًا ضـيــاها　　تقـــدس أن يحـــور إلى رمـــاد
هـي الـنـار الـتي أوفـى سـنـاهـا　　علـى الأغـــوار طُـرًّا والنجـــاد
فكم مـن حـــائر أوفـى إليــهـــا　　فنهـــديه إلى ســـبلِ الرشـــادِ
ومـــقـــرور أتانـا يصطليـــهـــا　　فـنـودي بـالمنـــى جـل المنـادي
هو الـقــــمـــر المنيـــر إذا تجلى　　علـى قلب جـــلاه من ســـواد
وسلطـان الحـقــيـقـــة لا يمارى　　وبرهـان الطريقـــة فــهـــو بادِ
يجـددُ رسـمَـهـا من بعـد مـا قـد　　عـــفـتْ آثاره أيدي الـعـــوادي
"أبـو بكـر" أبوه أبـو المعـــالـي　　بني "المـلا" رجـالَ الاجـتـهـاد
لقـد حـازتْ بهم "هجـر" فخـارًا　　على الـدنيـا قـراهـا والبـوادي
إليـكم فـــاقـــبلوا يـا أهلَ ودِّي　　وســائل خـالـصـات من ودادي
ألا يا نجـلَهُ الميـــمـــون كُـنْ لي　　شـــفـــيـعًـــا عند والدك الجـواد
ليـــوجـدني فـــؤادًا ضـــاعَ مني　　أســـائل رائحًـــا عنه وغـــادِ
فـهـــذا -يا بن سـيـــدنا- مـرادي　　وأنـتم ســـادتـي أهل الأيـادي
وإني -ســـادتي- لـكم ومنـكم　　بأفـــعـالي وقـــولي واعــتــقـادي
ومما ألـهب الأحـــشــاءَ خَـطْبٌ　　ألمَّ بـكم فـــقـلبي فـي اتِّقَـــادِ
غـــداة غـــدا أبو بكر شـــهـــيـدًا　　لـه نُزُلٌ ألـذُّ من الـشـــهـــاد
قضى الأوطارَ من حضراتِ قدس　　وأوفـى نذرَهُ ومـــــضى بـزادِ

وهذا منتهى الأحيا فطوبى ... لمن يمضي على نهج السداد
فأعْظَمَ أجركم فيه إلهي ... ونعَّمَهُ على برد المهادي
وصلى ربنا الرحمن حقًّا ... على مولى الشفاعة في المعاد
كذاك الآل والأصحاب طُرًّا ... وتابعهم إلى يوم التنادي

حرف الراء

وقال -رحمه الله تعالى- يرثي الشيخ عبدالله ابن الشيخ عبداللطيف آل مبارك، رحمه الله(*):

لقد عفتْ من ديارِ العلمِ آثارُ ... فأصبح العلم لا أهلٌ ولا دارُ
يا زائرين ديارَ العلم لا تفدوا ... فما بذاك الحمى والدار ديَّارُ
ترحَّل القومُ عنها واستمرَّ بهم ... مشمِّرٌ من حداة البينِ سيَّارُ
وأورد القوم حاديهم حياضَ ردى ... فما لهم بعد ذاك الورد إصدارُ
تبكي السماءُ عليهمُ وهي كاسفةٌ ... لا الشمسُ شمسٌ ولا الأقمارُ أقمارُ
والأرضُ من بعدهم ثكلى مرزأة ... يعلو لها من زفير الوجد إعصارُ
فلم تدع مَعْلَمًا فيها ولا علمًا ... ضلَّ الهداةُ بها والركبُ قد حاروا
حُيِّيتِ يا دارَ سُعْدَ غاب مسعدها ... يا طالما أنتِ أوطان وأوطار
عهدي بها يومَ شملِ الحيِّ مُلْتَئمٌ ... في ظلِّها وهي جناتٌ وأنهارُ
يا صاحبيّ أعيراني جفونكما ... جفني قريحٌ ودمعُ العينِ مدرارُ

(*) السابق، ص ٢٧٥- ٢٧٧.

وأفرغا في فؤادي فضلَ صبرِكما عدمتُ صبري وفي أحشاي تسعارُ

يا بينُ، مهلاً أتدري بالذي صنعتْ بنا يداكَ ويأتي منك أشعارُ

لقد رميتَ بسهمٍ في مقاتلنا حياتُنا بعده -يا بينُ- أقدارُ

سهمٌ تخيَّر في الأحياءِ كُلِّهم وهكذا كان سهمُ البينِ يَختارُ

فجعْتَنا بفتى الفتيانِ قاطبةً كأنه تحتَ طيِّ البرد أسوار

ماضي العزيمة لا يلوي على أحد مهنَّدٌ مرهفُ الحدَّينِ بتَّارُ

إذا تسابقَ فرسانُ البلاغةِ في ميدانها فله سبقٌ وإظهار

له الإمارةُ في أهل اللسان كما له الصدارةُ إن لاقتْهُ أحبارُ

بحرٌ من العلم قد جفَّتْ مشارعُهُ جمُّ الدراري بعيدُ القعرِ تيَّارُ

فخرُ المدارس لا يؤتى بمسألة إلا لها منه قرآنٌ وأخبارُ

زينُ المجالسِ مسلاةُ المجالسِ عن همومه وهو بالخيرات أمَّار

خطيبُ صدق خلت عنه منابره وعندها منه للباقين إنذار

قد كان من بركاتِ الأرضِ أنَّ له ظلاً ظليلاً وتُجْنَى منه أثمارُ

أبو الفضائل "عبدالله" طار له صيتٌ بعيدٌ وطابتْ منه أسمارُ

عليه منا سلامُ اللهِ راح به منا إليه عشيَّاتٌ وأبكارُ

قُمْ - يا خليلي- نُقِمْ لِلْعِلْمِ مأتمه نبكي عليه فخطبُ العِلْم كَبَّارُ

لهفي على سرج الدنيا التي طفئت ولا يزال لها في الناس أنوار

لهفي عليهم رجال طالما صبروا وهكذا طالب العلياء صَبَّارُ

مالوا يمينًا عن الدنيا وزهرتها   لأنها في عيون القوم أقذارُ

وصاحبوها بأجساد قلوبُهم   طيرٌ لها في ظلال العرش أوكار

يا صاحِ دعني أسف الترب حيث وطتْ   أقدامُهم فالهوى العذريُّ عذَّارُ

هُمُ الذين رعوا للعلم حرمتَهُ   للعلم بينهم شأنٌ ومِقْدارُ

صانوه طاقتهم عما يدنسه   كما يصون نفيس المال تجَّارُ

وأحسنوا فيه تصريفًا لأنهم   لهم من الله توفيق وأقدار

رأوه كالنجم بُعْدًا ليس يدركه   باعٌ قصيرٌ وفهمٌ فيه إقصار

فدونها فروعًا منه دانيةً   لكلِّ جانٍ تدلَّتْ منه أثمار

يا صاحِ فالزم طريقَ القومِ مُتَّبِعًا   سبيلَهم ليس بعد اليوم أنظار

وواجبٌ قصرُك الممدودَ من أمل   مسافةُ العمر من دنياك أشبارُ

ويا أهلةَ مجدٍ غابَ بَدْرُهُمُ   فهل لكم بعده في الناس أسفار؟

"آل المبارك"، حازَ السبقَ أولُكم   فهل لكم بعدُ في الغايات تشمارُ؟

بنوا لكم بيتَ مجدٍ لا يطاولُهُ   بيتٌ بناه لنعمان سنمَّارُ

فشيِّدوا بيتكم لله دركم   لا تهملوه ففي إهماله عارُ

أقول هذا وعندي أنكم خلفٌ   فيكم على السادة الماضين أبرار

وكُلُّكُم في طلابِ المجدِ منبعثٌ   وكُلُّكم لذيول الفضل جرَّارُ

والخيرُ ما زال خيرًا في معادنه   توارثْته عن الأخيارِ أخيارُ

فأفرغوا في طلابِ العلمِ جهدَكم   فإنه لمريد السبقِ مضمارُ

واحموا حماه وخلوا ودَّ تاركه ... وبعد هذا عبادات وأذكار

هذي السعادة لا زلتم بساحتها ... بهديكم يهتدي الأهلون والجار

فدونكم من بنات الغيب سافرة ... أبدى محاسنها للأعين الثار

ثم الصلاة على الشمس التي ظهرت ... في الكون حتى أضاءتْ منه أسحارُ

محمدٌ منبع الأنوار مجتمع الـ ... أسرار ما بُشِّرتْ بالصبحِ أطيارُ

حرف الهاء

وقال -رحمه الله تعالى- في وداع شهر رمضان(*):

خليلي شهر الصوم زُمَّتْ مطيُّهُ ... وسارتْ وفودُ العاشقين بمسراه

فقوما بنا نبكي على حسن عهده ... وما فاتنا منه ونذكر حسناه

ويا حاديي أظعانه لو وقفتما ... فنقضي من الأوطارِ ما قد نسيناه

على أنه يقضي الزمان جميعه ... وما وطرًا من حب ليلى قضيناه

فيا شهر لا تبعُدْ لك الخيرُ كلُّهُ ... فأنتَ ربيعُ الوصلِ يا طيبَ مرعاه

ترى زُمَرَ الأحباب في ظلِّ ليله ... وقوفًا على أقدام ذُلٍّ به تاهوا

ينادونه يا مَنْ إليه ملاذنا ... وليس يلوذُ العبدُ إلا بمولاه

فما كان أحلاهم إذا ما تمثَّلوا ... لديه صفوفًا بالمعاذير قد فاهوا

وما كان أحراهم بنيلِ مُناهم ... وقد أدلجوا عاص منيبٌ وأوَّاه

مساجِدُنا معمورةٌ في نهارِه ... وفي ليلِه والليلُ يُحْمَدُ مَسْراه

(*) السابق، ص ٢٦٩- ٢٧١.

فمِنْ قائمٍ خوفُ الإله شعارُهُ ... ومِنْ عاكفٍ حُبُّ الحبيبِ حُمَيَّاه

منورة فيه المصابيح أوقدتْ ... تضيءُ لدى السَّارين في جوف ظلماه

فيا سنةً من سنة الله سنَّها ... "أبو حفص الفاروق" فاق بمسعاه

وغادرها في أمة الحقِّ بعده ... ألا رضي الرحمن عنه وأرضاه

عليك سلامُ الله يا شهرُ إننا ... رأيناك َمعنى للزمان استفدناه

ويا شهرُ لا تبعدْ لكَ الخيرُ كُلُّهُ ... فيا رُبَّ مطرود لجا فيك آواه

ويا شهرُ لا تبعدْ لكَ الخيرُ كُلُّهُ ... فيا رُبَّ محروم ببرِّك أولاه

ويا شهرُ لا تبعدْ فأنت وسيلةٌ ... وذو قدم عند الحبيب ادَّخرناه

عليك سلام الله شهرَ صيامنا ... وشهر تلافينا لدهر أضعناه

عليك سلام الله شهرَ قيامنا ... وشهرٌ به القرآنُ يزهو بقُرَّاه

تطيبُ به الأصواتُ من كلِّ وجهة ... وتعذبُ منه بالدراسة أفواه

وتصغي له الأسماعُ من كلِّ قارئٍ ... وتعذب منه بالدراسة أفواه

ويلهو به اللاهي لحسنِ سياقه ... ويستيقظُ الساهي بقوة فحواه

ويزدادُ بالتكرارِ حُسْنًا وبهجةً ... كأن لم يكن قبل السماعِ سمعناه

فلله شهرٌ عظَّمَ اللهُ فخرَهُ ... بتنزيله لم يحظ بالذكر إلَّاه

ولله شهرٌ في لياليه ليلةٌ ... بألف هلال كيف تحصى مزاياه؟

تُفَتَّحُ أبوابُ السماء كرامةً ... وجنات عدن قد أُعدَّتْ للقياه

وأُغْلِقَتِ النيرانُ فيه وصُفِّدَتْ ... شياطينه فضلاً ليُحْمَدَ مسراه

ونادى مناد: باغيَ الخير أقبلَنْ ... ويا باغيَ العدوانِ لا تنسَ عقباه

فيا ليت شعري أينا متقبل؟ ... فقوموا نهنِّيه فما كان أهناه

ومن ذا الذي أضحى بعيدًا مطرَّدًا؟ ... فقوموا نعزِّيه فيا كسر قلباه

عليك سلامُ الله يا شهرُ لا تكن ... بآخرِ عهد من لقاك عهدناه

فرزقٌ مزيدٌ ثم سعيٌ مضاعفٌ ... ومَنْ يدعُ فيه لا يردُّ دُعاه

فنحن جميع العام بين مفجَّعٍ ... على بينه أو واله يتحراه

وصلى إله العالمين صلاته ... على الصادقِ المصدوقِ خيرِ براياه

محمد الهادي إلى خيرِ ملَّة ... وفي الحشرِ بين الخلق يعزى له الجاه

كذا الآل والأصحاب طرًا ومن قفا ... سبيلهم مستمسكًا بهداه

وقال -رحمه الله- في طريقه راجعًا إلى بلده من سفر الحج(*):

تُذَكِّرني نجومُ الليل أهلي ... لأني في منازلهم أراها

تُسامرني حديثهم فأُصغي ... بسمعي مثلما كلَّمْتُ فاها

يقول فتى: سآتي دار أهلي ... وما نشب الفتى حتى أتاها

فسالتْ عَبْرتي وجرتْ دموعي ... لفقد أَحبَّتي والقلبُ تاها

فقلت له: تعالَ فإن ربي ... تعالى لم يزل برًا إلهًا

يبلِّغُ من يشاء فكم غريب ... يرجِّي حظوةً قصوى خطاها

خليلي قد أضَرَّ بيَ التنائي ... فهل لي رجعةٌ أرجو شفاها

(*) السابق، ص ٢٦٠- ٢٦١.

شفاءً لا يغادرُ لي سقاما إذا ناجيتُ أحبابي شفاها

لقد غادرتُ في "هجر" فؤادي وإن أمسيتُ في أرضٍ سواها

بها أهلي وجيراني وصحبي سقاها الله من بلدٍ سقاها

وقال أيضًا -رحمه الله- في مراجعة الحمام(*):

يا حمامَ الأيك زدني من هنيهاتِ السفاهَ

حيهل إنْ كنتَ خدني نقترب خلفَ المياهَ

كلُّ ذي شوقٍ عليه من جميع الناس ناهَ

لستُ أخشاهم ولكن لا أرى إسقاط جاهَ

هُدْهُدَ الأخبارَ صِفْ لي موردًا بين الشفاهَ

هل ترى الحي عليه باتَ منبتُّ الجباهَ

حوله روض أريض بعميم النبت زاهَ

غنَّت الطيرُ عليه فهو ملهاة للاهَ

يا خليليَّ اسقياني بين هاتيك الملاهي

قهوةً قد وصفتْ لي ريقةَ الساقي كما هي

لم أذقْها غيرَ أني قال لي وجدي كذا هي

نام طرفُ الدهر عنا نومةً بعد انتباهَ

فانهب اللذَّةَ منه لا أراكَ اليومَ ساهَ

(*) السابق، ص ٢٥٢- ٢٥٣.

إنما الدنيا متاعٌ لا تكن فيها مياه؟
عيشُ ربِّ التاجِ فيها عيشُ ربَّات الشياه
كُلُّهم يشقى بهمٍّ حاذرًا وقعَ الدواهي
لا تَرُمْ كشفي ودعني تحت أستار اشتباهي

وعتب عليه بعض أصدقائه في بث شكواه إلى الحمام، فأجابه بهذه القصيدة(*):

علامَ أخي نقضتَ عليَّ حتى حسبتُكَ لا تروم سوى خلافي
أليستْ حرمةُ الآدابِ بيني وبينك تقتضي حُسْنَ التصافي
فلو ألفيتُ غيرَكَ رامَ مني مرامَك لم أقل: دعني كفافِ
لأجريتُ اليراعَ إليه صِلًّا يمجُّ عليه بالسمِّ الذعافِ
ولكني بعيدُ الغورِ أقضي بعذر مقصرٍ عني وجافِ
وفي بحر الغرام كرعتُ لما أطاف القوم حولي بالنطافِ
وفي شرعِ الهوى العذري عندي علومٌ ليس لي فيها مكافِ
ولي فيها أسانيد صحاحٌ مسلسلةٌ بفتيان العفافِ
ترى قيسًا يسير على ورائي ترفُّ عليَّ ألويةُ الظرافِ
إذا ما سرتُ يومًا في طريق فما لي في طريقي من موافِ
فقل لي -يا بن ودِّي-: كيف تغدو تعارضني معارضةَ المنافي

(*) السابق ص ٢٥٢- ٢٥٣.

وهل أسرفتُ أن نادمتُ ورقًا تُعَلِّلني بكاسات السلافِ
تفوتُ كشاجمًا لطفًا إذا ما تغنَّتْ بالخفيف من القوافي
إذا نازعتُها شَجْوًا تولَّتْ تُوَجِّع لي بأحشاء ضعافِ
وقبلاً لم أزل أرتاد شكلاً بحفظ العهدِ والإسرارِ وافِ
وأعوزني فلما لم أجِدْهُ خطبتُ الودَّ من ورق الفيافي
فإن أسعفتَ -يا ورق- انتزحنا حذارَ الكاشحين وراء قافِ
أرى تلكَ الديارَ وساكنيها ديارًا وطنت فيها العوافي
فإني لا أرى إلا بليدًا بعيدًا فهمُهُ عن كلِّ خافِ
فدعني والتمسْ غُراً مقيمًا على حرف يؤول إلى انحرافِ
فلي شأنٌ عن الأغيار مُغْنٍ ولي شغلٌ عن الأشعارِ كافِ
فهذا ما منحتُكَ من عتابي وإني بعد هذا عنك عافِ

وقال عند مشاهدة الورد على غصونه(*):

خليليَّ ما أبهى وأبهجَ هذه! وأبهجُ منها وردةُ الوجناتِ
يقطف هذا بالبنانِ وإنما يُقْطَفُ ذاك الورد بالشفياتِ
رعى الله جانيه وإن كان قد جنى عليَّ بما أبداه من حسراتِ
على رغمِ من أهوى جنته جناته ينمُّ على ما صين في الخمراتِ
فيا من لقلبٍ لا يزال يروعُه بشيرُ الصبا من يوسف الفتياتِ

(*) السابق، ص ٢٥٩.

يكاد إذ الأشواقُ أوقدْنَ تحتَهُ   يسيل مع الأرواح كلَّ غداةِ

وقال يصف الساعة المعروفة[*1]:

وساكنةٍ في بيوتِ الزجاج   ممنَّعَة بمنيعِ الحجابْ

وما سمعتْ قط من عالمٍ   ولا نظرتْ في ضروبِ الحسابْ

تسير ولكن على إثرها   كما سار في التيهِ أهلُ الكتابْ

وبين يديها مثالُ العصا   إذا قرعت لحليم أنابْ

ولم ترَ عيني سواها فصيحًا   يدير لسانَين عند الخطابْ

عجبتُ لها مع ما قد وصفـ   ـتُ إذا اشتبه الوقتُ يوم السحابْ

وصرْنا من اللبس في حيرةٍ   وقد شكَّ مجتهد واسترابْ

وطال الكلامُ ولجَّ الخصامُ   وخفَّ الإمامُ من الاضطرابْ

إلى علمها رجعوا في الهُدى   ومن عندها رغبوا في الصوابْ

وقالوا: الجوابَ فمنَّتْ بهِ   فطابتْ نفوسٌ وذَلَّتْ رقابْ

سلامٌ على منزلٍ حازها   لقد جانبَ الشكَّ والارتيابْ

وله أيضًا[*2]:

لفقْدِ الرجالِ ترانا رجالا   وصرْفُ الزمانِ يُرِيكَ المحالا

(*1) السابق، ص ٢٥٩- ٢٦٠.

(*2) السابق، ص ٢٦١.

هُمُ أورثونا مقاماتهم ... وما أورثونا النُّهى والفعالا
فيا أربُعًا عافيًا رسمُها ... قد استبدلتْ بالأنيس الغزالا
إذا مرَّ ركبٌ بها أعرضوا ... ألا ربما يممّوها رجالا
لعمرُكَ ما الدارُ حيطانُها ... وإن أصبحتْ شامخات طوالا
متى طبتُ نفسًا بها غالني ... تذكُّرُها يوم كانوا حلالا
فلا أستطيعُ لحاقًا بهم ... ولو أستطيعُ شَدَدْتُ الرحالا
فلا عاطف نحو مستعطف ... إذا ما بدا لي يصوغ المقالا
ولا سائلاً بعد عن حجرنا ... أحسنًا قضى دهرها أم ضلالا؟
إلى بلدة تقتني ذا الحجا ... وضاقتْ بذي الجهل يومًا مجالا
ترى للعلوم بها موردًا ... رياضًا ترفُّ وماء زلالا
فنشربُ كأسًا على روضها ... وننزلُ دهرًا علينا تعالى
ولكنني مثلُ بازٍ عرى ... من الريشِ لا يستطيعُ انتقالا

وله هذا السؤال(*١):

أيا جلساءَ اللهِ في حضرةِ الرضا ... علامَ المصلِّي بالتحيَّاتِ يختمُ؟
أبِينوا لنا إنا نرى كلَّ حضرةٍ ... تحيَّتُها عند القدومِ تُقَدَّمُ

الجواب له(*١)

(*١) السابق، ص ٢٦٢.

صلاتُكَ معراجٌ إذا ما ختمْتَهُ فثمَّ مقامٌ بالتحياتِ يُخْتَمُ
وعادتْ خواتيمُ السلوكِ فواتحًا وذلك عند العارفين مسلَّمُ

وله -رحمه الله- في نوع من الرطب يسمى "الخلاص" لذيذ الطعم(*١):

وغانية عصيتُ اللومَ فيها فما لي من هواها من مناص
فكم أجني لذيذًا من جناها أحبُّ إليَّ من رُطَب الخلاصِ
تقولُ: جنيتَ بالتقبيلِ فاغْرَمْ فقلتُ لها: هَلُمَّ إلى القصاصِ
جزاءُ الحقِّ مثليٌّ بمثل فقالتْ: قد عفوتُ على الخلاصِ
لعمري أنت يعقوبُ القضايا وإنك في الدها عمرو بن عاصِ

وله في الشاهي(*٢):

ألا يا صاح إنْ شئتَ انتظامًا بسلك المصطفين من الندامى
فقرِّبْ صافي الشاهي كؤوسًا من البلورِ مُترعة غرامًا
إذا نالتْ شفاهُ القومِ منها أقامتْهم من الحسنى مقاما
يطوفُ بها خفيفُ الروحِ تحكي شمائلُه نسيمات النعاما
تصافحُ كلَّ حوذانٍ ورندٍ وأزهارَ البنفسجِ والخزاما

وقال أيضًا(*٣):

(*١) السابق، ص ٢٦٣.
(*٢) السابق، ص ٢٦٦.
(*٣) السابق، ص ٢٥٢، وهي فيه سبعة أبيات.

وصلُ المحبِّ على أحبابه فرضا أدوا أداءً وإلا بادروه قضا
شرعُ الهوى محكَمٌ لا نسخَ فيه فإن شككتَ سل قيس ليلى إنه لرضا
إن المحبةَ داءٌ لا دواءَ لهُ إلا السُّلوَّ وما لي بالسُّلوِّ رضا
لله درُّ المعري في مقالته وقد تجافى عن الخلانِ وانقبضا
« جرَّبْتُ دهري وأهليه فما تركَتْ لي التجاريبُ في ودِّ امرئٍ غرضا »

وقد اشتمل كتاب "شعراء هجر" الذي ألَّفه الشيخ عبدالفتاح الحلو(*) على كثير من شعره، فنحيل القارئ عليه.

الشيخ عبدالعزيز ابن الشيخ حمد ابن الشيخ عبداللطيف ابن الشيخ مبارك التميمي المالكي، رحمه الله:

كان عالمًا فاضلاً، أديبًا عاقلاً، حسن المعاشرة، لطيف المحاضرة، بهيَّ الطلعة، مهيبًا، كثير التجمل، فصيح اللسان، حسن التعبير، شاعراً ناثرًا، ولد بمحلة "الرفعة" من مدينة الهفوف بالأحساء سنة تسع وسبعين ومائتين وألف هجرية. حفظ القرآن العظيم عن ظهر قلب وجوّده. رحل مع والده الشيخ حمد إلى مكة المكرمة، فأقام بها سنوات، قرأ فيها على عدة من مشايخها في علوم الفقه واللغة، ثم عاد إلى بلده، وقرأ على عمه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، والشيخ عبدالله ابن الشيخ أبي بكر آل ملا. وقرأ عليه جملة من أهالي الأحساء والبحرين وعُمان والكويت. وتوفي -رحمه الله- يوم التاسع من ذي الحجة عام ١٣٥٩هـ، ورثي بجملة مراثٍ - رحمه الله - .

(*)جاء في مجلد واحد في ٦٢٢ صفحة.

وله شعر جمع بين جودة الصنعة وحسن السبك، والرقة والسلاسة. وقد ذكر أشعاره صاحب "شعراء هجر"، وسأتحف القارئ بشيء نختاره منها:

فمن ذلك ما كتب به إلى العلامة الشيخ عبدالله ابن الشيخ علي آل عبدالقادر(*):

البينُ صدُّكَ لا أن تشحطَ الدارُ ... ومدمعُ العينِ في الحالين مدْرَارُ
يا كاسرَ القلبِ جبراً في محاسنه ... أما لمكسورِ قلبي منك جَبَّارُ!
علمتَ قلبي مقصوراً عليكَ وما ... لي في محبَّتكم ما عشتُ إقصارُ
فهانَ عندكَ ظُلْمي في الهوى وكذا ... الأمنُ يُغْري وذو الأشجان صبَّارُ
هَبْ أنني لستُ أهلاً للوصال ولم ... تطبْ لكم بي عشيَّاتٌ وأسحارُ
ولا زهتْ لي من أيامكم غررٌ ... كأنها في سواد الدهر أقمارُ
ولم أطارحكم ألحانَ ذي شجن ... كم حانَ منها لمنْ في الحانِ إسكارُ!
إذا تلاها تلاها الأنسُ متبعًا ... وكم تلاها به صيدٌ وأحبار
فإن بالمنحنى من أضلُعي لكم ... بيتٌ وأنتم له مُذْ كان عُمَّارُ
وكيف هان عليكم أن تُضْرَمَ في ... بيتٍ بكم عامرٌ -يا سادتي- النارُ؟!
يا خالعًا لعذار العذر في عذْلي ... عنيَ فلي عنكم في الحب أعذار
شأني بهم في شجوني في عظيم جوى ... باد لهم في شؤوني فيه أشعار
كم رُضْتُ قلبي في روض السلوِّ فلم ... يَرُقْهُ منه ولا أرضتْهُ أزهارُ
وما علِقْتُ بسكَّانِ "الشوادن"(1) كي ... يعاملوني بما أهوى وأختارُ

(*) شعراء هجر، ص ٣٢٦- ٣٢٨.

(١) الشوادن: اسم المحلة التي يقطن بها الشيخ عبدالله بن علي آل عبدالقادر من فريق "السباسب" من بلد "المبرز" بالأحساء.

لا لا ولكنني راضٍ ومُغْتَبِطٌ بحُبِّهم عدلوا في الحُبِّ أو جاروا
فافقد حديث معانٍ في البيان لها استخدام كل بديع فيه أسرار
أنا "المبرز" في حفظ الذمار لأهـ ـليه وإني لهم من جورهم جار
أحبابَنا، هذه الأيامُ في يدها ماضٍ لسمطِ لآلي الوصلِ بتَّارُ
فلا وحاشا كريم من شمائلكم يكن له منكم عون وأنصارُ
يا أيها المعرضُ الغضبانُ ها خبري وقد كفى ما جرى والأمر أقدار
بحقِّ عصياني اللاحين لا تُرِهم في الوامقِ الصبِّ ما شاؤوه واختاروا
وهب لسابقتي الآصار أجمعها إن كان ثم ويأبى الله آصار
فإنني ذلك الندبُ الذي لكم وللعلا منه إضمارٌ وإظهارُ
ومن أشادَ لكم بيتَ الولاءِ فلا يكن جزائي كما لاقى سنمَّارُ
مني السلام عليكم ما أضاء بكم أفقٌ وآخى بكم للفضل أسفارُ
ورنحتني أرواح بنشرِكم في طيِّها أو وفَّتْ بالعهدِ أحرارُ

ومن لطائف شعره هذه القصيدة(*):

ألا ما لذا لا تنتهي عبراتُهُ وحتى متى لا تنقضي حسراتُهُ؟!
أحتمٌ عليه في الهوى صحبةُ الأسى لعمرُكَ هذا ما تودُّ عداتُهُ
ويا صاحبَي نجواه ماذا أهاجه إلى أن علتْ في المنتدى زفراتُهُ
ترنَّم شادي الحيِّ -يا سعد- سحرةً فأشجاه من شادي الحمى نغماتُهُ

(*) شعراء هجر، ص ٣٥٥- ٣٥٧.

وشـــبَّب بـالحي الحـلول وإنمـا تطيـبُ بذكـراهم لديه حـيـاتُهُ
وفي ذلك المغنى حـبـيـب تكفَّلَتْ لنفـسي بأشـتات الجـمـال شيـاتُهُ
فـمـا الروض إلا خلْقُـه وحـديثُـه ومـا الحسنُ إلا مـا جلتْـهُ صفـاتُهُ
ولـم يعْـدُ جنـحَ الليل واردُ فـرعِـه ولا الوردَ مـا قـد أطلـعتْ وجناتُهُ
وليس شـقيـقُ البدرِ غـيـرَ جبينه ولا الدرُّ إلا مـا حـوتْ شـفـيـاتُهُ
وهل صيـغ إلا من لجين وعسـجد ومـسك أذاعتْ عـرفَـهُ رشـحـاتُهُ
من البيضِ مُـرتجُّ الروادف أهيفٌ لغـزلانٍ "حزوى" جيـدُهُ والتفـاتُهُ
ترنح صـهـبـاءُ الشـبـيـبـةِ عطفَـهُ فـتـحكي لنا بـانَ الحـمى خطراتُهُ
ويذكـرنا وَمْضُ البروق ابتـسامَـهُ وتبـدي لنا سـحـرَ الهـوى لحظاتُهُ
سـعـدْتُ به والأُنْـسُ دانٍ جناؤه تظـلِّلنـا من دهرنـا غـفـلاتُهُ
ليـاليْ عـاطانـي الحـبيب مـروقًـا من الوصل عـذبًا حـبَّذا رشـفـاتُهُ
وأيام لـم تمشِ الـعـواذلُ بـيـنـنا ولم تثـن من أهواه عنـي وشـاتُهُ
وكم مجلس لي في خـلال وصاله تَجِلُّ عن التـشبـيـه مسـتحـسناتُهُ
ندير سـلافَ الأنسِ آطالَ يـومنا وأشـبـهُ شيء بالأصـيل غـداتُهُ
فيـا سعدُ من لي والوشاة تعـاقدوا لحلٍّ وصـال أحكمتْ عـقـداتُهُ
هُمُ أولعـوا بالصـدِّ والهجـر قلبَـهُ وجـرأهم إصـغـاؤه والتـفـاتُهُ
فجيدُ الهوى من حليةِ الوصلِ عاطلٌ وربْعُ التـلاقي أقـفرتْ عـرصـاتُهُ
وأرضى بهجري معشرًا ما أبحتُهُمْ سـمـاعًا لقـولٍ زُخْـرِفَتْ كلمـاتُهُ

سلامٌ على اللذَّاتِ إنْ صحَّ صدُّهُ ... وحقَّ لجسمي أنْ تطولَ شكاتُهُ
ويا طيبَ صدٍّ للحبيب به رضا ... وإن غاظني ممن يلوم شماتُهُ
فلا يتهمني بالسلوِّ مُعَنِّفي ... إذاً لا روتْ عني الوفاءَ رواتُهُ
وما كان عشقي ذلك الحسن ضلةً ... وما أنا مَنْ تَهْوِي به نظراتُهُ
وإني على ما ساءني من صدوده ... لتجملُ في عيني وتحلو صفاتُهُ
ويذكي غرامي البرقُ من نحوِ أرضه ... ويطربني من حيِّه نسماتُهُ
وما أنا من ألطاف ذي العرش آيسٌ ... وإني لأرجو أنْ تلينَ قناتُهُ
عليه سلامي ما تأوَّهَ عاشقٌ ... وما صدَّعَتْ أحشاءه حسراتُهُ
وما قال ندماني مقالَ توجُّعٍ: ... ألا ما لذا لا تنتهي عبراته؟!

الشيخ عبدالعزيز بن صالح آل علجي:

ينتمي إلى قريش، هو العلامة الورع العابد الشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي، ولد في آخر القرن الثالث عشر، واشتغل في أول شبابه بالتجارة، فلم يُفْتَح عليه فيها، وقوَّى الله عزيمته، ووفقه لطلب العلم، فحفظ القرآن العظيم عن ظهر قلب، وقرأ فقه الإمام مالك على الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبداللطيف المبارك، والشيخ عيسى بن عكاش، وقرأ الصرف وشيئًا من المنطق على الشيخ عبدالله البشاوري حينما كان قاضيًا في الأحساء وفي عهد الدولة التركية. وكان يصوم يومًا، ويفطر يومًا، وينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه حتى في أسفاره، وقضى بقية حياته -رحمه الله- في دراسته العلم وتعليمه، ونظم ما تيسر له نظمه، فنظم أحكام العبادات في فقه الإمام مالك في

أربعة آلاف بيت، ونظم متن العزي للزنجاني في علم الصرف، سماها "مباسم الغواني في نظم الزنجاني"، وهي تحتوي على أربعمائة وخمسين بيتًا، افتتحها بقوله:

الحمدُ لله الحكيم المانح مُصَرِّفِ السحابِ واللواقحِ

وكان له جملة مناظم في مكارم الأخلاق، وآداب السنة. وله شعر جيد، فمن جيد شعره ما قاله في مدح السيد طالب النقيب؛ يستعطفه للتوسط لدى الباب العالي لإسقاط رسوم قررتها الدولة العثمانية في الأحساء، وهي هذه(*):

ما للمحبِّ على الصدودِ قرارُ فهل الأحبةُ آذنوا فيزاروا؟
ما بالهم جهلوا عهودًا بالحمى شهدتْ بها من بعدنا الآثارُ؟!
هم وجَّهوا قلبي إلى سُبُل الهوى حتى استقامَ على الطريق وجاروا
آهًا لأيامٍ مَضَتْ لي عندهم في القلبِ من وجدي بها إعصارُ
أيام يظهرُ لي مليحٌ أحورُ بطباعه عن عاشقيه نفارُ
غنجُ الدلالِ كأن في أجفانه خمرًا على شبحِ القلوب يدارُ
أشكو جفاه وقد رماني هجرُهُ بيد النوائبِ جيشُهُ الجرارُ
كشكاية "الأحساء" عند مسوَّد جَمَعَ العظائمَ في يديه صغارُ
قرمٌ إذا ما حلَّ دارًا حلَّها الـ إقبالُ والإسعادُ والإكبارُ
جَمَعَ السعادةَ والمهابةَ والبها جندًا فهُنَّ لجنده أنصارُ

(*) السابق، ص ٣٩٩، ٤٠٠- ٤٠٢.

من "آل هاشم" الذين تموَّلوا الـ ـكرم الأصيل وللكرام أعاروا

البأسُ فيهم والندى فعقابهم تلفٌ ونائلُ جودهم مدرارُ

يتجمَّلُ الملكُ العظيمُ بفضلهم وبذكرِهم تتجمَّلُ الأخبارُ

وإذا عرى عرشَ الممالك خفَّةٌ فله ثباتٌ منهمُ ووقارُ

أَمنَتْ به "الأحسا" وكانت قبلَهُ روعاءَ ملءُ أديمها أخطارُ

نجمٌ تجلَّى في مطالع سعده من خلفه وأمامه الأنوارُ

رَجَمَ الإمامُ به شياطينَ الورى فالكلُّ منه لوجهه خرَّارُ

يا بنَ النجابة والنقابة إنما أنتم نجومُ الأرض والأقمارُ

فإذا العصاةُ تعصَّبَتْ وتمرَّدَتْ فلها نكالٌ منكم ودمارُ

قد عاد للأحساء داءٌ معضلٌ حارتْ به الآراءُ والأفكارُ

وبغى عليها من ولاة أمورها من لا يبالي أنْ عراه العارُ

كُنَّا نخاف من البغاة خرابَها والآن قادَ خرابَها العُمَّارُ

في كلِّ يومٍ للنكايةِ والأذى يبدو بها من حالهم أطوارُ

حُكَّامُها رجلان: إما مسلمٌ واه وإما مسرفٌ جَبَّارُ

إن دام هذا فالحساءُ مصيرُها خبرٌ تقومُ بنقله السُّمَّارُ

يا سيِّداً تشقى العداةُ بخوفها منه ويسعدُ في حماه الجارُ

يا نعمةَ السلطانِ أنتَ على الورى تحيا بسعيكَ أنفسٌ وديارُ

حاشاكَ أن ترضى على بلد لها نظرٌ إلى حُسْناكَ واستبشارُ

وإذا دَهَتْها الحادثاتُ فما لها إلا إليكَ تلفُّتٌ وفرارُ
والحبُّ أكسبها لفضلك نسبةٌ فلها بذاك تشرُّفٌ وفَخَارُ
أو ما علمتَ بأن معظمَ أهلها لما أذاعتْ سيرك الأخبار
ما بين كاظمِ غيظه مُتقطِّعٍ أسفًا وحرٍّ دمعُهُ مدرارُ
فاغضبْ لها يا بنَ الأكارمِ غضبةً تنأى بها عن سوحها الأكدار
إن لم تكن لمقامها ذا غيرة تحمي حماها عن أذى وتغارُ
فمَنَ الذي ترجو لدفعِ كروبها عنها وأنت السيِّد الأمَّارُ؟!
هم أرسلوني شافعًا ومقدِّمًا جاهي وأنتَ المقصدُ المختارُ
إذ كنتَ أنتَ أخا النجابة والعلا وسواكَ فيه عن العلا إقصارُ
ولقد أتيتُكَ وافدًا بنجيبةٍ شهداؤها بودادها أبكارُ
حسناءُ لا تبغي سواكَ من الورى ولها النزاهةُ والعفافُ شعارُ
ومرادُها الأسنى قبولُكَ والرضا وإذا رضيتَ انقادتِ الأوطارُ

وقال يمدح الأمير عبدالله بن جلوي بن تركي بن عبدالله آل سعود - أمير الأحساء:(*)

عظيمٌ ثنائي في علاكَ قليلُ لأنكَ فردٌ في العلا وجليلُ
معاليك أمثالُ النجومِ سوامقٌ لها غررٌ مشهورةٌ وحجولُ

(*) السابق، ص ٣٩٦- ٣٩٧. وهي فيه أكثر أبياتًا مع اختلافٍ في بعض الألفاظ والأبيات.

أجلُّ الرجالِ الصِيدِ مجداً وعفَّةً وأصدقُهم للقول حين تقولُ
وأقواهم صبراً على كلِّ حادث وأنت لكلِّ النائبات حَمُولُ
فعدلُكَ عدلٌ مانعٌ كلَّ ظالمٍ يخرُّ له الجبَّارُ وهو ذليلُ
لك المجلسُ المملوءُ عزّاً وهيبةً تباعدَ عنه هجنةٌ وفضولُ
شكرناك إذ طهَّرتَ "هجراً" من الردى لها منك ظلٌّ بالأمانِ ظليلُ
فلا زلتَ للدين الحنيفي ناصراً تشدُّ على أعدائه وتصولُ
شكرنا إمامَ المسلمين فإنه بصيرٌ إذا اختار الرجالَ دليلُ
أقامكَ حِصنًا للبلاد وأهلِها فأمِنَ منها خائفٌ وسبيلُ

وقال -رحمه الله- مهنئًا للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بفتح مكة المشرفة(*):

ليهنِ بني الإسلام فجرٌ من الهدى محا نورُهُ ليلَ المكارِهِ إذ بدا
ويهنيهم حفظُ الثغور وطيبةُ وأمُّ القرى لا عانقتْها يدُ الردى
بعزمِ إمامٍ ثبَّتَ اللهُ مُلْكَهُ وأورثه حلمًا ورأيًا مسدَّدًا
وقلَّده المولى رعايةَ خلقه وأعطاه علمًا كافيًا ما تقلَّدا
فكانت ملوكُ الأرضِ شاهدةً له بأن كان في فنِّ السياسة أوحدا
إذا راعتْ الأعداءَ هيبةُ جنده رماهم برأيٍ كان أمضى وأجودا
يكاد لحُسْنِ الرأيِ يدرك يومه بظنٍّ صدوقٍ منتهى أمرِه غدا

(*) السابق، ص ٣٩١- ٣٩٣. وهي ٥٢ بيتًا.

حكيمٌ بأطرافِ الأمـور إذا التـوت يفك بحـلـمٍ مـا التـوى وتعــقّـدا

علـى أنه أحلـى الملـوك لطافــــةً وأحـسنهم بشـرًا وأجـزلهم ندى

وأوصلهم رحـمًا وأشـرفـهم سنًا وأوسـعــهم عـفــوًا وأنداهم يدا

وأعظمـهم عند الحـفاظِ حـفـيظةً وأكــثــرهـم عند الإله تـعــبُّـدًا

وأنصـرهم للشـرع من غيـر مـرية وأقومـهم سيرًا عـلى سننِ الهدى

مــآثر عن آبائـه الصـيــد نالهــاً وقد زاده الرحمنُ فـضلاً وسؤددا

وقـد عمَّ كلَّ الناسِ عـدلاً وهيبـةً فـمـا أحـدٌ إلا عن البـغي أخلدا

ومنها في صفة الأمير عبدالله بن جلوي -رحمه الله-:

وإنك قــد ولِّيْتَ فـينا مــوفَّـقًــا مُـهـابًا جلـيـلاً ذا وقـارٍ مـسـدَّدَا

جرى جريك العالي بوافي سياسة وحكمـة ذي علم وهيبـةٍ أمجـدا

فـتى عمَّ كلَّ الناس إنصـافُـهُ بهمً فمـا أحدٌ يخـشى من ظالمٍ اعـتدا

فــأدناهم أعــلاهــم عند حــقِّــهِ وأعــــــلاهــم أدنـاهم إن تمـرَّدا

وله أشعار كثيرة ، ذكر الكثير منها صاحب "شعراء هجـر" ، وتوفي -رحمه الله تعالى- في عام إحـدى وستين وثلاثمائة وألف من الهجرة، رحمه الله تعالى.

الشيخ عبدالعـزيـز ابن الشـيخ عبداللطيف ابن الشيخ إبراهيـم آل مبارك ، رحمه الله :

هو الشاب الظريف، والعاشق العفيف، والأديب اللطيف، له معرفة كاملة في فقه الإمام مالك، عـالم باللغة وآدابها، ولد في محلة "الرفعة" من مديــنة الهفـوف بالأحـسـاء سنة عشـر وثلاثمائة وألف هجـرية .

ونشأ مولعًا بالعلم والأدب، قرأ الفقه والحديث والتفسير على جده الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبداللطيف آل مبارك، وقرأ النحو وعلوم اللغة العربية على الشيخ العلامة الشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي.

كان ذكيًا شاعرًا مطبوعًا، واسع الخيال، لطيف المعاشرة، حسن المحاضرة. وشعره من الأشعار الراقية، وهو البرهان الساطع على كمال فضله، وسعة معرفته، وجودة قريحته. وسنذكر شيئًا من أشعاره الرائعة:

ومنها قوله يهنئ خاله وابن عمه، وشيخه الشيخ عبدالعزيز بن حمد آل مبارك في زواجه الأخير في حياته رحمه الله[*١]:

قُمْ فاسقني البن صرفًا واملأ القدحا	فإن زنـدَ الهنا والسعد قد قدحا
وعاطنيها سلافًا سلسلاً عطرًا	كخدِّ خود بمسكيِّ الندى رشحا
لو ذاقها مادر[*٢] سحَّتْ أناملُهُ	أو شمَّ عرفَ شذاها باقل[*٣] فصحا
ماذا عليَّ إذا أنِّي ظفرتُ بمَنْ	أهوى إذا باتَ من لا أرتضي تَرِحا
إن الحبيبَ الذي قدمًا كلفتُ به	وهمتُ بالوصل بعد المطل قد سمحا
ألمَّ وهنًا فقال الناس: وا عجبا	الشمسُ قد طلعتْ والصبحُ ما وضحا !
يمشي ويعثرُ سكرًا في ذوائبه	لأنه من حُمَيًّا ريقِهِ اصطبحا

(*١) السابق ص ١٦٩- ١٧٠.

(*٢) مادر: لقب رجل لئيم يُضرَب به المثل في اللؤم والبخل، يقال: إنه سقى إبله، فبقي في الحوض قليل، فسلح فيه، ومدر الحوض به.

(*٣) باقل: يضرب به المثل في العيِّ، والسبب أنه اشترى ظبيًا بأحد عشر درهمًا، فسئل عن شرائه، ففتح كفيه، وأخرج لسانه؛ يشير إلى ثمنه؛ فانفلت الظبي.

رنا غزالاً ولـكن ماسَ غصـن نقًا وفاحَ مسكًا ولكن لاحَ شمسَ ضُحَى

إذا تثنَّى تـغنـى حليــــه طربًـا كـأنما الوُرْقُ في أغصـانه صَدَحـا

يختالُ في حُلَلٍ من سندسٍ صبغتْ بكل لون أمــا أبصــرتُمُ قَـزَحــا

لاقـيـتُـهُ فـتـعـانقـنا مـعـانـقـةً قد بَدَّدَتْ بـيننا الأقراط والوشـحا

وبتُّ من ثغـره الدريِّ مُغْـتَـبِـقـا راحًا ومن خدِّه الورديِّ مُصْطَبِحا

وقـد جـعلتُ له يـسـراي منطقـةً كـمـا جعلـتُ له يمناي متشـحـا

واهًا لـه من غــــزالٍ أدعجٍ غـنـجٍ عـذب المقـبَّلِ لكن لحظه مـلحـا

زانَ النسيبَ كمـا قدْ زانَ سيِّـدُنا "عبدالعزيز" الإمـام القدوة المِدحا

صـدرٌ بمرآه ترتاحُ الصـدور كـمـا تزهو به فلكم صـدر به انفسحـا

صافي الخليقـةِ هاديها إذا سدرتْ مـقبَّلُ اليـد مـوليهـا ومـا امتنحـا

حزمٌ وعـزمٌ على علمٍ وحلم حـجا فهم وحفظ ذكًا سبحان من منحا

بحـــــرٌ ولكنـه طابـتْ مــــواردُهُ ودُرُّه المجتبى للمـجتـدي طفحـا

وحوضُ جـودٍ على هذا الوجود طمى وروضُ فضـلٍ شذا أزهارُهُ نفـحا

بدرٌ ولكـن من النقصِ الملمِ وُقي بحـرٌ ولكنَّ ماء البـحـرِ قد ملحـا

ما العلمُ -يا صاح- إلا حيث كان فإنْ يُقِمْ أقــامَ وإلا ســارَ حـيث نـحـا

كم مـعـضلٍ دقَّ حــتى جلَّ ذلَّلَهُ ومقفلٍ من عويصِ العلم قد فتحا

ومشكلٍ حارتِ الألبـابُ فيه جلا بنورِ فكرتـه عـمـيـاه فـاتضـحـا

حـبرٌ بعـيدُ مـدى الإدراكِ واسعـهُ مـا فيـه قدح سـوى زند له قدحـا

لو اقـترحنا علـى هذا الزمان فـتى　　كما نشـا خلْتَهُ فوقَ الذي اقـتُرِحا
يا سيِّـدًا قد علتْ أخـلاقُهُ وزكتْ　　أعـرافُه وزكتْ أعـراقُهُ السـمحـا
إني أهني بك الشمسَ التي بلغتْ　　منك المنى وهي بالمأوى فـيا فـرحا
لم ترضَ مأوى لهـا إلا "المبرز" فلـ　　ـتقرَّ عـينًا فإن القـصدَ قـد نجحـا
دوما كـما شئـتما لا حـال بينكما　　سوء ولا حال حـال منكما صلحا

وله في النسيب(*):

هل في الهوى العذري لي من عاذرِ　　إنْ بُحْتُ بالشكوى وهل من ناصرِ؟!
يا للرجـال غـدا بـعـقلي شـادنٌ　　وسـبى سـويدائي فـهل من ثائر؟
يا طالبينَ دمي المراق علـى الصفـا　　مـا لي سـوى ذاك الغـزال النافـرِ
عُلِّقْـتُـهُ طفـلاً فلم يزلِ الـهـوى　　ينمـو إلى أن شبَّ بين ضـمـائري
ظبْيٌ كـحيلُ الـطرفِ لولا شعـرُهُ　　لم يـشجِ قلـبي لمعُ بـرق سـاهرِ
عجـبًا لنا نغـشى السيـوفَ فواتكًا　　ونُراعُ من جـفنٍ كَـحيلٍ فـاترِ
وأشـدُّ مـا يلـقى المحبُّ إذا دَنَتْ　　دارُ الحـبـيـب ولم يكن بـالزائرِ
وا رحـمـتـاه لحـال حُبٍّ قـد بُلي　　بتـصـبُّـر عـاف وشـوق عـامـري
ألهـتْـهُ غـزلانُ الحسـاء فلم يقل　　كم بين أكناف العذيب وحـاجر!
إني أُصَـرِّحُ بالعـقـيق وبالنقـا　　والله يـعلم مـا تكنُّ سـرائري
ولئن ملي مني الحشا شـجنًا فقـد　　مُلِئَتْ طبـاعي عـفَّـةً وضـمـائري

(*) السابق، ص ١٧٩ - ١٨٠.

اعـتـدتُ غَضَّ الطرفِ حـتى إنني ... لو رُمْتُ أفـتحـه عصـاني ناظري
وشكوتُ من أرقي لهـا وصبـابتي ... قالت: هل من شاهد لكَ حاضرِ؟
قلتُ: الدجى قالت: جميعُ قضاتنا ... لا يقـبلون شـهـادةً مـن كـافـرِ
قالتْ: ومـا لك دمع عينك جـامد ... قل لي وما للجسـم ليس بضامر؟
إني كـتمتُ هـواكَ حتى مـا درى ... سمعي ولا بصري بما في خاطري
قالتْ وقد عجـبَتْ لحُسْنِ مقالتي: ... لله دَرُّك مـن فـقـيـهٍ شـاعـرِ!

وله أيضًا(*):

باد هواك كـتـمت أم لم تكتـمـا ... يكفي نحولُكَ عن هواكَ مُتـرجما
إن الغـرامَ إذا أقـام بمهـجـة ... وأبيك عـزَّ عن الورى أن يُكْتَـمـا
بُحْ بالذي تهوى وصرِّحْ باسمِ مَنْ ... تهـوى ولا تحـذرْ فـديتُك لُـوَّمـا
واشكرْ على عدلِ الحبيبِ وجورِهِ ... وذُقِ الذي قـد ذقْتُـهُ فلعل مـا
واستعذبِ التعـذيبَ واسعدْ باللقا ... وارضَ الذي يرضى به واصبرْ كما
وتعالَ قُصَّ عليّ من طُرَفِ الهوى ... طرفًا فـقد أمـسيتُ مـثلَكَ مغـرما
يا من لـقلبٍ كلـمـا رام العـزا ... نقـضتْ يدُ الأشواقِ مـا قد أبرمـا
أو كلمـا شـيَّـدْتُ بيتَ تـنسُّك ... هَدَّ الهـوى مـا قـد بـنيتُ وهدَّمـا
وأخـو الغـرام وإن ترهَّـبَ برهةً ... مـا كان أسـرعَ أن يعـودَ مُـتَـيَّمـا
وظُنَّ حـشـاكَ فلست أولَ فـارسٍ ... يا صاحِ صارَ فريسة البيضِ الدُّمى

(*) السابق، ص ١٨١ - ١٨٢.

واهًا لـقلـبي مـن تجنِّـي شـــادن قــد كلَّمَ الأحــشــاءَ لما كلَّمــا
ظبْـيٌ له قلـبي ربيعٌ مُــــذْ نشـــاً لكنَّ وصلـي منه كـان مـحــرمـا
قـمـرٌ أغرُّ الحـاجـبيْن مهـفـهفٌ مـتـورِّدُ الخدَّينَ مـعـسـولُ اللَّمى
أهـوى الملامَ لـذكــــره لكـنني أخـشى من الـتـفـنيـد أن يَتـألَّمـا
إنْ كـان قـد أمـسى لـرقِّي مـالكا فأنا لأهل الـعشقِ صرتُ مُـتَمِّـما
يا ليتَ شـعــري هل أراني والمنى عـبثًـا موشـحة اليـمين أو الشمـا
بالله يا ريحَ الشــمـــالِ تحـمَّلي مني السـلامَ لسـاكني ذاك الحـمى
وصفي لـه حالي وقولـي: ما ترى في وصلِ عبدِكَ فهو قد وصل الحمى؟
مـــا الحبُّ إلا شـيـمــةٌ عـربيــةٌ ولئن خــلا منه امـرؤٌ لن يُـكْرَمـا
ولئن حُشِي مني الحشـا شجنًا فقد مُلِئَـتْ طبـاعـي عـفّــةً وتكرُّمــا

وكتب لي -رحمه الله تعالى- على أثر اجتـماع دعوته وجماعة من أسرته إليه في "عين أم سبعة" المشهورة هذه القصيدة(*):

ألا رُبَّ يومٍ كان من فـرص الدهر نهـبناه منه خلســةً وهو لا يدري
ظفـرنا بـه مع فـتـيـةٍ خــزرجـيـة شـمـائلُهم كـالراحِ عـلَّ بما القطرِ
هُمُ القومُ لا تغشى الهـمومُ جليسَهم ولا نبتغي عنهم بديلاً مدى الدهر
فتاهـم- وما فيهم دنيء -"مـحمدٌ" فـهم كنجوم أشـرقتْ هو كالبـدر
دعـانا فلبَّـينا إلى خيـرِ مـقـصـدٍ وأحسنُ ما لبَّى الفـتى داعي اليسرِ

(*) السابق، ص ١٩٥- ١٩٦.

لمنتــزه نحــو الربيــع وجـعــفــر ليحيى لأهل الفضل وصل الهوى العذري[1]

نثــرنا به الآدابَ فــانتظمَ الـهنا فـيـا لك من نظمٍ بديعٍ ومن نثـرِ!

ونحن من الغـيم النديِّ بخـيـمـة ومن كُتُبِ الأنقا على سُـرُرٍ حُمْرِ

وهبَّتْ علينـا نسـمـةٌ يمنيـةٌ شذى عرفها يشفي السقيمَ من الضُّرِّ

روتْ من حديث بيننا طابَ فانبرتْ تعثر في تلك الهضابِ من السُّكْرِ

إذا ما بكى المضنَّى بجفنينِ خلْتَها بسبـعةِ أجفانٍ مـدى دهرها تجري

إذا مـا الربيع افتـرَّ ثغـرًا من الحيـا بكى جعفر وجـدًا على ذلك الثغر

وأصـبح مـحـمـومًـا يحنُّ كـأنه يقلَّبُ من حـرِّ الغـرامِ على جمـرِ

تطوفُ علينا من جنى البن أكؤسٍ شفاءُ الهمومِ المدلهماتِ في الصدرِ

وشادٍ رخيم الصوت يبتعث الهوى إذا هو غنَّـى كـاد يـذهب بالسِّـرِّ

خلونًا فلا ساعٍ سوى الساقي بيننا ولا ثمَّ نمَّـامٌ سـوى نفـحـةِ الزهرِ

وزارني -رحمه الله- يومًا فلم يجدني، وكنت قد ذهبت لزيارة مشائخ لي في محلة "العيوني" من بلد المبرز، فكتب لي هذه الأبيات[*]:

وميضُ البـرقِ من غرب "العـيوني" أفـاضَ الدمعَ من غـرب العـيـونِ

ونوح الورق أروى نـارَ وجــدي وأذكى لـوعــةَ القـلبِ الحــزينِ

عـجـبتُ لهـا تنوحُ وعن شـمـالٍ تخــاطبُ إلفَــهــا وعن اليــمينِ

---

(١) الربيع وجعفر: من أسماء النهر.

(*) السابق، ص ١٧٤.

وقـــد باتتْ مـن الأوراقِ تُمْـلي وبـتُّ أُمَـلِّ مـن بحـــرِ الفـنونِ
إذا صـدحتْ وحـقِّكَ لم تجـد من يجـاوبهـا سـوَى دمـعي الهـتـون
أورِّي بـ "الشــوادن" في كـلامي وفي سُكَّانـهـا أبدا شـجـوني[1]
ملكتُـم -سـادتي- رقِّـي فـمـاذا عليكم بـعـدُ لو كـاتبتـموني؟
هويتُكـمُ فـمِلْـتُم نحـوَ غـيـري كـذاك من الهـوى ميلُ الـغصـون
أكـــاتِـبُكُمْ وأنـتم فـي فــؤادي وأطلبُـكُمْ وأنتم في "العـيــوني"

فكتبت إليه الجواب[*]:

سـلامٌ صـيغَ من سـحـرِ العـيـونِ يسـلِّي لوعـــةَ القـلبِ الحـــزينِ
يحـاكي نسـمـةَ الإصـباحِ طيبًـا وعـتـبَ أخي المودةِ والشــجـونِ
لقـــــد أوقـــدْتُـمْ نارًا بـقلبي ولن تطـفى بمدمـعي الـهـتــونِ
فــؤادي في هواكُم مـســتـهـامٌ ومـفـتـونٌ وقـد والفـتـمـونيِ
أتانـي منكم ســـحـــرٌ حـــلالٌ رمـى قـلـبي بمـسٍّ مـن جنـونِ
وددْتُ لقـــاءكـم لما قـــدمـــتُمْ ولو لاقـــيتُ بعـــدكم منوني
فجـسمي في "العـيوني" مـسـتـقرٌّ وقلبـي منك في قـــيــد الـرهونِ

وأرسل لي المترجـم له أخـاه مـبـارك بن عـبـداللطـيف؛ يدعـوني للاجتماع به، وبجماعة من أسرته الكرام في بستان له في الجهة المسماة

---

(١) الشوادن: اسم المحلة التي أسكنها من بلد المبرز. "من المؤلف".
(*) السابق، ص ١٧٤.

بـ "باهلة" وفي تلك الجهـة عين جاريـة، تسمى "باهلـة"، ولعل الجهـة منسوبة إلى تلك العين، فذهبت إليهم، ولم أجد منهم أحدًا، وذلك في وقت الهاجرة، وكان اليوم صائفًا، فكتبت إليه[*١]:

"مبـارك" منَّانا لقـاءَ الحـبـيب وعـتـرتـه الكاملـة الفـاضـلهْ
وقـال لي: الموعـدُ تلُّ الـوطاة جـمـاعـةُ الفـضلِ بـه نازله[١]
فـجـئـتُـه من أهله خـاليًـا وعـينُـه أمـواهُـهـا سـائـلهْ
قـالتْ لـنا: يا قـومُ لا تطـلبـوا قـومًـا كـرامَ الأصلِ فـي "باهلهْ"
فـعـدنا سـراعًـا بخـفِّي حنين نعـامـةُ الكلِّ غـدتْ شـائلهْ
وحـسـبنـا اللهُ ونعم الـوكـيل أحْـرَمْتُـمـونا نومـة القـائلهْ

فأجابني -رحمه الله- بقوله[*٢]:

وغـادة زارتْ بلا مـوعـد في لـيلـة مـزهرة فـاضـلهْ
يا حـسنـهـا مـن غـادة أقـبلتْ ترنـو رنوَ الظبـيـةِ الجـافـلهْ
كم قطعتْ في الوصلِ مَن فدفـد يا حـبـذا القـاطعـةُ الـواصلهْ
بتْنا كـمـا شـئنا وشـاء الـهـوى والدهـرُ عنـا عـينُـه غـافـلهْ
ظلَّتْ تـسـقـيني مـن ريقـهـا راحًـا بأعـطافي غـدتْ مـائله
ثم انثـنتْ تنثـر من عـتـبـهـا دُرّاً عـلى أذنـي الـعـاطـلهْ

(*١) السابق، ص ١٧٥.
(١) الوطاة : بستان يسمى وطاة النوم.
(*٢) السابق، ص ١٧٥- ١٧٦.

خـودٌ تغار الـشمسُ من حـسنها	والظبـي من ألحـاظهـا القـاتلهْ
من حُبِّـها عُـشّـاقـها أصبـحَتْ	خـاشـعـةً أبصـارُهـا عـاملهْ
ريمٌ على كـلِّ المهـا قـد حـوتْ	زيـادةً في بـابهـا كـاملـهْ
كـأنهـا نظمُ كـريم إذا	أولـى نـوالاً لـم يـزل نـائلـهْ
مـهـذَّبٌ حـاز العـلا يافـعًـا	ورُبَّ كـهـلٍ أثقلـتْ كـاهـلهْ
سَـمَتْ إلى العليـا به فـتـيـة	عـاليـة فـوق السهـا نازلهْ
أهدى لـنا مـن نظمـه غـادةً	حـسناءَ في برد البـهـا رافلهْ
حثَّتْ على الوصلِ وأضحتْ على	فـوتِ اللقـا محـزونةً عـازلهْ
فـيـا مُـحـبّـاً زارَ أحـبـابَهُ	علـى وَعـود لم تـكنْ بـاطلـهْ
قـد زُرْتَنـا في سـاعـةٍ لـم تكن	شـرْعًـا لطيـبِ الوصلِ بالقـابلهْ

وله شعر كثير، وقصائد مطولة، ذكر معظمها صاحب "شعراء هجر". وتوفي -رحمه الله- سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وألف عن ثلاث وثلاثين سنة، رحمه الله، وغفر له، وجمعنا وإياهم في الجنة دار السلام والرحمة إنه جواد كريم.

ومن مشاهير علماء الأحساء المعاصرين:

الشيخ عبدالله بن عمر بن عبدالله بن دخيل الله بن دهيش :

حنبلي المذهب، سلفي العقيدة، كان واسع الاطلاع في فقه الإمام أحمد -رحمه الله- وكثير المطالعة، منهومًا في جمع كتب العلم من جميع أنواعها، عالمًا بالفرائض والحساب، يحفظ جملة صالحة من أحاديث الأحكام، فطنًا ذكيًا، ولد بالأحساء عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف في محلة "النعاثل" من بلد الهفوف، وقرأ القرآن،

وتعلم مبادئ الكتابة على عبدالله بن عبدالرحمن بن غيث، وأخذ مبادئ علم العقيدة السلفية على الشيخ عيسى بن عبدالله بن عكاش المالكي السلفي، ثم قرأ على الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بشر لما كان قاضيًا في الأحساء جملة من الكتب المطولة في فقه الإمام أحمد كـ "المغني" و "الشرح الكبير" و "الإقناع" و" المنتهى"، وقرأ علم الفرائض على الشيخ أحمد بن علي بن عرفج، والشيخ محمد بن حسين بن عرفج من علماء الأحساء، ثم انتقل إلى بلد الرياض، فقرأ على الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ محمد بن عبداللطيف، والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف -مفتي المملكة العربية السعودية، ورئيس القضاة في علوم التوحيد والتفسير والحديث-

وفي شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وألف عين قاضيًا في "الأحساء"، وفي عام تسع وخمسين وثلاثمائة وألف نقل إلى قضاء "حائل" إلى غرة رجب سنة إحدى وستين وثلاثمائة وألف، ثم نقل إلى هيئة التمييز بمكة المكرمة معاونًا لرئيسها الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، وفي شوال سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وألف نقل إلى قضاء "الرياض"، وفي عام سبعين وثلاثمائة وألف نقل إلى قضاء "الخبر" بالمنطقة الشرقية، وفي عام سبعين وثلاثمائة وألف نقل إلى رئاسة المحكمة الكبرى بمكة المشرفة، ولم يزل بها محمود السيرة والأخلاق. نسأل الله لنا وله التوفيق والإعانة وحسن الختام.

استدراك

سبق أن ذكرنا في الجزء الأول كثيراً من الأسر العربية الموجودة في الأحساء، وقد تركنا بعض الأسر سهواً، فمنها آل غنام في فريق "القديمات" من بلد المبرز، وهم ينتمون إلى بني تميم، وكذا آل مقبل في فريق "العيون"، ينتمون إلى تميم، وآل عثمان في فريق "السياسب" ينتمون إلى سبيع، ومنهم الشيخ أحمد بن عبداللطيف قاضي مسعاب، ثم النعيرية، وآل جلال في فريق "السياسب" ينتمون إلى عنزة.

ولا أقول: إني ذكرت جميع الأسر العربية، ففي الأحساء أسر كثيرة إلا أني لم أحط بهم علماً، والله بكل شيء عليم.

وهذا ما يسَّر الله لنا جمعه من العلماء والأدباء الذين عاشوا بالأحساء، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله صلاة مستمرة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

حُرِّرَ في يوم الجمعة رابع وعشرين شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٢هـ اثنتين وثمانين وثلاثمائة وألف.

بقلم مؤلفه محمد بن عبدالله ابن الشيخ عبدالمحسن ابن الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالله ابن الشيخ أحمد آل عبدالقادر الأنصاري البخاري الخزرجي، عفا الله عنه.

فهارس الكتاب

فهرس الأعلام المترجم لهم(*)

(*) أعيد تصنيف هذا الفهرس وترتيبه من قِبَل اللجنة العلمية بالأمانة العامة للاحتفال .



فهرس القصائد والأشعار(*)

(*) أعيد تصنيف هذا الفهرس وترتيبه من قِبَل اللجنة العلمية بالأمانة العامة للاحتفال .

الأبيـــــات		رقم الصفحة

الأبيـــات — رقم الصفحة

حرف التاء :

حرف الثاء :

حرف الجيم :

الأبيـــــات		رقم الصفحة

حرف الذال :

حرف الراء :

الأبيــــات		رقم الصفحة
كـفى حزناً أن الحمار ابن بحـدل	عليٌّ بـأكناف الســتــار أمـيــر	٣٧
	الأحيمر السعدي	
فليت لنا مكان الملك عــمــرو	رغــوثا حــول قــبــتنا تخــور	٤٩٥
	طرفة بن العبد	
إذا مــا حــمـام المرء كـان ببلدة	دعتـه إلـيـهـا حاجـة فـيطير	٢٢٥
	مجهول	
هـل ترى زورة صبٍّ مــــولَّـع	بهــواكم فــتــرى هل فــتــرا	٦٠٥
	عبد الله بن محمد الكردي	
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه	وأيقن أنّا لاحــقــان بـقـيــصـرا	٥٠٩
	امرؤ القيس	
أو المكرعـات من نخـيل ابن يامن	دوين "الصفا" اللائي يلين "المشقرا"	٦٤
	امرؤ القيس	
لقد سـرَّني ما قد سـمعت فـهزَّني	بـلذتـه هزَّ المدام فــــأسكـرا	٥٣٥
	محمد بن خليل الأحسائي	
أيا الشـبـعــان بعـدك حــر نجـد	وأبطح بـطن مكة حـيـث غــارا	٤٤
	ابن حمراء	
ولولا سيوف من حنيـفة جـردت	ببرقان أضـحى كاهل الدين أزورا	٣٥
	الفرزدق	
لعـمـري لقـد سلَّـت حنيـفـة سلَّة	سيـوفا أبت يوم الوغى أن تُعـيَّرا	١٤٧
	الفرزدق	
فـشـبــهـتـهم في الآل لمـا تحـمّلوا	حـدائق دوم أو سـفـيـنا مـقـيـرا	٤٥
	امرؤ القيس	
أمـاطت لثاماً عن عـقود الجـواهر	وأبدت شمـوساً في ظلام الـغدائر	٦١٨
	عبد الله بن محمد الكردي	

الأبيـــــات		رقم الصفحة
يا جـارتي على " ثاج " سـبيلكمـا	سيـراً سريعاً لكيـما تعلما خـبري	٣٦
	تميم بن مقبل العجلاني	
كـانت مسـاءلة الركـبـان تخبـرني	عن جعـفر بن فلاح أطيب الخـبر	١٧٠
	ابن هانئ	
ألا بلِّغـا عـمـرو بن قـيس رسـالة	فلا تجـزعن من تائب الدهر واصـبر	٦٤
	عمرو بن أسوى العبقسي	
أتتنا بـنوقـيس مــجـمع عــرمـرم	وشن وأبنـاء العـمــور الأكـــابر	٤٦
	تليد العبشمي	
أقول لنفسي وهي في كرب غشيته	أقلي فـقد بان الحـبيب أو اكـثري	١٣٩
	مجهول	
ألارب يوم كـان من فـرض الدهر	نهـبناه منه خلســة وهو لا يدري	٦٨٢
	عبدالعزيز بن عبداللطيف آل مبارك	
وهبك كالشمس في حُسْن ألم ترنا	نِفـرٌ مـنهـا إذا مـالت إلـى الضـرر	٦٠٢
	عبد الله بن محمد الكردي	
هل في الهوى العذري لي من عاذر	إن بحت بالشكوى وهل من ناصر؟	٦٨٠
	عبد العزيز بن عبداللطيف آل مبارك	
لك الحـمـد يا ألله يا خـيـر ناصـر	لدين الهــدى مـا لاح نجـم لناظر	٢٧٨
	أحمد بن مشرف الأحسائي	
هنيـئـاً لك المال الذي قـد حـويتـه	ولم يبق في كـفـي غـيـر التـفكر	١٣٩
	مجهول	
فــقلت يا شـــوق ألسـت تدري	مـــا أنا فـيــه من جــفـــاء الدهر	٥٤١
	عبد الله بن محمد الكردي	
تذكــرت هنـدا لات حين تذكــر	تذكـرتهـا ودونهـا سـيـر أشـهـر	١١٦
	عبيد بن وهب	

الأبيـــات	رقم الصفحة

الأبيـــــات		رقم الصفحة
وقــد أتى في اللغــة الإدخــال له	مــعنى ولم تثـبت سـواه الـنقله	٥٩٢
	محمد بن أحمد آل عبد اللطيف	
يا نـبيَّ الهــــدى أتتك رجـــال	قطـعت فـــدافـــداً وآلاً فـــآلا	٤٧٥
	الجارود	
وغـــادة زارت بلا مـــوعـــد	في لـيلـة مـــزهرة فـــاضـله	٦٨٥
	عبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك	
مــبــارك منَّانـا لقــاء الحــبـيب	وعـــتــرتـه الكاملـة الفــاضـله	٦٨٥
	المؤلف	
لفـــقـــد الرجــال ترانـا رجــالا	وصــرف الزمـان يريك المحــالا	٦٦٥
	عبد الله بن علي بن محمد الخزرجي	
مـــا بال سلمـى لا تنيل وصـــالا	وتهــز للـهـجــر المـرير نصــالا	٥٦٩
	عبد الرحمن بن محمد الزواوي	
ضـيــاع العـمــر مـيلك للـبطاله	وكل الخـسـر شـغلـك بالجـهـاله	٥٨٥
	محمد سعيد بن عبد الله	
مــا والذي رزق الحــجــا وأنالا	كل الأنـام تفـــضـــلا ونوالا	٥٧١
	عبد الرحمن بن محمد الزواوي	
تحـنّ خـــيلـتنـا إلى مـــالـك	فــحـني حنيـنك إني مــعـــالي	٥١١
	عمرو بن قميئة	
الهـجر أقـتل مـا علمت فـواصلي	مـاذا التجـافي منك يا ابنة وائل؟	٥٤٥
	عبد الله بن محمد الكردي	
جـردناهم بالسيف من كل جـانب	كـما جـرّد الجـارود بكر بن وائل	١٢٤
	المفضل العبدي	
ألـم تر أنَّ الـلـه ذلّل بـحـــــره	وأنزل بالكفـار إحـدى الجـلاجل	١٣٢
	عفيف بن المنذر	
لئن كان أهل العـلم أقوت ديارهم	وأوحش ربع الفضـل من بعد آله	٦٣٠
	عيسى بن عبدالرحمن	

الأبيـــــات		رقم الصفحة
إذا جـرَّ مـــولانا علينا جـــريرة	صـبـرنا لهـا إن الـكرام الدعـائم	١٤٥
	نجدة	
أبلغ أبـا حــفص رســالـة ناصح	أتت من زياد مـستبيناً كـلامُهـا	٥١٦
	زياد الأعجم	
يا من ســما فـوق السـماء مـقامـه	ولقـــد يراك الكل أنـت إمـــام	٥٣٣
	أبو بكر بن علي باشا	
للـه درك يا فـــريد مـــحـــاسن	أربى على الـبـدر التـمـام تمامـه	٥٣٤
	عيسى بن محمد الجعفري	
لك الإحـســان والمن الجـســام	ومنا الشـكر مـا سـجع الحـمـام	٣٩٤
	المؤلف	
تزوّد من "الشـبعـان" خلفك نظرة	فــإن مـقــر الجــوع حيـث تميم	٤٤
	عديّ بن زيد	
ألا حـيِّـا الدار المحيل رسـومهـا	تهـيـج علينا مـا يهـيج قـديمهـا	٤٩٠
	المثقب العبدي	
بادٍ هواك كـتـمت أم لـم تكتـمـا	يكفي نحولك عن هواك متـرجما	٦٨١
	عبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك	
عـددنا له سـتـا وعـشـرين حـجـة	فلما توفاها استوى سـيِّدا ضخما	٤٩٥
	الخرنق	
لأبي القـــتـيلـين النوائح والـبكا	لسـعـد السـعـود أو لمقـتل أدرمـا	١١٢
	مجهول	
ولم ينج ابن عـــيّـاش ومـهـجـتـه	يم إذا مـــا رآه الناظـر ارتسـمـــا	١٨٢
	علي بن المقرب	
ولا خـيــر فـيـه غـيــر أنَّ له غنىً	وإنَّ له كـشـحـاً إذا قـام أهضـمـا	٤٩٦
	طرفة بن العبد	

الأبيـــــات		رقم الصفحة
قم فاشدد العيس للترحـال معتزما	وارم الفجاج فإن الخطب قد عظما	٥٢٤
	علي بن المقرب	
أشكو إلـى الرحـــمن مـن عـــاذل	أذاب قلـبي كـلّمــــا كلّمــــا	٥٧٣
	أحمد بن عبد الله	
وكنا إذا الجـبــار صـعّـر خــده	أقــمنا له من مــيله فــتــقــوّمــا	٥٠٦
	المتلمس	
يا لهف نفـسي على الشبـاب ولم	أفـــقـــد به إذْ فـــقـــدتـه أمَما	٥١١
	عمرو بن قميئة	
وحـرّقـوا عبـد قـيس في منازلهـا	وصبّروا الـعز من ساداتها حـمما	١٥٩
	ابن المقرب	
هتفت ورق الضحى شجـوا فهاما	وبدا البـرق فـأمـسى مـستـهـامـا	٦٠٧
	عبد الله بن محمد الكردي	
قاض هذا الشرع فـقت هذا الأناما	وبحـــجـــا ثابت وعـــزٍّ فـــدامـــا	٥٣٦
	محمد بن خليل الأحسائي	
ألا يا صـــاح إن شـــئت انـتظامـــا	بسـلك المـصطـفين مـن النـدامى	٦٦٧
	عبد الله بن علي بن محمد الخزرجي	
وصلت رقـــعـــة الحـــمـــيـم ولكن	اقـتضى النظم أن أقـول الحـمامـا	٥٣٦
	تاج الدين	
ولي صــديق مــا مـــسّني عـــدم	مــذ نظـرت عــينه إلـى عــدمي	١٦٩
	جعفر بن فلاح	
ابسط يمينا نشت في الجـود والكرم	لبـيـعة عـقـدت في الحل والحـرم	٣٨٦
	محمد بن بليهيد	
لا توعــدونا بمعـــزوق وأســـرته	من يـأتنا يلـق فـيـنا سنة الحـطم	١٣٠
	عبد الله بن حذف	

الأبيـــات		رقم الصفحة
إنما جــاد بشــأس خــالد	بعـدمـا حـاقت به إحـدى العظم	٤٨٩
	المثقب العبدي	
كــأن تريكـة من مـاء مــزن	وداريّ الــذكــي مــن المــرام	٤١
	مجهول	
إن أك قد أقصرت عن طول رجلة	فـيـارب أصـحـاب بعـثت كـرام	٥١٠
	عمرو بن قميئة	
وذا بحــرف الرا وحــرف اللام	يكـون واقــعــاً بلا كــلام	٥٩٤
	عبد الله بن محمد الكردي	
على فـيـصل بحـر الندى والمكارم	بكينا بدمع مـثل صـوب الغمـائم	٢٨٣
	أحمد بن مشرف الأحسائي	
صــبــر العظـيم على العظـيم	جــبــار زمــزم والحطـيم	٣٦٤
	خير الدين الزركلي	
وقـانا لفـحــة الرمـضــاء واد	وقـاه مـضـاعف النبت العـمـيم	١٠٢
	مجهول	
وشــادن كــالبــدر شـاهـدته	عــيــونه الـدعج تميـت الأنام	٥٣٥
	محمد بن خليل الأحسائي	
حرف النون:		
حـنـنـت وأين مـن "ملـح" الحنـين	لقـــد كــذبتـك يا ناق الظـنون	٦٥
	أبو الغنائم بن الطيب	
طويت بإحـراز الفنون وكـسـبـهـا	رداء شــبــابـي والجنون فـنون	٦٠١
	التفتازاني	
ذكـر الحمى فـتـحركـت أشجـانه	وجـرتْ دمـا من ذكــره أجـفـانه	٣٠٨
	أحمد عزت العمري الموصلي	

الأبيـــات		رقم الصفحة
قاضٍ طريقته المثلى قد اشتهرت	فليس يخفي سناها منه كتمان	٥٣٨
	تاج الدين المالكي	
قل : بشريان ولا تقل : بشرى لنا	زال الرقيب وزار من أهوى أنا	٦١٥
	عبد الله بن محمد الكردي	
هاجه الوجد إلى نجد فأنَّى	وتمنى الأبرق الفرد وأنَّا	٥٦٧
	عبد الله بن محمد الكردي	
وكم من قليب خضخته دلاؤنا	فعاد نميرا بعدما كان آجنا	٦٠٠
	عبد الله بن محمد الكردي	
ذكر الربع وأهليه فأنَّى	وشجاه البارق الساري فحنَّا	٥٧٨
	عبد العزيز بن حمد المبارك التميمي	
ساجع الورق على الأغصان غنى	أطرب الخالي واجتاح المعنَّى	٥٦٣
	الشيخ أحمد بن عبد الله آل عبدالقادر	
يا نازلين على أنقاء ناظرة	إنا نزلنا على كثبان يبرينا	٦٨
	عبد الله آل عبد القادر	
ألا أبلغ أبا بكر رسولا	وفتيان المدينة أجمعينا	١٢٨
	عبد الله بن حذف	
يا ريح بينونة لا تذمِّينا	جئت بأرواح المصفرينا	٣٥
	مجهول	
بعض الذي نالنا يا دهر يكفينا	فامنن ببقيا وأودعها يداً فينا	٢٠٥
	علي بن المقرب	
علم بأن كل حرف قد سكن	في مثله يدغم لكن لا يغن	٥٩٤
	عبد الله بن محمد الكردي	
الصبر يحمد في العواقب للفتى	والعبد يرضى قسمة الرحمن	٦٣٤
	عبد الرحمن بن عبد اللطيف	

الأبيـــــات | رقم الصفحة

الأبيــــــات		رقم الصفحة
ورد الكتـــاب فـيـــاله من وارد	بلَّ الصـــدى من قلبـي الحـرّان	٣٢
	خالد آل عبد القادر	
هاجك البـــرق أم نســـيم يمـاني	أم حـمـام رقت عـلى الأغـصـان	٥٥٣
	عبد الله بن محمد الكردي	
لسـان الشـعب يصـدح بالتـهـاني	ونور الأنس أشـرق في المغــاني	٧٢
	المؤلف	
اشـرب الكـأس دائمـاً بالتــهـاني	آمن العـــدم مــا جــرى الملوان	٥٥٢
	الشيخ أحمد بن عبد الله آل عبد القادر	
أجـأتنـي الأيام للجـهـل حـتى	غـشـيتني وأهل بـيـتي التـهـاني	٦٠٤
	عبد الله بن محمد الكردي	
الله أكـبــر تـلك أمــة أحــمــد	خُـصَّـت بدين أشـــرف الأديان	٣١٣
	عبد الله آل عبد القادر	
أمــــا آن لـلدهر أن يـســـتكين	فـتـنجلي غـمــرة قلبي الحــزين	٥٥٨
	عبد الله بن محمد الكردي	
علوت بحـــبـهم وشـهـرت فـــيـه	فـأمـري في الهـوى عـالٍ وعـالن	٦١٧
	عبد الله بن محمد الكردي	
لـلـه أم الـكرد أن أنجــــــبـت	إذ نتـــجت كل حــســـام سنين	٥٦١
	الشيخ أحمد بن عبد الله آل عبدالقادر	

حرف الهاء :

وذا أتى فـي أحـــرف أربـعــــه	وقـد أتت مـجـمـوعــة في لفظه	٥٩٢
	محمد بن أحمد آل عبد اللطيف	
يا مـقـتـدي ذا العصـر يا فـاضـلا	سـمــا فلن ترى له مـن شـبـيـه	٦٢٧
	علي بن حسين	

الأبيـــــات		رقم الصفحة

فهرس الملاحق التي أشار إليها
الشيخ / حمد الجاسر في مقدمته

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهرس المحتويات

أولا : فهرس القسم الأول

الموضوع	الصفحة

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
حرف الفاء	
الفروق	٥٣
يوم الفروق	٥٣
فطيمة	٥٤
حرف القاف	
القارة	٥٤
القاعة	٥٤
قراح	٥٤
القرحاء	٥٤
القطَّار	٥٥
قطر	٥٥
تاريخ بلاد قطر (استيلاء البرتغاليين ، الدولة العثمانية ،	٥٦
بنو خالد ، آل سعود)	٥٧
شيوخ قطر (آل ثاني) :	
الشيخ محمد بن ثاني	٥٨
الشيخ قاسم بن محمد	٥٩
الشيخ عبدالله بن قاسم	٦١
الشيخ علي بن عبدالله بن قاسم	٦١
من المنسوبين إلى قطر من المشاهير	٦١
القطيف	٦٢

الموضـوع	الصفحة

حـرف الميـــم

حـرف النــون

حـرف الهـاء

حـرف اليـــاء

الموضـوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

ثانيا : فهرس القسم الثاني (*)

(*) أضافت هذا الفهرس اللجنة العلمية بالأمانة العامة للاحتفال .

الموضــوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

طبع بمطابع الناشر العربي
تلفون : ٢٦٤٤ ٢٧٤ - ٢٦٤٥ ٢٧٤
فاكس : ٢٦٤٧ ٢٧٤